

هـ ——— كتاب المدخل

للإمام العالم العلامة أبي عبد

الله محمد بن محمد بن محمد

العبدري المشهور

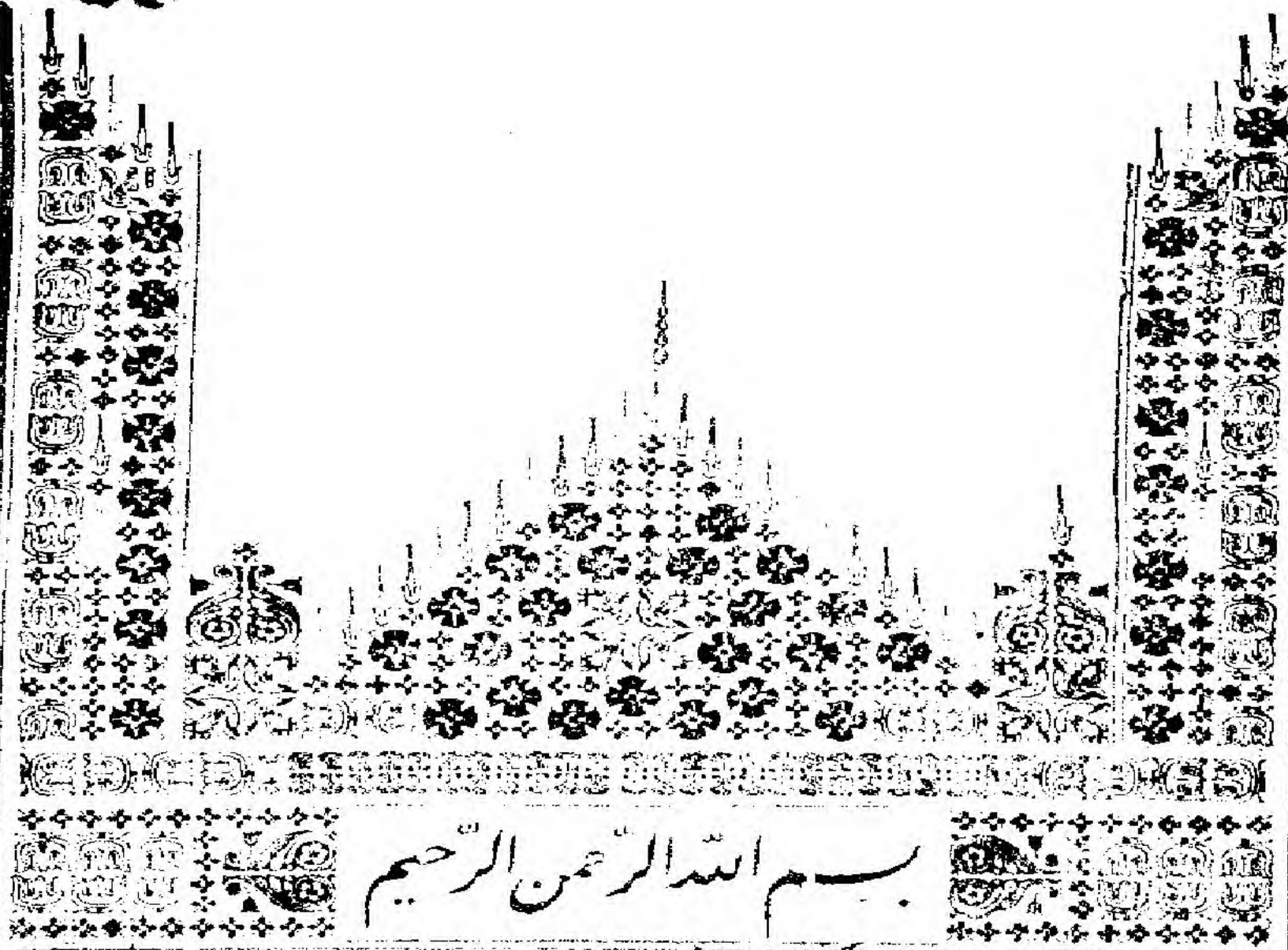
باب الحاج

غفر الله

له

م

ترجمة المؤلف من كشف القانون وطبقات الشعراء وحسن المعاصرة هو
الإمام العالم العامل أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري القاسمي المالكي
الشهير بابن الحاج كان فاضلاً عارفاً بقدري به حسب أرباب القلوب منهم أبو
محمد عبد الله بن أبي جرة وله التأليف النافعة من أجاب هذا الكتاب المسمى
بمدخل الشريعة الشريفة على المذاهب قال العلامة ابن حجر وهو كثير الفوائد
كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويقتضونها في أوائل أكثرها مما
ينبغي وبعضها مما يجتمع له وذكر فيه أن شيخه أبا محمد عبد الله بن أبي جرة
أشار إلى تعليم الناس مقاصدهم في أعمالهم فكتبه وسماه المدخل إلى
تنمية الأعمال بتحسين النيات الخ فرغ من تأليفه في سابع محرم سنة ٧٣٢
عاش بضعا وثمانين سنة وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٧ فغفرنا الله به وبآلومه آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

* (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) *
 يقول العبد الفقير الى رحمة ربه المظطر لذلك أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد
 العبدري القليل الغامى الدارع الله عنه وأخاف به (الحمد لله) المنفرد
 بالدوام الباقي بعد فناء الايام الموجد للخلق بعد انعدم المفتى لهم بعد ان
 ثبتت أعمالهم في الصحف كجبري به القلم العالم بما انطوت عليه أسرارهم في
 الخصال وفي القدم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد
 مضطر اليها عند زلة القدم وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله الى أكرم
 الامم (وبعد) فاني كنت كثيرًا ما أسمع سيدي الشيخ العمدة العالم العامل
 المحقق القدوة أبا محمد عبد الله بن أبي جرة يقول وددت أنه لو كان من الفقهاء
 من ليس له شغل الا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم وبقية عهده الى
 التدريس في أعمال النيات ليس الا وكلاما هذا معناه فانه ما أنى على كثير
 من الناس الا من تضيق النيات فقدر آ في ذكر بعض ما كان يجري
 عنده من بعض الفرائد في ذلك لبعض الاخوان فطاب أن أجمع له شيئًا لكي

يعرف تصرفه في دينه وفي عبادته وعلمه وتسببه فامتنت من ذلك خوفاً مما
ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في القوم الذين يمتنعون
السنن يوم القيامة أنهم العلماء الذين لا يعملون بما يعلمون ومن قوله عليه
الصلاة والسلام أول ما تسعرا النار يوم القيامة برجل عالم فتذلق أفتابه
خافة فيدور فيها كما يدور المحارب برحاه فيجتمع إليه أهل النار فيقولون له
يا هذا أنت كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم
بالمعروف ولا آتية وأنما كنتم عن المنكر وآتية أو كما قال وفي الحديث الوارد
أيضاً أن أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان رجل علم علماً فيرى غيره
يدخل به الجنة له عمل به وهو يدخل النار تضيق به عمله ورجل جمع
المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير فيرى غيره يدخل به الجنة
وهو يدخل النار أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر
وابن ماجه وابن وهب من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً فامتنت أن أتكلم بشيء لم يحتم عليه
عمل فأقع فيما تقدم ذكره لكن عارضتني أحاديث أخر لم يكن في الامتناع
لأجلها إلا أن ترك العمل معصية وترك تبليغ العلم معصية أخرى سيما إذا طالب
منى فارتكب معصية واحدة أخف بالمرء من ارتكاب معصيتين بالضرورة
القطعية والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة منها قوله عليه الصلاة
والسلام في حجة الوداع ألا فليباغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغ أن
يكون أو عي له من بعض من سمعه أو كما قال قال علياً وناجحة الله عليهم معناه
أعمل به من باغ إليه ومنها قوله عليه الصلاة والسلام إذا ظهرت الفتن وشتم
أصحابي فمن كان عنده علم فليكتبه فهو كبا حدم أنزل على محمد انتهى وهذا
أمر خطير وقد أخذ الله العهد على العلماء أن يعملوا وأخذوا ذلك العهد على
الجهال أن يسألوا فأشفقت من هذا أكثر من الأول فآثرته عليه مع أن فيه
فائدة أخرى كبيرة وهو أن يكون تذكرة في كل وقت وحين بالنظر فيه
ومطالعة فأتدكر به ما كان يعضى من بعض العلم في ذلك في مجالس سبدي
الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي جرة رحمه الله فرأيت أن الأجابة قد تعبدت على

من وجوه الوجه الاول من قبل نفسي للتذكير الثاني من قبل طالبيه لئلا
أدخل بذلك فيمن سئل عن علم فكتمه الثالث اهل بعض من يراه
ويعمل به أو ببعضه يدعوا لثاقفه المنكر خا طاره من قلة العمل لعل أن يوقفه
الله تعالى للعمل وقد قال الشيخ ابراهيم النخعي رحمه الله اني لا اكره القصص
الا لثلاث قلت احداهن قوله تعالى أأمر ون الناس يا ابرو وثنسون أنفسكم
الثانية قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبرمة عند الله
أن تقولوا مالا تفعلون الثالثة قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى
ما أنهاكم عنه انتهى لكن قد روى مالك عن ربيعة بن عبد الرحمن انه سمع
سعيد بن جبيرة يقول لو كان المرء لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر حتى
لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر قال مالك صدق
ومن هذا الذي ليس فيه شيء انتهى وعلى هذا العمل والفتوى لما
تقدم من ان ارتكاب معصية واحدة أخف من ارتكاب معصيتين واقد
بدأت بآية من كتاب الله تعالى تبركا واستدللت على ما أريد به آيات وأحاديث
تمس الحاجة اليها في بعض المواضع فبعض الأحاديث أثبت بها بالنص
والنسبة لثاقفها أو بعضها بالمعنى وعدم النسبة للضرورة الداعية الى تفعله كل
ذلك لعدم الكتب المحاضرة في الوقت وفي بعض المواضع تمس الحاجة الى
بعض حكايات تكون تفسيرا وبياناً لما الحاجة داعية الى بيانها وربما نهت
على بعض الآداب ووجدت بعض الناس يقولون بضدها فاحتجت الى
البحث في ذلك معهم حتى يتبين وجه الصواب ويتضح بحسب ما يسر الله تعالى
وبدأت فيه بما هو الاولى والآكد والاهم ثم الامثل فالامثل بعد ذلك
ورقت ذلك على فصول ليكون كل فصل مسئلة لابنه في المعنى المراد به
فيكون أسير لفهم وأهون على من يريد أن يطالع مسئلة معينة بحسب ما هو
موجود ومسطور فيه وهذا بحسب ما يسر الله تعالى في الوقت فن رزقه
الله تعالى نورا لعل أن يكون له سلما يترقى به الى غيره وان يدقق النظر فيما
ذكرته فله يبلغ السكال ويعتذر من اعتراف بالتقصير والتفريط فان ظاهر
غلط أو وهم أو تقصير أو غفلة أو جهل أو عي فالحمل قابل لذلك كثيرا وهومي
ومن الشياطين وصدق الله ورسوله ورحم الله أمرا ظهرت له عورة أو عيب

فسترأوه ذرفاسـة تعذر وان ظهر خيرة في فضل الله ورحمة والمن له بدأ وعودا
ولا بأس ان يصلح ما وجد من الغلط والوهم فقد أذنت له في الاصلاح لانه
من باب المعاونة على البر والتقوى وان البر خير (وسميته) بجمته في وضعه
كتاب المدخل الى تفية الاعمال بتحسين النيات والتنبية على بعض البدع
والعوائد التي انفصلت وبيان شناعتها وقبحها فنسأل الله تعالى الكريم رب
العرش العظيم ان يجعله خالص الوجه وان يرينا بركته يوم الوقوف بين يديه
وحين حلول الانسان في ربه وان ينفع به من طابه أو حرض عليه أو كتبه
أو كسبه أو طالع أو نظرفيه واعتبر وسستر ونسأله العفو والرحمة والاقالة
وسستر العورات وتأمين الروعات لنساء ولوالدين والدنيا واشائنا
ومشائناهم ولمن علمنا وان علمنا ولان أفادنا ولان أفدناه ومجميع المسلمين آمين
يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
مبارك فيه * بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله *

(فصل في الفريض على الافعال كمال تكون بنية حاضرة)

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين قال علماء ونارحة
الله تعالى ما لهم الاخذ الاصل ان يكون بالقلب وذلك ان لا ين آدم جوارح
ظاهرة وجوارح باطنة فعلى الظاهرة العباداة والامتثال وهو قوله تعالى وما
أمروا الا ليعبدوا الله وعلى الباطنة أن تتقدا أن لا اله الا الله وأن محمد رسول
الله مخلصه في ذلك وهو قوله تعالى مخلصين له الدين فالاصل الذي تتفرع عنه
العبادات على أنواعها والاختلاص وذلك لا يكون الا بالقلب فعلى هذا
الجوارح الظاهرة تباع للباطنة فان استقام الباطن استقام الظاهر جبرا وإذا
دخل الخلل في الباطن دخل في الظاهر من باب أولى فعلى هذا ينبغي
للؤمن أن ~~تكون~~ همة وكايته في تخليص باطنه واستقامته اذ أن أصل
الاستقامة منه تتفرع وهو معدنها وقد نص الحديث على هذا ويثبت أتم
بيان فقال عليه الصلاة والسلام ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وقال عليه
الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ انوى فن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها

أو امرأة ينكحها فهو - جرتة إلى ماهاجر إليه - فالهجرة على حد واحد في الفعل
 وإنما كانت هذه لله وهذه لغير الله على ما انطوت عليه الجوارح الباطنة
 وهي النية - وقد قال الامام أبو عبد الله مالك بن أنس رحمه الله تعالى
 ألا ترى أن الساجد لله تعالى والساجد للصنم في صورة واحدة وإنما كانت
 هذه عبادة وهذه كفر بالنية فينبغي أن يكون المؤمن محافظا على نيته ابتداء
 فإذا أراد أن يزيد في عمله ينظر أولا في نيته فيحسنها فإن كانت حسنة فيتم بها
 إن أمكن تكميلها وما افترق الناس في غالب أحوالهم إلا من هذا الباب
 لأن الغالب على بعضهم تقارب أفعالهم ثم انهم يفترقون في الخيرات
 والبركات بحسب مقاصدهم وتنمية أفعالهم مثل أن يمسك ثلاث رجال
 يخرجون إلى الصلاة أحدهم يخرج ويتنظر إن كانت له حاجة لنفسه أو
 لبيته قضاها في طريقه وهو ساه عن نية التقرب بذلك إلى الله تعالى فهو ذاك
 أجر الصلاة ليس إلا والخطا التي استعملها المسلمون قد ذهبت لقوله عليه
 الصلاة والسلام إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء وأقى المسجد لا يريد إلا
 الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة أخرجه أبو
 داود وفي البخاري ومسلم لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه
 بها خطيئة فشرط عليه الصلاة والسلام في حصول هذا الاجر أنه لا يريد
 إلا الصلاة وهذا المذكور قد أراد غيرها بالحاجة التي توى قضاءها والثاني
 خرج إلى الصلاة ليس إلا ولم يخط مع هذه النية غيرها فهذا أعظم أجرام
 الأول لأنه حصل له بركة الخطا إلى المسجد على ما أخبر به صاحب الشريعة
 صلوات الله وسلامه عليه والثالث خرج مما خرج به الثاني لكنه حين
 خروجه نظر في نيته إن كان يمكن تكميلها أم لا فوجد ذلك ممكنا فصلا ففعله
 فخرج وله من الاجور ما لا يعلمه إلا الله الذي من عليه بذلك فإذا كان الامر
 كذلك فلا يشترط على الخروج إلى المسجد ليس إلا بل ذلك في كل الأفعال
 دقيقة وأوجليها كبرها وصغيرها مما يمكن تكميلها ففعل ذلك فيحصل له
 الخير العظيم والسعادة العظيمة مع راحة البدن من التعب وغيره لكن ذلك
 بشرط يشترط فيه وهو أن يكون موقفاً على شيء مما نواه وهو يقدر على فعله
 من غير كراهية للشرع في فعله فليبادر إليه والتحذرا يحذر من تركه لأنه

الاعتبال الاهتمام
هـ

اذا تركه وهو قادر عليه كان الاولى به والافضل ترك النية فيه لانه اذا فواه
وقدر عليه ولم يفعل له دخل اذذاك في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون فتمسكون نيته تحصله
في هذا المقت والعياذ بالله تعالى وانما تنهى هذه الطائفة أعمالها لاهتمامهم
بأمر دينهم وقوتهم فيه فاذا ظفروا بشئ منه لم يتركوه فيحصل لهم أجر النية
والعمل وما لم يحصل حصل لهم أجر النية وقد قال صلى الله عليه وسلم أوقع
الله أجره على قدر نيته انتهى فلا يزالون في غير دائم وأجور متزايدة بخلاف
غيرهم فإنه قد يسهم وحين الفعل أو يفعل بنية فاسدة أو يفعل له فيه حسنة
واحدة ~~كتبت~~ سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما
اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدرة النية فمن ثبتت نيته تم عون الله له ومن
قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله به وذلك ~~وسكت~~ كتب بعض الصالحين
إلى أخيه أخص النية في أعمالك يكفيك قليل العمل وقد قال علماء وأئمة
الله عليهم من لم يمتد إلى النية بنفسه فليحجب من يعلمه حسن النية وقد قال
الامام المحقق عيسى بن رزق رحمه الله تعالى نظرت في هذا الأمر فلم يأتنا إلا من
قبل الغفلة عن النية لا في نظرت فوجدت الإنسان لا يخاف من أحد أمرين
أولهما الحركة وأما سكون وكلامه عمل اه كلامه بالمعنى فان تحرك الإنسان
أو سكن ساهياً أو غافلاً كان ذلك عملاً عارياً عن النية فيخرج أن يكون عملاً
شرعياً للحديث المتقدم انما الأعمال بالنيات فاذا تقرر هذا وعلم بحصول
منه أن أعظم الناس منزلة وأكثرهم خيراً وبركة الواقف مع نيته في حركته
وسكونه وبهذا المعنى وقع الفرق بيننا وبين سلفنا وخيار من تقدمنا رضوان
الله عليهم لتحسين نياتهم وتحسينهم ما فاسد كانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة
ونحن اليوم انما العبادة عندنا ما كان من الصلاة والزكاة والصوم والحج
والجهاد أصول الدين المعروفة وهذه انما هي عند الموفقين منا أعنى
المحافظين على هذه الأفعال المذكورة بواجبها ومندوبها وبقي ما عدا هذه
الأفعال عندنا على أقسام فثلاث من يفعلها للدنيا أو منافعها راحة ومنها
من يفعلها غفلة ونسياناً إلى غير ذلك من الأمور العارضة لنا في تصرفنا فبما
الفرق بيننا وبين سلفنا حكى القشيري رحمه الله تعالى في التخيير له قال قيل

أن رجلا من الصالحين رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي
ورفع درجتي فقيل له بماذا فقال له ههنا يعملون بالجود لا بالكسوع
والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويتغفرون بالفضل لا بالفعل سمعت
سیدی أبا محمد رحمه الله يقول وقع قحط يا فريقية واحتساج الناس إلى
الاستسقاء فأرسل بعض الأکابر إلى أخ له في الله يسأله أن يخرج مع الناس
إلى الاستسقاء فجاء الرسول إلى الشيخ فلم يجده في بيته فسأل عنه فقيل هو في
أرضه يعمل فتعديت نظره إلى أن جاء عشية ومعه البقرة وآلة الحرث فلم عليه
الرسول وبلغ إليه ما جاء بسببه فسكت عنه ولم يعطه جوابا فبقى عنده ثلاثة
أيام منتظرا رد الجواب فلم يجبه فأراد أن يرجع إلى الذي أرسله فخرج ومر
على الشيخ وهو يعمل في أرضه فقال له يا سیدی ما أردت يا سیدی فلان في
الجواب فقال له لو علم أنه يخرج مني نفس غير الله لقتلت نفسي فمن يراه
يتدب ويعمل في الأرض يظن أنه طالب دنيا أو مبتغى لها وهو على هذا الحال
ولا شك أنه في هذا مع غيره في الصورة واحد وهو لا يخرج منه نفس على
ما ذكره الله تعالى فافترق العملان بما احتوى عليه القلب وهي النية
وكيفيتهما حكى صاحب القوت عن بعضهم أنه كان مع شيخه عشية عرفة
بالعراق في أرض له يزرع وإذا برجل يمر كالسحاب فوقف مع الشيخ يتحدث
معه ساعة والشيخ يقول لا أقدر ثم مضى فسأله من هذا الرجل فقال هذا
بدل الأقليم الفلاني فقلت له وما طلب منك حتى امتنعت من فعله فقال طلب
منى أن أقف معه الليلة بعرفة فقلت له يا سیدی وما منعك من ذلك فقال لي
كنت نويت زراعة تلك البقعة الليلة فانظر كيف ترك الوقوف بعرفة لأجل
زرع تلك البقعة فلو كانت زراعتها عندك لا مر مباح لتركها ولو كان ما كانت
النية فيها صالحة بحسب ما نوى لم يقدر أن يتركها أملا يدخل في قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون
وفي قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم حكى لي عن بعض أصحاب سیدی أبي علي
حسن الزبيدي رحمه الله وكان أبا مامعظم محترما قدما عنده من أدركاه من
المشايخ مثل سیدی أبي محمد المرجاني وسیدی أبي محمد بن أبي جرة ونظائره ما
قال كنت مع سیدی حسن في حائطه يعمل فيه وإذا بشخص يدق

الباب فثبت الى الباب لا نظرم من هو فاذا هو سيدي حسن قد لحقني
 فساأني من قيامي بأي نية قت فقات قت لا تفتح الباب قال لا غير قت هو
 ذلك أو كما قال قال فعاب ذلك علي وانتهرني وقال فقير يتحرك بحركة عارية
 من النية ثم أخبرني أنه قام لفتح الباب وعد لي ما قام به من النيات فاذا هي
 فتحو من خمس وعشرين نية ولا يعكر علي هذا ما ذهب اليه بعض الناس
 من ان هذه الطائفة لا تخرج الا بنية واحدة واستدل على ذلك بفعل الامام
 ابي جعفر عليه السلام لما جاء الى الحج ووجد بعض أئمة الحديث بمكة والناس
 يسعون عليه الحديث فلم يجلس اليه ولم يسمع عليه شيئا فقبل له في ذلك فقال
 ما خرجت بهذه النية فلما ان حج ورجع الى بلده رحل الى الشيخ المذكور الى
 بلده باليمن وغيره فسمع عليه الحديث وهذا منه رجه الله ليس على ظاهره
 بل لا مر آخر وهو واضح بين اذان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني
 كقدح الراكب فأراد الامام ابي جعفر عليه السلام ان يجعل الرحلة حديث النبي
 صلى الله عليه وسلم في الاصل والعهد وما وقع بعدها من النيات فتبع لها
 وفرغ عنها فحفظها منه رجه الله أن يجعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم تبعاً
 فيكون كقدح الراكب وذلك ان قدح الراكب هو الذي يكون فيه الماء
 لقضاء ما ربه من شرب وغيره لانه لا يجعله على الدابة الا بعد ان يفرغ من
 تحميل حوائجه كلها عليها فأراد ان يجعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم
 اصلاً لا فرعاً كما تقدم (وقد) روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أنه
 قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض
 الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية اهـ ومن محاسبة
 النفس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجعله أصلاً ومتبوعاً لا فرعاً تابعاً
 (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالي رجه الله تعالى في كتاب الاربعين
 في أصول الدين له والنية والعمل بهما تمام العبادة فالنية أحد جزئي العبادة
 اكتملها خيراً الجزئين لان الأعمال بالجوارح ليست مرادة الالتهام في القلب
 ليحيل الى الخير وينفر عن الشر فليس المقصود من وضع الجبهة على الارض
 وضع الجبهة بل خضوع القلب لأن القلب يتأثر بأعمال الجوارح وليس
 المقصود من الزكاة إزالة الملاك بل إزالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة

الغالب من المال ثم قال فاجتهد أن ~~تكثر~~ من النية في جميع أعمالك حتى
تتوى لعمل واحد نيات ~~كثيرة~~ ولوصدقت رغبة لك لهديت لطار بقه
وبكفيت مثال واحد وهو أن الدخول إلى المسجد والقعود فيه عبادة ويمكن
أن يكون فيه ثمانية أمور وأولها أن يعتقد أنه بيت الله عز وجل وأن داخله
زار الله تعالى فينوي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد في
المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزار كرام زائره وثانيها المراقبة
لقوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا قبل معناه انتظروا الصلاة بعد الصلاة
وثالثها الاعتكاف ومعناه كف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات المعتادة
فانه نوع صوم قال صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتي القعود في المساجد
ورابعها الخلوة ودفع الشواغل لازوم السر والعلانية في الآخرة وكيفية
الاستعداد لها وخامسها التجرد لذلك كروا سماعه واستماعه لقوله صلى الله
عليه وسلم من غدا إلى المسجد يذكر الله تعالى ويذكر به كان كالجسماء
في سبيل الله تعالى وسادسها أن يقصد إفادة علم وتنبية من يسي الصلاة
ونحو عن منكر وأمر معروف حتى ينتشر بسببه خيرات كثيرة ويكف
شر يكافئها وسابعها أن يترك الذنوب حياء من الله عز وجل بأن يحسن
نيتة في نفسه في قوله وعمله حتى يستحي منه من رآه أن يقارف ذنبا وقس
على هذا سائر الأعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الأعمال وتلتحق
بأعمال المقربين ~~كما~~ أنه بنيتها تلتحق بأعمال الشياطين كن يقصد من
القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكير بأعراض الناس ومجالسة اخوان
الله واللعب وملاحظة من يجتاز به من النسوان والصبيان ومناظرة من
ينازعه من الأقران على سبيل المباحات والمراءات باقتناص قلوب المستمعين
لكلامه وما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي أن يغفل في المباحات عن حسن
النية ففي الخبر أن العبد يسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن مكيل عينه
وعن فتات الطيب بأصبعه وعن لمس ثوب أخيه فقال النية في المباحات أن
من يطيب يوم الجمعة يمكنه أن يقصد التزميم بالذمة والتفاخر باظهار شره
والتزويق للنساء وأخذان الفساد ويتصور أن ينوي اتباع السنة وتعميم
بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الأذى عن غيره بدفع الرائحة

الكرامة وايصال الراحة اليهم بالرائحة الطيبة وحسن باب الغيبة اذا شهوا منه رائحة كريهة والى الغريقتين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة انتهى (وقد نقل) الشيخ ابن عبد السلام رحمه الله تعالى اجماع العلماء على محاسبة النفس فالحاسبة حديث الانفس وضبط الخواص ورعاية الاوقات واظهار المهمات بين هذا ويوضحه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قيل له لو قيل لك انك تموت الآن بماذا كنت تحترف أحترف لاهلى بالسوق ومعلوم بالضرورة القطعية انه لا يريد ان يموت الا على أكمل المحالات فلما ان اختار الوقت في هذه الساعة التي يكون فيها في السوق علم عند ذلك مقاصدهم بالسوق ما كانت ولاى شئ كانوا يخرجون اليها وهل هم معرضون في تلك الحال او حاضرون في العبادة والخير وقد قال رضي الله عنه انى لا نسكح النساء والى اليهن حاجة واطامن ومالى اليهن شهوة قيل ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من ظهري من يكثربه محمد صلى الله عليه وسلم الا هم يوم القيامة فهذا اعظم ملذذات الدنيا رجع مجردا لا آخرة يتقربون به الى ربهم فابالك بما هو اقل منه لذة وشهوة فسبحان من من عاينهم وسقاهم بكأس نبيهم صلى الله عليه وسلم ونحن اليوم قد أخذنا في الضد من أحوالهم هذه أحوال دنياهم يتقربون بها الى ربهم ونحن اليوم قد أخذنا أعظم ما يعمل للآخرة ورددناه الى الدنيا ولا أسبابها بيان ذلك ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ما أعمل البر في الجهاد الا كبصقة في بحر وما أعمل البر والجهاد في طلب العلم الا كبصقة في بحر فتبين من هذا الحديث ان أعظم أعمال الآخرة انما هو طلب العلم ولا يخفى على ذي بصيرة أن الغالب من ذلك راجع الى الدنيا صرفا بقدر أحدنا به علم العلم ويبحث فيه ثم يطلب ما هو معلوم في الوقت من طلب المناصب به والرياسات ومحبة الظهور والرفعة به على أبناء جنسه ومحبة الخطوة عند الامراء والслаطين والعلماء والعوام ان سلم من الداء العضال وهو التردد الى أبوابهم واهل بيته هذا المنصب الشرعي العظيم بالوقوف به على أبواب الأنظمة ومعاينة ما العلم الذي عنده يجرده ويأمر بتغييره

قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم فجعل العلماء في ثاني درجة من ملائكته وفي ثالث
مرتبة منه سبحانه وتعالى أعنى في الشهادة فانظر الى هذا المنصب العظيم
والسمادة العظيمة كيف وقع ونزل به هذا الناقد المسكين المتشبه بالعلماء
الدخيل فيهم تسمى باسم لم يستحقه فنزل به الى أسفل سافلين لكن العلم والمجد
لله لم ينزل وانما نزل نفسه وبخسها احظها لكونه لم يتصف بالعلم الذي من
عليه به ترك علماء على رأسه حجة عليه بوجهه بين يدي ربه ويكون سببا لاهلاكه
بين ذلك وبوضوح الاحاديث الواردة عنه صلوات الله عليه وسلامه فيها
ما ذكره الشيخ أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتاب التفسير له قال روى
مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأقنى به فعرفه
نعمه فعرفه اقال فاعلمت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت
ولكنك قاتلت ليقال فلان جرى ففقد قيل ثم أمر به فمحب على وجهه حتى
القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأقنى به فعرفه نعمه فعرفه
قال فاعلمت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت
ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ففقد قيل ثم
أمر به فمحب على وجهه حتى ألقى في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه الله
من أصناف المال كله فأقنى به فعرفه نعمته فعرفه اقال فاعلمت فيها قال ما
تركته من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك
فعلت ليقال فلان جواد ففقد قيل ثم أمر به فمحب على وجهه حتى ألقى في
النار وقال الترمذي في هذا الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ركبتي وقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعيرهم النار يوم
القيامة قال ابن عبد البر وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه وعمله وجه الله تعالى
(وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طالب العلم لغير الله أو أراد
به غير الله فليتبوأ عقابه من النار وخرج ابن المبارك في رقايقه عن العباس
ابن عبد المطالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الدين حتى
يجاوز البحار وحتى تغاص البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ثم يأتي

أقوام يقرءون القرآن فاذا قرءوه قالوا من أقرأنا من أعلم من سألهم التفت الى أصحابه وقال هل ترون في أولئك من خير قالوا لا قال أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم رقود النار (وروى) أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجهه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربهما قال الترمذي حديث حسن (وروى) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذون به جهنم كل يوم مائة مرة قالوا يا رسول الله ومن يدخله قال القراء المرءون بأعمالهم قال هذا حديث غريب (وفي كتاب) أسد بن موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا ان جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وان في ذلك الوادي نجما ان جهنم وذلك الوادي ليتعوذ ان بالله من شر ذلك الجب وان في الجب نجمة ان جهنم والوادي والجب ليتعوذون بالله من شر تلك النجمة سبع مرات أعد الله تعالى للاشقياء من جملة القرآن الذين يعصون الله تعالى اه نقله القرطبي رحمه الله والاحاديث في هذا المعنى كثيرة فانظر الى ذلك المنصب العظيم والرتبة العليا كيف رجعت في حق هذا القارئ المسكين بهذا الوعيد العظيم والمسكنة العظيم بسبب ما ذكر من حب الرياسات والمناصب والمفاخرة أسأل الله تعالى السلامة بعد أن كان في أعلى عليين رجع الى أسفل سافلين ولهذا المعنى كان سيدي أبو محمد رحمه الله اذا ذكر له واحد من علماء وقته ممن ينسب الى طرف مما ذكر ويثنى عليه اذ ذاك بفضيلة العلم يقول ناقل ناقل خوفا منه رحمه الله على منصب العلم أن ينسب الى غير أهله وخوفا من أن يكون ذلك كذبا أيضا لان الناقل ليس بعالم في الحقيقة وانما هو صانع من الصناعات كالتخييل والحداد والقصار هذا اذا كان نقله على وجهه في الصحة والامانة والا كان دجالا فيستعاذ بالله منه لان العلم ليس هو النقل ليس الا وانما العلم ما قاله مالك رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يذفه الله تعالى في القلوب (ومن) كتاب سير السلف للحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله قال ابراهيم

الخواص رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم أن اتبع العلم واستعمله
واقتهى بالسنن وإن كان قليل العلم اهـ يمين هـ ذا و يوضحه ما ذكره الشيخ
أبو عبد الله القرمطي رحمه الله تعالى في تفسيره عن أبي بكر الأنباري بإسناده
عن خلف بن هشام البزازي قول ما أظن القرآن الا عارية في أيدينا وذلك أنا
روينا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفظ سورة البقرة في بضع عشرة سنة
فلما سقطها فخرجوا يشكروا الله تعالى وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين
يدي المعلم فيقرأ آيات القرآن لا يستطعمه حرفا فلما أحسب القرآن الا عارية
في أيدينا (وقال) أهل العلم بالحديث لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على
معجم الحديث وكتبه دون معرفته ونهجه فيكون قد أتعب نفسه من
غير أن يظفر بطائل (وقال) معاذ بن جبل اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم
الله تعالى بعلم حتى تعلموا (قال) ابن عبد البر وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثل قول معاذ وفيه زيادة أن العلماء هم هم الرعايا وإن السلفاء
هم هم الرواية اهـ نقله القرمطي رحمه الله تعالى فهذه الآثار والاحاديث كلها
تبين وتوضح مراد الاسم بالكثرة الله لأن من فذف الله في قلبه نورا كان
بعيداً من كل ما ذكر من الاوصاف المذمومة قد حصلت الريبة العليا
المذكورة هنيئاً له فن لم يحصل له طرف من ذلك النور بقي لئلا جالاً أو لصا
يكيد الدين وأهله ثم ودياً لله من شدة قال الله سبحانه وتعالى ومن لم يجعل الله
له نورا فجعله من نور وهذا البحث كله انما هو اذا سلم طالب العلم من عوض
ياخذ به عايه ما هو معلوم في الوقت فان كان ثم معلوم يطلبه على علمه فقد زاد
ذم اهـ الى مذمومات تقدم ذكرها اولو وقف امرنا على هذا المكان ذلك رجة
بالله ان علم المرء بهذه القاعدة الفاسدة التي احتوى عاها علم يرجي له أنه
مهما قدر على الترتيب واليه وناب واقلع ورجع الى الاعلى والاكمل ليكنا
لم نعرف عند هذا الحد بل زدنا عليه الداء المضر الذي لا يمكن معه توبة
ولا استغفار وهو أنا نرى أنفسنا في طاعة وخير وأن وقوفنا على أبواب من
تقدم ذكرهم من باب ما يجب أو يستحب بحسب ما سألنا أنفسنا وزين
لنا شيئا أن قاتل توبة تحدث مع هذا الحال وأي اقالة تقع لأن التوبة انما
ترجي أن يرى نفسه أنه في غير طاعة واما الطاعة فلا يتوب أحد منها وقد

قال صاحب الانوار رحمه الله تعالى لما تكلم في وقته على شئ ظهر له اقل من
هذا ان الله وانما اليه راجعون على موت الاخبار والبقاء مع قوم لا يستحيون
من فضيحة ولا عار اهـ وكذلك ايضا ما نأخذ من العلم من المعلوم بقول فيه
انه اعانة على طلب العلم والعلم في نفس طلبة انفسهم والله وهذا كله خطر عظيم
اسأل الله السلامة بمنه ولو قطع عنا ما نأخذ من المعلوم وبقينا على طالب
العلم لا نبرح ولا نفترعها كتاب صددها لك انت دعوانا صحيحة وان كنت تنظر اني
انفسنا فنجدها الواحد منا اذا قطع عنه المعلوم تسخط اذذاك وبقول اذا كان
مبتدئا كيف يقطع عنى وانا قد قرأت الكتاب الغلابي وحفظت كذا بل
لا تحتاج في هذا الى قطع المعلوم بل هو موجود في تمام وجود المعلوم تجد
الطالب من اية قول كيف يأخذ فلان كذا وانا اكثر بحثا عنه واكثر فهما
واكثر حفظا لا يكتب واكثر نقلا الى غير ذلك من الامور العارضة لنا
الظاهرة للصغير والكبير منا بل اذا اراد الطالب في اول امره ان يتدى
القراءة يتدبر به هذا السمع ان كان هو الطالب بنفسه وان كان وليه فكذلك
فيدخل أولا بنية ان ينشط في العلم ويظهر حتى يحصل له من المعلوم كفايته
وحتى يحصل عند الله او غير ذلك من المناصب التي نحن عاملون عليها
فكيف يكون هذا العلم مع هذا الحال وان كان منتهيا بتجديده وبين
نظائره التنافس على مناصب التدريس والسعي فيه الى ابواب من تقدم
ذكرهم والتدريس بالمعلوم في الغالب لا يحصل الا بالوقوف على ابواب
هؤلاء ومباشرتهم فكيف يكون معه طرف من النور ذلك بعيد جدا ثم اذا
قطع المعلوم تسخط اذذاك وبقول اى فائدة لعمودي ويطاؤون الموضع من
الدروس حتى رأتى المعلوم فاذا اتى المعلوم وجدتنا تتسابق الى ذلك الموضع
ونهرع اليها فصار حالنا كما قال ابن رزق رحمه الله تعالى فاصبحنا اقدم
الدنيا بالأسن ونجربها اليها بالأيادي والارجل اسأل الله السلامة من
هذا الامر العظيم هذا هو حال السالم من النية السوء اليوم في هذا الاصل
وهذا انما هو عقيل في المعنى والافعال الغالب عليها هذا المعنى الا ترى
الى ما جاء في فضل الاذان وما فيه وفي فضل الامامة وما فيها والغالب على
أحوالنا اليوم ان كان المسجد له معلوم حينئذ يهرع بالاذان والاقامة

في بعض الاوقات دون بعض وان لم يكن له معلوم ترك مغلة حتى يخرب
 قنسطاط عليه من لا خير فيه بالهدم والبيع فانظر بعين البصيرة وميز بين
 هذين الحالتين حال سلفنا في امور دينناهم وحالنا في الامور المذكورة التي
 هي لالاخرة تجد اذذاك الفرق الذي لا يخفى على من يعرف ان الاثنين أكثر
 من الواحد وقس على هذا وانظر بنظر أي شبه بيننا وبين سلفنا رضي
 الله عنهم أخذنا والله في الضد عما كانوا عليه في أكثر الاحوال فانا لله
 وانا اليه راجعون فاذا تقرر هذا وعلم من احوالنا واحوال من تقدمنا
 فلا شك ان البقاء في هذا يخفف في العقل وحرمان بين فيحتاج من له لب أن
 يرجع الى الله تعالى ويتوب من هذه الاحوال الرديئة ويتغير بعين العلم
 فيها ويصلحها قبل أن يدركها الموت ولا يفتن ظان أن صلاحها لا يكون الا
 بتركها بل يكون بترصدها وبالاقامة فيها هذا راجع الى احوال الناس
 فرب شخص لا يظف الا الترك وآخر لا يحتاج الى الترك بل يبدل النية
 ويحسنها ويستقيم حاله على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى عند أخذ
 الدرس في المدارس فيأتمس هناك ان شاء الله تعالى ولا يقع الفرق بينهما
 أعني من هو الاصلح له الترك أو غيره الا صاحب الواقعة أو من يباشره بعين
 البصيرة والتمييز (فالخاص) من هذا كله أن الفرق الذي وقع بيننا وبين
 سلفنا في غالب احوالنا انما هو من أجل هذه النية التي احتوت عليها سويداء
 القلوب اذ انصل كما كانوا يصلون ونصوم كما كانوا يصومون ونحج كما كانوا
 يحجون واختلفنا لاجل افتراق النيات فبعضنا يكون افتراقه كثيرا وبعضنا
 يكون افتراقه قليلا بحسب الاحوال فمن له عقل ينبغي له أو يجب عليه
 بحسب حاله أن يصلح ما وقع من الخلل في نفسه بنفسه فيحسن نيته ويزيل
 عنها الشوائب ثم يقيمها ما استطاع جهده ويلجأ في ذلك صككه الى مولاه
 ويستغيث به لعله ين عليه ويحقه بسلفه وكيفية المأخذ في ذلك قريب ان
 شاء الله تعالى

*(فصل في كيفية محاولة الاعمال كلها أن ترجع الى الوجوب أو الى الندب) *

قد تقرر في الشرع عنه صلى الله عليه وسلم اخبارا عن ربه عز وجل يقول ان
 يتقرب الى الله قريون بأحب من ادأما افترضته عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب

الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
 يبصر به ويده التي يبطش بها قال علماء وناجحة الله عليهم السلام معناه أنه يبقى
 تصرفه كله لله تعالى لا يخيره فان تكلم تكلم لله وان سكت سكت لله وان
 نظر نظر لله وان غص غص لله وان بطش بطش لله الى غير ذلك من
 حركاته وسكناته وقد كان سيدي محمد المرحاني رحمه الله تعالى يقول ان
 الفقير حاله بين الياء والالف يعني ان حركاته وسكناته خالصة لربه قائمات فيها
 به اذ أنه لا يدعي لنفسه شيئاً فهو به واليه وعلى هذا المعنى جعل المحققون
 منهم قول المحلاج رحمه الله ونفع به الساقيل له ابن الله قال في المجبة يعني أنه
 لم يبق في المجبة التي عليه لنفسه تصرف وانما التصرف كله لله وبالله على
 مقتضى ما في هذا الحديث الذي نحن بسبيله فأفتى من يشار اليه في وقته من
 العلماء والصالحين بقتله تحفظاً منهم على منصب الشريعة أن يتعرض له غير
 محقق فيدعي شيئاً من تلك الامور ويجعل قدوته في ذلك المحلاج رضي الله
 عنه أعاد الله علينا من بركاتهم بحمدوا له وهذا الذي ذكره هو حقيقة
 قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلعوا باخذ لاق الله قال الشيخ أبو محمد
 سهل رحمه الله تعالى من انتقل من نفس الى نفس من غير كرف قد ضيع
 حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه
 وقد قالوا ان الذكر على قسمين ذكر باللسان وذكر بالقلب وهو ما يحتوى
 عليه من النيات ومن الوقوف مع الامر والنهي ونقل عن حسان بن أبي
 سنان أنه قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع الى نفسه فقال مالي واهذا
 السؤال وهل هذه الا كلمة لا تعينني فألى على نفسه أن يصوم سنة كاملة
 كفارة لهذه الكلمة وسبب هذا الواقع منه وقوفه مع نيته والتطرف فيها
 وتحريرها والاهتمام بها فاذا تقرر أنه ان يتقرب الى المقربين باعطام من
 أداء الفرائض فينبغي ان له اب ان قدراً أن يعمل الشيء على جهة الفرض
 كان أولى به اذ ان ذلك أقرب الى ربه من غيره فينظر أولاً في الفعل الذي
 يريد أن يفعله والافعال بالتشبيه الى أحكام الشرع خمسة واجب
 ومنه دواب وهباح ومكروه ومحرم فالحرام قد ترك والحمد لله فلا
 سبيل الى فعله لانه قد حرم والمكروه ما كان في تركه أجر فلا ينبغي فعله

لان في فعله ترك الاجر وذلك لا يمكن لان المؤمن ينبغي ان يكون في دينه نهيا
كما قال بعضهم الليل والنهار ينهيان فيك فانهب فيهما فهو وينهب في الاعمال
يفترسها كالاسد على فريسته يغتصمها ويحصاها الان اليوم الذي مضى عنه
لا يرجع اليه ابدا وهو شاهد عليه يوم المحشر والقشر واذا كان كذلك فلا يمكنه
فعله لاجل ترك الاجر فيه ولما جاء في الحديث عنه صلوات الله عليه وسلامه
قال ان المحلال بين وان المحرام بين وبينهما متشابهات لا يعلمهن كثير من
الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات
وقع في المحرام كالراعي - وللمحامي يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حي
الا وان حي الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب رواء البخاري ومسلم واما
على مذهب اهل الطريق فالذكر وهو عندهم كالمحرم لا سبيل الى ذكره
فضلا عن فعله ومن العتبية قال وسمعت يذكر ان رجلا من المحكمين قال
ما كنت لاعمالا يدان تلعب به فلا تلعب بدينك قال ابن رشد رحمه الله
المعنى في هذا انه لا ينبغي لاحد ان يسامح احدا في شيء من دينه وان لم يكن
عليه في مسامحته فيه اثم وان سامحه في ماله او في مرضه وذلك مثل ان يصبح
الرجل صائما متطوعا فيدعو الى الفطر من صنيع يصنعه فقد قال مطرف
انه ان حلف عليه بالطلاق او بالعق ليقطرن فلا يجنبه ولا يقطرون حلف
هو فلا كفر ولا يقطرون وان عزم عليه والداه او احدهما في القطر فلا طعنه
وان لم يحلفا عليه اذا كان ذلك رقة منه - ما عليه لاستدامة صومه انتهى
فبقيت الافعال ثلاثة واجب ومنسوب ومباح فالمباح ما استوى طرفاه
لا في فعله ثواب ولا في تركه عقاب وينبغي للمؤمن ان لا تمر عليه ساعة الا وهو
في اطاعة لربه ممثلة امره والساعة التي يفعل فيها المباح يكون عريا عن ذلك
وذلك لا ينبغي واما اهل الطريق فالتصريف عندهم في المباح لا يمكن
اصلا لان تصرفهم انما يكون في واجب او مندوب فاذا تقرر ذلك نظرنا
الى المباح فوجدناه والحمد لله ينتقل الى الندب على ما سياتي بيانه في أثناء
الكتاب ان شاء الله تعالى فبقيت الافعال فعلين واجب ومندوب
ليس الا وقد تقرر ان الواجب اعظم اجرا فاذا تقرر ذلك نظرنا الى المندوب

هل يمكن تمله الى الواجب أم لا فوجدناه ينتقل الى أكثر الأعمال والمجد لله على ما سبق ان شاء الله تعالى فيبقى التصرف في فعل واحد وهو الواجب اعني في غالب المحال والمندوب في وقت دون وقت
(فصل في المندوب من النوم ولبس الثوب والتصرف الذي يكون بعده وكيفية النية في ذلك كله

فان انتبه الانسان من نومه وقام من فراشه يلبس ثوبه فان اللبس من جهة المباح فان اراد ان يرد الى جهة الوجوب فذلك وجود يلبسه بنية ستر العورة وذلك واجب ثم لا يخلو الثوب اما ان يكون مما يتزين به أم لا فان كان كذلك ضم الى نية الواجب امتثال السنة في اظهار نعم الله تعالى للحديث الوارد عنه صلوات الله عليه وسلامه اذا انعم الله على عبده ونعمة احب أن يرى أثر نعمته عليه فينوي بذلك مبادرته الى ما يحبه الله منه وان كان الثوب مما لا يتزين به فينوي بلبسه التواضع لله تعالى والافتكاسار والتذلل بين يديه واظهار الحاجة والمسكنة والفقرا اليه وامتثال السنة ايضا للحديث الوارد عنه صلوات الله عليه وسلامه من ترك اللباس وهو قادر عليه كسأله الله عز وجل يوم القيامة من طغت الباقوت اذ كما قال ومن رواية أبي داود في سننه انه عليه الصلاة والسلام قال من ترك لبس بهاء وهو يتدبر عليه قال بشر احسبه قال تواضعا كسأله الله حلة الكرامة هذا اذا كان ممن له اتساع وترك اللباس وهو قادر عليه واما ان لم يكن له غير ذلك الثوب فقد بقي على الوجوب ليس الا لكن يضم الى نية الوجوب الرضا بما قسم الله له وترك الاختيار على الله تعالى والتسليم له في حكمه وهذا أعظم أجرا اذا احسنت نيته فيما ذكر لانه مقام الرضا ومقام الرضا عزيز جدا لا يقوم فيه الا واحد عمره وان كان مما يحتاج الى ثياب كثيرة لا بد له منها يلبسها لاجل حر أو برد فينوي بذلك دفع الحر أو البرد عنه مماثلة في ذلك حكمه الله تعالى واظهار الحاجة اليه والاضطرار في لبسه مع اعتقاد النية ان ذلك لا يدفع الحر أو البرد الا بعزيمة الله تعالى وحكمته ولا جمل هذا المعنى الذي ذكره في بعض الفضائل لأنه كان في بعض الايام قاعدا لاجل الدرس واذا به قد اراد ان يحول ثوبه وأومأ لذلك وتحرك اليه ثم رجع عنه

قوله طغت
الباقوت هكذا
بالفتح التي بأيدينا
والذي في الاحياء من
ترك زينة الله او وضع
ثيابا حسنة تواضعا
لله وابتغاء مرضاته
كان حقا على الله أن
يدخله عبقرى
الجنة وفي رواية في
كتاب الاكمال كان
حقا على الله أن
يكسوه من عبقرى
الجنة في نعمة

الباقوت والنجاة كما في القاموس الخالص فليتنظر ما معنى طغت الباقوت اه

وجعل يستغفر الله تعالى فستل عن ذلك فقال حانت منى التفاتة الى نوبى
فوجدتني قد ابستته مقار يا فعزمت على تعديله ثم انى فكرت انى كنت ابستته
حين قلت من الفراش بنيت ستر العورة فاستغفرت الله تعالى عما أردت فعلمه
أو كما قال وهذا السيد رحمه الله تعالى انما جعل يستغفر الله لانه قد يكون
لم تخالص له النية بعشرة من كان معه في الوقت أو خالصت وخاف أن يشوبها
شيء مما لاجل حضورهم وتركه آية أو أراد بترك ذلك على حاله واستغفاره مما
أراد فعله تعاليم الطائفة كيفية التصرف في الأفعال كلها فيكون ليس الثوب
منه تنبيه على بقاءها والألوحوة ذلك الوقت وعديله بنيتا كمال الزينة
وأظهار النعم على ترتيب حكمة الله تعالى في ذلك لم يكن ذلك مضادا لنيته
الأولى ~~التي~~ هذه الطائفة أخذت بالجود والمحرم ففهم ما وقع لهم شيء مما من
الشوائب أو ثوبها بطرف ما تركوا القعر البتة كما حكى عن بعضهم أنه
مر بأفراوات وفيه مركب موسوق خيرا وحسب ان صاحب الخمر من الظلمة
المساطين على الخاق في وقته لا يطاق أشد سطوته فطلع المركب وكسر
ما هناك فلم يقدر أحدي تعرض له إلا أنه لما ان بقى عليه من التمسك بجزرة
واحدة وقف عندها يسيرا ثم تركها يعني لم يكسرها ثم انصرف عنهم ومضى
لسبيله فلما ان اخبروا الظالم بقتله أمر بأحضاره فاحضر فقال له ما جعلك
على ما فعلت فقال عات ما خطر لي فاعمل ما خطر لك فقال له الظالم فلاي شيء
تركت الجزرة الواحدة لم تكسرها وكسرت الجميع فقال ذلك لاني لما ان
رأيت التمسك لم اتمالك إلا ان اغيره ففعلت فمكنا ذلك خالصا لى عز
وجعل ثم لما ان بقيت تلك الجزرة خطر لي في نفسي انى من غير المنكر فرأيت
ان قد حصل لى فى ذلك دعوى فخفت أن يكون كسر ما بقى فيه حظ لنفسى
فتركتها وانصرفت لاسلم من آفاتهما أو كما قال فردا الظالم رأسه الى خدمه
وحشاه وقال لهم ان يكون بينكم وبين هذا معاملة يفعل ما يختار والامانة
السلامة أو كما قال فانظر رجلك الله شدة ملاحظتهم لنياتهم وأخلصها
وتحريرها ونحرهم روع الشوائب عنها وترك الدعاوى والمباهات لاجرم ان
الظالم كان في ربيع لا جعل بركة ما ذكر من حاله خائفة سامنه فزعا
وكذلك من اخلاص لله تعالى وسنته سبحانه وتعالى فيهم واحدة

لا يخذلهم ولا يتركهم لانفسهم لانه انما يترك لنفسه من كان معه اولوفى وقت
ما وامن كان مع ربه عز وجل وقد ثبت طلاق نفسه فلا شك ان امره هذا
لا يطاق لانه انما يصدق عن ربه عز وجل عريا عن حظوظ نفسه مقبلا على
ما يلزمه ويعنيه معرضا عما سوى ذلك جاء ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام
اخبرنا عن ربه عز وجل يقول لو كادته اهل السموات واهل الارض بحملت
له من امره فرجا وحذرا ومن كان الله عز وجل له على ما ذكر في دنياه
فكيف يكون حاله وكرامته حين القدوم عليه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من
قرة عين وهذا الخبر كله أصله النية وتحريرها ولو قوف بها واداهتمام
بها فكيف يغفل عنها أو تترك أو يرضى بما قل أن يترك لنفسه تذكرة هذا
غير كمال العقل ضرورة نسأل الله تعالى السلامة عنه فحسن انما
في لبس الثوب من النيات سبع عشرة نية ومن نظر وأعاد الله نورا ازداد
على ذلك أكثر مما ذكر وبالله التوفيق

(فصل في الاستبراء وكيفية النية فيه)

فاذا لبس الثوب على ما ذكر يحتاج اذ ذاك أن يستبرا أو يزيل حقنة ويدفع
عن نفسه ضررا فاذا دخل لراحة نفسه فله ما احتوت عليه نية وان دخل
ساهيا أو غافلا فلا كالاول وقد تقدم ان الافعال قد بقيت على قسمين
واجب ومندوب وهذا على الوجوب لا شك فيه ومن فعل الواجب كان
له الثواب الجزيل والحمد لله بيان وجوبه ما وقع من الاجماع على ان
الاستبراء واجب أعني استفراغ ما في المحل من مادة البول وكذلك إزالة
الحقنة أيضا واجبة لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم عليه السلام
يقول لا يصلين أحدكم وهو يدافع الاخبثين وهذا في رواية وقال
عليه الصلاة والسلام ما أمرتكم به فانه ما أمركم بالاستبراء وما نهيتكم عنه فلا
تقربوا انتهى وما لا يصل الى الواجب الا به فهو واجب فالصلاة لا يمكن
إيقاعها على ما تقر الا بإزالة الحقنة فصارت إزالتها واجبة فاذا قام الى هذا
الواجب بفعله فلا يقتصر على نية هذا الواجب ليس الا بل يضيف اليه نية
امتثال السنة في ذلك وقد ذكر علماء وناجحة الله عليهم آداب التصرف
في ذلك كله وهي تنوف على سبعين خصلة يحتاج من قام الى قضاء حاجته

أن يتأدب بها وهي كلها ماشية على قانون الاتباع قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحبك الله الاولى الابعاد حتى لا يرى له شخص ولا يسمع له صوت
الثانية الاستعداد لذلك قبل الدخول يسير من الماء والاحجار الثلاثة
أن يقدم الشمال ويؤخر اليمين الرابعة اذا خرج فليقدم اليمين اولا ويؤخر
الشمال الخامسة أن يتعدوا التهودا الوارد في ذلك عند الدخول وهو أن
يقول أموذيا لله من الخبث والخبائث الخس الرجس من الشيطان الرجيم
السادسة أن لا يستقبل القبلة اذ ذاك السابعة أن لا يستدبرها الا في
المنازل المبنية فلا بأس في الاستقبال والاستدبار ما لم يكن في سطح
فاجيز وكرمه على الاختلاف في التعليل هل النهي اكراما للقبلة فيكره
أو اكراما للملائكة فيجوز وكذلك الجماع ان كان في البيت فيجوز وان
كان في السطح فيختلف فيه على مقتضى التعليل الثامنة أن لا يستقبل
الشمس والقمر بعورته فانه قد ورد انهما يلعنانه التاسعة أن يستتر
عند التبرز العاشرة ان يتوقى مسالك الطرق الحادية عشر أن يتوقى
مهباب الرياح وكذلك ينبغي له أن يتوقى البول في المراحيض التي في الديار
المصرية وغيرها مما يشبهها فيما كان منها في الربوعات وما أشبهها لانهم
يعملون السراب متسعا جدا والمراحيض التي للربيع كلها نافذة اليه فيتسع
فيه الهواء لانه يدخل اليه من بعض المراحيض ويخرج من الاخرى والذي
يخرج منها موضع مهباب الرياح فنبول فيه يرجع الى بدنه وتؤبه فينبغي
أن يمنع ومن اضطر الى ذلك فينبغي أن يبول في وعاء ثم يفرغه في المرحاض
فيسلم من النجاسة وهذا بين والله تعالى أعلم الثانية عشر ان يتوقى ما علا
من الارض الثالثة عشر ان يبالي في أكثر ما يجرد من الارض انخفضا
ومنه مسمى الغائط غائط الان الغائط في لسان العرب هو المكان المنخفض
من الارض فكان أحدهم اذا ذهب الى قضاء حاجته قبل ذهب للغائط أي
المكان المنخفض من الارض ثم ~~ص~~كثر استعماله فعمدوا الخارج بالموضع
الذي ينزل فيه تنزيها لاسماء اعماله تنزه عنه أبصارها وكانت تنظر الى
المكان المنخفض من الارض لانه أبلغ في السخروا أمن من مهباب الرياح
الرابعة عشر ان لا يقعد حتى يلتفت يمينا وشمالا الخامسة عشر ان لا يكشف

توبه حتى يدنو من الارض السادسة عشر اذا قعد لا يلتفت يمنة ولا شمالا
السابعة عشر ان لا يحس ذكره يمينه الثامنة عشر ان لا ينظر الى عورته
التاسعة عشر ان لا ينظر الى ما يخرج منه الا ضرورة لا بد منها وكذلك
في النظر الى العورة أيضا العشرون أن يعطى رأسه اذا ذاك وكذلك عند
الجماع الحادية والعشرون ترك الكلام بالكابة ذكره كان أو غيره
ولا بأس أن يستعين عند الارتباع ويحب اذا اضطر الى ذلك في أمر يقع مثل
حرق أو أعمى يقع أو دابة وما أشبه ذلك الثانية والعشرون لا يسلم على أحد
ولا يسلم عليه أحد فان سلم عليه أحد فلا يرد عليه الثالثة والعشرون أن
يقيم عرقوب رجله اليمنى على صدرها الرابعة والعشرون أن يستوطئ
اليمنى الخامسة والعشرون أن يتوكأ على ركبته اليسرى فان هذه
الصفات أسرع لخروج الحدث السادسة والعشرون يكره البول من
موضع عال الى أسفل خوفا من الريح أن يرد عليه السابعة والعشرون يكره
أن يبول في المواضع المنحدرة اذا كان هو من أسفل لان بوله يرجع عليه
الثامنة والعشرون اختلاف في البول قائما فأجيز وكره والمشهر والجواز
اذا كان في موضع لا يمكن الاطلاع عليه وكان الموضع رخوا فانه يستشفى به
من وجع الصاب وعلى ذلك حملوا ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
قائما التاسعة والعشرون يتدلى بغسل قبله قبل دبره ثلاثا يطير عليه شيء
من النجاسة عند غسل دبره اللهم الا أن يصيبه ما لا يتنظف الا بعد أن
يقوم فلا فائدة لغسله أولا بل يغسل الدبر ويتقى من النجاسة ان تصيب
يدنه أو توبه الثلاثون يغسل يده بالتراب مع الماء عند الفراغ وهو نظف
الحادية والثلاثون يستحجم وترا الثانية والثلاثون لا يستنحب في موضع
قضاء الحاجة الثالثة والثلاثون لا يسلمت ذكره الا برفق فان ذلك يؤدي
الى أن يصلى بالنجاسة لان الملم كالضرع كلما تسلمه يعطى المسادة فيكون
ذلك سببا لعدم التنظيف الرابعة والثلاثون يفرج بين فخذه عند البول
والاستنجاء والاسهال ثلاثا يطير عليه شيء من النجاسة وهو لا يشربه
الخامسة والثلاثون أن لا يعيث بيده السادسة والثلاثون أن لا ينظر الى
اسماء السابعة والثلاثون اذا رجع من قضاء حاجته قال الحمد لله الذي

سوغنيه طيبا وأخرجته عن خبيثا الثامنة والثلاثون أن يجمع بين الحجارة
والماء فهو أحسن وأطيب للنفس التاسعة والثلاثون إذا أراد أن يستنجي
فليغسل يده اليسرى قبل أن يباشر الفجاسة بيده لئلا تعاقبها
الرائحة الأربعون إذا لم يكن عنده أحجار ليجمع بين الفضيلتين فلا يترك
الاستجمار بالسكينة بل يستجمر بأصبعه الوسطى أولا بعد غسلها فيجمع بها
المسربة وموضع الفجاسة على سنة الاستجمار وما للناس فيه من المقالات
والاختيارات ثم يغسلها مما تعاقب بها ثم يستجمر بها أيضا إلى أن ينقي قاذرا
أنقى طلب الوتر ما لم يجاوز السبع فإن جاوزها سقط عنه طلب الوتر الحادية
والأربعون إذا استنجى بالماء فليكن الأقدام بيده اليمنى يسكب بها الماء ويده
اليسرى على الجمل بعركه ويواصل صب الماء ويبالغ في التنظيف خيفة
أن يبقى معه شيء من الفضلات فيملى بالفجاسة وعذاب القبر من هذا الباب
الثانية والأربعون أن لا يتغوط تحت شجرة مثمرة الثالثة والأربعون
أن لا يتغوط في ماء راكد الرابعة والأربعون أن لا يفعل ذلك على شاطئ
نهر الخامسة والأربعون أن لا يفعل ذلك تحت ظل حائط لأن هذه كلها
ملاعن وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اتقوا الملاعن
الثلاث أه لان هذه الموضع كلها هي لراحة الناس في الغالب إذا أراد
التمتع أن يستريح يطلب ظلا أو يرد النهر للماء فيجد ما يجعل هناك فيقول
اللهم العن من قبل هذا السادسة والأربعون أن يتجنب البول في كوة
في الأرض إذا أقامها بين الذكر واختلف إذا بعد عنها فوصل بوله إليها
في كوة خيفة من حشرات تنبعث عليه من الكوة وقيل يباح إبعده من
الحشرات إن كانت فيها السابعة والأربعون أن يتجنب بيع اليهود الثامنة
والأربعون أن يتجنب كنائس النصارى سدا للذريعة لئلا يقعوا ذلك
في مساكننا كما نهى عن سب الآلهة المدعوة من دون الله عز وجل لئلا يسبوا
الله عز وجل التاسعة والأربعون يكره البول في الأواني النفيسة لا صرف
وكذلك يمنع في أواني الذهب والفضة لتحريم اتخاذها واستعمالها الخمسون
يكره البول في مخازن الغلة الحادية والخمسون يكره البول في الدور
المسكونة التي قد نزلت للآذى الثانية والخمسون يستنحي قبله لا عند

الاستنجاء لانه اذا لم يفعل بخلاف عليه انه اذا خرج استترخى منه ذلك العضو
فيخرج شيء من الموضع الذي لم يغسله على ظاهره يده فيصلي بالنجاسة الثالثة
والخمسون يحذر ان يدخل أصبعه في دبره فانه من فعال أضرار الناس وهو
منهي عنه لانه يفسد به بنفسه وذلك حرام الرابعة والخمسون يتفقد نفسه
في الاستبراء فيعمل على عادته قرب شخص يحصل له التنظيف عند انقراع
البول عنه وأخر لا يحصل له ذلك إلا بعد أن يقوم ويقعد وذلك راجع إلى
اختلاف أحوال الناس في أمزجتهم وفي ما كاهم واختلاف الأزمنة عليهم
فقد يتغير حاله بحسب اختلاف الأمر عليه وهو يعود من نفسه عادة فيعمل
عليه ما فيخاف عليه أن يصلي بالنجاسة أو يتوسوس في طهارته فيعمل على
ما ينظر له في كل وقت من حال مزاجه وغذائه وزمانه قايس الشيخ كالشباب
وليس من أكل البطيخ كن أكل الجبن وليس المحرك كالبرد الخامسة والخمسون
إذا قام للاستبراء فلا يخرج بين الناس وذكره في يده وإن كانت تحت ثوبه
فإن ذلك شوه ومثله وتبرأ ما يفعله بعض الناس وهذا قد نهى عنه وإن
كانت له ضرورة في الاجتماع بالناس إذا كان لا يجد على فرجه خرقه يشدها
عليه ثم يخرج فإذا رجع من ضرورته تنظف إذا كان السادسة والخمسون
يكره له أن يشتغل بغير ما هو فيه من تنفيل أو غيره أم لا يطعن في خروج
المحدث والمقصود الأسراع في الخروج من ذلك الموضع بذلك وردت السنة
قال الإمام أبو عبد الله القرشي رحمه الله إذا أراد الله بعد خبيراً يسرع عليه
الطهارة السابعة والخمسون لا يستنجى في حائط مسجد محرمته ولا في حائط
ملوك غيره لانه تصرف في ملك الغير ولا في حائط وقف لانه تصرف فيه
وهو في حوزة وقف عليه وذلك لا يجوز وهذا كله حرام باتفاق وكثيراً
ما يتساهل اليوم في هذه الأشياء سيما في سبل لأوضوه فقبح الخيطان في غاية
ما يمكن أن تكون من القذر لا يصل استجمارهم فيها وذلك لا يجوز الثامنة
والخمسون يكره أن يستنجى في حائط ملكه لانه قد ينزل عليه المطر أو
يصبه بالماء ويأتى في هواؤه يرمي إليه فتصيبه النجاسة فيصلي بها
ووجه آخر وهو أن يكون في الحائط حيوان فيتأذى به وقد رأيت عياناً
بعض الناس استنجى في حائط فانه عتبه عقرب كانت هناك على رأس ذكره

ورأى من ذلك شدة عظمة التامة والخمسون لا يستجمر بفحم لانه بالموت
 المحل ولا بعظم لانه لا ينقى ويتعاقى به حتى الغير لانه زاد اخواننا من مؤمنى
 الجن ولا يزجاج لانه لا ينقى وهو مؤذ ولا يروث لانه لا يثبت عند الدفن
 ولا ينظف ويتفتت وهو زاد دواب مؤمنى الجن ولا ينجس لانه يزيد نجاسة
 ولا يباع لانه يلطخ المحل ويزيد تلويثا ولا يطعم لحمه ولا يذهب أوقصة
 أو زبرجده أو ياقوت لاضاعة المال ولا يشوب حرير ولا يشوب رفيع من
 غير الحرير لان ذلك كله سرف ويستجمر بما دام ذكر وقد حدث علماءنا
 راحة الله عليهم لهذا اجمع كل ما تقدم من آلات الاستجمار ينبغى الاعتناء
 به فقالوا يجوز الاستجمار بكل جامد طاهر منقى قلاع للامر غير مؤذ ليس
 بذى حرم ولا سرف ولا يتعاقى به حتى الغير وهو ضابط جيد انه وينبغى له
 اذا خرج منه خارج أن يعتبر اذا ذاك في الخارج وفي نقتنه وقدره فان نفسه
 تعاوه ويعلم ويتحقق أنه لا بد أن يرجع بنفسه كذلك سواء بسواء يطرح قدرا
 منتزعا تعاوه نفس كل من يراه بيان ذلك أنه يموت فاذا دفن في قبره تدود
 فأكلته الديدان فاذا أكلته الديدان ومته من جوفها قدرا منتزعا ويعلم أن ثم
 فوما لا يدورون في قبورهم ولا تعدى عليهم الارض ولا يتغيرون المساجد
 في الحديث وهم الانبياء والعلماء والشهداء والمؤذنون المحتسبون فالقائم
 الاول لاسبيل اليه اذ ان ذلك قد طوى بساطه بعد النبي صلى الله عليه وسلم
 وبقيت المقامات الثلاث فينظر ما فيه الاهلية له من تلك المقامات فيعمل
 عليه ليسلم به من هذا القدر والتمتن ان كانت له همة سنية والافه ويعاين
 ما يصار اليه في كل يوم يتذكر ذلك عليه في حال قضاء حاجته وذلك تنبيه من
 الله سبحانه وتعالى انما حتى يعلم كل واحد مناه واه واليه صائر وما يذكر الا
 اولو الاسباب فمن كان له لب نظر الى أوله فوجدته نطقة كما عاين ونظر الى
 آخره فوجدته كما رأى كما تقدم ذكره والى وسطه فوجدته حاملا ما يراه في كل
 يوم يخرج منه ويعاينه فأى دعوى تبقى مع هذا الحال وأى نفس تشمخ ولو
 كان ثم من الفضائل ما عسى أن يكون ان لم يكن الفيض الرباني والفضل
 العظيم فيسترا القبيح ويظهر الجليل ويستتر العورات ويؤمن الروعات
 والا فالحل قابل لكل رذيلة ونقيصة كما ترى هذا وجه من النظر والاعتبار

وينبغي له أيضا ان ينظر ويعتبر فيما انفصل عنه وانه كان طاهرا طيبا
 المذاق شهيا للنفوس لا يوصل اليه الا بعوض والعوض في الغالب قد جرت
 المحكمة بان يكون في هذه الدنيا بكابدة وتعب في الغالب كل على قدر حاله
 فهو عزير اذا يسر الله اسبابه من المطر وغيره وان منع الله شيئا من اسبابه
 التجارية على حكمته سبحانه وتعالى فلا يقدري عليه ولا يوصل اليه ثم مع هذه
 العزة التي له والطهارة التي لديه اذا خالطنا قايلا سابت طهارته وذهب عزه
 وصار منتنا قدرا يتحاشى عنه ويتولى الوجه عنه فهذا كان سببه خلطته لنا
 ومما زجته بنا وقد ذكر ابن عطية رحمه الله هذا المعنى في كتابه حين تكلم
 على تفسير قوله تعالى فليتنظرا الانسان الى طعامه فقال رحمه الله ذهب ابي
 ابن كعب وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم الى ان المراد الى طعامه اذا
 صار رجيعا ليتأمل حيث تصير عاقبة الدنيا وعلى أي شيء يتعاني أهلها
 وهذا نظير ما روى عن ابن عمر رضي الله عنه ان الانسان اذا أحدث فان ملكا
 يأخذ بتأصيته عند فراغه فيرد بصره الى شعره وموقعه ومجربا فينفع ذلك من
 له عقل انه ثم انه لم يجد هذا في الطعام وحده بل في كل ما نبأ به ان ليسنا
 ثوبا جديدا فمن قليل يتوسخ ويتقذر وعن قليل يتقزق ويتخاقل وان مسنا
 طيبا فمن قليل تذهب رائحته ويستقذر واشباه هذا كثير فتع لئلا من هذه
 القاعدة ان المؤمن يعتبر اذ ذاك وبأخذ نفسه في الادب به من وجهين الوجه
 الاول الهرب من مخاطبة من لا ينفعه في دينه لانه يخاف على نفسه من آثار هذه
 المخاطبة لغير المحسن كما صار الطعام في جوفه هو فليحذر من ذلك الوجه الثاني
 ان يكون اذا خاطبه أحد من اخوانه المسلمين من يتوقع به في دينه أو ينفعه
 هو فليحذر منه ان يغتر أحداهم بسبب خلقة كل ما يتغير كل مائة مائة مائة
 ذان ذلك في طبعه ومزاجه أعنى التغيير الا من رحم ربه فان وجهه ان
 عظيمه ان في السلوك وهما موجودان في قضاء الحاجة مع الفوائد الماسية
 كلها فهذه جملة عبادات كثيرة وهي عندنا على طريق الراحة والاباحة
 شأن ما بينهما فتحصل لنا من النيات في الاستبراء تسعة وسبعون وهذه
 الآداب منها ما يختص بالسفر ومنها ما يختص بالمحضر ومنها ما هو مشترك
 بين السفر والمحضر وهو الغالب فيها وذلك كله بين لا يحتاج الى الكلام عليه

أعني ما يختص بالسفر دون الحضرة وفي الحضرة دون السفر والله الموفق

(فصل في الوضوء وكيفية النية)

فإذا فرغ من الاستبراء وأزاله المحقة - على الوجه الذي مر يحتاج - إذا كان
يتوضأ للصلاة فيفرغ قلبه وذمته لذلك وينشط إليه ويمر به إلى الطهارة
لما إذا ولاي شيء تراود عنه يريد أن يقف بها بين يدي من هو أعلم بباطنه وما
احتوى عليه منه هو بنفسه وينظر إلى حكمة الشرع في غسل هذه الأعضاء
المعلومة دون ماء داه من سائر البدن وذلك أنه ليس في البدن ما يتحرك
للخالف أسرع من هذه الأعضاء فأمر الشارع صلوات الله عليه وسلامه
أولا بغسلها تنبيهاً منه عليه السلام على طهارتها الباطنة أن الله لا ينظر إلى
صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ما يفعل الله بكم إن شئتم وأمنتم
فالطوب والمقصود هو الباطن وتخليصه من غمرات هموم الدنيا وسكايدتها
والفكرة فيها والتعمري من ذلك مرة واحدة هذه هي الطهارة الباطنة
والطهارة تتبع هذه وإشارة إليها وتحرير من عليها حتى يتنبه الغافل
والساهي لأراد وقد قال الشيخ الإمام عبد المجيد في شعب الإيمان له
فالوضوء الذي هو غسل الجوارح كلها من الإسلام وطهارة الباطن على معنى
التوبة من اكتساب الجوارح إيمان وبه يكمل الوضوء ثم إذا رتب
غسلها على ترتيب سرعة الحركة في الخسافة فما كان منها على التحريك
أسرع من غيره أمر بغسله قبل صاحبه فأمر بغسل الوجه أولاً وفيه الفم
والأنف والعيان فابتدأ بالمضمضة أولاً على سبيل السنة لأنه أكثر الأعضاء
وأشد ما حركه أعني اللسان فيما ذكر لأن غيره من الأعضاء قد يسهل وهو كثير
المطاب قليل السلامة في الغالب ألا ترى إلى ما ورد في الحديث من شأنه وهو
أن الأعضاء في كل يوم تناسدت في أن يسهلها من آفات لانه إذا هلك لا يهلك
وحده بل يهلك نفسه ويهلك إخوانه فإذا جاء المؤمن إلى غسل فله يذكّر
إذا كان طهارة الظاهر إنما هي إشارة إلى تطهير الباطن فوجد إذا ذلك أنه
مطلوب منه الطهارة الباطنة فتأب إلى الله وأقلع عما تكلم به لسانه ونطق
ثم يتوب إلى الله تعالى عما شتم بنفسه واستنشق ثم يتوب إلى الله تعالى عما
نظرت عيناه والتذت فاذا تأب من هذه الأمور دخل إذا في قوله عليه

الصلاة والسلام التوبة تجب ما قبلها جاء الحديث فاذا غسل وجهه
خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفار عينيه ثم بعد ذلك أمره
الشرع بغسل اليدين لأنه اذا تم ~~حكم~~ الكلام للسان ونظرت العينان بطشت
اليدين ولست باليدان بعدهما في ترتيب المخالفة فأمر بطهارتهما فاذا جاء
الى ما هارتها ابتداء بطهارتهما باطناً فتاب مما است يده أو تحركت القدم
توبة التوبة تجب ما قبلها جاء الحديث فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من
يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ثم بعد ذلك أمره الشرع بمسح رأسه وانما
أمره بالمسح ولم يأمره والله أعلم بالغسل لأجل أنه لم يقع منه مخالفة بنفسه وانما
هو مجتار وان يقع منه المخالفة وهو اللسان والعينان فلما لم يكن بنفسه هو
المخالف لكن كان مجتاراً للمخالف أعطى حكماً بين حكمين فأمر بالمسح ولم
يؤمر بالغسل وايضا قد اختلف الناس في الاذنين هل هما من الرأس أم لا
والاذنان قد يسمىان ما لا ينبغي ان يكونا كان السمع قد يطرأ الى الانسان
في غالب الحال وهو لا يعتمد عليه خفف أمره فكان المسح فاذا مسح قدم
طهارته الباطنة بالتوبة مما سمعت الاذنان وما وقع فيه من مجتار وره من ذلك
الاعضاء القدم توبة التوبة تجب ما قبلها جاء الحديث فاذا مسح رأسه
خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ثم أمره الشرع بعد ذلك
بغسل الرجلين لأن العيتين اذا نظرتا وتكلم اللسان ولست اليدين سمعت
الاذن حينئذ تسمى الرجل فالرجل آخر الجميع في المخالفة فجاءت آخر الجميع
في الغسل فغسلها اذ ذلك الوقت طهارتها الباطنة فاية ما بالتوبة مما سمعت فيه
من المخالفة الندم توبة التوبة تجب ما قبلها جاء الحديث فاذا غسل رجليه
خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه فلما ان غسل
رجليه على هذا الترتيب أراد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
ان يقيم في اكل المحاللات وأتمها فقال عليه الصلاة والسلام من توضأ
فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله الا الله وحده
لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية
يدخل من أيها شاء إشارة منه عليه الصلاة والسلام الى تطهير القلب من
الآلثام الى العوارض والخواطر والوساوس والنزغات ففهم المؤمن اذ ذلك

المراد فامتثل طهارة القلب على ما ينبغي من تجديد الايمان وتجديد التوبة
والانحلاص ولهذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ينبغي للمؤمن ان
يكون ايمانه في كل وقت جديدا يحترز عليه لئلا يكون خالقا والحق ان لا
يتعهد نفسه بتجديد الشهادة وقد كان بعض الفضلاء يستفيق من الليل
فيمر يديه على وجهه ويتشهد فقيل له في ذلك فقال أما تشهدى فاتفقده
الايمان هل بقي أم لا لأن أعمالى لا تشبه أعمال المؤمنين وأما تشهدى
على وجهى فاتفقده ان يكون حول الى القفا أو مضعام لا فاذا وجدته سالما
احمد الله الذى ستر على بفضله ولم يعاقبنى ويفضحنى بعملى هذا قوله وكان
له قدم في الدين وسبق وتقدم فسايا لك بأحوالنا اليوم على ما يشاهد بعضنا
من بعض قبل الأخرى والاولى ان ننفق الايمان اليوم في كل وقت وحين فلما
ان أمر صاحب الشرح صلوات الله عليه وسلامه بتطهير الباطن وتطهير
الظاهر على ما مضى شرع له عند نطقه بالشهادتين الدعاء المذكور اذ ذلك
وهو قوله اللهم اجعاني من التوابين واجعاني من المتطهرين وقوله الحمد لله
على اسبغ الوضوء واتباع السنة اشارة منه عليه الصلاة والسلام ان يسأل
الله تعالى في قبول ما قد أتى به أقوله عليه الصلاة والسلام الدعاء مع العبادة
كل الحال وتمت النعمة وقبل الدعاء بتخير على أى ابواب الجنة يدخل لان
هذا عيب قد تاب من كل ما جنى وتطهر باطنا وظاهرا ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ولا جيل هذا المعنى جاء الحديث فيمن امتثل ما ذكر من
اسبغ الوضوء وكماله ان صلاته نافلة له والنوافل الزوائد لم تجسد من
الذنوب شيئا تكون الصلاة للتوبة المتقدمة والتطهير الظاهر والباطن فبقيت
صلاته نافلة أى زائدة في مكان موضعه ارفع الدرجات لا غير لانه ما ثم شيء
تكفره على ما تقدم فتحصل له من هذا أنه يتوب عما تكلم به اللسان وشم
الانف ونظرت العينان وسمعت الاذان وبطشت اليدين ومشت الرجلان
وخطر بالقلب فان كان سالما من ذلك كله كانت التوبة للغفلات الواقعة
فان كان سالما من الغفلات كانت التوبة لعدم التوبة بحق الربوبية
كما يجب لها وذلك لا يقدر عليه العبد أصلا فهذه سبعة من ذنوبه الى شر وط
وجوب الطهارة والفرائض والسنن والفضائل التي نص عليها العلماء

فيه فاشروط خمسة وهي الاسلام والبلوغ والعقل وارتفاع دم الحيض
والنفاس ودخول وقت الصلاة والفرائض ثمانية أربع رتبة متفق عليها
عند أكثر أهل العلم وهي ما ذكره الله في كتابه واثنان متفق عليهما عند
الاكثر وهما النية والماء المطلق واثنان مختلف فيهما وهما الغور والترتيب
وسننه اثناعشر أربع رتبة متفق عليها عند الاكثر وهي المضمضة والاستنشاق
والاستنثار ومسح الاذنين مع تجديد الماء لهما او ثمانية مختلفة فيها قيل
انها من السنن وقيل من الفضايل وهي غسل اليدين قبل ادخالهما في الاناء
ان ايقن بطهارتهما وما زاد على الواحدة بعد التعميم والابتداء باليمين قبل
الشمال والابتداء بمقدم الراس وردد اليدين في مسحه وغسل اليأس
الذي بين العارض والاذن واستقباب مسح الاذنين وترتيب المفروض
مع المسنون واستقباباته ثلاثة عشر وهي السواك ويجزى الاصابع الخمس
عنه وجعل الاناء على اليمين والتسمية وان لا يتوضأ في الخلاء ولا على
موضع نجس وتخليل أصابع اليدين وتخليل أصابع الرجلين وتخليل
اللحية وذكر الله وان يقعد على موضع مرتفع عن الارض لئلا يطأ برعاه
ما ينزل في الارض من الماء والصمت الا عند ذكر الله تعالى واستقبال
القبة والاقبال من الماء مع احكام الغسل في الاعضاء بقوله هذه
الآداب خمسة واربعون والله الموفق للصواب

(فصل في الركوع بعد الوضوء وكيفية النية فيه)

فاذا أسبغ الوضوء على هذا الترتيب الذي ذكره يحتاج اذ ذاك ان يسلم
ركعتين فان صلاهما بنية النفل فله ذلك وان اراد الفرض فقد سجد
بالنذر اكن يخاف عليه أن ينذرهما ثم يجتزئ الايتين بهما ثم يسجد
فيحذر من هذا ويترك النذر اللهم الا أن ينذر ذلك بالاحرام
حسن فيحصل بذلك فعل الواجب مع عدم العائق اذ ذاك ان
قسمين قسم أوجب الله تعالى على العبد وقسم أوجب الله تعالى
وكلاهما أعظم اجرام النفل ثم يضيف الى ذلك نية امتثال
الركوع بعد الوضوء لما ورد في ذلك من الترغيب والتدبير
الله عليه وسلم كان يفعلها ثم يضيف الى ذلك نية امتثال

الركوع للحديث الوارد عنه صلوات الله عليه وسلامه اخبارا عن ربه عز وجل
حيث يقول من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يركع فقد
جفاني ومن أحدث وتوضأ وركع ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ
وركع ودعاني فلم أجبه فقد جفوته واست برب جاف واست برب جاف
وينوي مع ذلك امثال السنة بالصلاة في بيته لقوله عليه الصلوة والسلام
جهلوا من صلواتكم في بيوتكم ولا تتجملوا بها قبور راغب في حصول له خير عظيم
مجموع ما ذكر من النيات والحمد لله فحصل لنا من ذلك أربع نيات والله
الموفق للصواب

(فصل في الخروج الى المسجد وكيفية النية في ذلك)

ثم ياخذ بعد ما ذكر في الخروج الى المسجد فينوي بخروجه المشي الى أداء
فرض الله تعالى لا يخطأ طمعه غير ذلك من الامور الدنيوية من قضاء حاجة
او غيرها فلا يبطل أجر الخطا الى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام لا يريد
غير الصلاة على ما تقدم فاذا فعل ذلك كانت له باحدى خطوتيها حسنة
والاخرى تحي عنه بها سيئة فاذا كان سالما من السيئات كانت الاثنتان
بالحسنات وكذلك ان كان عند الوضوء ليست له سيئة كان في مقابلة خروج
الخطايا حسنات ورفع درجات مع انه قل ان يكون انسان سالما من الذنوب
كل على قدر حاله ومرتبته حسنات الا برار سيئات المقربين ثم يضيف الى
نية الخروج الى أداء فرض الله تعالى نية زيارة بيت الله تعالى واطهار شعار
الاسلام ونهضة المسجد وازالة الاذى منه والاعتكاف فيه على مذهب من
يرى ذلك أو الجوار فيه على مذهب مالك وغيره ممن يشترط في الاعتكاف
أيام معلومة وامور معلومة على ما هو موجود في كتبهم واخذ الزينة مسجد
لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وتعلم العلم من العالم وتعلمه الجاهل
والبحث فيه مع الاخوان وزيارة الاخوان فيه وزيارة العلماء فيه
وزيارة الصالحين فيه واقتباس بركة الاجتماع بهم فيه واقتباس بركة الصلاة
مهم فيه وعبادة المريض ان وجد ذلك لما ورد من خرج يهود مريضاً
خرج يخرجه في الرحمة فاذا امة قرعته استقرت الرحمة فيه او كما قال عليه
الصلاة والسلام وتزيرة المساكين لما ورد عنه عليه السلام من عزى مصابا

فله أجر مثل المصاب فيحصل له هذا الخبر العظيم وينوي مع ذلك تهيت
العامس وينوي مع ذلك أنه ان رأى شيئاً يفتريه وينوي السلام على
المسلمين وينوي رد السلام عليهم وينوي ذكر الله تعالى في السر والعلانية
السنة في السعي إلى المسجد والصدقة على محتاج إذا وجد به بالذي يمكنه
واعانة ذي الحاجة الماهوف وقضاء حاجة مضطربان وجد له كن يشترط
في هذا ان يخرج بشئ معه من النفقة ولو يسير ويخرج معه هبة لأنه قد
يصيب شاة أو غيرها تريد أن تموت بنفسها فتكون معه آلة الذبح فيثبت
صاحبها ويجبرها عليه بالتذكية وكثيرا ما يقع هذا وكذلك أيضا في النفقة
قد يصادف مضطرا لها فيحصل له أجر النية والعمل والا إذا خرج عريضا
ذكر وقد نوى اعانة ذي الحاجة إلى غير ذلك يكون ذلك دعوى يخاف على
صاحبها

كل من يدعي بما ليس فيه كذبه شواهد الامتنان
وينوي ارشاد الضال وان يأمر بالمعروف وان ينهي عن المنكر ان قدر
عليه بشرطه وان يصلي على الجنائزة وان يحضرها ان وجد ذلك على
ما ينبغي من الاتباع وترك الابتداع وان يخدم بدعة ويظهر سنة معها
قدر على ذلك وان ياتي المسلمين ببشاشة الوجه لقوله عليه الصلاة والسلام
لقاء المسلم لأخيه ببشاشة الوجه صدقة وان يمثل السنة في خر وجهه من بيته
بتقديم اليمين وتأخير الشمال وان يتردد في ذلك وهو ان
يقول الله -م اني أعوذ بك ان أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم
أو أجهل أو يجهل على ويقول عند ذلك أيضا بسم الله آمين بالله
وتوكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانه اذا قال ذلك
اعتزله الشيطان يقول قد هدى ربي فليس لي عليه سبيل وكذلك أيضا
يقرأ آية الكرسي عند خروجه من منزله لما ورد في ذلك ان الله عز وجل
يجعل غنا بين يديه وينوي اتباع السنة في دخوله المسجد بان يقدم
اليمن ويؤخر الشمال وان يخضع الشمال أولا ثم يركع اليمن سفتان في فعل
والسنة كيفية ما يفعل أن يخضع الشمال أولا ثم يجعلها على النعل من فوقها
ثم يخضع بهد اليمن فيدخلها في المسجد ثم يدخل رجله الشمال بعد ذلك

فيجتمع السنتان خالع الشمال أولا وتقدم اليمين في المسجد أولا وينوي
اتباع السنة عند دخول المسجد ببيان يسمع عليه عند الباب عند دخوله
وينظر في قدره عليه فان كان ثم شيء أزاله والادخل وقد ورد ان من فعل هذا
تقول له الملائكة ادخل فقد غفر لك وينوي انتظار الصلاة لما جاء فيه
فذلككم الرباط فذلككم الرباط مرتين وينوي جلوسه في مصلاه لما جاء فيه
عنه عليه الصلاة والسلام الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي
صلى فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وينوي الاقتراب والاقتراب
بأنه من أمرنا باتباعهم من العلماء والصالحين ويتأدب بادابهم أعني بالنظر
إلى تعبدتهم وتصرفهم لانه ليس الخبر كالمعامنة حكى عن بعضهم أنه صلى
بجنبه بعض الناس فجعل يدعو في السجود ويرفع صوته بذلك وتكر ذلك منه
فقال يا أخى عسى انك تذهب الى فلان وكان فلان من أكابر وقته فصل الى
جنبه واستمع الى الدعاء الذي يدعو به اعلالك تفيدنى اياه فضى اليه فصلى الى
جنبه أياما ثم رجع الى الاول فقال له يا سيدى لم أسمع منه شيئا فقال له
يا أخى هؤلاء قد وتنا الى الله تعالى فان لم نقتديهم فبهم نقتدى فعلمه برفق
والطف وعلمه كيفية الاقتراب من أحوالهم وأفعالهم فينوي حين خروجه
الاتفات الى هذه الاشياء ومراعاتها فانها أمر مهم في الدين فيحصل له من
الاجر ما الله به عليم وهذا بشرط أن يكون الشخص المنظور اليه أهلا
للاقتداء سالما من البدع والافال تغفل عنه يجب ان كان الذى يراه غير قادر
على الاخذ على يده وان كان قادرا فيجب عليه نهيه وذلك بحسب قدرته على
ما نص عليه العلماء في حد تغيير البدع والمناسك وكذلك مسطور في كتبهم
موجود بطالعة أو بالسؤال عنه من أهله وله من الاجر في ذلك اجر من ذب
عن السنة وحماها وينوي مع ذلك ازالة الاذى من طريق المسلمين من حجر
ومدروس وك وغير ذلك وينبغي له أن ينوي اذا رأى مبة في بدنه أو في
اعتقاده أو في عمله ان يمثل السنة في الدعاء الذى ورد عنه عليه الصلاة
والسلام من رأى منكم مبة فليقلل الحمد لله الذى عافاني مما ابتلاه به
وفضاني على كثير من خلقه تفضيلا عوفي من ذلك البلاء اهـ ان كان ينبغي أن
يكون ذلك سرا في نفسه خيفة من كسر الخواطر في حق بعضهم أو التشويش

الواقع من بعض الناس وقد يجهت به ان ينوي ان يرفع ويكرم ويعظم ما يجد في المسجد أو الطريق بين الأثر رجل من الأوراق التي فيها اسم الله تعالى أو اسم نبي من الأنبياء عليهم السلام وقد ورد في هذا أجور ~~كثيرة~~ مشهورة عند العلماء فمنها ما ذكره الامام القشيري رحمه الله في أول كتاب التخيير له في شرح أسماء الله الحسنى قال يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتاب يأتي بضيفة من الأرض فيسبب اسم من أسماء الله تعالى أو اسم نبي إلا بعث الله اليه ملائكة يحفون به يا جناتهم حتى يبعث الله اليه وليا من أوليائه فيرفعه من الأرض ومن رفع كتابا من الأرض فيه اسم من أسماء الله رفعه الله في عليين وخفف عن أبيه وإن كانا مشركين ويروى عن منصور بن عمار أنه قال كنت في صباى برفق القراطيس من الأرض حتى عرفت بذلك فبينما أنا ذات يوم في صحرى رأيت رأيا وجدت قرطاسا فيه لا اله الا الله رفعت ولم يكن يراى حائط ولا شئ أرفعه فيه فباعتته فرأيت في النوم تلك الليلة ها تهايت في وجهي يقول يا منصور ان الله عز وجل سبى لك ما فعلت وينوي ان يرفع ويكرم ويعظم ما يجد في المسجد أو الطريق بين الأثر رجل من نعم الله تعالى عتته فيعظمها برفعه لها وصيانتها وينوي غرض البصر وقد نص العلماء على هذا ويذوقه فقوالوا ليس للرجل اذا خرج في السوق أن ينظر الا لموضع قدمه اللهم الا أن تكون زجة يخاف على نفسه من الأذى فله ان يرفع عينيه بقدر الحاجة لذلك وقد ورد في الحديث اعطوا الطريق حقه اقلوا يا رسول الله وما حق الطريق قال غرض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمره معروف ونهى عن منكر وذكر الله وينوي خفض الجناح وهو التواضع لا خوانه المسلمين ومعاماتهم بالحق وينوي مع ذلك تحسيس الخلق لا خوانه المسلمين ويحمل على نفسه في عدم اغراضه لا غراضهم وينوي حمل الأذى من اخوانه من المسلمين وترك الأذى لاخوانه المسلمين ووجود الراحة لهم ويدعو الناس الى الله تعالى ويدلهم عليه وعلى أمره ونهيه وسنة نبيه ويبقى اخوانه المسلمين بسلامة الصدر لمساخاة فيه قال عليه الصلاة والسلام سلامة الصدر لا تباع بعمل اه وينوي ترك التكبر على اخوانه المسلمين وغيرهم وينوي ترك الاتعاب بنيتة

وعمله وينوي السؤال عن غائب من الاخوان لعل طارضا يعرض لاحد هم
فيكون قادرا على اعانتته وازالته وينوي السؤال عن جيوش المسلمين
لعل يسمع عليهم خيرا فيسربه فيشاركونهم في غزورهم في الاجور بالمرور
الذي وجد وقدره عن بعض الناس انه مات فلم توجد له حسنة فغفر الله
له لسروره يوما واحدا بما ذكر وهذا خير عظيم مغفول عنه وينوي
السؤال عن امر العدو وشانه لعل يسمع خيرا يفتشون منه فيسربه فله اجر
في ذلك ايضا كالذي قبله وكذلك في العكس ان يسمع عنهم ما يسرهم تشوش
هو فله الاجر في ذلك وكذلك في الوجه الذي قبله ان يسمع عن المسلمين
ما يلاقهم جرح على ذلك واسترجع فيحصل له الاجر ~~كثيرا~~ ببل العمل
ولا تعب ولا نصب وينوي السؤال عن ثغور المسلمين فله لعل يسمع ما يسر به
ايضا مثل الوجه الاول الذي قبله سواء في الخير وضده ~~ا~~ كن هذا بشرط
يشترط فيه وهو ان يكون بقدر السؤال فاذا حصل المراد سكت واقبل على
ما يعنيه لئلا يكون السؤال ذريعة الى التحدث فيما لا يعنيه وقد ورد التحذير
عنه لما اتى على رجل مات بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعله كان
يتحدث فيما لا يعنيه او كما قال وهذا الباب كثير ما يدخل منه الشيطان على
بعض العلماء والصالحين يبتدون بمثل ما ذكره مسائل العلم والاقراء ثم
يدرجهم الى الحديث فيما لا يعنى ان وقعت السلامة من ذكر غائب او جدال
يقع او مفاوضة وقد قال الشيخ الامام ابو الحسن الماوردي رحمه الله في كتاب
آداب الدين والديانة اعلم ان كلام شروطا أربعة لا يسلم المتكلم من
الزال الابهاس ولا يعرى من النقص الا ان يستوعبها فالشرط الاول ان
يكون الكلام لداع يدعو اليه اما ان يكون في اجتهاد نفع او دفع ضرر
والشرط الثاني ان ياتي به في موضعه والشرط الثالث ان يقتصر منه على
قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به اه وقد تقدم ان
المؤمن لا ينبغي له ان يتصرف في مباح والكلام فيما لا يعنى اقل درجاته ان
يكون في مباح وقد قال الشيخ الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في
كتاب منهاج العابدين له واما المباح ففيه أربعة أمور احدها شغل الكرام
البررة الكاتبين بما لا خيرة فيه ولا فائدة وحق للمرء ان يستغنى منها فلا يؤذيها

قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والثاني رفع الكتاب الى
الله تعالى وفيه الامور والحمد لله رب العالمين من ذلك وليخش الله تعالى عز
وجل وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم في المصنوعات يا هذا انما قل
الى ربك فانظر ما قل والثالث قراءة بين يدي الملك الجبار يوم القيامة
على رؤس الاشهاد بين يدي الشرائد والاهوال عطشان عريان جيعان
والرابع اللوم والتعير لما اذا قلت وانه طاع النجاة والحياة من رب العزة وقد
قل اياك والفضول فان حسابهم يطول وكفى به هذه الاصول واعظا لمن
اتعظ ان لا يشغل بعد السؤال بالقاء المسائل عليهم او باقتباسها منهم
او يدخل عليهم سرور السكونهم يسرون بكلامهم او يسرهو بكلامهم
معهم فحسن وهذا راجع الى حال من يقع له ذلك والمقصود اجتناب البطالة
وهو ان يمضي وقت هو فيه عرى عن الطاعة وينوي مع ذلك امثال السنة
في المشي الى المسجد بالسكينة والوقار لما ورد في ذلك عنه صلوات الله
وسلامه عليه اذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسرعون وانتوها وعليكم
السكينة والوقار وينوي امثال السنة حين دخوله المسجد في الدعاء الوارد
في ذلك وهو ان يقول بسم الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وينوي ايضا امثال السنة حين
خروجه من المسجد بان يقدم الشمال ويؤخر اليمين وينوي امثال السنة
حين خروجه بالدعاء الوارد ايضا فيه وهو ان يقول بسم الله ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك
وينوي امثال السنة في أخذ القدم بالشمال حين دخوله المسجد ودحين
خروجه منه فان السنة قد وردت ان كل مستقذر يتناول بالشمال وكل طاهر
يتناول باليمين ولاجل هذا المعنى كان المستحب في التعميم أن يكون في الشمال
لانه يأخذ به يمينه لانه طاهر فيجعل في الشمال فاذا نوى ذلك وخرج بتلك
النية لم يلزم من هذه البدعة التي يفعلها كثير من ينسب الى العلم فتراهم
اذا دخل أحدهم المسجد يأخذ قدمه باليمين وقل ان يخلوا أحدهم من كتاب
فيكون الكتاب في شماله فيحصل بذلك في أمورهم مذورات منها أن
يجعل السنة في هذا النزول اليسير فاذا جهل الطالب السنة في مناولة كتابه

وقدمه فكيف حاله في غيرها نسأل الله السلامة ومنها مخالفة السنة عند
 أول دخوله بيت ربه وإلى أداء فرضه ومنها ارتكابه البدعة فيستفتح
 عبادته بها ومنها اقتداء الناس به وقلة تحفظهم على اتباع السنة في تصرفهم
 لأجل تصرفه ومنها ما فيه من التفاؤل وهذا أعظم من الجميع وهو أخذ
 كتابه بسم الله نسأل الله تعالى السلامة وحسن العاقبة بحمد دوا له وينوي
 مع ذلك امتثال السنة بأن لا يجعل نعله في قبلته ولا عن يمينه ولا من خلفه لأنه
 إذا كان خلفه يتشوش في صلاته وقل أن يحصل له جوع خاطرفها وإن كان
 عن يمينه فالسنة أن تكون اليمين للطهارات فابقى الآن يكون على اليسار
 وقد ورد النهي عن ذلك خرجه أبو داود ونصا صريحاً فيه وقد ورد في البخاري
 ومسلم النهي عما هو أقل من هذا وهو حين رأى عليه الصلاة والسلام
 الخامة في القبلة فكها بيده ورؤي منه الذكر أهمية لذلك ووقع منه النهي
 عن ذلك فاذا وقع النهي عن الخامة وهي طاهرة فالبالك بالقدم التي قل
 أن تسلم في الطريق مما هو معلوم فيجبه له على يساره اللهم الآن يكون على
 يساره أحد فلا يفعل لأنه يكون على يمين غيره فيجبه له إذا كان بين يديه فإذا
 سجد كان بين ذقنه وركبتيه ويتحفظ من أن يحركه في صلاته لئلا يكون
 مباشراً له فيها فيستحب له لأجل ذلك أن تكون له خرقة أو محفظة يجعل
 فيها قدمه فهو أولى وينوي مع ذلك إدخال السرور على أخوانه المسلمين بما
 أمكنه على حسب حاله وينوي امتثال ما وجب عليه من مناصرة أهل
 البدع والاهواء والمناكر لما قد نص العلماء عليه من أنه يجب هجران
 من هو مجاهر بشئ من ذلك وينوي ترفيع بيت ربه وتوقيره بأن لا ينشد فيه
 شعراً ولا ينشد فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتاً ولا يصفق فيه بكفيه ولا يضع كتاباً
 من يده وهو قائم وكذلك أن كان بيده ثوب فلا يضعه وهو قائم فيكون لوقعه
 في الأرض صوت ورفع الصوت في المسجد منهي عنه مع ما فيه من قلة الأدب
 مع بيت الله تعالى وكذلك أن كانت بيده مفاتيح فلا يلقها من يده وهو
 قائم فيكون لوقوعها في المسجد صوت وهو منهي عنه كما تقدم وكذلك
 كل ما ألقاه من يده وهو قائم ويكون له صوت فلا يفعل لئلا يقع في النهي وإن
 كان عن محتاج أن يلبس داخل المسجد فيحفظ أن يلقى نعله في الأرض

وهو قائم فيكون لوقوعه في الارض صوت وان كان قد بقي فيه شيء من
 اثر الطريق فيقع لقوة الرمية في المسجد وكذلك ان كان يصق في نعله
 في المسجد فلقوة الرمية ينزل ذلك في المسجد وكثيرا ما يفعل به بعض الناس هذا
 وذلك كله منهي عنه منصوص عليه موجود في كتب الفقهاء قال الله تعالى
 في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال عليه الصلاة والسلام
 حرمت على اجور رامي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد والقذاة هي
 ما يقع في العين ولا تبالى العين بها فاذا كان يؤجر في مثل هذا النزول يسير
 فكيف يدخل له شيء مما ذكر فيخاف على فاعل ذلك ان لا يقوم عسا فواء كله
 وما فعله في جنب ما قل من الادب مع بيت ربه فيحصل له النقصان وينوي
 اجتناب اللفظ فيه والكلام فيما لا يعني فانه قد ورد ما معناه ان الكلام
 في المسجد يغير اعمال الآخرة كالنار في المحطب يأكل الحسنات فيحفظ من
 ذلك الا لا يكون قد خرج الى تجارة فيرجع خاسرا بسبب لفظه وكلامه
 وينوي الصلاة بالسلاح ويحمل ذلك معه لما ورد من ان الصلاة بالسلاح
 افضل من غيرها اظنه بسعيه وينوي الاجتناب والكراهة لما يباشر في
 المسجد في زمانها هذا من البدع سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله تعالى يذكر
 عن شيخه القدوة الامام العالم المحقق سيدي ابي الحسن الزيات رحمه الله تعالى
 انه كان يقول والله ما أبالي بكثرة المنكرات والبدع وانما أبالي وأخاف من
 تأنيس القلب به لان الاشياء اذا تواتر مباشرتها اشتبهت بالنفوس واذا
 أنست النفوس بشئ قيل ان تتأثر له وكان سيدي ابو محمد رحمه الله تعالى
 يبين ذلك ويوضحه من الحديث الوارد في تغيير المنكر وهو قوله عليه الصلاة
 والسلام من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبأسانه فمن لم يستطع
 فبقلبه وهو اضعف الايمان فأخبر صلى الله عليه وسلم ان التغيير بالقلب
 هو اضعف الايمان والتغيير بالقلب هو ما يجده الانسان في قلبه من البعض
 لذلك الفعل المرءى وانزعاجه اذ ذاك وقامه وهذا في الغالب انما يحصل
 لما يندرو وقوعه وأما الاشياء التي تهدي في كل وقت وحسين فقد أنست بها
 النفوس ولا يجد العاق والآنزعاج منها اذ ذاك أعنى مع تكررها واستقرارها
 الا أهل العلم المنتبهون للسنة والبدعة العارفون بذلك فان كان الامر كذلك

والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن التغيير بالقلب هو أضعف الإيمان
والتغيير قد عدم في الغالب لاستئناس النفوس بما يشاهد من تلك
الاشياء فذهب أضعف الإيمان وإذا عدم أضعفه فماذا يرجي أن يبقى بعد
عدم هذا الأضعف أسأل الله تعالى السلامة بمحمد وآله يبين هذا ويزيده
ايضا حاكما حكاه صاحب القوت رحمه الله تعالى عن بعض السلف أنه قال
أول بدعة رأيت بلبت الدم ثم بعد ذلك بلبتة أصفر ثم تغير الامر الى العادة أو كما
قال فلقوة الإيمان اذذاك عنده ومباشرة ما لم يهوده من السنة قوى انزعاج
تلك النفس الطاهرة حتى تغير مزاجه فظهر ذلك في مائه الا ترى ان الأطباء
يستدلون على ما بالمرضى من الشكاية بالنظر الى مائه فلما ان استقر أمر تلك
البدعة ولم يقدر على تغييرها لالامور المانعة له في وقتها تغير من ذلك الانزعاج
الاول لاستئناس النفس بالعوائد وبقي عنده ما يلزمه من التغيير بالقلب
والله أعلم أي بدعة هي التي بال منها هذا السيد الدم ثم ~~سكن~~ أمره
بعد ذلك ولعلها ما حدث عندهم من المنخل أو الاشنان أو الخوان أو
ما يشاكل هذه الاشياء التي ظهرت في زمانهم وأما زماننا هذا فعاذ الله وما
ذاك الا راجع لما قال المجتهد رحمه الله تعالى ولقد أحسن فيه حسنة
الابرار سيئات المفر بين أعني عماري هذا السيد العظيم وهو المحسن
البصري رحمه الله عليه من البدعة روى مالك في موطائه عن أبي سهل
ابن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس الا النداء
بالصلاة فاقطر كيف وقع منه الا فكارا كل أفعالهم في ذلك الزمان الا ما كان
من الاذان وقدر روى عن الحسن البصري وكان من كبار التابعين وهو أول
من فتح مكة لأم في طريق القوم وهو رضيع إحدى زوجات النبي صلى الله
عليه وسلم وهي أم سلمة رضي الله عنها لما أعرف الناس عنها من صلاة
الجمعة وجدوه في ناحية من المسجد يبكي فسئل بم بكاؤك فقال وما لي لا أبكي
وما أعرف لكم شيئا مما أدركت عليه الناس الا القبلة هذا في زمان الحسن
البصري فما بالك وظنك بزماننا هذا وما جدنا هذه لكان قد أخبر الشارع
صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون فكأن كما قال الا ترى الى قوله
عليه الصلاة والسلام كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة

لان السنة اذا أطلقها العلماء فالمراد بها طريقة صاحب الشرع صلوات الله
وسلامه عليه وعادته المستمرة على ذلك قال الله تعالى سنة الله التي قد دخلت
من قبل سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا أي عادة الله التي قد دخلت من
قبل وعادة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا فإلما ان ارتكبنا عوائد اصطلمنا
عليها بحسب ما سوت لنا أنفسنا صارت تلك العوائد التي ارتكبناها
ومضينا عليها سنة لنا فاذا جاءنا من يعرف السنة ويعمل بها أنكرناها عليه
لانه يعمل بخلاف سنتنا وقلنا هذا يعمل بدعة بالنسبة الى سنتنا التي اصطلمنا
عليها فاذا انها عن عادتنا وأمرنا بتركها أو تركها هو قلنا هذا يترك السنة أي
يترك السنة التي اصطلمنا عليها فجاء ما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث
المتقدم سواء بسواء فانا لله وانا اليه راجعون وقد روي مالك في موطائه عن
الاعلامين عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج يوما الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان
شاء الله عن قريب بكم لاحقون وددت اني قد رايت اخواتنا فقالوا يا رسول
الله السناباخوانك قال بل أنتم أصحابي واخوانتنا الذين باتوا بعباد وانا
فرطهم على الحوض فقالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك
فقال أرايت لو كانت لرجل خيل غر محجلة دهم ألا يعرف خيله من غيرها
قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم باتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء
وانا فرطهم على الحوض فليزاد رجل عن حوضي كما يزداد العسير الضال
اناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعبادك فأقول فصدقنا
فصدقناهم فأني عليه الصلاة والسلام بلغني التبديل على طريق العموم
فيدخل في ذلك التبديل في الاعتقاد والقول والعمل في القليل والكثير فاذا
تقرر هذا وعلم من أحوالنا فلا شك ان الرجوع الى العوائد من غير علم بها
والاستمرار على ما نحن فيه من الاصطلاحات مخف في العقل وحرمان بين
فيحتاج لاجل هذا ان ينوي حين الخروج التحفظ من هذه الاشياء كلها حتى
يكون متيقظا اذا وقع له شيء منها فيغيره بالذي يقدر عليه جهده مرة باليد
وأخرى باللسان وأخرى بالقاب وما وراء ذلك وراءه التحفظ من ترك الثالث
فان تركه خطر وقد تقدم مثال ذلك مما هو عليه اليوم وجود اليوم بيننا

في المساجد وغيرها من التغني بالقرآن والزيادة فيه بالمدا الفاحش والنقص
بحسب ما يوافق نغماتهم في الطريقة التي ارتكبوها ومضت عليها سنتهم
الذميمة وإن كان قد اختلف علماء وناصرة الله عليهم هل يجوز التغني بالقرآن
أم لا للحديث الوارد في ذلك أنه صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول ليس
من آمن لم يتغن بالقرآن فذهب مالك وجهه ورأى أهل العلم رجعة الله عليهم إلى
أن ذلك لا يجوز وروى ابن القاسم عن مالك رحمه الله أنه سئل عن الأئمة
فقال لا يجزئ وإنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم وذهب
المشافهي ومن تبعه إلى أن ذلك يجوز وأحسبوا بالحديث المتقدم فعملوه على
ظاهره وهو عند الجماعة مؤول على أن معنى يتغن يستغنى به من الاستغناء
الذي هو ضد الفقر وقيل يجهر به لقوله عليه الصلاة والسلام ما أذن الله
لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغن بالقرآن يجهر به قال علماء وناصرة الله
عليهم معناه يسمع نفسه ومن يليه وقال عليه السلام الجاهر بالقرآن كالجاهر
بالصدقة قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى وقد روى عن
سفيان وجه آخر ذكره إسحاق بن راهويه أي يستغنى به عما سواه من
الأخبار وإلى هذا التأويل ذهب البخاري رحمه الله لا تباعه الترجمة في
كتابه بقوله تعالى أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والمراد
الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم قاله أهل التأويل وقيل إن معنى
يتغن به يحزن به أي يظهر في قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته
وتلاوته وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال يتغاني به ولم يقل يتغن
به ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الحليمي وهو قول الليث بن سعد
وأبي عبيد وعبد بن حبان والنسائي وأحمد وإسحاق وأحمد بن حنبل
ابن أبي عمير عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأصدره
أزير كآزير الرجل من البكاء الأزير بزا من صوت الرعد وغلبان القدر
وقد روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم
بالناس فطرب في قراءته فأرسل إليه سعيد يقول أصلحك الله إن الأئمة
لا تقرأ هكذا فتركهم التطريب بعد وروى عن مالك رحمه الله أنه سئل
عن النبر في قراءة القرآن في الصلاة فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة

وانكر رفع الصوت به وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله
 عنهم قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مودن يطرب فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمع فان كان اذانك سهلا سمعها والا فلا
 تؤذن انما ربه الدار قطنى في سنته فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك
 في الاذان فاحرى انه لا يجوز له في قراءة القرآن الذي حفظه الرحمن سبحانه
 وتعالى فقال وقوله الحق انما نحن نزاننا الذي ذكرنا له لمخافون وقال عز وجل
 وانما كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
 حميد قال وا اما احتجاجه المخالف من قوله عليه الصلاة والسلام زينوا القرآن
 بأصواتكم فليس هو على ظاهره وانما هو من باب المقلوب أى زينوا أصواتكم
 بالقرآن قال الخطاى وكذلك فسر غير واحد من أئمة الحديث زينوا
 أصواتكم بالقرآن وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا عرضت المحرض على
 الناقة وانما عرضت الناقة على المحرض قال ورواه معمر عن منصور عن
 طلحة فقدم الأصوات على القرآن وهو الصحيح ورواه طلحة عن عبد الرحمن
 ابن عوسجة عن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال زينوا أصواتكم بالقرآن أى اللجوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم
 واتخذوه مشغاة وقيل معناه المحرض على قراءة القرآن والدأب عليه وقد روى
 عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول زينوا أصواتكم
 بالقرآن وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال حسبنوا أصواتكم بالقرآن
 ثم قال المراد من الله ومعاذ الله أن يتأول عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان يقول ان القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها فن تأول هذا فقد واقع
 أمر أعظم وهو أن يحوج القرآن الى من يزينه كيف وهو النور والضياء
 والزين الأعلى لمن أليس بهجة واستنار بضيائه ثم قال ان فى الترجيع
 والتطريب همز ما ليس به موزوم وما ليس بممدود فترجع الالف الواحدة
 الفات كثيرة فيؤدى ذلك الى زيادة فى القرآن وذلك ممنوع وان وافق ذلك
 موضع نبرة صيرها نبرات وهمزات والنبرة حيث وقعت من الحروف فانما هى
 همزة واحدة لا غيرا ممدودة واما مقصورة فان قيل فقد روى عن عبد الله
 ابن مغفل رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيرته عام

الفتح على راحلته فرجع في قراءته وذكر ما البخاري وقال في صفة الترجيع
 آ آ ثلاث مرات قلنا ذلك محمول على اشباع المد في موضعه ويحتمل ان يكون
 حكاية صوته عند هز الراحلة كما يمتري رافع صوته اذا كان راكبا من ان ضغط
 صوته وتقطيعه لاجل هز المركوب واذا احتل هذا فلاحجة فيه قال وهذا
 الخلف انما هو ما لم يهتم معنى القرآن بتريد الاصوات وكثرة الترجمات
 فاذا زاد الامر على ذلك حتى لا يعرف معناه فذلك حرام باتفاق كما يفعله القراء
 بالدار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والمجائز ويأخذون عليهم الاجور
 والجواثر لئلا يسمعهم وخاب عما هم فليست محالون بذلك تغيب بركات الله تعالى
 ويهونون على انفسهم الاجترار على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه
 جهلا يدينهم ومروقات سنة تدينهم ورفض السيرة الصالحين فيه من سلفهم
 وتزيغهم الى ما بين لهم الشيطان من اعمالهم وهم يحسبون انهم يحسنون
 صنعاء فهم في غيرهم يترددون ويكتب الله بآياته لا عبون فانا لله وانا اليه راجعون
 لئلا يكون قد أخبر الشارح صلوات الله عليه وسلامه ان ذلك يكون فكأن كما
 أخبر صلى الله عليه وسلم ذكر الامام الحافظ أبو الحسن بن رزين وأبو عبد
 الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث حذيفة رضي الله عنه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرءوا القرآن بلحون العرب واصواتها
 واياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجي ببعدي أقوام
 يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم
 وقلوب الذين يجهل شأنهم اللحن جمع لحن وهو التماريب وترجيع الصوت
 وتحسينه بالقراءة كالشعر والغناء قال علماء وناجحة الله عليهم ويشبه هذا
 الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ في المجالس من اللحن الاعجمية
 التي يقرءون بها ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم والترجيع في القراءة
 ترديد الحروف كقراءة النصاري والترتيل في القراءة والتأني فيها
 والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبها بالشعر المرتل وهو المطلوب في
 قراءة القرآن قال وقال الحامي والذي يظهر بدلالة الاخبار انه أراد بالتغني
 ان يحسن القارئ صوته مكان ما يحسن المغني صوته بغنائه الا انه يعمل به نحو
 القهرن دون التطريب أي قد عوض الله من غناء الجاهلية خبرا منه وهو

القرآن فن لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرض به بدلا من ذلك الغناء فليس
منه الا أن قراءة القرآن لا يدخلها شيء من التغني وفضول الاحسان وترديد
الصوت مما يلبس المعنى ويقطع أوصال الكلام كما قد دخل ذلك كله في الغناء
وانما يلبق بالقرآن حسن الصوت والتحزين به دون ما عداهما وبسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس قراءة فقال صلى الله عليه
وسلم أحسن الناس قراءة من اذا سمعته يقرأ رأيت أنه يحشى الله تعالى
وقال ان هذا القرآن نزل بحزن فاقروا بحزن فابكوا فان لم تبكوا فبأكوا
اه كلام القرطبي رحمه الله لكن يشترط في التحزن أن يكون القارى
في حال قراءته متلبسا بحزن القلوب فان لم يقدر عليه تعاط أسباب المحزن بمثل
نفسه أنه على الصراط وان التنازل تحت قدميه وان الجنة بين يديه الى غير
ذلك وهو كثير وذلك ليكون ظاهره موافقا لباطنه فلا يحذر أن يظهر بلسانه
من التحزين ما لم يكن في قلبه فانه من باب خشوع النفاق وهو أن يكون
البدن خاشعا والقلب ليس كذلك نسأل الله السلامة عنه وقد رأى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه رجلا عشى وهو منحنى الرأس فخر به بالدرة وقال
ارفع رأسك الخشوع هاهنا وأشار الى قلبه فاذا كان الامر كما وصف فيحتاج
الخارج الى المسجد لأن يكون كما تقدم ذكره لئلا يعجبه شيء من ذلك ولا يتأثر
قلبه عند رؤية ما يرى وكذلك ما يفعل في المساجد من غير الجائز من جنس
ما ذكر مما تأباه السنة المحمدية وذلك كثير يطول تتبعه فن وفقه الله تعالى
وطاب العلم من أهله تنبه لذلك كله فيعرفه حين رؤيته وقد صارت كائناتها
شعائر الدين وقل من ينكرها فانا لله وانا اليه راجعون (وينوي) مع ما ذكرناه
الايمان والاحتساب في حال تلبسه بالفعل لان من حضرية الايمان
والاحتساب اذ ذلك كان أعظم أجرا من كان غافلا عنها أو ساهيا لا ترى الى
ما ورد عنه صلوات الله عليه وسلامه في الصوم الواجب من صام رمضان
ايمانا واحتسابا يغفر له ما بين رمضان الى رمضان وقد تقرر في الصوم ما قد
تقرر فيه من قوله عليه الصلاة والسلام مخبرا عن ربه عز وجل يقول كل عمل
ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به فهذا أجره كما ترى لكن لسان زاد
هذهانية الايمان والاحتساب زيد له في مقابلة مغفرة ما بين رمضان الى

رمضان وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من قام رمضان إيماناً واحتساباً
غفر له ما تقدم من ذنبه وقيام رمضان فيه الاجرا ابتداءً لكن لما ان زاد هذا
في نيته احضار الايمان والاحتساب زيد له في مقابله مغفرة ما تقدم من ذنبه
وكذلك أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام اذا انفق الرجل على أهله محتسباً
فهو له صدقة والزفقة على الاهل واجبة والواجب على ما تقر راجعاً أعظم
وأفضل من غيره لكن لما ان زاد هذا نيته الاحتساب في فعله زيد له على أجر
الواجب أجر صدقة اه واحضار ذلك هو انه اذا فعل الفعل يستحضر الايمان
اذذاك وأنه مثل أمر الله عز وجل على ما أمر به صاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه منقاداً مطيعاً من قبل نفسه لا يحجبها ولا مستقيماً بل عتلاً
للامر ليس الا والاحتساب ان يحتسب تعب الفعل الذي يفعله ومثاقته
على الله تعالى لا على غيره من عوض يأخذه أو ثناء أو مدحاً أو مظاهرة ترتفع
عنه أو يرجع اليه أو يسمع قوله أو اشارته بل يكون ذلك خالصاً لربه عز
وجل لا يريد به بدلاً فاذا فعل الفعل الذي يفعله على هذه الصفة وهذا
الترتيب فقد أتى بالمقصود والمراد وقد كمل النية وانما غناها فبرجى له أن
يحصل له ما وعد به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه على ذلك الفعل
ان شاء الله تعالى ومن أصدق من الله قبلاً ومن أصدق من الله حديثاً
وهذه القواعد مطردة في جميع الاعمال كلها أدقها وجايلها واجبها
ومندوبها وامل قائلها قول كل ما ذكرته متعذراً لا يمكن تحصيله لان هذا
كله يحتاج الى زمان طويل والاكثر من الناس أرباب ضرورات فلا يمكنهم
الوقوف لمراعاة ما ذكره فيجب عن ذلك عذرهم ابن العربي رحمه الله
تعالى في شأن نية الصلاة قال قال لنا أبو الحسن القروي رحمه الله تعالى
بشعره قلان سمعت امام الحرمین يقول يحضر الانسان عند التلبس بالصلاة
النية ويحرد النظر في الصانع وحدوث العالم حتى ينتهي نظره الى نية الصلاة
قال ولا يحتاج في ذلك الى زمان طويل وانما يكون ذلك في أمي لحظة لان
تمام ذلك الجهال يفتقر الى الزمان الطويل وقد كرها يكون في لحظة اه
ومن تمام النية وتسكمتها وحسنها وتتميتها ان تكون مستحبة في كل فعل
يفعله لكن هذا في الغالب صعب عسير في حق أكثر الناس وذلك حرج

ومشقة فيجزى بالنية التي خرج بها ان شاء الله تعالى (فتحصل) لتأمين النيات في الخروج الى المسجد اثنتان وتسعون مع ما يضاف الى ذلك من نية شروط وجوب الصلاة وفرائضها وسننها ومضايلها وذلك سبع وستون فالشروط خمسة وهي الاسلام والعقل والبلوغ وانقطاع دم الحيض والنفاس ودخول وقت الصلاة وتختص الجمعة بثمانية شروط اربع للوجوب واربع للاداء فاما الاربع التي للوجوب فهي الذكورية والحرية والاقامة وموضع الاستيطان واما التي للاداء فهي امام وجعاعة ومسجد وخطبة والفرائض ثمانية عشر وكذلك من السنن وكذلك من لفضائل فالفرائض المتفق عليها عند الجميع عشرة وهي النية والمطهارة معرفة الوقت والتوجه الى القبلة والركوع والسجود ورفع الرأس من السجود والقيام والجلوس الاخير وترتيب افعال الصلاة ومنها ثلاث متفق عليها في مذهب مالك رحمه الله تعالى وهي تكبيرة الاحرام والسلام وقراءة أم القرآن على الامام والفذ ومنها خمس مختلف فيها في مذهب مالك رحمه الله تعالى وهي الرفع من الركوع ومطهارة الثوب والبقة وستر العورة وترك الكلام والاعتدال في الفصل بين اركان الصلاة واثنتان مختلف فيهما هل هما شرط صحة أو شرط كمال وهما الخشوع ودوام النية واما السنن فأولها إقامة الصلاة في المساجد ورفع اليدين عند الاحرام ويختلف في الرفع عند الركوع ورفع الرأس منه والسورة التي تقرأ مع أم القرآن والجهر بالقراءة في موضع الجهر والاسرار بها في موضع السر والانصات مع الامام فيما يجهر فيه والتكبير سوى تكبيرة الاحرام وقد قيل ان كل تكبيرة بافراها سنة وسمع الله من حمده للامام والفذ والتشهد الاول والجلوس له والتشهد الاخير والجلوس له وهو ما كان منه زائدا على ما يقع فيه السلام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سنة وفريضة مطلقا في غيرها ورد السلام على الامام وتأمين المأموم اذا قال الامام ولا الضالين وقوله ربنا ولا الحمد اذا قال الامام سمع الله من حمده والقناعات للمرأة والتسليم في الركوع والسجود واما الفضائل فأولها أخذ الرداء والقيام بسلام وقراءة

المأموم مع الإمام فيما يسرف فيه وإطالة القراءة في الصبح والظهر وتخفيفها في العصر والمغرب وتوسطها في العشاء وتقصير الجلسات الأولى والتأمين بعد قراءة أم القرآن للغد والإمام فيما يسرف فيه وقول القدر بناولك الحمد وصفة الجلوس والاشارة بالاصبع فيه والقنوت في الصبح والقيام من موضعه ساعة يسلم والسترة واعتدال الصفوف والاعتماد على اليدين في الفريضة واختلاف في وضع احداهما على الأخرى في الصلاة وقد ذكرها في الدونة ومعنى كراهيتها ان تعد من واجبات الصلاة والصلاة على الأرض أو على ما أنبتته الأرض والصلاة في الجماعة مستحبة للرجل في خاصة نفسه وأما إقامة الجماعة في الصلوات فانها فرض في الجملة وسنة في كل مسجد وهذا منتهى ما عده علماءنا راحة الله عليهم فيجتمع مع ما تقدم من الآداب فيكون الجميع مائة وتسعة وخمسين فان أضاف إلى ذلك ثبة امثال السنة في الدعاء عند التوجه إلى الصلاة وعند اصطفاف الناس إلى الصلاة فانه ما ورى بالدعاء فيه وهو موضع مرجوف فيه قبول الدعاء ثم ينوي الدعاء بعد الصلاة أيضا لانه من السنة أعنى دعاء كل انسان في سره لنفسه ولاخوانه دون جهر اللهم إلا أن يكون إماما ويريد أن يعلم المأمومين على ما قاله الشافعي رجه الله فاذا رأى أنهم قد تعلموا سكت ثم يضيف إلى ذلك التوبة بين الدخول في الصلاة مما تقدم له من السقطات في الكلام أو الغفلات والمخاطر أو غير ذلك كل على قدر حاله وهذا مثل ما قاله بعض العلماء رجه الله عليهم في المأقذ لذلك كالح ينبغي أن يتوب قبل العقد ليحصل العقد من ثواب فتكون عدالة الولي حاصلة بالتوبة الواقعة اذذاك فيخرج به من الخلاف الذي في الولي غير العدل وكذلك فيما نحن بسبيله يحصل التوبة السلي يتصف بها قبل الدخول في الصلاة لانه يدخل اذذاك في قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويكون ذلك منه تجديد لما تقدم من توبته عند الوضوء فاذا حصل ذلك حينئذ ينبغي أن يقرع باب الملك بالدخول في مناجاته بتكبيره الاحرام والوقوف بين يدي مولاه في صلواته والله الموفق للصواب فهذه أربع مضافات إلى ما تقدم ذكره فيكون الجميع مائة وثلاثة وستين من الآداب فينوي ذلك كله فاصادفه

بادر الى عمله ومالم يصادفه حصل له اجر النية وهذا الذي ذكر من العدد
على جهة التقصير في النظر ومن رزقه الله نورا وتأييدا وتوفيقا يرى أكثر
مما ذكره علماء ان شاء الله فيحصل له من الاجر ما هو أكثر لأن النور
لا يشبه الظلام ونظر العالم ليس كنظر العاقل ونظر العام ليس كنظر
الباطل ونظر المتبع ليس كنظر المبتدع فاذا اجتمعت هذه الفضائل
في الشخص وتعمى من هذه النقائص حصل ما هو أكثر من ذلك فأن هذا
من خروج نية أداء الصلاة ليس الا ~~لا~~ كن بقى في هذا شي وهو أن علماءنا
رحمة الله عليهم قد اختلفوا فيمن اغتسل للعبادة والجمعة هل يجزى عنهما
أولا يجزى أو يجزى عن أحدهما أربعة أقوال مشهورة يجزى عنهما لا يجزى
عنهما يجزى عن العبادة ليس الا يجزى عن الجمعة ليس الا واتفقوا على
أنه لو اغتسل للعبادة ونية قول أرجو أن يجزى عن غسل جمعة أعني أنه ينوي
بذلك أن ذلك يجزيه ومثلهما مثله أسواء بسواء فان أراد أن يخرج من
المخلاف فينوي بالصلاة المسمى الى أداء فرض الله تعالى وما يختص بالصلاة
نفسها ثم يقول وأرجو أن يجزى عن كذا وكذا فيتمدد ما ذكره يزيد عليه
بحسب ما وافقه الله تعالى فاذا خرج مما تقدم فوافق ما نواه يادرا إليه يفتريه
فيحصل له اجر النية والعمل ومالم يوافقه في الوقت حصل له اجر النية وقد
قال عليه الصلاة والسلام أوقع الله أجره على قدر نيته ولاجل هذا المسمى
حكى عن بعض العلماء والصالحين أنه دخل عليه وهو في سباق الموت فمات
لاصحابه انوارا بنارها انوارا بنارها اذا انوارا بنارها وجعل يمدد لهم أنواع البر
وكثر فقَالَ لَهُ يَا سَيِّدُنَا كَيْفَ وَأَنْتَ عَلَى هَذَا الْحَالِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ عَشْنَا
وَفِينَا وَأَنْ مَتْنَا حَصَلَ لَنَا الْجِرَانِيَّةُ ~~هـ~~ كَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ
فِي النِّيَّةِ وَتَنْهَيْتَهَا بِمَا تَقْدِمُ ذِكْرَهُ وَالْغَافِلُ الْمُسْكِنُ صَحِيحٌ عَائِي وَهُوَ فِي عَمَى عَنْ
أَحْسَالِ الْبِرِّ سَاءَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ عَمَلِهِ لَكِنْ إِذَا نَوَى مَا ذَكَرْتُمْ حَاجَ أَنْ يَكُونَ
مُتَبَقِّظًا مِمَّا قَدَّرَ عَلَى فَعْلِهِ مَعَ اتِّسَاعِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ فَعَلَهُ لَوْلَا يَدْخُلُ فِي عَدَمِ هَوَلِهِ
تَعَالَى فَنَزَكَتْ فَأَتَمَّ نَيْكَتَ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ فَيَقَعُ فِي الْمَقْتِ
وَالْعَيْبِ ذِي اللَّهِ تَعَالَى فَذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى مَا سَبَقَ فَلْيَحْذَرِ أَنْ يَخْطُرَ لَهُ

في نفسه أنه خير من أحد من اخوانه المسلمين فيقع في البلية العظمى فكان تركه لزيادة تلك النيات أولى به لأن الحب محيط للأعمال اذا صحت فكيف به في عمل لم يعرف صحته من سقمه بل يخرج محسن الظن باخوانه المسلمين يسيء الظن بنفسه فيتهم نفسه في فعل الخير انما ارادت به الشر وبعثت في غيره من اخوانه المسلمين اذا رآه يفعل الشر انما اراد به الخير كما حكى عن بعضهم اظنه محمد بن واسع رحمه الله رفعنا ببركاته وأعاد علينا من سره أنه مر مع أصحابه بموضع فرمى عليه من كوة دار رماد فأراد أصحابه ان يهتفوا أهل ذلك الموضع فقال لا تفعلوا هذه رحمة من الله تعالى وقال حسن ان استغنى النار ثم صفع عنه ووقع الصلح على الرماذ رحمة عظيمة في حقه وما كان سبب هذا الخلق منه الا سوء ظنه بنفسه وحكى عن آخره مر مع أصحابه بموضع وكان رحمه الله قل ان يغير منكر اخر وابد كان ورجل يجامع امرأة على مسطبة الدكان فغمض الشيخ عينيه ومرتجاء بعض أصحابه فأمسكه وقال له يا سيدي ما بقي لك من هذا تأويل او بعد هذا شيء فقال له الشيخ امانة ذرهم يا أخى كثرت العيال وضافت البيوت حتى احتاج أنه يخرج بزوجته مثل هذا الموضع وانما سألته على هذا تحسين ظنه باخوانه المسلمين لكن هذا والله أعلم كان صاحب حال فعمله حاله على ما فعل والافتحسين الظن ~~ممكن~~ ونهيه واجب أيضا وان كانت زوجته لان علماء نارحة الله عليهم قد نصوا على أنه لا ينبغي للرجال ان يهتموا بالنساء في الطرق الحديث ولا غيره وان كانت زوجته أوامته اكن الحال حامل لا محمول سمعت سيدي ابا محمد بن أبي جرة رحمه الله تعالى يقول اذا مر عليك انسان ببجرة خمر ثم غاب عنك ورجع مر يا عننا لا يحمل لك ان تقول شربها ولا أوصاه المن يفعل ذلك بها وانما تقول الحمد لله الذي هداه لهذا عليه هكذا تكون نية المؤمن مع اخوانه المسلمين أعني هذه سبيله معهم مع عدم الخطاة فيدخل اذذاك في قوله عليه الصلاة والسلام سلامة الصدر لا تباع به عمل وأمام الخطاة فالسنة سوء الظن حتى يتبين منهم سبب لتحسين الظن بهم وعلى هذا حملوا قوله عليه الصلاة والسلام من الحزم سوء الظن فاذا خرج الى المصعد على ما وصف ودخل اليه بحبيبه فهو في تحيته بالخيار ان شاء فعل ذلك على الوجوب وان شاء فعله على الاستحباب فالاستحباب بين

والوجوب بنذرهما التفسير واجبة ثم بعد وجوبها عليه يحرم بها وفعل الواجب
فيه من الثواب ما فيه فاذا فرغ من تحية المسجد فلا يخلو أمره من احدى امور
اما ان يكون ممن يتعاق به أمره - في الدين كالعالم والمتعلم والامام والمؤذن
والمؤدب والمجاهد والفقير المنقطع للعبادة التارك للأسباب فهو لاسبعة
عليهم يدور أمر الدين فأهمهم وأعظمهم هو العالم اذ ان الستة الباقين كلهم
راجعون اليه داخلون تحت أحكامه وإشارته ألا ترى الى قوله عليه الصلاة
والسلام العلم امام والعمل تابعه وقوله عليه الصلاة والسلام يؤم القوم
أقرؤهم - كتاب الله وكان في عصره عليه الصلاة والسلام أقرؤهم - كتاب
الله وأعلمهم بالحلل والحرام وبفروع الأحكام قال الشيخ أبو عبد الله
القرطبي في كتاب التفسير له ذكر أبو عمرو الداني في كتاب البيان له بإسناده عن
عثمان وابن مسعود وأبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر
فلا يجاوزونها الى عشر أخرى حتى يتعلمون ما فيها من العمل فيتعلمون القرآن
والعلم جميعا وذكر عبد الرزاق عن معمر بن عطاء بن السائب عن أبي عبد
الرحمن بن يسار السلي قال كنا اذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشرة التي
بعدها حتى نعرف حللها وحرامها وأمرها ونهيها اه فتبين من هذا ان الامام
يكون أعلم القوم لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم يؤم القوم
أقرؤهم - كتاب الله واذا كان الامر كذلك فهو أكثر الناس حاجة الى العلم
والامامة أعلى المناصب واجلها فلا بد ان يكون الامام عالما أعنى على طريق
الحكامل والافعال سؤال من العالم يستقيم حاله ويصير عالما بأحكام خطته
ومرتبته وكذلك غيره من الخمسة الباقين كل محتاج الى العلم في العلم الذي
أهل اليه اما بالتعليم او بالسؤال من العالم وقد ورد ان الله عز وجل يأمر يوم
القيامة بأهل البلاء الى الجنة والعلماء وقوف في المحشر فيقولون يا ربنا بفضل
علمنا دخلوا الجنة أي انهم علموهم ما يلزمهم من الأحكام في بلائهم وما لهم على
ذلك من الاجور وكيفية الصبر ومال الصابرين فامتثلوا ذلك منهم فكانوا سببا
لما جرى ثم يأمر الله عز وجل بالمجاهدين والصابين الى غير ذلك من الطوائف
الذين يدخلون الجنة بغير حساب والعلماء وقوف فيقولون يا ربنا بفضل علمنا
دخلوا الجنة فيقول الله عز وجل أنتم هذي ~~ص~~ أنبيائي اذهبوا فاختروا

الصفوف فاشفعوا تشفعوا وإذا كان الأمر كذلك فينبغي الاعتناء بأمر العالم
وتقدم رتبته بالذبح على غيره من الرتب الباقية أذانه غير محتاج لهم في
مقامه الذي أقيم فيه والباقيون محتاجون إليه مضطرون لا تتم لهم صفقة
ولا يتقوم لهم أمر إلا بدخول العالم بينهم والا كان سعيهم هباء منثورا فجاء
ما قال عليه الصلاة والسلام سواء بسواء نعم الرجل العالم إن احتجج إليه نفع
وان استغنى عنه أغنى نفسه بالله وبالكلام على العالم وتغيير مقامه بدرجة
غيره فيه من متعلم أو غيره وابقيت بقية من الكلام على الباقيين وسنذكر كلام
منهم على أفرادهم إن شاء الله تعالى

(فصل في العالم وكيفية نيته وهديه وأدبه)

فأول ما ينبغي له أن يحسن نيته جهدهما استطاع أكثر من كل من ذكره أن
ما هو فيه هو أصل الدين ومحاده وكل من بقي من غيره فهو فرع عنه وتابع له
كلصل الشجرة أن استقام استقامت القروع وان أصابت الأصل آفة
هلكت القروع والنية هي الأصل لا حراز هذا الأصل ان كان حسنة سلم
صاحبه من العاهات والآفات والبلبات قال عليه الصلاة والسلام نية
المرء خير من عمله ولا يوجد في الأعمال كلها على ما تقدم في أول الكتاب
أفضل من العلم وذلك بشرط أن تكون النية فيه حسنة فاذا كانت النية
حسنة كان أفضل الأعمال والافتك كون الأعمال تفضله بحسب ما كانت
النية فيه ألا ترى إلى قول مالك رحمه الله لابن وهب لما ان قام إلى الصلاة ما
الذي هت إليه بأوجب عليك من الذي هت منه وإنما قال له ذلك لما كانت
نياتهم في طاب العلم ما كانت فكان طالب العلم لا يفوقه غيره والصلاة تدرك
لان وقتها محدود مسائل العلم تفوت لانها لا تكون ولا تحصل للانسان وحده
في غالب الأمر بذلك مضت الحكمة وبه وقع التكليف لقوله صلى الله عليه
وسلم وإنما العلم بالتعلم وهو الآن متيسر عليه بسبب محالسته الامام مالك
الذي كان معه في ذلك الوقت فقد تفوته محالسته بعد الصلاة فاذا كان كذلك
فالنية أولى ما يراعى العالم أولا ثم يتبعها بعد ذلك ويحسبها أولى بتبنيها
وتحسينها اذا لم يعلم الذي عنده يبصره بذلك ويدله عليه قال الله سبحانه
وتعالى وما يعقلها الا العالمون وكيفية اخلاص النية ان يكون تعلم العلم بنية

ان يمثل امر الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ليديننه للناس ولا يكتمونه وقوله سبحانه وتعالى بما كنتم تعملون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ويقرأ ايضا تعلمون وتعلمون بمعنى تتعلمون
فجميع القراآت الثلاث العلم والتعلم والتعلم وقال سبحانه وتعالى ان الذين
يكفون ما انزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني
ولو آية وقال عليه السلام الا يبلغ الشاهد الغائب وروى عن ابي ذر رضى
الله عنه انه قال لو وضعت السماحة على هذه وأشار الى فناء ثم ظننت ان
انفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تجهزوا الى
لا تفقدتها والاجر في العناية بالعلم على قدر النية فيه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى قد اوقع اجره على قدر نيته والله تعالى قد قسم بين
عباده الاعمال وتفضل عليهم بالثواب وروى ان بعض العباد كتب الى مالك
رحمه الله يحضه على الافراد وترك محاسبة الناس فكتب اليه مالك يقول
ان الله تبارك وتعالى قد قسم بين عباده الاعمال كما قسم الارزاق فرب رجل
فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصيام ورب رجل فتح له في الصيام ولم يفتح له في
الصلاة ورب رجل فتح له في كذا ولم يفتح له في كذا فعدداً شيئا ثم قال وما اظن
ما انت فيه بافضل مما انا فيه وكالنا هلى خيران شاء الله تعالى والسلام ويجب
عليه بعد هذا العمل بما يأمر به اذ هو والذي يقربه لانه ان لم يعمل به كان حجة
عليه يوم القيامة وحسرة وندامة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ما منكم من احد الا وسىخلوبه ربه عز وجل كما يخذلوا احدكم بالقرم رابطة
البدر او قال ليله تسميه يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن
آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي
يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما غرك بي
منزلة يوم القيامة عالم لا يتفجع به علم قال الشيخ ابو عبد الله القرطبي رحمه
الله في تفسيره روى الترمذى عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزل الله في بعض الكتب اوارحى الى بعض الانبياء قول للذين
يتفقهون في غير الدين ويتعلمون غير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة

يا بسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب المذئاب ألسنتهم أحلى
من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون ويستهزئون لا تبعن لهم
فتنة تذر المحلوم فيها حيرانا وخرج الطبراني في كتاب أداب النفوس بإسناده
إلى ابن صدقة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه من حديثه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخادعوا الله فانه من يخادع الله
يخادعه الله ونفسه يخدع لو كان يشهر قالوا يا رسول الله وكيف يخادع الله
قال تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره واةقوا الزبانية فانه الشرك وان المرادى
يدعى يوم القيامة على رؤس الاشهاد باربعة أسماء ينسب اليها يا كافر يا فاجر
يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك عن
كنت تعمل له يا مخادع اه وهذا الحديث هو ما جاء في نص التتزيل سواء
بسواء قال الله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم قال علماءنا رحمة الله
عليهم معناه يقابلهم على أفعالهم ومن كتاب القرطبي أيضا رحمة الله تعالى
وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كيف أنتم اذ البستكم
فتنة يربوا ويشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة مبتدعة تغري
عليها الناس فاذا غير منها شيء قيل غيرت السنة قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن
قال اذا كثرت قراؤكم وقل فقه ساؤكم وكثرت امراؤكم وقل امنساؤكم والتمست
الدنيا بعمل الآخرة وتفقه الرجل لغير الدين وقال سفيان بن عيينة يا غنا عن
ابن عباس رضي الله عنه قال لو أن جملة القرآن أخذوه بحقه أو كما ينبغي
لأحبهم الله ولا يكن طلبة الدنيا فابغضهم الله وما أقواله على الناس وروى
عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله عز وجل فكذبوا فيها هم والغاؤون
قال قوم وصفوا بالحق والعدل بالسنتهم وخالفوه بقلوبهم إلى غيره اه ومن
كتاب مراقي الزاني للإمام الفقيه أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال
في الانكار على من ينسب المحكمة لغير أهلها أما المحكمة فقد صار هذا
الاسم يطلق على الطبيب وعلى الشاعر وعلى المنجم حتى على الذي يخرج
القرعة والذي يجلس على شوارع الطرق للحساب فانا لله وانا اليه راجعون
والمحكمة في الحقيقة هي التي أنى الله عليها فقال ومن يؤت المحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من المحكمة يعلمها الرجل

خبر له من الدنيا ثم قال وانظر كل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس
وماركب الناس عليه اليوم فاكثره مبتدع حديث وقد سمع قول النبي
صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء
قيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسد الناس من سننى والذين يحبون
ما امانتوا من سننى وفي خبر آخر مروي هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم
وفي حديث آخر ناس قليلون صائمون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر من
يحبهم وقال الثوري اذا رايت العالم كثيرا لاصدقاء فاعلموا انه مختلط لانه
ان نطق بالحق ابغضوه اهو من القرطبي ايضا وينبغى للعالم ان يأخذ نفسه
بالصون عن طريق الشهوات ويقال المضحك والكلام بما لا فائدة فيه
وبأخذ نفسه بالحلم والوقار وينبغى له ان يتواضع للفقراء ويبتعد التكبر
والاعجاب ويتجافى عن الدنيا وابنائها ان خاف على نفسه الفتنة اه وان
لم يخف خالطهم بالظاهر مع سلامة باطنه ليلبثهم احكام ربهم عليهم ثم قال
القرطبي ويترك الجدل والمراءى وبأخذ نفسه بالرفق والادب وينبغى له ان
يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره وان لا يسمع ممن نم عنده
ويصاحب من يعاونه على الخير ويبدله على الصدق ومكارم الاخلاق ويرينه
ولا يشينه اه وينبغى ان يكون خائفا على نفسه من التقصير مشغفا على
نفسه في التبليغ يرى نفسه اتم اليست اه لالذلك ويرى نفسه انه اقل عبيد
الله واكثرهم حاجة اليه وافقرهم الى العلم كما قيل العالم عالم ما كان يرى
نفسه انه جاهل فاذا رأى نفسه انه عالم فقد جهل بل مسترشد متعلم بقوله مع
اخوانه يرشدهم ويستترشد منهم ويعلمهم ويتعلم منهم وقع لي سؤال مع
سيدى ابي محمد رحمه الله العاجل اريد ان اقرأ عليه فقال لي امانتقرأ على
العلماء فقلت اريد ان اقرأ عليك فقال لي كيف تترك العلماء وتأتى تقرأ على
مثلى فقلت اريد ان اقرأ عليك فقال استغفر الله تعالى فاستغفرت الله تعالى
ثم جئت اليه فقلت اقرأ قال عزمتم قلت نعم فقال لي لا يخطر بخطر ولا
يربى بالك انك تقرأ على عالم ولا انك بين يدي شيخ انما نحن اخوان محتممون
تذاكر اشياء من احكام الله تعالى عاينا فلي أى اسان خلق الله الصواب
والحق قبلنا وان كان صديا من المكاتب فاذا قعد الانسان للتعليم على هذا

الترتيب الذي ذكر فلا شك أنه من أعظم الناس منزلة وأكبرهم خيرا
وبركة الأثرى إلى ما جاء في الحديث من صلى الفريضة ثم قعد يعلم الناس
الخبر نودي في السموات عظيماء وبهذا توامات الأخبار ونقلت الأمة خلفا
عن سلف أعنى تعظيم العالم ورفع منزلته على غيره إذا لم يسجد درجة
الأنبياء إلا العلماء ثم بعد درجتهم درجة الشهداء وقد روى في الحديث
لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح عليه مداد العلماء وهذا بين لأن
دم الشهداء في ساعة من نهار وأوساعات ثم انفصل الأمر فيه لأحدى
المحققين ومداد العلماء وظيفة العمر أربلا ونهارا ثم انه محتاج فيه
لباشرة غيره لا بد من ذلك إما أن يعلم أو يتعلم وكلاهما محتاج فيه إلى مجاهدة
عظيمة لأجل خلطة الناس ومباشرة بهم وذلك أمر عسير لأنه محتاج أن كل من
اجتمع به ينفصل وهو طيب النفس منشرح الصدر بذلك مضت السنة
وانقرض السلف عليه وهذا مع مراعاة الأصل الذي هو تخليص الذمة عما
يترتب فيها وعليها من حقوق الإخوان في الحضرة والغيبة والسلامة من
أعراضهم والذب عنهم وسلامة الصدر لهم ومراعاة أحوالهم وانصافهم في
المخاطبة والتوفية لهم في ذلك كله صعب عسير فضلا عن كابدته فهم المسائل
والوقوف على معانيها وغوامض خباياها آتاء الليل وأطراف النهار مع ما ينزل
من النوازل من الأمور التي تقع في زمانه كما قال صاحب الأنوار رحمه الله وقد
خص الله تعالى العلماء بقضيله لا يشاركهم فيها غيرهم لأن الله عز وجل يعبد
بفتواهم ويرفح حلاله وحرامهم غير أنهم مطالبون بشكر النعمة
مدافعون لوجود كل فتنة ومحنة وحادثة وبدعة اه وهذا مقام عظيم اذ به
يسبدا لله تعالى ويطاع ويهين عن معاصيه وتترك فكل من ترك معصية
أو بدعة ففي صحيفته بل وكل من أطاع الله وعبد الله فذلك في صحيفته أيضا
وقد قال عليه الصلاة والسلام إني بن أبي طالب لأن يهدي الله بك رجلا
واحد خير لك من حمر النعم فكيف تكون صحيفته هذا العالم وكيف تكون
منزلته وكيف يكون حاله عند الوفود على ربه عند ظهروا المرآة والمخبات
فلا تعلم نفس ما تخفى لهم من قوة أعين وقد نقل الامام أبو حامد الغزالي
في كتاب الأحياء له عن علي رضي الله عنه قال العلم خير من المال العلم يحرسك

والمال فحرسه والعلم خاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة
والعلم ينكو بالنفقة قال النبي صلى الله عليه وسلم العالم أفضل من الصائم
القائم المجاهد وإذا مات العالم انشأت في الإسلام تلة لا يسدها الا خلافة منه
وقال أبو الاسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء
حكام على الملوك قال ابن عباس رضي الله عنهما خير سامع من داور
عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك
معه وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد
قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه دنياه فلم يجعل غير العلم من الناس
لان الخاصية التي يميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم والانسان انسان بما
هو شريف لا بجله وليس ذلك بقوة القوة فخص فان الجمل أقوى منه ولا يعظم
جمعه فان الغيل أعظم منه ولا يشجعاته فان السبع اشجع منه ولا بابا فان
الجمل أوسع بطناً منه ولا يجمع سامته فان أخص العصافير أقوى منه على
السفاد بل لم يخلق الانسان الا للعلم وقد ذكر رحمه الله في فضل العلم وما جاء
فيه ما هو أكثر من هذا واكبر من اراده فاقف عليه في أوائل كتابه فانه
أطلب في ذلك وامر فيه نعمنا الله به محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لكن بحسب عظم المنزلة عند الله تعالى تكون الموازنة أشد اذ انه يحاسب
على أمور لا يؤخذ بها غيره كما حكى عن بعضهم انه كان جالسا مع بعض
أصحابه في المسجد فدرج له ليستريح ثم قبضها ورجع يستغفر الله تعالى عما
تقدم وهذا موجود عندنا حسا لان الملك عندنا لا يؤخذ بالسائقين يؤخذ
به النائب والوزير كل في مرتبته وكل يخاطب على قدر حاله وعقله وإذا كان
ذلك كذلك فينبغي لهذا العالم أو يجب عليه بحسب حاله أن يحفظ على هذا
المنصب الشريف من أن يدنس بمخالفة أو بدعة يتأولها أو يبيحها أو يسهو عن
سنة أو يغفل عنها أو يترك بدعة مع رؤيتها بسبب الغفلة عنها أو يمر عليه مجلس
من مجالس علماء لا يهتم فيه على السنة ولا يأمر فيه بإجتناب البدعة لانه على
هذا انعقدت مجالس الفقهاء المتهتمين وبهذه الاشياء كانوا يكررون مجالسهم
حين كانت السنن قائمة والبدع خامدة فكيف به اليوم ولا شك ولا ريب ان
هذا الذي ذكرته من اليوم على كل من يتكلم في مسألة واحدة فضلا عن مسائل

أكثر البدع والمنكرات في زماننا هذا وشاعتها وقبحها إذا ما كانت
 كأنها شاعت عند الدين ومن الأمور المفترضة علينا وهذا موجود في أقوالنا
 وتصرفنا وليس لنا طريق لمعرفة الصواب في ذلك إلا من بحالنا
 فبان من هذا أن البيان أن الكلام في هذه الأشياء متعين وهذا كله ما لم يباشر
 البدع بنفسه ولم يرها أو لم يسمع رويته فلا يمكن للعالم تركها لما ورد في قوله
 تعالى حين قرأ القارئ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا
 اهتديتم فقال الصديق رضي الله عنه لا تأخذوا هذه الآية على ظاهرها فإن
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ظهر فيكم المنكر فليمتنعوا
 يوشك أن يعم الله الكل بعذاب وسبأ في هذا زيادة بيان قريب من أن شاء الله
 تعالى وما ورد في الحديث المتقدم في التغيير باليد ثم باللسان ثم بالقلب على
 ما مر وقد قال العلماء رحمه الله عليهم إن التغيير باليد متعين على الأمر
 وباللسان متعين على العلماء وبالقلب متعين على غيرهما وما قالوه هو في
 غالب الحال والافق قد نجد كثيرا منه يتعين تغييره باليد على غير الأمير وغير
 العالم فضلا عنهما وإذا كان الأمر كذلك فيقسم التغيير بالنسبة إلى العالم
 قسمين قسم يتغير باليد وقسم يتغير باللسان والشاهد الذي يتعين عليه
 بالقلب وقد نقل ابن رشد رحمه الله تعالى في البيان والتحصيل ما هو هذا الغرض
 أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بثلاثة شروط أحدها
 أن يكون عارفا بالمعروف والمنكر لأنه إن لم يكن عارفا به - عالم يصح له أمر
 ولا نهى إذ لا يأمن من أن ينهى عن المعروف ويأمر بالمنكر بجهل بهما
 وتغيير كل منهما عن الآخر والثاني أن لا يؤدي إنكاره المنكر إلى منكر
 أكبر منه مثل أن ينهيه عن شرب الخمر فيقول نهيه عن ذلك إلى قتل
 نفس وما أشبه ذلك لأنه إذا لم يأمن بذلك لم يجز له أمر ولا نهى والثالث أن يعلم
 أو يغلب على ظنه أن إنكاره المنكر منزه له وإن أمره مؤثر ونافع لأنه إذا
 لم يعلم ذلك ولا غلب على ظنه لم يجب عليه أمر ولا نهى فالشرطان الأول
 والثاني مشترطان في الجواز والشرط الثالث مشترك في الوجوب فإذا
 عدم الشرط الأول والثاني لم يجز أن يأمر ولا ينهى وإذا عدم الشرط الثالث
 وجد الشرط الأول والثاني جاز له أن يأمر وينهى ولم يجب ذلك عليه بقي

عليه رابع وهو ان يأمن على نفسه القتل فادونه فيجوز ان يأمن بحديث
 أعظم الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر وقول الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل آل آية معناه في الزمان الذي
 لا ينتفع فيه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يترتب من ينكر ما عدم
 القدرة على القيام بالواجب في ذلك الزمان فيسقط الفرض عنه ويرجع أمره
 الى خاصة نفسه ولا يكون عليه سوى الانكسار بقلبه ولا يضره مع ذلك من
 ضل يبين هذا ما روى عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في بني اسرائيل قيل وما
 ذلك يا رسول الله قال اذا ظهر الادمان في عبادكم والفساحشة في شراركم
 وتحول الملك في صغاركم والفسق في اراذلكم وروى عن ابي امية قال سألت
 ابا ثعلبة الخشني فقلت كيف تصنع بهذه الآية قال آية قالت يا أيها الذين
 آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل آل آية فقال لي أبا والله اقد سألت عنها
 خيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف
 وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحاططا وهوى متبعما ودينا مؤثرا
 واجحاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر
 العوام فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فبين قبس على البحر للعامل فيهن
 مثل أجر خمسين رجلا منكم يعملون مثل عملكم وما أشبه زماننا هذا بهذا
 الزمان نعمدنا الله بمقوماته وغفران الله واذا كان ذلك كذلك فيجب على
 العالم في زماننا هذا ان يكون متيقظا من التغيير ما يقع له منها لان ذلك كثير
 عندنا موجوده باشر في بعض بحال السعلمنا فاضلا عن غيرها من الجبال
 وباليتمه لو كان باشره على انه بدعة أو مكر أو اذلو كان ذلك منا كذلك لرجي
 لاحدنا ان يقاع عن ذلك ويتوب ولا شكنا قد اخذنا أكثر ذلك في عملنا مشيرة
 لنا وديننا وتقوى مقتفين في ذلك آثار من غلط أو سها أو غفل من بعض
 المتأخرين واقام على ذلك حجة أو حجة مردودة عليه من نفس حاله واختياره
 وقوله وحجته ونجعل ذلك قدوة لنا فاذا جاء أحد يدعي غير علينا ما ادره كمننا من
 تلك الامور شنعنا عليه الامر وقلنا ان حسنا به الظن وكان له توفيق في قلوبنا هذا
 وربع او مربوط قد افقتي فلان يجوازه وان كان المغير علينا عن لا نعرفه

واعلام كلمته فالقرن الاول خصهم الله عز وجل بخصوصية لا سبيل لاحد
ان يلحق غير واحد منهم فضلا عن عمله لان الله عز وجل قد خصهم برؤية نبيه
عليه الصلاة والسلام ومشاهدته وتزول القرآن عليه غضا طريبا لثاقوته من
في النبي صلى الله عليه وسلم حين يتلقاه من جبريل عليه السلام وخصهم
بالقائه بين يدي نبيه ونصرتهم وحجابه واذلال الكافر وانجاسه ورفع منابر
الاسلام واعلانه وحفظهم آي القرآن الذي كان ينزل نجوا من نجو ما فاهاهم
الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد لجمعه ووهو يسروه ان يمدحهم وفقهوا
ابادوا لاقاليم للمسلمين وهدوا لهم وحفظوا احاديث نبيهم عليه الصلاة
والسلام في صدورهم واتبعوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو
والغفلة وقد كان مالك رحمه الله اذا شك في الحديث تركه اليته فلا يحدث به
وهو ليس من قرنهم بل من القرن الثاني فبالكثير منهم خبر الخيارات وصفهم
في الحفظ والضبط لا يمان الا حاطة به ولا يصل اليه احد فزاهم الله عن امة
نبيه خير القدا خالصوا لله ته الى الدعوة وذبحوا عن دينه بالحقبة قال ابن مسعود
رضي الله عنه من كان منكم متاسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعية واعلماء واقاها اتكافا واقومها هاديا
واحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه
فاعرفوا لهم فضاهم واتبعوهم في آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم اه فلما
ان مضوا اسديلاهم طاهرين عقيمهم التابعون لهم رضي الله عنهم فجمعوا ما كان
من الاحاديث متفرقا وبقي احدثهم يرحل في طلب الحديث الواحد وفي
المسئلة الواحدة الشهر والشهرين وضبطوا امر الشريعة اتم ضبط وتلقوا
الاحكام والتفسير من في الصحابة رضوان الله عليهم مثل علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما ما كان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يقول سلوني بادم بين اظهركم فاني اعرف بازقة السماء كما انا اعرف
بازقة الارض وقال عليه الصلاة والسلام في ابن عباس ترجمان القرآن فمن
لقي مثل هؤلاء كيف يكون علمه وكيف يكون حاله عام فخص للقرن الثاني
تصيب وافرا في قامة من يروون عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وتلك كانوا اخر من الذين بعدهم

عقبهم التابعون لهم وهـم تابعوا التابعين رضي الله عنهم فيهم حدث الفقهاء
 المقلدون المرجوع اليهم في النوازل الكاشفون للكره فوجدوا القرآن
 والحمد لله مجوعا يسرا ووجدا والا حادith قد ضبطت وأحرزت فجمعوا
 ما كان متفرقا رتفقهوا في القرآن والا حادith على مقتضى قواعد الشريعة
 واستخرجوا فوائد القرآن والا حادith واستنبطوا منها فوائد واحكاما
 وبينوا على مقتضى المنقول والمعقول ودقوا الدواوين ويسروا على الناس
 وبينوا المشكلات باستخراج الفروع من الاصول وردوا الفرع الى أصله
 وبينوا الاصل من فرعه فانظم المحال واستقر من الدين لامة محمد صلى الله
 عليه وسلم بسببهم الخير اجمع فحصلت لهم في اقامة هذا الدين خصوصية ايضا
 بلعاشهم من رأى من رأى صاحب العروة صلات الله عليه وسلامه ومع ذلك
 لم يبقوا لمن بعدهم شيئا يحتاج ان يقوم به بل كل من أتى بعدهم انما هو مقلد لهم
 في الغالب وتابع لهم فان ظهر لهم فقه غير فقههم أو فائدة غير فائدتهم فردود
 كل ذلك عليه أعني بذلك ان يزيد في حكم من الاحكام التي تقررت أو ينقص
 منها فذلك مردود بالاجماع وأما ما استخرجوه من بعدهم من الفوائد غير
 المتعلقة بالاحكام فقبول لقوله عليه الصلاة والسلام في القرآن لا تنقض
 بحاشية ولا يخفى على كثرة الرد فثبت القرآن والحديث لا تنقض الى يوم
 القيامة كل قرن لا بدله ان يأخذ منه فوائد جنة خصه الله بها وضعها اليه
 لتكون مركة هذه الامة مستمرة الى قيام الساعة قال عليه الصلاة والسلام
 أمتي مثل المطر لا يدري ايه انفع اوله أو آخره او كما قال عليه الصلاة والسلام
 يعني في البركة والخير والدعوة الى الله تعالى وتبيين الاحكام لانهم يحدثون
 حكما من الاحكام اللهم الا ما يشهد وفوقه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم
 لا بالافعل ولا بالقول ولا بالبيان فيجب اذالك ان ينظر المحكم فيه على مقتضى
 قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم المبينة الصريحة فاذا كان ذلك على مقتضى
 اصولهم قبلناه فلان مضوا السبيلهم طاهرين ثم اتى من جاء بعدهم فلم يجد في
 هذا الدين وظيفة يقوم بها او يختص بها بل وجد الامر على اكل الحمال فلم
 يبق له الا ان يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه وافادوه فاختصت
 اقامة هذا الدين بالقرون المذكورة في الحديث ايسر الافلاجل ذلك كانوا

قوله الرذاي التكرار

هـ

خير من أتى بعدهم ولا يحصل من يأتي بعده هذه القرون المشهود لهم بالخير
 خير إلا بالاتباع من شهد له صاحب العصمة صلوات الله عليه و آله بالخير
 فبقى كل من أتى بعدهم في ميراثهم ومن بعض حسنة أنهم في ميراثهم عليه
 الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فادعوا
 ذلك وعلم فكل من أتى بعدهم يقول في بدعة أثبت مستحبة ثم يأتي ذلك
 بدائل خارج عن أصولهم فذلك مردود عليه غير مقبول بل يحتاج أن يعرف
 أحوالهم في البدع أولا كيف كانت وكيف كانوا يراعون هذا الأصل
 ويستحفظون عليه فمن ذلك ما جرى بينهم في أصل الدين وعمدته وهو القرآن
 وكيف جمعوه وما قالوا بسبب ذلك واشفاقهم من الاختلاف فيه مع الحاجة
 الداعية إلى جمعه إذ أنه لو لا جمعه لذهب هذا الدين فانظر مع جمعه وضبطه
 كيف وقع الاختلاف الكثير في التأويل ولولم يكن ذلك لوقع الاختلاف في
 أصل التلاوة فيكون ذلك كفرا والعياذ بالله ولكن الله سلم روى البخاري
 عن زيد بن ثابت قال أرسل إلى أبي بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعنده عمر وعبد الله
 أبو بكران عمر أتاني فقال إن القتل قد استخرج يوم اليمامة بالناس وإني أخشى
 أن يستخرج القتل بالقرآن في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجتمعوا
 وإني أرى أن يجمع القرآن قال أبو بكر فقلت أجمع كيف أقول شيئا لم يفعله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح
 الله تعالى ذلك صدرى فرأيت الذي رآه عمر قال زيد وغيره وعمر جالس
 لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كان في رجل
 من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعل شيئا
 لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أمر به فقال أبو بكر هو والله خير فلم
 أزل أراجع حتى شرح الله صدرى للأمر الذي شرح له صدر أبي بكر وعرفتم
 فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكفاف والعصب وصدور الرجال حتى
 وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصاري لم أجد همام وغيره لقد
 جاءكم رسول إلى آخر السورة أه فانظر مع هذا النفع العظيم الذي وقع بجمعه
 اشفقوا أن يفشلوه وخافوا أن يكون ذلك حدثا يحد ثوبه بعد نبيهم عليه الصلاة

قوله يستخرجون
 يستبد ويستقل
 ومعه اه

والاسلام فما بالك ببدعة لا يترتب عليها نفع او يترتب عليها حفظ النفوس
او الركون الى العوائد معاذ الله ان يضع احدهم لهم فضلا عن الكلام
فيها بنفي او اثبات ومن ذلك ايضا الاختلاف في شـ كل المصحف ونقطة
وتعشيرهم من انكره وان كان يتعلق به هذه المصلحة العظمى التي قد
ظهرت في الامة قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ذكر ابو عمرو الداني
في كتاب البيان له عن عبد الله بن مسعود انه كره التعشير في المصحف وانه كان
يحكمه وعن مجاهد انه كره التعشير والطيب في المصحف وقال اشهب
سمعت مالكا حين سئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحجرة وفيها من
الالوان فككره ذلك وقال تعشير المصحف بالحبر لا بأس به وسئل عن
المصاحف تكتب فيها اخوات السور في كل سورة ما فيها من آية قال اني اكره
ذلك في امهات المصاحف ان يكتب فيها شيء او تشـ كل فاما ما يتعلم به الغلمان
من المصاحف فلا اري في ذلك بأسا وقال قتادة بدءوا فنقطوا ثم نسخوا ثم
عشروا وقال يحيى بن ابي كثير كان القرآن محكما مجردا في المصاحف فأقول
ما حدثوا فيه النقطة على الباء والياء والفاء وقالوا لا بأس به ونور له ثم احدثوا
بقطاع عند منتهى الآية ثم احدثوا الفواخج والمخواتم ومن ابي حمزة قال راي
ابراهيم الخفي في مصحف فاتحة سورة كذا فقال الحمد فان عبد الله بن مسعود
قال لا تخاطوا في كتاب الله تعالى ما ليس منه اه فانتظروا ترتيب على نقطة
وشكاه وغير ذلك من المصلحة العظمى للصغار ومن لا يقرأ من البكار كيف
كرهوا ذلك مع هذه الفائدة العظمى على هذا كان منها جهل في تحريرهم
للبدع الا ترى الى عبد الله بن عمر لما ان دخل الخلاه ورأى ذبا ياقذوق على
فضلة كانت هناك ثم طار ووقع على ثوبه فمز على انه يغسل موضع الذباب
اذا خرج فلما ان اراد غسله اشفق من ذلك وقال والله ما اكون بأول من
احدث بدعة في الاسلام اه فانتظر كيف كانت البدع عندهم وكيف كان
تحريرهم لما قال الامام ابو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى وروى عن زياد
الغبري انه جاء مع القراء الى انس بن مالك فقبل له افرأف رفع صوته وطرب
وكان رفيع الصوت فكشف انس عن وجهه وكان على وجهه خرقعة سوداء
فقال له يا هذا ما هذا كانوا يفعلون وكان اذا رأى شيئا يكره كشف الخرقعة

من وجهه وروى عن قيس بن عباد أنه قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن ومن روى عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعي وغيرهم وكرهه مالك بن أنس وأحمد بن حنبل كلهم كرهوا رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه اهـ ألا ترى الى ما ورد عنهم في أورادهم بعد الصبح والعصر فانهم كانوا في مساجدهم في هذين الوقتين كأنهم منتظرون صلاة الجمعة ويسمع لهم في المساجد دوى كدوى النحل كل هذا اتفاق منهم ان يرفع أحد صوته فيكون ذلك حدثا لا يوافق المساجد التي هي موضع التماس وقد نرى صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يرفعون أصواتهم بالقرآن فذكر ذلك وقال لا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن ومن ذلك ما خرج صاحب المحلية رحمه الله وغيره عن أبي الجعفي قال أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا لله كذا وكذا وسبحوا لله كذا وكذا وأوحوا لله كذا وكذا قال عبد الله فيقولون ذلك قال نعم قال فاذا رأيتهم فقلوا ذلك فأتني فأخبرني بعلمهم قال فأتيتهم فأخبرته بمجلسهم فأتاهم وعليه برنس له خفاس فلما سمع ما يقولون قام وكان رجلا حديثا فقال أنا عبد الله بن مسعود والله الذي لا اله غيره لقد جئتم بي بدعة ظلموا أوليكم فقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على الله عليه وسلم علما فقال أحدهم معذرا والله ما جئنا بدعة ظلموا ولا فتننا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما فقال عمرو بن عتبة يا أبا عبد الرحمن تستغفر الله قال ما ليكم بالطريق فالزموه فوالله لئن فعلتم لقد سبقتهم سبعا بغير دواوين أخذتم عينا وشعالا لتضلون ضلالا بعيدا وقد نقل الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب الحجام في ذم العوام له اتفقت الأمة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتعتيب من يعرف بالبدعة فهذه أهمها على الضرورة بالشرع وهو غير واقع في محل الظن وذم رسول الله صلى الله عليه وسلم البدعة وعلم به واترجموع أخباره تفيد العلم القطعي بجائزها فمن ذلك ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بأنواجد وأياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وكل ضلالة في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتبعوا ولا تبتدعوا فافغسا هلاك
من كان قبلكم بما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا يا آرائهم
فضلوا وأضلوا وقال صلى الله عليه وسلم إذا مات صاحب بدعة فقد فتح على
الاسلام فتح وقال صلى الله عليه وسلم من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد
أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم من أعرض عن صاحب
بدعة بغضاله في الله ملائكة الله قلبه أما وإيماناً ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله
له مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره
فقد استخف بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم إن
الله لا يقبل لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا زكاة ولا حجاب ولا هرة ولا جهاذا
ولا صرفاً ولا عدلاً ويخرج من الاسلام كما يخرج السهم من الرمية أو كما يخرج
الشعر من الجبين اهـ ما نقله بافظه والاحاديث في هذا المعنى كثيرة
وأقوال الساف وأحوالهم متعددة لا يمكن حصرها ولا عدّها والكتاب
يضيق من الاكثار منها وفيها ذكرناه كفاية فانظر رحمنا الله وإياك كيف
كنت أحوالهم في هذه الاشياء التي هي عندنا مما تقترب بها إلى ربنا وكيف
كان اسراعهم إلى تغييرها وانزعاجهم عند سماعها وشدهم في أمرها فانظر
بتفرك في هذا الامر الجيب ما بين حالنا وحالهم إذا ما تقترب به اليوم كان
يحصل لهم منه من الانزعاج ما تقدم ذكره فأياك بغيره ولاجل هذا المعنى
اقتصرنا في التمثيل من أحوالهم على ما هو متعلق بأصل الدين وعبدته الذي
من يفعله اليوم عندنا والرجل الاعظم الذي يغتنم خيره وبركته فإياك
بفعل غيره وعبادته وتصرفه وإذا كان ذلك كذلك فأصل الدين وعبدته
وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالمجوع وغيره وانما هو
بالنظر إلى احراز هذا الأصل العظيم من العاهات والآفات التي تأتي عليه من
البدع والمنكرات وغيرها والقيام بوظيفة ما لا انسان مخاطب به في تغيير شيء
من ذلك إذا ظهر في هذا الأصل الشريف فيبدأ أولاً بالتغيير على نفسه ثم بعد
ذلك على غيره كل على حسب حاله وينظر إلى ما حدث في زمان من شهد فيهم
بالخير فيقبل عليه ويتدين به وما حدث بعد هذه القرون فالترك لذلك أولى
ما يقترب به إلى الله تعالى وهو أفضل من الصيام والقيام ومواصلة الليالي

والايام والتدين الى الله تعالى به بعض ذلك والاخذ على يد فاعله ان كان
 لا انسان شوكة على ذلك فهو افضل العلوم وافضل العبادات قال تعالى
 في محكم التنزيل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى
 وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والعالم له الشوكة
 بالضرورة القطعية وهي العلم الذي عنده كما قيل من درس والناس نيام
 تكلم والناس قيام وما عليه هو ان يغير ما امر بتغييره وانما عليه ان يتكلم
 في ذلك بالقول فيذكر المحكم فيه فان سمع منه ورجع اليه حصل المراد وان
 ترك قوله كان قد اقام عند الله عذره وقام بما وجب عليه وبسبب ايضا من
 الآفة العظيمة التي عليه في عدم الكلام فانه قد ورد ان يوم القيامة
 يلقى الرجل بالرجل لا يعرفه فيقول له مالك ما رأيتك قط فيقول بلى رأيتني
 يوما على مذكر فلم تغبره على او كما قال وهذا امر خطر قل ان تقع السلامة منه
 وبالكلام ينجم من هذا الخطر والكلام ليس فيه مشقة ولا تعب واكثر
 المناكر والبدع في زماننا هذا ليس على العالم مشقة ولا خوف في الكلام
 فيها ولا في المحض على تركها وانما يتركها مع رؤيتها لا يحش عليها في
 مجاسه في الغالب لا يستدناس النفوس بالعوائد الرديئة وذلك هو الذي اهلك
 من مضى من الامم حكى الله سبحانه عنهم ذلك في كتابه فقال تعالى بل قالوا انا
 وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من
 قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على
 آثارهم مقتدون وقد ورد ان موسى عليه السلام مر على قرية وقد اهلكها
 الله فقال يا رب كيف اهلكتهم وكنت اعرف فيها رجلا صالحا فاجاب الله
 به الى اليه يا موسى انه لم يغير لي من ذكرا فافاده هذا الخبر انه لو غير عليهم اى
 منهم من فعل المنكر ما اهلك ولا اهلكوا والحكمة في ذلك هي انه ما مور
 بالتغيير عليهم كما انهم ما موررون بترك ما احدثوا من المخالفات فلما ان وقعوا
 في المخالفات وسكت هو كان ذلك وقوعا منه لانه ارتكب ما نهى عنه من
 السكوت عند رؤيته المخالفات فاستوى معهم في ارتكاب المنهيات فلم يكن
 في القرية اذذاك من يدفع البلاء عنهم اذ نزل بهم لان العذاب انما يرفع
 الامتثال فلم يكن ثم اذالك مماثل فحصل ما حصل وما هو اليوم لاشك فيه ولا

منه اذا سمعوا بحسه فضلا عن رؤيته بل من الناس من لا يستطيع رؤيته
 فصار آه الا ويهلك وهو مطبوع على الضرر والكل الى الا ترى الى حاله اذ قد
 يكون شيعا نار باناروم مع ذلك اذا رأى آدمي سا أو ماشية لم يتمالك نفسه الا ان
 ينق من عليه بعث به ويقتله ثم يمضي ويتركه على ذلك الحال لا حاجة لديه
 لشيعه فانظر الى هؤلاء الظلمة وما وسع الله عليهم في دنياهم حتى لم يبق لهم
 امنية الا وهي حاصلة فضلا عن الضرر ورات تم فضلت الاموال عندهم ليس
 لهم بها حاجة يدبرون على بعضها بالدفن وعلى بعضها بالمحرمات وفي البنيان
 والاسراف ثم مع ما مد لهم من كثرة الاموال لا يقدر احد منهم في الغالب ان
 يتركه للاضعاف المسكينين درهم ما يكتسب به لنفسه وعائلته بل يضربون الناس
 الفقراء على الشئ اليسير لضرب المؤمن ويسوون على ذلك بالحبس والعرامة
 وغير ذلك مما عندهم من أنواع العذاب والرعب للمساكين وكثير من الضعفاء
 والمساكين لا يستطيعون رؤيتهم لشدة سخطهم فأى فرق بينهم وبين السبع
 الا في الصورة الظاهرة والمعاني جامعة بينهما (الأتري) الى الكلاب وحالتها
 واذا تم تسليطها على رعب الناس مرة برؤيتها مرة بصوتها ومرة
 بتقطيعها الثياب واذا تم في البدن وقد يشول أمرها ان كل من قامت عليه
 من الآدميين سواء كان صديقا صغيرا أو كبيرا ضعيفا الى الاعدام البتة وقد
 يكون فيها من هو كلب في لك من قرب منه مرة واحدة وقد وقع هذا كثيرا
 وهو كثير متعارف فانظر الى هؤلاء المحرس المجترئة المجسدة في اربابهم
 المسلمين وتسلطهم عليهم بالاذية العظيمة في الدين والبدن والمال والروح
 والرعب المحاصل عند رؤيتهم للصبيان الصغار والكبار الضعفاء المساكين
 فأى فرق بينهم وبين الكلاب الا في الصورة الظاهرة والمعاني جامعة بينهما
 (الأتري) الى العقرب وحالتها واذا تم كثرة تمديد ما وسعها وانها ليس لها
 صدق فانظر الى بعضهم تجده كذلك ضيق الصدر ومعه ود الوجه لا يستطيع
 رؤيته لتمدد وجهه وضيق صدره فان قربته وانت لا تحفظ على نفسك منه
 حصل لك منه الاذية العظمى امانى مالك أو بدنك أو عرضك وذلك سمه فأى
 فرق بينهما الا في الصورة الظاهرة والمعاني جامعة بينهما ام بالمعنى وهذا
 كثير لا يمكن حصره ولا عدده وانما ذكر هذا رجه الله تعالى ان له اب فينظر

الى كيفية الخسف الواقع لكل انسان بحسب حاله وحال دينه فان الله وانا اليه
 راجعون على خسف القلوب وعدم الاستحياء من ارتكاب الذنوب كل هذا
 سببه المواطاة من البعض على ارتكاب المخالفات ومن البعض على السكوت
 عند رؤية ذلك أو سماعه وقد تقدم ان تغيير ذلك متعين على العلماء باليد
 مرة وباللسان مرة والتأثير ومثل ذلك بالقلب والتأثير والبعض الذي يجرده
 في قلبه لذلك الفعل وقد تقدم أيضا ان من الآداب في ذلك والسكال ان
 يغير على نفسه أولا قبل غيره باليد أو باللسان فاذا استقامت النفس على
 ما ينبغي من الامثال حيث تدير جمع الى غيره يغير عليه باليد أو باللسان بحسب
 ما يجب عليه في وقتها واذا كان ذلك كذلك فاول شيء يحتاج ان ينظر فيه
 اول دخوله اوضع التدريس ثم بعد ذلك يرجع الى ما بعده قليلا قليلا فلا يتخلو
 موضع التدريس من ثلاثة احوال اما ان يكون بيتا أو مدرسة أو مسجدا
 وأفضل مواضع التدريس المسجد لان الجلوس للتدريس انما فائده ان
 تظهر به سنة أو تحمد به بدعة أو يتعلم به حكم من احكام الله تعالى علينا
 والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوفر لانه موضع مجتمع للناس رفيعهم
 ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فانه محجور على الناس الا من ابيع
 له وذلك لاناس مخصوصين وان كان العالم قد اباح بيته لكل من اتي امكن
 جرت العادة ان البيوت تحترم وتهيأ وليس كل الناس يحصل له الادلال على
 ذلك فكان المسجد اولى لانه اعم في توصيل الاحكام وتبليغها للامة وكذلك
 ايضا بالنظر الى هذا المعنى ~~يكون~~ المسجد افضل من المدرسة لوجهين
 أحدهما ان السلف رضوان الله عليهم لم تكن لهم مدارس وانما كانوا
 يدرسون في المساجد وان كان ذلك في المدرسة فيه المنفعة والخير والبركة
 لكن لما ان لم يقع ذلك للسلف رضى الله عنهم كان اخذه في المساجد فيه
 صورة الاقتداء بهم في الظاهر وان كان غيره يجوز وكفى لنا اسوة بهم الوجه
 الثاني ان المدرسة لا يدخلها في الغالب الا احاد الناس بالنسبة الى المسجد
 لانه ليس كل الناس يقصد المدرسة وانما يقصد اعمهم المساجد وليس كل
 الناس ايضا له رغبة في طلب العلم واذا كان التدريس ايضا في المدرسة امتنع
 توصيل العلم على من لا رغبة له فيه والمقصود بالتدريس كما تقدم انما هو

التيبين للإمامة وإرشاد الضال وتعاليمه ودلالة الخيرات وذلك موجود في
 المسجد أكثر من المدرسة ضرورة وإذا كان المسجد أفضل فينبغي أن يبادر
 إلى الأفضل ويترك ما عداه الله به إلا ضرورة والضرورات لها أحكام أخرى
 وإذا قعد في المسجد أيضا فيستحب له أن يكون بارزا للناس بوضع يده على
 الضعيف والمساكين والعمى الجاهل لكي يسعدوا بحكام ربهم عليهم ومن
 كانت له مسألة يجدها ولم يسأل عنها سمعها واستفادها حين الإلقاء المسائل
 والإيراد عليها والجواب عنها وقد يكون ذلك تنشيطا له لطلب العلم والبحث
 عنه والعمل على تحصيله فيرجع إلى الله تعالى ويتوب من جهله وقد يكون
 ثم آخر يسأل عما وقع له من غير قصد كان له في ذلك لأنه صادف المحل قابلا
 للسؤال فسأل قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
 الاثم والعدوان وآخر تحصل له بركة العلم وحضور المجلس وآخر تحصل له
 بركة مشاهدة ذلك المجلس لأن هذا المجلس الذي جالسه هذا العالم هو المجلس
 المشهور وخبره المعروف بركته المستفيض بين العلماء بره واحترامه الشائع
 الذائع الذي وردت به الأحاديث الصحيحة المبررة فيها ما رواه أبو سعيد
 الخدرى وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حقت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة
 ونزلات عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال الترمذي حديث حسن
 صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه
 بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله
 فيمن عنده أخرجه مسلم وأبو داود وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما جعلكم قالوا جالسنا
 نذكر الله تعالى ونحمده لا اله الا الله لا اله الا الله فقال أنا في جبريل
 عليه السلام فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة رواه
 الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح اه قال علماؤنا رحمة
 الله عليهم المذكور والمجالس المذكورة في هذه الأحاديث مجالس العلم وهي
 مجالس الحلال والمحرام هل يجوز أو لا يجوز كيف يتوضأ وما يجب فيه وما

الى كيفية الخسف الواقع لكل انسان بحسب حاله وحال دينه فان الله وانا اليه
 راجعون على خسف القلوب وعدم الاستحياء من ارتكاب الذنوب كل هذا
 سببه المواطاة من البعض على ارتكاب المخالفات ومن البعض على السكوت
 عند رؤية ذلك أو سماعه وقد تقدم ان تغيير ذلك متعين على العلماء باليد
 مرة وباللسان مرة والشاذل ومن ذلك بالقلب وه والتأثير والبعض الذي يجده
 في قلبه لذلك الفعل وقد تقدم ايضا ان من الآداب في ذلك والسكوت ان
 يغير على نفسه أولا قبل غيره باليد أو باللسان فاذا استقامت النفس على
 ما ينبغي من الامتناع حينئذ يرجع الى غيره يغير عليه باليد أو باللسان بحسب
 ما يجب عليه في وقته واذا كان ذلك كذلك فاول شيء يحتاج ان ينظر فيه
 اول دخوله اوضع التدريس ثم بعد ذلك يرجع الى ما بعده قليلا قليلا فلا يخلو
 موضع التدريس من ثلاثة احوال اما ان يكون بيتا او مدرسة او مسجدا
 وأفضل مواضع التدريس المسجد لان الجلوس للتدريس انما فائدته ان
 تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من احكام الله تعالى علينا
 والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوفرا لانه موضع مجتمع للناس رفيعهم
 ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فانه محجور على الناس الا من ابيع
 له وذلك لاناس محصورين وان كان العالم قد اباح بيته لكل من اتى لكن
 جرت العادة ان البيوت تحترم ونهاب وليس كل الناس يحصل له الادلال على
 ذلك فمكان المسجد اولى لانداعهم في توصيل الاحكام وتبليغها للامة وكذلك
 ايضا بالنظر الى هذا المعنى ~~بكون~~ كون المسجد افضل من المدرسة لوجهين
 أحدهما ان السلف رضوان الله عليهم لم تكن لهم مدارس وانما كانوا
 يدرسون في المساجد وان كان ذلك في المدرسة فيه المنفعة والخير والبركة
 لكن لما ان لم يقع ذلك للسلف رضي الله عنهم كان اخذهم في المساجد فيه
 صورة الاقتداء بهم في الظاهر وان كان غيره يجوز وكفى لنا اسوة بهم الوجه
 الثاني ان المدرسة لا يدخلها في الغالب الا احاد الناس بالنسبة الى المسجد
 لانه ليس كل الناس يقصد المدرسة وانما يقصد اعمهم المساجد وليس كل
 الناس ايضا له رغبة في طلب العلم واذا كان التدريس ايضا في المدرسة امتنع
 توصيل العلم على من لا رغبة له فيه والمقصود بالتدريس كما تقدم انما هو

يسن ويستحب ويكره ويمتنع وكيف يصلي وما يجب فيها ويسن ويستحب
ويكره ويمتنع وكيف ينكح وما يجب في ذلك ويسن ويستحب ويكره ويمتنع
وكيف يبيع وكيف يشتري وما يجب في ذلك ويسن ويستحب ويكره ويمتنع
إلى غير ذلك حتى الحركات والسكنات والنطق والصمت فيجب أن تعرف
الاحكام عليك في ذلك كله ولهذا هي الإشارة إلى التمهيد من الصحابي وهو
أبو هريرة رضي الله عنه حين خرج إلى الناس بسوق المدينة فنسأله فيهم
يا أبا هريرة قال هذا ميراث نبيكم صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد بين أمته وأنتم
مشتغلون في الأسواق فتركوا السوق واتوا إلى المسجد فوجدوا الناس
حلقا حلقا لتعلم القرآن والحديث والحلال والمحرام فقالوا وأين ما ذكرت
يا أبا هريرة قال هذا ميراث نبيكم صلى الله عليه وسلم وإن الأنبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما ولا غلاما ولا ثورا ولا بعرا ولا دابة ولا ناقة ولا
رضي الله عنه المراد وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال عليه
الصلاة والسلام في حقه إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وقالت
الصحابة في حقه ما كنا نرى إلا أن ملكا على لسانه ينطق وإن ملكا معه يسدده
يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداً يحببه فمن طالب باباً من العلم رداً
الله عز وجل برده فإن أذنب استعتبه ثلاث مرات أثلاً يسلبه رداً ذلك
وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت فعلى هذا الكلام ذكر الله عند أمره
ونهيته أفضل من ذكره باللسان اهـ ولأنه ليس المقصود والمراد بالذكر
باللسان خاصة بل المقصود معرفة الأيمان واحكامه وفروعه وأشياء على ثلاث
الاحكام ويتعين عليه من ذلك ما يخصه في نفسه من الاحكام التي هو محتاج
إليها يتصرف فيها ويهاومها وما عدا ذلك يكون من باب فرض الكفاية إن قام
به فقد حصل له الأجر الكثير والثواب الجزيل وإن عجز عنه فقد أدى ما
تعين عليه فإذا حصل ذلك حينئذ يكون الذكر باللسان فرعاً عن هذا
الأصل الذي حصل وهذا بين والله أعلم لأنه عليه الصلاة والسلام طيب
الدين وقد عهدنا في مرض البدن أن الطبيب لا يعطى الدواء إلا بعد الحجة
فإذا أحق العليل حينئذ يعطيه الطبيب الدواء وكثير من المرضى من ينتفع
بالحمية ويستغنى بها عن أخذ الدواء فإن لم يحتم العليل فقل أن يعطيه

الطبيب الدواء وان أعطاه قل ان ينتفع به بل يعود عليه بالضرر فكذلك
 فيما نحن بسبيله سواء بسواء المحمية أو لا وهي بحسب السال فيعرف منها
 الانسان ما يحل ويحرم ويحب ويكره وما هو الاولي والاوجب
 فيعمل على مقتضى ما يحصل عنده من ذلك فاذا كان ذلك كذلك حصل
 له الذكر بالاسان في الامثال ومع ذلك فلا بد من الاستشهاد على المسائل بما
 يأتي من كتاب الله تعالى وباحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبفعل
 الصحابة رضوان الله عليهم فتحصل له تلاوة الكتاب العزيز والصلاة والسلام
 على النبي صلى الله عليه وسلم والترضى عن اصحابه ومعرفة فضاهم ومحبتهم
 والافتداء بهم وهذا أعظم ما يكون من الذكر بالاسان تلاوة كتاب الله العزيز
 والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحصل لقلبه الذكر ايضا وهو
 الفكرة في تلك الاحكام وتفهمها ويحصل لأعضائه ايضا كسبها وهو ما
 امتثلت من الامر والهي وما استفادت من ذلك كله ثم يتعدى هذا الذكر
 لولده وأقاربه وأمه له حملة له ثم على تلك الاحكام ومعرفة قول الله عليه
 الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فيذكرون الله عز
 وجل في الاحكام التي يجب عليهم لاجل ذكره وهو ثم يتعدى ذلك لعارفه
 واخوانه وسائر المسلمين كل على قدر حاله امامته لهم بذلك وتصرفه معهم به
 والافتداء به من خالطه أو اقتبس منه أو رآه أو رأى من رآه ثم يتعدى ذلك
 لاثني جنهم وانسهم ومؤمنهم وكافرهم ثم يتعدى ذلك لسائر الخلق لوقات لتعلم
 حكم الله في الجميع وتعليم ذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام اذا قاتم
 فأحسنوا القتلة ولهذا المعنى الذي ينتفع به الخلق كلهم كان العالم اذامات
 بكى عليه كل الخلق حتى الطير في الهواء والسمك في الماء لا تنفعا عنهم في تبين
 الاحكام عليهم فيرتفع عنهم العذاب لاجل علمه لان التصرف فيهم بما جهل
 عذاب لهم نهي عليه الصلاة والسلام أن تصبر بهيمة أو غيرة لاقتل ونهي
 أن يحرق بالنار أحد وان الله تعالى ليسأل العود لم تحش العود الى غير ذلك
 وهو كثير ولهذا قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون قال
 علماء نارحة الله عليهم اهل الذكر في الآية هم العلماء فهم يسئلون عن النوازل
 ويفتواهم يعبد الله ويطاع ويعتقل أمره ويجتنب نهيه فعلى هذا فاهل الذكر

هم العلماء انص الله تعالى على ذلك في كتابه ولهذا الخبر المتعدي المذكور وقد
ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لمجالس عالم عند الله افضل من عبادة
الف سنة لا يهوى الله فيها طرفه عين وقال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء ولا خلاف بين الائمة في ان الخشية لله تعالى افضل من الذكر باللسان
لان الخشية لله تعالى هي المقصود والمطلوب ولا يراد بالذكر الا لاجلها وهي
لا تحصل الا للعلماء لانه عز وجل قال انما يخشى الله واثما للحصر على ما قاله
التحويون وقال تعالى وما يعقلها الا العلماءون واين هذا الخبر كله وهذا
الفضل كله من الذكر باللسان ولا خلاف بين الائمة في ان الخبر المتعدي
افضل من الخبر القاصر على المرة نفسه فبان ان هذا افضل الذكر والقاعدة
في الفاظ صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه ان تحمل على ما هو اعم
واولى وافضل بل الاقتصار على الذكر باللسان دون علم مكره الساكن ان
الله عز وجل اوحى الى نبي من انبيائه اظنه داود عليه السلام يا داود قل
لظالمين لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرتهم فانهم
ذكروني ذكرتهم بالغضب وقد قالت طائفة رضى الله عنها كم من قارئ
يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقرأ الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه
ولا يتوهم ان الظلم انما هو في مديده لاموال المسلمين بل الظلم اعم فقد يكون
يظلم نفسه في ارتكابه للخطايات او ترك شي من المأمورات فاذا كان ذلك
كذلك فيكون يتلو القرآن والقرآن يلعنه ولان المقصود من القرآن انما
هو ما يؤخذ من احكامه ومعانيه وذلك في مجالس العلماء وتلاوته باللسان
فرع عن هذا الاصل المقصود ولا ينبغي ان يحمل قول الطبيب الاعظم
وصاحب النور الاكل الاعلى الاصل والمقصود والذي يجمع الخبرات كلها
(وقد ذكر) بعض المتأخرين رحمه الله تعالى وعفا عنه هذه الاحاديث المتقدم
ذكرها وساقها في فصل استحياب قراءة الجماعة مجتمعين وفضل القارئ
والسامعين ويبان فضيلة من حضهم وجمعهم عليهم السلام وندبهم اليهم قال اعلم
ان قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة لهم بالدلائل الظاهرة وافعال السلف
والخلف المتظافرة اه وليس في شيء من تلك الاحاديث المذكورة شيء من
افعال السلف والخلف وقد ذكر ابن بطال رحمه الله في شرح البخاري عن

العلماء انهم قالوا الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج فيها الى معرفة تالقي الصحابة لها كيف تلقوها من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فانهم اعرف بالمقال وافقه بالحال اه (وما ذكره) من الاحاديث ليس في شيء منها ما ينص على انهم اجتمعوا على ما ترجم عليه (أما) قوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله فلم يذكروا فيه انهم اجتمعوا على ذلك يترا اثن يديهم صوتا واحدا بل ذلك عام هل كان على صوت واحد أم لا وقد دل الدليل على انهم لم يكونوا يفعلون ذلك بل دل الدليل على عدم ارتكابهم ذلك ونهيم عنه (وقد ذكر) رحمه الله تعالى من ذلك في الفصل نفسه فقال وعن حسان بن عطية والاوزاعي انهما قالوا اول من أحدث الدراسة في مسجد دمشق هشام بن اسماعيل في قدومه على عبد الملك وروى ابن أبي داود عن الضحاك بن عبد الرحمن انه أنكر هذه الدراسة وقال ما رأيت ولا سمعت ولا أدركت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها وعن ابن وهب قال قلت لمالك رضي الله عنه أرايت القوم يجتمعون فيقرءون جميعا سورة واحدة حتى ينفذوها فأنكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا كان يصنع الناس انما كان يقرأ الرجل على الآخر يرضه فقد نقل رحمه الله ما كان عليه السلف وبينة وقد قال في الترجمة التي ترجمها ما قال من ان ذلك فعل السلف والخلف ثم نقل فعلهم على الضد مما ترجم عليه سواء بسواء وقد تقدم ذكرهم وكيف كان بعد صلاة الصبح والعصر وانهم كانوا يجتمعون في المسجد يسمع لهم فيه دوى كدوى الفحل كل انسان يذكر انفسه على ما نقل عنهم وقد تقدم انهم كانوا لا يرفعون أصواتهم بالذكروا بالقراءة ولا يفعلون ذلك جماعة وقد تقدم حديث ابن مسعود حين أنكره على من فعل ذلك بعدهم وقوله لهم والله لقد جئتم ببدة ظلماتا وقد فتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما وقد تقدم نهيه عليه الصلاة والسلام بقوله لا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن ومجان في حقهم ان يكون عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا أعظم الناس مبادرة لامثال أو امره عليه الصلاة والسلام واجتناب مناهيه ولا يظن فيهم غير ما وصف المولى سبحانه عنهم في كتابه

العزير بقوله عز من قائل **وكانوا أحق بها وأهلها** وقد قدمت حكاية
 هذا الله بن عمر رضي الله عنهما في إشفاقه من غسل الموضع الذي وقع عليه
 الذباب بعد أن كان على النجاسة وقوله والله ما أكون بأول من أحدث
 بدعة في الإسلام (وأما) قوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع قوم في بيت من
 بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة
 فالدراسة المذكورة تشعر بأنهم لم يجتمعوا على التلاوة صوتا واحدا
 متراسلين لأن المداينة إنما تكون تلقينا أو عرضا وهذا ما روى عنهم
 وأما الاجتماع على صوت واحد فلا يسعروى عنهم كما تقدم وأما خروجه عليه
 الصلاة والسلام على جماعة من أصحابه فقال ما يجلسكم فقالوا جلسنا نذكر الله
 فهذا أفصح بالمراد في الجميع وكيف كان إجماعهم لأنهم لو كانوا يذكرون الله
 جهرالم يجمع عليه السلام إلى أن يستفهمهم بل كان يخبرهم بالحكم من غير
 استفهام فلما استفهمهم دل على أن ذكرهم كان سرا وكذلك جوابهم
 له عليه الصلاة والسلام بقوله لم جلسنا نذكر الله أدل دليل على أنهم
 كانوا يذكرون الله تعالى سرا إذا أنه لو كان ذكرهم جهرالسا كان
 لاخبارهم بذلك معنى زائدا إذا أنه عليه الصلاة والسلام قد سمع ذلك منهم
 فكان جوابهم أن يقولوا جلسنا لمسمعه أو لما رأيتهم منسبا إلى غير ذلك من
 هذا المعنى لأنهم يتحاشون أن يكون منهم الجواب غير فائدة فبان واضحا أن
 ذكرهم كان سرا لا جهررا على ما روى عنهم في عبادتهم وقد قال تعالى في
 محكم التنزيل ادعوا ربكم تضرعا وخفية أو كانوا يذكرون بينهم ما كان منهم
 في أمر الجاهلية من عبادة الأوثان وغير ذلك وما من الله عليهم به من معرفة
 الأيمان والكتاب والسنة فتعظم عندهم النعم عند تذكري ذلك فيحمدون
 الله على ما من به عليهم من تلك النعم التي يذكرونها ألا ترى إلى ما روى
 عنهم أنهم كانوا يقعدون في المسجد بعد صلاة الصبح يتذاكرون بينهم الأشياء
 التي كانوا يفعلونها في الجاهلية ويتعجبون من أنفسهم والنبي صلى الله عليه
 وسلم قاعد في المسجد يسمعهم فيتبسم أحيا ناسا من حكاياتهم عن أنفسهم فقد
 تذكرون تلك الخلة التي خرج عليه الصلاة والسلام عا قاعدا لذلك
 المعنى فحصل لهم ما حصل من المباهاة بها لأنهم إذا تذكروا ذلك فيه يعرفون

قد رزقهم الله عليهم وان ما من به عليهم ليس بأيديهم ولا بقدرتهم - ثم فتنهم ففهم
الله تعالى عليهم ان هداهم وانقذهم وأضل غيرهم وأصعهم وأعماهم ففهم
لا يسمعون ولا يبصرون كما جاء في محكم التنزيل وقد ورد أن الذكرا تخفى بفضل
الجملي بسبعين درجة ومحال في حقهم - ثم ان يتركوا ما هو أفضل ويفعلون
المفضول ومحال في حقهم عليه الصلاة والسلام أن يراهم يفعلون المفضول
ولا يرشدهم الى الافضل ولا ينههم عليه على انه قد ورد من طريق آخر انه
عليه الصلاة والسلام خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعو الله
عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله
عز وجل ان شاء أعطاهم وان شاء منعههم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما
بعثت معلما عند اليهم وجلس معهم - ثم اه فقد فسر في هذه الرواية الذكر
الذي كان بالجمعة الثانية انه الدعاء والدعاء بين الجماعة لا يكون الا جهرا
اذ انهم يؤمنون على دعاء الداعي ويتعلمون منه كيفية الدعاء وقد تقدم ذلك
فهذه الثلاثة الاحاديث ليس في شئ منها نص على المراد الذي ترجم عليه
الامن طريق الاحتمال وقد نقل عنهم وقد قرر من أحوالهم رضى الله عنهم
ترك ذلك المحقق واذا كان ذلك كذلك فأي فعل السلف والخلف (ثم قال)
بعد هذه الاحاديث وروى الدارمي بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا (فانظر) ان كان في هذا شئ
يس مراده اذ انه لم يذكر فيه من استمع الى آية من كتاب الله تعالى من أصوات
جملة على نقي واحد بل ذلك أعم واذا كان أعم فيصحب على عرفهم وعاداتهم
ولا سبيل الى عرف غيرهم وعاداتهم (ثم قال) وروى ابن أبي داود عن أبي
الدرداء رضى الله عنه كان يدرس القرآن معه نفر يقرءون جميعا (فهذا)
أدل دليل على انهم لم يكنوا على الهيئة التي أراد في ترجمته اذ التدريس
لا يكون لواحد دون غيره من حضر بذلك وردت السنة وتعلمه لواحد ليس
الا فيه كنه عن غيره ومن كتم علما أجهل الله بالجماع من ناره على ما ورد وهذا
معارف ما هدم من زمانهم الى زماننا هذا فعل التدريس للقرآن والعلم
محتمل بين هذا في آية وهذا في آية أخرى وهذا في سورة وهذا في سورة أخرى
وهذا في حزب وهذا في آخر وقد اختلف قول مالك رحمه الله في الجماعة اذا

اجتمعوا يريدون القراءة على الشيخ ولا يسبهم الوقت واحد بعد واحد هل
يقرأ الاثنان والثلاثة في حزب واحد لم يذروا ضيق الوقت اولا يقرأ الا واحد
بعد واحد فقال مرة يجوز لا ضرورة الداعية الى ذلك لانه ان قرأ واحد بعد
واحد بقي بعضهم بقراءة اكثر منهم وضيق الوقت مرة قال لا يجوز لانه
لم يكن من فعل من مضى على ما نقله عنه ابن رشد رحمه الله في البيان
والتحصيل فانظر رحمه الله واياك لقول مالك رحمه الله لم يكن من فعل من
مضى فلو كانت القراءة على أبي الدرداء رضى الله عنه على ما فهم هذا الناقل
رحمه الله لم يقل مالك لم يكن من فعل من مضى وهو على ما هو عليه في النقل
عنهم وأبو الدرداء من كبار الصحابة رضى الله عنهم فلم يبق الا انه كان يدرسهم
القرآن اما قلنا أوفى الألواح أوفى المصاحف أو غير ذلك مما يدل أن يجتمع
الجماعة يقرءون ~~كل~~ واحد في الموضع الذي يريد أن يحفظه على سبيل
التعليم وأما الحفاظ فيجتمعون للقراءة يقرءون معاً لا ثواب فليس من فعلهم
ولا يروى عنهم وهذا مثل ما قاله علماء أئمة الله عليهم في الأذان ان
السنة أن يؤذن واحد بعد واحد اذ أن ذلك كان يفعل على زمان من مضى
رضى الله عنهم وعلى رأس نبينهم صلى الله عليه وسلم والحديث الوارد يدل على
ذلك ويصرح به وهو قوله عليه السلام أو يعلم الناس ما في النداء والصف
الاول ثم لم يجردوا الا أن يستثمروا عليه لاستثمروا عليه ولو يعلمون ما في
التهميج لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما في العمة والصبح لأتوهما ولو حبوا
فذكر عليه السلام في كل شيء مما يمكن فيه فالتهميج ذكر له الاستباق اذ أن ذلك
ممكن فيه والعمة والصبح ذكرهما المحبوا لأن ذلك وقت راحة وغفلة ونوم
وكسل فذكر له ما يابق بالكل وهو المحب وولما كان الاذان قد يتعذر
فيه الاستباق من أجل أنهم قد يأتون معادفة واحدة والزمان لا يسبهم
للاذان واحد بعد واحد وكذلك الصف الاول لا يسبهم عن آخرهم فاذا
كان ذلك كذلك وليس أحدهم أولى به هذه الطاعة من غيره وقد استورا
في الاتيان فاحتاجوا الى القرعة في ذلك لهذه الضرورة ~~لم~~ كان قد قال
علماء أئمة الله عليهم اذ اتوا أحرم المؤذنون على الاذان ~~لم~~ كان ذلك منهم
ابتغاء الثواب وضاق الوقت عليهم ولم يكن واحد منهم أولى من الآخر فيجوز

الاذان جماعة وشرطوا في جوازها ان لا يكون نسقا واحدا بل كل واحد
يؤذن لنفسه فيكون احدهم في الشهادتين والآخر في التكبير والآخر في
الحيلة الى غير ذلك من غير ان يمشي احدهم على صوت صاحبه هذا الذي
اجازه علماءنا وأما ما اعتاده المؤذنون اليوم من الاذان جماعة متراسين
نسقا واحدا مجتمعين فلم يعرف عن احدهم جوازه وما هو اليوم هو المعروف
المعقول به ومن فعل غيره أو تكلم به كأنه ابتدع بدعة في الدين وأنها بشي
لا يعرف ولا يهدو كذلك في المدارس سواء بسواء كانوا يدرسون القرآن
والحديث والفروع والاحكام مجتمعين يتلقى بعضهم من بعض حفظ ذلك
وفوائده فانه ~~كس~~ الامر اليوم وصار لا يفهم منه اليوم الا العوائد التي
ارتكبتها وما مضت عليها عاداتنا وما نقل عنهم تركناه ورجعنا نقتل عن
عوائدنا اتخذناها لانفسنا واصطلحنا عليها التهاينة الساف والخلاف بالنسبة
الى سلفنا وخالفنا الا ترى أن الناقل المذكور روجه الله قد نص على أن ذلك
فعل الساف والخلاف وقد نقل مالك رحمه الله فعل الساف حين ذكر له ابن
وهب ما ذكرناه من ذلك وعابه وقال ليس هكذا كان يصنع الناس ولا يقدر
أحد ان ينقل مالك رحمه الله عن فعل الساف ولا يرد لما أجمعوا عليه من
ثقة وأمانته في نقله عنهم وأما ما أخبر به عن مذهبه فهذا الذي الانسان
مخبر فيه ان شاء قلده وان شاء قلده غيره وأما نقله عن الساف فليس الى
مخالفته من سبيل الا أن يتناول فعل الساف فذلك ممكن ان كان التأويل
تقبله أحوالهم وليس لقائل أن يقول هذا يختص به مالك رحمه الله
لأنه كان مذهبه مبنيا على الأخذ بعمل أهل المدينة اذ أن لفظه لا يحمل ذلك
ولا يدل عليه لأن ما يكون عنه مختصا ببلده يقول فيه وعلى ذلك أدركت
أهل العلم ببلدنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يختص بها بلده على ما هو
موجود عنه في لفظه بذلك في كتبه فلما أنكر ذلك على العموم دل على أنه لم يرد
أهل بلده دون غيرهم وأيضا فقد نقل غيره ذلك وصرح به وليس ببلده بل
بدمشق وغيرها فكان ذلك دليلا واضحا على ان الانكار منه ومن غيره عام
بالمدينة وغيرها وهذا كله راجع الى ما تقدم من ان سبب هذا كله التقليد
في أمور الدين لمن سها أو غفل أو غلط وان التقليد انما يكون بخير القرون

الذين شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه بالخبر كما تقدم
 الا ترى انه لم يختلف قول مالك رحمه الله في القراءة جماعة والذي كره جماعة انها
 من البدع المكرهه على ما نقله عنه ابن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل
 فلو صح عنده أو نقل له عن أحد من سلفه أنه فعل ذلك كيف يمكنه التصريح
 بكراهيته أو لم يمكنه أن يتوقف فيه أو يكرهه قطاً ان لم يختلف قوله
 في كراهيته دل ذلك على أنه لم ينقل عنهم فيه الا الترك بالكليّة والانتكار له
 كما تقدم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه
 من شغل القرآن عن ذكرى ومساكن أعطيت أفضل ما أعطى السائلين اذا
 شغل عبيدي ثنائهم على أعطيت أفضل ما أعطى السائلين وروى عن
 أنس رضي الله عنه أنه قال لأن أجاس مع قوم يذكرون الله سبحانه من
 خدوة الى طلوع الشمس أحب الى مما طلعت عليه الشمس وقال هم قوم
 يتعلمون الحقائق ويتعلمون القرآن والفقهاء هذا تفسير خادم صاحب الشريعة
 صلى الله عليه وسلم فكيف يقابل به تفسيره أخرى هذا الزمان وروى عن
 ابراهيم النخعي رحمه الله أنه قال لا يزال الفقيه يصلي قيل وكيف ذلك قال
 لا لقاء الاوذكر الله على لسانه محل حلالا ويحرم حراما قال الطرطوشي
 رحمه الله وقد ظفرت بهذا المعنى في كتاب الله المسمى قال الله تعالى له ارون
 وموسى اسبعثهما الى فرعون ولا تنيا في ذكرى فسمى تباع الرسالة ذكر
 فعلى هذا يتحقق ان حلق العلم وما يتحاورون فيه في العلم ويتراجعون من سؤال
 وجواب انها حلق الذكر وهذا قوله سبحانه فاسئلوا اهل الذكر يعني
 اهل العلم والفقهاء نقل ذلك الطرطوشي رحمه الله في كتاب الذكر له واذا كان
 ذلك كذلك فالذي ينبغي للعالم اليوم بل يجب عليه أنه لا ينظر الى العوائد التي
 اصطلحنا عليها ولا تكون سلفنا مضوا عليها اذ قد يكون في بعضها غفلة أو
 غلط أو سهو ولاكن ينظر الى القرون المتقدم ذكرها فان فعل هو ومنها
 شيئا مما يراه مصلحة في وقته فينبغي له أن يجب عليه أن يبين ذلك ويعترف بين
 الناس أنه محدث وبين السبب الذي لاجله فعل ذلك قد كان سيدي أبو محمد
 المرجاني رحمه الله يأخذ هذه الاخبار ويقرؤها جماعة ويذكرها جماعة
 بعد الصبح والعصر ولم ينزل على ذلك دأبه رحمه الله تعالى الى موته وكان

رحمه الله يخبر أن ذلك بدعة وانما فعله لضرورة وهي أن الله قد قلت وقل فقير
 أن يصلي الصبح أو العصر ثم يقوم يذكر الله تعالى ويقرأ في هذين الوقتين
 المشهورين إلا أنهم يقيمون من مصلاتهم ما للنوم أن كان في الصبح أو للحدث
 فيما لا يعني أن كان في العصر أن سلموا من الغيبة والنميمة فطمان تحفة و
 وقوع هذا المحذور ودعوه لهذا المكره لأن ارتكاب المكروهات أولى بل
 أوجب من ارتكاب المحذورات هكذا يجب أن تكون الحفاظة على السنن
 وحفظها فينبه الناس عليها ويعلمهم بالحوادث المتخذة منها ليست منها
 ويخبرهم بالضرورات التي كانت سببا لفعلها ولا جيل الغفلة عن هذا
 التنبيه وقع ما وقع من الادعاء بأنها سنة السلف والخلف لأن الغالب على
 الناس تحسين ظنهم بمشايخهم وعلمائهم وانهم لا يخالفون وانهم على سبيل
 الاتباع وترك الابتداع ألا ترى أنهم قالوا من لم يرخط أستاذه صوابا لم ينتفع به
 فيحمل لأجل هذا ما يصدر منهم على أنه سنة مأمور بها فـ كان سيدي أبو
 محمد المرجاني رحمه الله يحفظ من هذا الأصل بذكره لذلك وتعالى له لئلا
 يمتد من يعتقده أنه سنة مأمور بها وقد حكى عن شيخه القدوة الامام
 العالم العامل المحقق أبي علي بن السماط رحمه الله حكى لي ذلك عنه سيدي
 أبو محمد بن أبي جرة رحمه الله قال كان عارفا بالفقهاء معرفة جيدة وكان الفقهاء
 عنده في مجالسهم مع بعضهم مع بعض ليس لهم شغل في الغالب إلا البحث في الامر
 والنهي وهل يجوز ولا يجوز فاذا أشكل عليهم شيء ولم يرجع بعضهم الى بعض
 فيه يأتون اليه فيسألونه عن المسائل التي يريدونها فيأمرهم بالخروج الى
 الفقهاء يسألونهم عنها فـ عن ذلك ولم يحيلهم على غيره وهو أعرف الناس
 بالنوازل التي كانت تنزل بهم فقال رحمه الله أخاف أن أفتيهم فيقع لهم الخلل
 بسبب اني ان مت بقي الامر بينهم موقفا على لا يعرفون أمر دينهم الا من جهتي
 فيقولون قال الشيخ كذا وذهب الشيخ الى كذا وكان طريق الشيخ كذا
 فيظنون ان الشرعية خروجها من قبل المشايخ فيرسلهم الى الفقهاء لاسد
 هذه التهمة ولكي يعلمون ان ما نحن فيه انما أصله وعماده والذي يقع به
 المحل والربط عندنا هو من الفقهاء وما نحن فيه فرع عن ذلك فينتظم الحال
 أو كلاهما هذا فانه فانظر رحمك الله الى حفاظة هذا السيد رحمه الله عليه

على منصب الشريعة كيف ترك أن يحيب الفقراء في مسائل الفقه مع أن ذلك مندوب اليه ~~كان~~ لسان كان معروفا ومنسوبا إلى تربية المريدين وتسايلهم وترقيهم في المقامات والاحوال والمنازلات خاف أن ينسب ما يفتي به من الفقه إلى ما كان يصدره من التربية فترك المندوب وهو الفتوى فيما تقدم ذكره تحفظا منه رجه الله أن ينسب شيء من الشريعة إلى غير أهله الذي عنه يؤخذ واليه يرجع وهذا المعنى الذي تحفظ منه هذا السيد رجه الله هو الذي أفسد اليوم كثيرا من أحوال بعض أهل الوقت تجد أحدهم يعمل البدعة ويتهاون بها فتنهاه عن ذلك أو ترشده إلى الترتك فيستدل على أن ذلك هو السنة وإن ذلك ليس بمكر ولا ~~مكر~~ وبه رأى شيخه ومن يعتقده يفعل ذلك فيقول كيف يكون مكرها أو بدعة وقد كان سيدي فلان يعملها فيستدل بفعل سلفه وخلفه وشيوخه على جواز تلك البدعة وانها مشروعة فصار فعل المشايخ حجة على ما تقرر بايدينا من أمر الشريعة وليسوا بمصومين ولا بمن شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه وهذا أمر قد اتفقت الأمة على أنه مردود إذ أن ذلك لو جاز لوقع الخلل في الشريعة بسببه فأى من استحسن شيئا أو فعله وأى من ~~مكره~~ شيئا وتركه يقع الاقتداء به فيكون ذلك نقصا معاذ الله ولو كان ذلك كذلك لم يبق بايدينا اليوم شيء من أمر هذه الشريعة المحمدية وقد عصم الله هذه الأمة والمجد لله من التبديل فكل من أتى بشيء يخالف ما كان عليه متقدم وهذه الأمة وسلفها فهو مردود عليه محجوج بفعلهم وبما نقل عنهم وهذا هو الذي أذهب شريعة عيسى عليه السلام أعني التقليد لأخبارهم ورواياتهم دون دليل يدلهم على ذلك حتى صار أمرهم أنه في كل جمعة من الاحد إلى الاحد يجدد لهم القسيس شريعة جديدة بحسب ما يراه لهم من المصلحة في وقته على ما يقتضيه نظره وتسايدته على زعمه فتجدهم يخرجون من كائنا هم وهم يقولون لقد جدد اليوم شريعة مريحة وقد عصم الله والمجد لله هذه الشريعة فالحذر والحذر من هذا الداء العضال فإنه سم قاتل مغفول عنه وقل من يسلم منه الامن كان مراقبا لهم في أفعالهم وأقوالهم بمنزلة أفعاله السلف على ما تقدم أعني أنه لا يفعل ذلك حتى لا يقتدى من أفعاله الابعاء كان منها على سبيل الاقتداء بما تقدم من أن ~~كان~~ من أهل

العلم والافعال السؤال من العلماء المتبعين منهم في أفعالهم يعلم ذلك ويتبين له وأما
 ان تطرأ الى أفعالهم ووزنها بغرض غيرهم فلا ينبغي ذلك لانه من باب
 التشاغل بعيوب الناس والبحث عن مثالبهم وذلك منهي عنه (ثم ترجع) الى
 ما كان سبيله من الاجتماع على الذكر والقراءة لئلا يكون ذلك كرا ولا ما بقي من
 الفصل الذي ذكره هذا الناقل رحمه الله في اجازة ذلك (فقال) رحمه الله
 بعد نقله للاحاديث التي نقلها في ذلك وليس فيها دليل على ما تقدم قدم الامن
 طريق الاحتمال وقد ذكر عن الأئمة المذكورين ما ذكر من انكار ذلك
 على من فعل فلما أن نقول مالكا لابن وهب وانه عاب ما ذكره من
 الاجتماع على القراءة وكرهه وانه قال ليس هكذا كان يصنع الناس فقال
 رحمه الله حين نقل هذا عنه فهذا الانكار منه مخالف لما عليه السلف والخلف
 وما يقتضيه الدليل فهو متروك والاعتماد على ما تقدم من استنباطها
 (فانظر) رحمه الله وأما الى هذه السنة من هذا الناقل مع حذفه وحفظه
 كيف أتى بنقل مالك وغيره من الأئمة المتقدمين في انكار ذلك واعاينته ولم
 يرد ذلك بتأويل ولا بنقل عن غيرهم بضد ما نقل عنهم فلم يأت الا بالاحاديث
 المذكورة وهو محجوج بها من فعالهم كما تقدم فقابل ما نقله عن هؤلاء الأئمة
 بقوله انهم مخالفون في ذلك فعل السلف والخلف وهم لم ينقلوا من مذهبيهم
 ولم يتكلموا عليه بل نقلوا عن سلفهم ولم يبقايلهم بان غيرهم خالفهم من
 الأئمة المقالدين ونقل هؤلاء ما رده النقل عن هو مشاهير أو أعلى درجة منهم
 ونقله من يرد كل ما ترجم عليه وقرره وبين ان فعل السلف والخلف غير ما
 ذهب اليه فتبين ذلك وتفهيمه يظهر لك الصواب ان شاء الله تعالى (ثم
 قال) بعد هذا وأما فضيلة جمعهم على القراءة ففيها نصوص كثيرة
 كقوله عليه الصلاة والسلام الدال على الخير كفاعله وقوله صلى الله عليه
 وسلم لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير لك من حمر النعم وقد قال
 الله تعالى وتعاضلوا على البر والتقوى اه (فانظر) رحمه الله هل في شيء مما
 أتى به ما يحس مراده في ذلك شيء الا انه تقرر عنده وفي نفسه ان ذلك طاعة
 بالنسبة الى ما عهد عليه من أدرك ومضوا عليه فظن ان ما ورد من الاحاديث
 والآثار عنهم في الجهر بالقراءة والذكر انه على تلك الصورة من الاجتماع

بصوت واحد فاقى بكل ما يدل على النذب الى الاتباع والقرب فعمله فيما
 ظهر له من ذلك وقد قال بعض العلماء رجة الله عليهم يا هذا عليك باتباع
 السنة وآكد من اتباع السنة اتباع السلف فانهم اعرف بالسنة منها هكذا
 ينبغي أن يكون الانسان مع خير القرون المشهود لهم بذلك وقد تقدم عن
 سيدى ابي محمد المرحاني رجة الله انه كان يفعل ذلك ويبين السبب في فعله
 والضرورة الداعية اليه مخافة منه رجة الله أن ينسب الى المتقدمين ما لم
 يفعلوا وان يختلط على الناس امر المحدث من غيره وقد كان سيدى محمد بن ابي
 جرة رجة الله يذهب الى غير ما كان يذهب اليه سيدى أبو محمد المرحاني رجة
 الله في هذا فكان يقول ان بطالة ذلك الوقت بالنوم أفضل من الذكر
 جهرا ان كان الذكر جهراسا من الدسائس المخذورة المتوقعة فيه فان
 دخله شيء من الدسائس فهو الخسران والعياذ بالله من الخسران وكان يبين
 ما ذهب اليه من ذلك ويستدل عليه بأدلة منها الحديث الوارد عنه عليه
 الصلاة والسلام في ان الذكر الخفي يفضل الجلي بسبعين درجة والحديث
 الآخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والحديث الآخر بسبعة يظلمهم
 الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وذكر فيهم ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى
 لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ومن الكتاب العزيز قوله تعالى يا ايها الذين
 آمنوا هل اداكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقد تقرر عندنا وعلم ان التاجر
 اذا وجد الربح في ساعة سبعة دينارا واخرى واحد انه ياخذ ما فيه ربح
 سبعة ولا ياخذ السبعة التي يحصل له فيها الدينار الواحد فان عكس التاجر
 ذلك واخذ السبعة التي يحصل فيها الدينار الواحد وترك السبعة التي ياخذ
 فيها السبعة قلنا عنه تاجر سبعة والتاجر الحقيقي هو المؤمن لانه يتجر فيما
 يبقى وغيره يتجر فيما يغنى واذا كان ذلك كذلك فكيف يقدم على فعل له
 فيه أجر واحد مع قدرته على ان يحصل له سبعون هذا سبعة فأن هذا من هذه
 التجارة وقد تقدم ان الناس انما تفاضلوا بحسب نياتهم ومحاولات أعمالهم
 ونعمتهم افيحتاج على هذا ان يبادر الى تلاوة السر والذكر في السر ان ذلك
 أفضل بسبعة من كما تقدم فاذا صلى الصبح ثم ذكر الله تعالى سرا فلو ذكر الله
 مثلا ثلاث مرات ثم غلب عليه النوم في كل واحدة بسبعة من فتكون الثلاث

تسبيلات بمائتي حسنة وعشر حسنات ولا بد أن يخفف رأسه في نومه
من وقته ذلك إلى طلوع الشمس مرات وفي كل مرة لا بد أن يستفيق على نفسه
قليلًا يصبح عينيه ويذكر الله ما قدر له كل واحدة بسبعين ثم يغيب عليه
النوم بعد ذلك إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قام وهو منكسر الخاطر
يرى نفسه أنه ليس أهلاً بشئ ويرى أن غيره قد غنم وحصل في هذا الوقت
المشهور بخيرا وهو في غفلة وتوم فيحصل له التذلل والانكسار فيكون ما تحصل
له من ذلك أعظم مما فاتته لقوله عليه الصلاة والسلام اختيارا عن ربه عز وجل
يقول اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي هذا مقام عظيم لا يصل إليه إلا
الافتاد فان زاد على هذا بأن يعد في مصلاه الذي صلى فيه فهو أعظم وأعلى
لقوله عليه السلام الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه
ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقد ورد أن دعاء الاخ لا خيه في ظهر
الغيب مستجاب هذا وأخوه ليس بمصوم من الخطايا ولا من الزلل فإياك
يا ستغفار الملائكة الكرام الذي لا يكون الا عن رضى عن أمرهم بذلك قال الله
سبحانه وتعالى في وصفهم ولا يشفعون الا ان ارتضى فتسكون الملائكة
يستغفرون له اللهم اغفر له اللهم ارحمه الى ان يقوم بعد طلوع الشمس من
مصلاه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقد ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما معناه ان من جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس فيصلى سبعة الف ضربة
كحجرة معه عليه الصلاة والسلام ومن يقع له ذلك أبقى عليه ذنب معاذ الله ان
يظن ذلك أحد وقد روى أبو داود في سننه ما هذا الغطاء ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قعد في صلاة حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح
ركعتي الضحى لا يقول الا خيرا غفرت خطايا وان كانت أكثر من زبد البحر
اه فاجتمع له استغفار الملائكة مع بركة الذكر الخفي على ما تقدم مع راحة
البدن في الشئ أو رفع الصوت أو غير ذلك من التعب مع التحقن بالسلامة
من الآفات والعاهات التي تلحقه في الذكر بآية الجهر مع ترك التعب ومع
حصول فضيلة ترك الكلام ما نقل ابن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل له
ان من ترك الكلام بعد صلاة الصبح وأقبل على الذكر أجر على الذكر وعلى
ترك الكلام وان ترك الكلام ولم يذكر الله أجر على ترك الكلام عند مالك

رحمة الله وهذا اذا فرضنا انه نام من حين صلاته الى طلوع الشمس على ما تقدم وقد يكون في بعض الايام اوفى اكثرها امتية نظام قبل الا على التلاوة والذكر فيحصل له من الاجور بتمتع النية والاعمال ومحاولة ذلك وتتميمه ما لا يعلمها الا الذي من عليه بذلك فابن هذا من صلى الصبح وقام من حينه من صلاة حتى لا تجد الملائكة الكرام سبيلا الى الصلاة عليه والدعاء له والاستغفار ثم قد يذكر جهره فاقد يتعب مما يرفع صوته وهو بعيد لم يصل الى المائتين والعشرة المتقدمة ذكرها في الثلاث تسبيحات ان تقدم ذكره فتطلع الشمس على هذا وهو لم يصل بعد الى اجر من تقدم ذكره لا اجل تضعيف الاجور لذلك على ما تقدم وهذا اذا كان سالما من كل ما يكره من رفع الصوت انه يحصل له به رياء أو سمعة أو حظوة عند شيخه أو عند أحد من الحاضرين أو يقال عنه أو يشار اليه أو تقبل يده أو يثنى عليه وهذا أيضا اذا سلم من العجب لانه قد يرى أنه على خير عظيم بسبب تعظيمه لذلك الوقت بالذكر والاجتهاد والبطالة لانه نسبة بينهما وبين العجب وهذا أيضا اذا سلم من أن يكون ذلك في جماعة مجتمعين على ذلك صوتا واحدا فاذا كان ذلك كذلك فقد خرج من هذا الباب الذي هو باب الجواز الى باب هل يكره أو يجوز لان الذكر على هذه الصورة يختلف الشيوخ رحمة الله عليهم فيه هل يعمل رعييا لحق الفقراء لكي يسلموا من البطالة والكلام في ما لا يعني أولا يعمل فذهب بعضهم الى فعله رعييا للصحة المتقدمة ذكرها وذهب بعضهم الى منعه لان تلك صورة لم تكن ان يرضى وكفى بها ولو كان فيها التناشط وغيره اذ انه في الصورة الظاهرة مخالف للاقتداء الا ترى الى جواب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لعامله حين كتب له أما بعد فانه قد كثر عندنا شرب الخمر وكثرت الحدود عليهم وهم لا يرجعون أفترى أن أزيد على الحد الذي اتفق عليه الحساب فكتب اليه أما بعد فخن شرب الخمر فخذ فخن شرب فخذ فخن لم يرجع الى الحد المشروع فلارده الله أو كما قال وكذلك فيما نحن بسبيله من لم يرجع عن النوم والكلام فيما لا يعني بما كان عليه السالف من الذكر والتلاوة ومجالس العلم لم فلارده الله ولو سارع في هذا ذهب الدين مرة واحدة كما تقدم قبل لانه اذا وجدنا من لم

يرجع بالسنة أحد ثلثه في الذكر والقراءة وغيرهما شيئا يرجع به عما
لا ينبغي وفي هذا ذهاب الدين والعياذ بالله تعالى رضى الله عن عمر حيث
سدهذا الباب فن لم يرجع من الباب الذي فتح له الشرع فلا حاجة به
(ثم نرجع) لما كان سبيله وهذا أيضا إذا سلم من الاجتماع على الذكر من
تقطيع الآيات لانه يقطع نفسه في آية فيمتنع من ثم يريد ان يتم الآية فيجوز
الجماعة الذين يقرءون معه قد سبقوه بالآية والآيتين والثلاث فلا يجد سبيلا
الى ان يقرأ ما فاتة لاجل انه يريد ان يقرأ معهم حرفا بحرف فيحتاج لاجل
هذه العلة أن يقرأ بعض آيات ويترك أخرى يقرأ القرآن على غير ترتيبه الذي
عليه أنزل وفيه ما فيه من التخليط في كتاب الله تعالى فقد تخطلط آية رجة بآية
عذاب وآية عذاب بآية رجة الى غير ذلك مما هو فيه معلوم مشاهد لا يقدر
من يقرأ مع جماعة أن يقرأ على غير ما وصف ولو احترز ما عسى وهذا أيضا إذا
سلم من الجهر بذلك الى أن يخرج به عن حد السمت والوقار لان ذلك منهي
عنه ألا ترى ان السنة في التلبية في الحج الجهر لا كثرهم كرهوا ان يرفع
صوته بحيث يعقر حلقه فاذا كرهوا ذلك فيما شرع فيه الجهر فبالك فيما
شرع فيه الاسرار والاختفاء وكثيرا ما تجد من الفقراء الذين يقعدون لقراءة
هذه الآيات تنعقر أصواتهم لشدة انزعاجهم في جهرهم ويخرجون بذلك
عن حد السمت والوقار وهذا أيضا مشاهد لا يخفى على أحد من باشرهم وهذا
أيضا إذا سلم من أن يكون ذلك في مسجد فان كان في مسجد فهو في موضع النهي
سواء بسواء لقوله عليه السلام حين خرج على أصحابه فوجدهم يتنفلون
ويجهرون بالقرآن فقال لا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن ولان المسجد انما
بني للصلاة وقراءة القرآن تبع للصلاة ما لم تضرب التلاوة بالصلاة التي بنيت
المساجد لها فاذا أضرت بها منعت وقل أن يخلو مسجد من الصلاة وان خلت
فهو معرض للصلاة فاذا دخل الداخل فهو مأموور بتحيته ان لم يدخل
لغير رخصة فان دخل لغرضه فن باب أولى فقل كذا الامر ين فالداخل الى
المسجد يجب ان يتشويش برفع الصوت بالذكر في المسجد على صلواته فيجتمع
كل ما يشوش على المصلي وقد قال علماءنا رجة الله عليهم في قوله عليه
الصلاة والسلام أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكتوبة ان ذلك راجع

الى احوال الناس فمن لم يكن عنده في بيته شيء يتشوش منه في البيت أفضل على كل حال انص الحديث وان كان معه في البيت أولاد وعائلة يشتغل خاطره بحديثهم وكلامهم في المسجد وان كان مفضولاً لأنه أجمع لخاطره وهمه وتحصيل جمع خاطره وهمه في الصلاة أفضل من فضيلة التنفل في البيت وإذا كان ذلك كذلك فإذا جاء الانسان الى المسجد ليحصل هذه الفضيلة لكونها مدومة في بيته فيجهد في المسجد من رفع الصوت ما هو أكثر وأعظم مما في بيته فيكون ذلك من باب الضرر بالمسلمين وقد قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار وقد ورد لأن تلقى الله عز وجل بقرب الارض ذنوباً فيمابينك وبينه أيسر من أن تلقاه بتيعة من التبعات لأنك إذا أقيمت بذنوب بينك وبينه تلقاه غنياً كريماً متغضلاً منا لا تضره السيئات ولا تنفعه الحسنات ولا يقرصه العطاء غنياً عن عذابك غير محتاج لحسناتك وإذا أقيمت بشيء من التبعات فصاحب التبعات فقير مضطر شحيح خائف على نفسه فزع مدعور مشفق من عدم الخلاص يعني أن لو وجد حقه على أبيه أو بنيه لعله يتخلص مما هو فيه فإذا كان له قبل أحد حق قبل أن يتركه ولو كان ذرة وهذه المسئلة لا يعلم فيها خلاف بين أحد من المتقدمين من اهل العلم انتهى منع رفع الصوت بالقرأة والذكر في المسجد مع وجوده يصل يقع له التشويش بدينه ألا ترى ان علماء نازحة الله عليهم قد قالوا فيمن فاتته الركعة الأولى أو الأولى والثانية من صلاة الجهرانه إذا قام انضاء ما فاتته فانه يخفف صوته فيما يحهر فيه فيجهر في ذلك بأقل مراتب الجهر وهو ان يسمع نفسه ومن يليه خيفة ان يشوش على غيره من المسموعين هذا وهو في نفس الصلاة التي لأجلها بنيت المساجد فالذكر برفع صوت من ليس في صلاة من باب اولها ان يمنع منه ولا أجل هذا المعنى كأن الكلام في المسجد بغير ذكر الله تعالى أو ذكر أمره ونواهيها بكل المحسنات كما أن كل الناس راخطب ولا أجل هذه الاذية وان لم يكن فيه أحد تأذت الملائكة قال عليه السلام فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وليس لقاتل ان يقول ان القرأة بالذكر جهر أو جاهة يجوز في المسجد لنص العلماء وفعلمهم وهو اخذ العلم في المسجد لان مال كرامة الله سئل عن رفع الصوت بالعلم في المسجد فأنكر

ذلك وقال علم و رفع صوت فانكر ان يكون ثم علم فيه رفع صوت وقد كانوا
يقعدون في مجالس علمهم كاتحي السرايا فاذا كان مجلس علم على سبيل الاتباع
فليس فيه رفع صوت فان وجد رفع صوت منع منه وأخرج من فعل ذلك
لما ورد من مجده تاهذا لا ترفع فيه الا اصوات وهو عام والضرب به واقع فيمنع
واذا كان في ذلك كريا بجهر والاجتماع عليه هذه المفاسد وان سلم واحد
او جماعة من تلك المفاسد او من بعضها فقد لا يسلم منها الباقون والمؤمن
يحب لا تخيه المؤمن ما يجب انفسه فاذا سلمت انت من هذه المفاسد لحسن
نيتك وقصدك الظاهر فيحتاج ان تراعى حق اخيك المؤمن وجايبك ان
الله يسأل عن صحة ساعة فقد لا يكون عنده من فضيلة العلم ما يعرف به
ما يرد عليه من هذه الدسائس وغيرها فيقع في المذوور وتكون انت بنيتك
الصالحة في هذا الفعل الذي اصلحته سببا لخيرك وجايبك وشريكك في ذكر
ربك لعدم العلم عنده او عنده وحصلت له حتى وقع في شئ منها فأن هذا من
نام على الحالة المتقدمة ذكرها ذكر الله قايلا ثم غلب عليه النوم أقبل ما يمكن
فيه من الفائدة أنه في أمان من هذه المفاسد كلها وغيره معرض لها وقد
قيل لأعدل بالسلامة شيئا فان قيل قد وردت أحاديث تدل على جواز
الذكر والقراءة جهرًا وجماعة فاجواب أن الأحاديث الواردة في ذلك
محتملة لأوجهين وجاء فعل السلف بأحدهما فلا شك أنه المرجوع اليه وأما
ما رواه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شئ قدير لا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الاياه له
النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجليل لا اله الا الله مختصين له الدين ولو
كراه الكافرون وما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رفع
الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجواب من وجهين أحدهما ما ذكره الامام الشافعي
رحمه الله في الام حديث قال واختار الامام والمأهول ان يذكر ان الله بعد
الا انصرف من الصلاة ويخفيان الذكر الا ان يداون اما ما يجب ان يتعلم منه
فيجهر حتى يرى أنه قد تعلم منه ثم يسرفان الله تعالى يقول ولا تجهر بصلاتك

ولا تخافت بها يعني والله أعلم لم بالدعاء لا تجهر وترفع ولا تخافت حتى لا تسمع
نفسك وأحسب ما روى ابن الزبير من تهليل النبي صلى الله عليه وسلم
وما روى عن ابن عباس من تكبيره كما رويناه انما جهر قليلا لئلا يعلم الناس منه
وذلك ان عامة الروايات التي كتبناها مع هذا وغيرها ليس يذكر فيها بعد
التسليم تهليل ولا تكبير وقد يذكرانه ذكر بعد الصلاة كما وصفت و يذكر
انصرافه بلا ذكر وقد ذكرت أم سلمة رضي الله عنها مكثت ولم تذكر جهرها
وأحسب انه لم يثبت الا ليدكر ذكره كراغ يجهر فان قال قائل وما مثل ذا
قلت مثل انه صلى على المنبر يكون قيامه وركوعه عليه ويقرع حتى يسجد
على الارض وأكثر من يصل عليه ولا يكثر من رأي أحب ان يعلم من لم يكن
يراه من بعده كيف القيام والركوع والرفع يعلمهم ان في ذلك كلمة سعة اه
كلامه بلفظه فهذا الامام الشافعي رحمه الله جعل ذلك على سبيل التعليم فان
حصل التعليم أمسك وهذا بخلاف ما بهد اليوم من القراءة والذكر جهرها
وجماعة فانهم لا يريدون التعليم بل الثواب والجواب الثاني ما ذكره الشيخ
الامام أبو الحسن بن بطال رحمه الله في شرح البخاري لما ان تكلم على حديث
ابن عباس فقال يحتمل ان يكون اراد به المجاهد بن فان كان كذلك فهو الى
الآن وعليه العمل وهو ان المجاهد بن اذا صلوا الخمس فيستحب لهم ان يكبروا
جهر ارفعون أصواتهم ليرهبوا العدو قال فان لم يعمل على هذا فيكون
منه وخابا لا جاع قال لا بد لا يعلم أحد من العلماء بقول به والاجماع لا يحتاج
عليه اه وقال القاضي عياض رحمه الله وأما رفع الصوت بالذكر فان كانوا
جماعة فستحسن ليرهبوا العدو بذلك وان كان وحده فغير مستحسن وأما
ما رواه ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه سمع ضحيج الناس بالمسجد
يقرءون القرآن فقال طوي لمؤلا كانوا أحب الناس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهذا الحديث ظاهره المجهر ليس الا ولا يؤخذ منه القراءة جماعة
على ما بهد اليوم لان لفظ الحديث لا يقتضي ذلك وعادتهم وسيرتهم وما روى
عنهم لم يكن على ذلك وانما يعمل الامر على عادتهم وعادتهم انما كانت قراءة
القرآن على سبيل التلقين أو العوض فقد يكون في ذلك الوقت يتلقنون في
القرآن أو يعرضون أو يدرسون كل واحد لنفسه أو على شيخه أو على رفيقه

وجايبه فسمع عـلى بن أبى طالب ضجبتهم فذكر ما ذكر فى حقهم وهذا
 كله راجع الى فضيلة مجلس العلم على غيره من المجالس على ما تقدم ذكره لان
 القرآن ومدارسه هو أصل العلوم كلها وهو معدن الجميع فاذا حفظ فقد
 حفظ على الناس أصل دينهم المرجوع اليه عند التنازع والاختلاف فلاجل
 ذلك كانوا أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقد) استدل
 الناقل المذکور بأول رحمه الله على اياحة القرآن جماعة وجهرا أيضا بان
 قال وفى اثبات الجهر أحاديث كثيرة وأما الآثار عن الصحابة والتابعين من
 أقوالهم وأفعالهم فأكثر من ان تحصر رواشهر من ان تذكر (فهذا)
 الاستدلال منه رحمه الله بين فى الجهر ليس الادون ان يكونوا على ما يهد
 اليوم من الجمع على ذلك وذلك أيضا راجع الى المواضع التى روى عنهم فيها
 الجهر فانهم لم يرو عنهم ذلك مطلقا بل فى وقت دون وقت فكانوا يجهررون فى
 قيام الليل قد كان أهل المدينة يتواعدون اضرورائهم لقيام القراء بالليل
 وكذلك عند اجتماعهم فيقراء لهم واحد منهم لى يسمعوا كلام ربهم
 وكذلك عند احرامهم بالحج وتلييتهم طول احرامهم وذكرهم بعد الاحلال من
 احرامهم بمعنى كانوا يسمعون تكبير أهل منى وهم بمكة لاجل اتصال التكبير
 وكثرة الناس وكذلك فى مجالس علمهم وفى تعليمهم وفى اقراءتهم وفى
 مذاكرتهم وبجنتهم وكذلك عند ارادة الامام تعليم المأمومين عـلى
 ما تأوله الشافعى رحمه الله عليه وغير ذلك مما يشبه به ما ذكر من جهرهم فى
 مواضع مخصوصة معلومة والمقصود ان يحمل ماورد عنهم من الجهر على ماورد
 عنهم وعلى ما تأوله العلماء عنهم وعلى ماوقع منهم من الاجتماع المتقدم ذكره
 وهو ما نقله ابن بطال والقاضى عياض رحمه الله تعالى وقد تقدم وكل
 ماورد عليك مما يشبه هذه الاحاديث المتقدم ذكرها فهو هذا هو الجواب
 عنها ان رجع الى نقل العلماء ومن يتأول الاحاديث بحسب فهمه
 ويترك تأويل الأئمة والعلماء فلا يرجع اليه (فالحاصل) من هذا البحث كله
 وزيدته وفائدته وان ماورد من الاحاديث من ذكر الفضائل والخبرات
 فى مجالس الذكر فالمراد به هذا المجلس الذى جالسه هذا العالم لتعليم
 الاحكام وغيره من الاذكار داخل منطوق تحت فضيلة هذا المجلس واذا

كان ذلك كذلك فينبغي له ان يحرمه ويعظمه اذانه اعظم شعائر الدين
 وازكاها واربعها قال الله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
 القلوب وقال تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن جملة
 التعظيم لهذه الشهيرة العظمى الاجلال لها بالافعال فاذا نطق بلسانه في شيء
 من الاحكام بالوجوب او الندب فيكون هو اول من يبادر الى فعل الواجب
 او الندب ليتصف بالعمل كما اتصف بالقول لئلا يدرك في قوله تعالى كبر
 مقتدا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (وهذا) مثل ما قاله علماؤنا راحة الله
 عليهم في المؤذن يستحب له ان يؤذن على طهارة ليكون عقب اذانه بركع
 لانه مناد الى الصلاة فيكون اول من يبادر لما نادى اليه لينتفع الناس
 باذانه لاجل عمله لان الامر اذا خرج من عامل انتفع به من سمعه واذا خرج
 من غير عامل لم ينتفع به فيستحب لاجل هذا ان يكون العالم اول من يبادر
 الى ما يأمربه حتى ينتفع الناس بأمره (وكذلك) ايضا ينبغى له بل يجب عليه
 اذا ذكر المحرم او المكره ان يكون اول من يبادر الى الترك فيكون سالما
 من ارتكاب المحذورات والمكروهات بحسب جهده وطاقته ومروءته وهذا
 اكدم من الاول لقوله عليه الصلاة والسلام ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما
 امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم
 واختلافهم على انبيائهم - ثم رواه البخاري ومسلم لم يرض الله عنهما فساووا
 النهي عنه فلا يقرب لنص هذا الحديث والنهي اذا ورد يتناول المحرم
 والمكروه كما ان الامر اذا ورد يتناول الواجب والمندوب فان لم يقدر هذا
 العالم على الترك بالسكينة وغلبته نفسه في ارتكاب شيء من المكروهات
 او البدع فليحذر كل المحذر ان يطلع عليه احد من خلق الله فيكون مستترا
 ويتوب الى الله تعالى في كل وقت يقع ذلك منه وهو اول المراتب في حقه
 وان كان هذا معتبرا في حق الناس كما هم اعنى التستر بالبدع والمخالفات لقوله
 عليه الصلاة والسلام من بلى منكم من هذه القاذورات بشيء فليستتر به سرا الله
 فانه من ابدى لنا صفة وجهه اقناعا عليه المحذور كما قال والمحدود راجعة الى
 حال ما يقع من الشخص قرب فعل حده المجاوز واخر حده المجران واخر
 حده البعض واخر حده الزجر الى غير ذلك مما قد نص عليه علماؤنا راحة الله

عليهم اكن العالم يحب عليه التستر أكثر من غيره لان شره ومصيبته
ومخالفته وبدته ان ابتلى بشئ من ذلك يتعدى الى غيره كما ان خيره
كذلك متعددا كمن تعدى بهذا الفن أكثر لان الغالب على النفوس
الاقتداء في شهواتها وملاذوذاتها وعاداتها أكثر مما تقتدي به في التعبد
الذي ليس لها فيه حنقا فاذ رأت ذلك من عالم وان أيقنت انه محرم أو مكروه
أو بدعة تعذر نفسها في ارتكابها لذلك ان سلمت من سم الجهل تقول لعل عند
هذا العالم العلم بجواز ذلك لم تطاع عليه أو رخص فيه العلماء الى غير ذلك مما يقع
لهم وهو كثير مشاهد فاذ رأت من هو أفضل منها في العلم والتحريير تكب شيئا
من ذلك فأقل ما فيه من القبح الاستصغار وانها ون بمعاصي الله تعالى وهو
السم القاتل وقد قالوا ارتكب الكبائر أهون من الاستصغار بالصغائر لان
مرتكب الكبيرة يرجي له ان يرجع الى الله ويتوب ومن شهاون بالصغائر قول
ان يرجع عن ذلك لانها عنده ليست بشئ وقد قالوا لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار وهذا بين لان الصغائر اذا اجتمعت صارت ككثرت يكون هذا
العالم الذي يتعاطى شيئا من المكروهات أو البدع سببا لعطب من يراه من هو
أقل منه رتبة في الدين لاقتدائه به واستسهاله بشئ من ذلك وقد سبك الفقيه
أبو المنصور رفيع بن علي الدمي على هذا المعنى المتقدم ذكره في قصيدة له منها

أيها العالم اياك الزل * واحذر الهفوة فالحطوب جال
هفوة العالم مستعظمة * ان هفوا أصبح في الخلق مثل
وعلى زلته عمدتهم * فيها ينجح من أخطا وزل
لا تقل يستر على زلتي * بل بها يحصل في العلم الخلال
ان تكون عنده مستحقرة * فهي عند الله والناس جيل
ليس من يتبعه العالم في * كل مادي من الامر وجل
مثل من يدفع عنه جهله * ان ألقى فاحشة قيل جهل
انظر الانجم هم اسقطت * من رأها وهي تهوي لم يبل
فاذا الشمس بدت كاسفة * وجل الخلق لها كل الوجل
وترامت فحوها ابصارهم * في انزعاج واضطراب وزجل
وسرى النقص لهم من نقصها * فغدت مظلة منها السبل

وكذا العالم في زاته * يغتن العالم طرا ويضل
يقبدي منه بما فيه دقا * لا بما استعصم فيه واستقل
فهو ملح الارض ما يصلحه * ان يدا فيه فساد او حال

*(فصل — ل) * ويتبعني له ايضا ان يحترز في حق غيره من بحالسه
او يباشره كما يحترز في حق نفسه بحق اخوة الايمان وبحق الصبية والمشاركة
في مجلس العلم والخير ولا واجب عليه من الخير والارشاد والتغيير وقد تقدم
ان ذلك متعين على العلماء باللسان فاذا رأى أحدا من جلسائه قد خالف
سنة أو أثار كذب بدعة أو تمسك بشئ من ذلك نهاه بالطف وعلمه برفق قال
تعالى في التغيير على عدو من أعدائه منازع له في ملكه فقول له قولنا
فاذا كان هذا الأمر في حق هذا العدو والمخرد فبالك في حق أخ مسلم رفيق
جليس جاء مسترشدا فليجيب ان يرفق به فيأخذ أمره باللطف والسياسة
لئلا يتغير لان الغالب على النفوس النفور عند زجرها عن الشئ فيحتاج العالم
اذذاك الى أمرين ضدين لا بد له من اجتماعهما مراعاة جانب السنة والتغيير
والانزعاج عند مخالفة شئ منها والرفق المأمور به في حق اخوانه المؤمنين كل
على قدر حاله قال عليه السلام علوا وارفقوا ويسروا ولا تعسروا ولا تنفروا
او كما قال فيكون هذا العالم اذا رأى شيئا من هذه الاخلاق في أحد من
اخوانه أو جلسائه أو المسترشدين منه يتصرف بهم بمقتضى السنة والاتباع
فيرضى لرضى الشرع ويغضب لغضب الشرع فاذا كان كذلك فيسرجي له
الخير والبركة ويكون قريبا من صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
أعني في اتباعه لانه عليه السلام قال الواصف له كان أحسن الناس خلقا
فاذا رأى شيئا من حرم الله يفتك كان أسرع الناس اليها نصرة فاذا حصلت
هذه المحبة والنصرة للعالم فيحتاج ان يكون معهم في الرفق فلا يتفرغهم بل
يستجيبهم ويسرق طبائعهم بالسياسة حتى يردّها الى قانون الاتباع الا ترى
الى ما ورد عنه عليه السلام في حديث الاعرابي الذي بال في المسجد وصاح
الناس به فقال عليه السلام لا ترزموه وتركه حتى أتم بوله ثم صب عليه ذنوبا
من ماء ثم علمه بعد ذلك وهذا كله راجع الى أحوال الناس والى من يقع له
ذلك فيعامل كل أحد على حسب حاله وما يليق به من اللطف والسياسة

قوله لا ترزموه
من ارزم الرعد
اذا اشتد صوته
وبابه سمع اه

والشدة والغاظة لان الناس لم يتساووا فرب شخص لا يرجع الا بالالطف فان
أخذته بالشدة نفرت به ورب شخص لا يرجع الا بالغاظة فان أخذته بالالطف
اطمأنته وقل ان ينتهي • (فصل) • فاذا شرع هذا العالم في أخذ الدرس
وقرأ القارى فيحتاج اذ ذاك ان تكون عليه السكينة والوقار فيخضع قلبه
وتخشع جوارحه لهذا المقام الذى أقيم فيه وهو انه يبين عن الله تعالى احكامه
واعمال بركة ما يحصل له هو من ذلك ان ينتفع به جلساؤه فيتأدبون بأدبه
ويتأسون به ألا ترى الى ما روى عن محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة
حين دخل على مالك في أصحابه من أهل العراق يريدون سماع الحديث قال
قد خلت فوجدت أصحابه قعودا بين يديه كأنهم على رؤسهم الطير فقلت
سلام عليكم فلم يرد على أحد منهم سلاما الا مالكا فانه رد السلام فقلت ما بالكم
افى الصلاة انتم فرمقوني بأطراف أعينهم ولم يتكلموا فى قصة يطول ذكرها
والقصود منها ان مالكا كان عنده التظيم للمقام الذى أقيم فيه فوسرى
ذلك لطلبته وكذلك سنة الله أبدا فى خلقه أى من قرأ على شخص لا بد وان
يسرق طباعه وطر يقه واصطلاحه فان لم تكن كلها كان بعضها فاذا كان
ذلك كذلك فينبغى للعالم ان يأخذ نفسه أولا بالادب فيما ذكر فيجمع همهته
وخاطره عند قراءة القارى فاذا فرغ القارى استفتح هو الاقراء فيستعيد اذ
ذاك من الشيطان الرجيم الكى يكفى شره فى مجلسه ذلك ثم يسمي الله تعالى الكى
يعتزله الشيطان لان كل شئ سمي الله تعالى عليه فى ابتدائه عزله منه الشيطان
وحرم عليه حضوره ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لتحصل البركة
فى مجلسه لان البركة معه عليه السلام حيث ذكر وحيث كان ثم يترضى عن
أصحابه التكمل بذلك البركة فى مجلسه لانهم الاصل الذين اسسوا ما جاس اليه
ثم يجعل المحول والقوة لله تعالى ويتعزى من حوله وقوته بقوله لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم بقوله ثلاث مرات وان قدرا ان يكون سبعا كان
أحسن كذلك كان المحققون من العلماء يفعلون ذلك ثم يستند امره الى الله
تعالى ويتوكل عليه فى تسديده وتوفيقه ويفتقر فى ذلك ويضطر اليه أتمن
يحيب المضطر اذا دعاء ويتعزى اذ ذاك من فهمه وذممه ومطالعته وبعثه
وأنه الآن كانه لا يعرف شيئا فان فتح الله عليه بشئ اذ ذاك كان من الله تعالى

فقد آمنه وكرمالا لاجل مائة قدم من محاولة المطالعة والدرس والفهم ثم
يستجير به من شرائر اللسان ومن نزغات الشيطان ومن الخطأ والزلل ثم
يتكلم بما قد تحصل عنده من العلم في تلك المسئلة التي قرأ القارئ ويذكر
ما ذكره العلماء فيها ويوجه أقوالهم ويرد ما ذهبوا اليه الى أصولهم التي
استخرجوا الاحكام منها وهو الكتاب والسنة ويكون في اثناء ذكره للعلماء
يترضى عنهم و يترحم عليهم ويعرف من حضره بقرههم وفضيلتهم وحق
سبقهم قال الفقيه الامام أبو بكر بن العربي في مراقي الزاني له قال أبو حنيفة
المحكيات عن العلماء ومجالاتهم أحب الي من كثير من الفقه لانها آداب
القوم واخلاقهم ثم ثم يوجه مذهبه وينتصر له وذلك بشرط التقيد على
منصب غير امامه ان ينسب اليه ما ينسب لبعض المتعصبين من الغلط والوهم
لغير امامه فان كنت على مذهب مالك مثلا فلا يدع لك غضاصة لمذهب
الشافعي أو غيره من الاثنية رضى الله عنهم لانهم الكل جاءهم الله رحمة لك
لانهم أطباء دينك كالأعوج أمر في الدين قومه وكما وقع لك خال في دينك
اتفق الكل على ذهابه عنك وتلافى أمرك واصلاحه واختلافوا في كيفية
الهدى والاك على ما اقتضى اجتهادك كل واحد منهم على مقتضى الاصول في
تخليصك من علك وجيتك واعطاء الد والاك فاذا رجعت الى طبيب منهم
وسكنت الى وصفه وما اقتضاه نظره من المصلحة لك فلا يكن في قلبك خرازة
من الأطباء الباقيين الذين قد شغلوا بمرض غيرك من اخوانك المؤمنين وقد
أقامهم الله لمصلحة الامة وتدير دينهم فإياك إياك ان تجدى قلبك خرازة
ابعضهم وان قام لك الدليل ووضح على بطلان قول من قال لان من قال
ما قال ما قاله مجانا بل مستندا الى الاصول ولو كان حاضرا يبحث معك لرأيت
مذهبه هو الصواب لما يظهر لك من بحثه واستدل له ألا ترى الى قول مالك
رحمه الله لما ان سئل عن أبي حنيفة فقال رأيت رجلا لو أراد أن يستدل على
هذا العمود أنه من ذهب لفعل فيكون قلبك واعتقادك مع لسانك مجالهم
ومعظم او محترما وان كنت قد خالفهم بالرجوع الى امامك في بعض الفروع
فانك لم تخالفهم في أكثر الفروع فالاصول قد جعت الجميع والحمد لله
الأتري الى جواب مالك رحمه الله للخليفة لما ان اراد ان يكتب الى اقاليم

بكتاب الموطأ وبالأمر أن لا يقرأ أحد الا اياه فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في الأقاليم وقد أخذ الناس عنهم فانظر إلى هذا الكلام منه مع اعتقاده فيما ذهب إليه انه هو الاولى والارجح على مقتضى الاصول والنظر فلم يطعن على ما ذهب إليه غيره ولم يعبه ولم يقل الاولى ان يرجع الى ما رأيت فيكون هذا العالم يتأسي بهذا الامام في التمسك بما ذهب اليه الناس في الفروع والاحكام مع اعتقاد الصواب فيما ذهب اليه دون تغليب غيره أو توهيمه ثم يمشي فيما قد ذهب اليه على ما جالس اليه اولاً من التأديب والاحترام في الكلام بالطف ورفق ويحذر ان يرفع صوته وان يزعج فيؤذي بيت ربه ان كان فيه ويرفع صوته يخرج عن آدين العلم وعن حد السموت والوقار ويوقع من جالسه في ذلك لاقتدائهم به وكذا أيضاً يحذر ان يرفع أحد صوته من جالسه فان رفع أحد صوته نهاه برفق وأخبره بما في ذلك من المكر وهوان رفع الصوت اذ ذاك فيه محذورات منها رفع الصوت في العلم وقد تقدم ان كاد مالك رحمه الله لذلك ومتوارف مع الصوت في المسجد ان كان فيه وقد وقع النهي عنه ومنها قوله الادب مع العالم الذي حكي مذهبه أو كلامه اذ ذاك وان كانوا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم تذاكروه أو اوردوه اذ ذاك شاهد المسائلهم فهو اعظم في النهي وأبلغ في الزجر لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وانتم لا تعلمون فيقعون بسبب ذلك في حبط العمل والعباد بالله اذ لا فرق بين رفع الصوت عابه في حياته عليه السلام وبين رفعه على حديثه كذا قال امام الهدثين مالك بن أنس رحمه الله

(فصل) ويتبين له اذا أخذت كلام في الدرس فأوردت عليه المسائل والاعتراضات والتنظيرات أن لا يجيب أحداً عن مسأله ولينضم فيما هو بسبيله ويسكت من أورد عليه برفق أو يأمر من يسكته لان الايراد اذ ذاك يخاطب المجاس ولا يحصل بسببه كبير فائدة فيبين هو المسألة لنفسه ويوجهها ويستدل لها ويورد عليها ويعترض عليها ثم يجيب عن ذلك كله بما تحصل عنده من أقوال العلماء في ذلك ثم يطررها بما يشبهها من المسائل وما يقرب

منها ثم يفرغ عليها ما يحتمل من التفريع بعد حله أولا لفظ الكتاب وتبينه
حتى يبين صورة مشكلة الكتاب لجميع من - ضرا الصغير والكبير لأن حل لفظ
الكتاب مطلوب من الجميع من الصغير والكبير من يحفظ الكتاب ومن
لا يحفظه وهو أقل فائدة حضور مجالس العلم وما يقع عليها بعد ذلك من
الكلام فذلك الذي تختلف أحوال الناس في فهمه فمنهم من يحصل الجميع
ومنهم من يحصل البعض على قدر ما رزق الله تعالى كل واحد من الفهم
فيكون في أول مرة يسير سير الضعيف للحديث الوارد عنه عليه الصلاة
والسلام سير وابسير أضعفكم فإذا تحصل للضعيف مقصوده وهو حل لفظ
الكتاب حيث يترجع في البيان إلى من هو أقوى منه ثم يتدرج بعد ذلك قليلا
قليل إلى ما مر والتأديب وحسن السمات والوقار مستحب معه في ذلك
كله فإذا فرغ ما عنده من العلم في ذلك والبيان فليعط اذذاك سكتة ويعلم من
حضره عن يريد الكلام فن كان عنده شيء فليورده الآن فإذا كان بقي شيء
أوردوه اذذاك فيتنبه الشيخ إليه فيتكلم فيه والغالب أنه لا يبقى اذذاك لاحد
ما يقول لأن كل ما يريد القائل أن يقول اذا سكت لا آخر المجلس بحمد الشيخ
قد أوردوه وتكلم عليه وبينه الا ان يكون شيء شئت عنه فيستدرك عليه
اذذاك فإذا فرغ من جواب ما أورد عليه وبيانه فليقرأ القارئ اذذاك ثم يمضي
على ما تقدم ذكره فإذا فعل ذلك تبينت المسائل لكل الحاضرين وانتفعوا
وقد يقطعون الكتاب في الزمن اليسير بخلاف ان لو بقي يحجب كل من سأل في
أول الاقراء اذ لكل واحد ايراد سؤال وغرض فقد لا يتخلص من جواب
البعض الاوقا طال المجلس وثقل على الحاضرين ولم تحصل بعد فائدة فإذا
سكتوا إلى ان يفرغ كلام الشيخ انتفع الجميع وقل ان يبقى بعد ذلك اشكال
أو سؤال لان الشيخ هو المقصود بهذا المجلس وهو القائم بوظيفته فقد نظر إليه
وحصل ما لم يحصل غيره

• (فصل) • وينبغي له أيضا اذا أوردت عليه المسائل والاعتراضات ان
لا يجيب عن ذلك حتى يفرغ صاحب السؤال بكلامه إلى آخره أو المعتبر
باعتراضه إلى آخره لان الكلام انما هو بآخره وكذلك ينبغي له ان يحفظ في
حق من جالسه ان لا يجيبه واعن المسائل حتى يفرغ من يلقاها إلى آخر كلامه

وكثيرا ما يقع هذا اليوم تجداً أحد الطلبة يريد أن يتكلم على مسألة أو يعترض
عليها أو يعارضها أو ينظر بها أو يستدل لها فيقطع الكلام في نفسه وهو يعلم
ينطق منه الابشئ مما وكذلك أيضاً يسرق منه بعض الناس ما يريد أن يقوله
فيقطع الكلام عليه ويستبد به وبالجواب أو القاء المسئلة لنفسه وهذا كله
لا يجوز وأصله الرياء والحب والمباهاة والفخر ومحببة النقل عنه ومحببة
الظهور على الأقران قال أحمد بن حنبل رحمه الله أدركت الناس وهم
يتعلمون السكوت ثم هم اليوم يتعلمون الكلام اه فيحذروا أن يفعل ذلك
في نفسه وكذلك يحذرون أن يقع ذلك في محاسنه فان وقع امتثل ماذا كرم
التغيير على ما تقدم كان السافر ضوان الله عليهم يأتون بالسائل العظيمة
والفوائد النفيسة ولا يريدون أن تنسب اليهم خوفاً على أنفسهم من الرياء
والسعة فكأنوا من ذلك برءاء لشدة إخلاصهم ومراقبتهم لربهم في أعمالهم
وقد قال الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله في مراقب الزاني له روى
عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال وددت أن الناس اتفقوا على هذا العلم ولا
ينسب إلى منه شيء (وقال) أيضاً رضي الله عنه ما ناظرت أحداً قط
فأحببت أن يخطئ (وقال) رضي الله عنه ما كلمت أحداً قط إلا أحببت
أن يوفق ويستدوينه وان تكون عليه رعاية من الله تعالى اه ونحن
اليوم مع قلة الإخلاص وقلة اليقين والتجزع من الخلق والطمع فيما في أيديهم
من المال والجاه نحب أن نسمع ما نلقيه ونخبر عنه به ونشاع ونذاع كل هذا
سببه المواطأة لبعضنا بعضاً فاذا كان العالم حين جلوسه يعمل على التحفظ من
هذه الأشياء ويتنبه في نفسه لها وينبه أصحابه عليها التحسنت وقل ان يقع
في محاسنه خلل ان شاء الله تعالى (وكذلك) أيضاً ينبغي له بل يجب عليه ان
لا يجحد ضرورة وان لا ينزعج عند ايراد المسائل عليه والا كثار منها والاحتجاج
عليه بها لان النزاع ليس من شيم العلماء ولا من أخلاقهم وكذلك يجحد
الحق ليس من شيمهم بل من شيم من لا يخبر فيه فيحذرون هذا أيضاً في نفسه
وفي محاسنه (وينبغي) له أيضاً ان تكون نيته حين جلوسه لأصالة الحق
والصواب على لسان من خاف الله ذلك قبله ويسر به ولا يختار ينهيه ان
يكون هو الذي يأتي بالصواب في كل درسه ليس الأبل يختار الحق والصواب

لله لم يعدم من الناس وان عدم في بعضهم فهو موجود في آخرين •
 • (فصل — ل) • وينبغي له أيضا اذا قدم في مجالس العلم ان يخلص قلبه
 لله تعالى لتعلم أحكام ربه وتعاليمها اعله يدخل في عموم ما ورد عنه عليه
 الصلاة والسلام من صلى الفريضة ثم قدم يعلم الناس الخير نودي في السموات
 عظيم الأوكاف عليه السلام وينفي عنه الشوائب ما استطاع جهده وهذا
 الذي يلزمه لانه الذي يقدر عليه وأما ما يقع في قلبه فليس هو كفايا بان لا
 يقع انصاعه اذا وقع يدفعه عن نفسه ويبتغضه لان تكليف ان لا يقع على
 لا يطاق فو قد رفعه الله والمجد لله عن هذه الامة فلا يقدر لائن يرأس به على
 غيره أو يقال فلان مدرس أو مفيد أو يبحث أو زبده أو حاذق أو صاحب فهم
 مع انه قل ان يقع هذا اليوم لكثرة تعلقهم في الشخص فاذا رأوا أحدا
 يتكلم في مسألة على ما ينبغي قالوا عنه مجتهد هذا الشافعي الصغير هذا مالك
 الصغير وانصاع له ذلك وموت عليه نفسه وحسب انه كما قالوا فيكون مثله
 اذ ذلك كما قالوا مثل نائم يرى في نومه ما يسره ويحببه فيفرح به ويخجل له انه
 حق ثم ينتبه فلا يجد شيئا من ذلك وكذلك حال هذا سواء بسواء لما أن تكلم
 الناس بما تكلموا به حسب نفسه اذ ذلك كما قالوا وهذا ضرب من الحلم فلو تيقظ
 من هذه السنة والغفلة التي وقع فيها ونظر الى ما ميز الله به مالكا والشافعي
 وغيرهما من العلماء المتقدمين من الفهم العظيم والتقوى المتينة لتلاشي
 علمه اذ ذلك وفهمه وتقواه ويجد نفسه كما قال أسد بن القرات رحمه الله لما ان
 رأى بعض العلماء يجامع صروقه ويقول قال مالك كذا وهو خطا وذهب
 مالك الكذا وهو وهم والمواب كذا فقال ما أرى هذا الا مثل رجل جاء
 الى البحر فرأى أمواجه وعجيجها فجاء الى جانبه فبال بولة وقال هذا بحر آخر
 اه فكذلك هذا يجد نفسه سواء أو أعظم فاذا تيقظ من سنة غفلته لكثرة
 ما يجد عند من تقدمه من الفضائل تلاشى ما يجد في نفسه ورأى ما في
 نفسه من التقصير والجهل ودوارته كتاب ما لا ينبغي في علمه ونسرفه
 • (فصل) • في ذكر النعوت وبقية من عليه ان يحفظ من هذه البدعة
 التي سميت بها البلوى وقل ان يسلم منها كبر أو صغير وهي ما اصطلموا عليه من
 تسميتهم بهذه الاسماء القرية العهد بالحدث التي لم تكن لاحد من

مضى بل هي مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين وفلان الدين والعالم
أولى من يحفظ على نفسه من هذه الاشياء ويذب عن السنة في حق نفسه وفي
حق غيره وهو الآن راع على كل من حضر وكل راع وكلكم مسئول عن
رعيته فاذا نطق أحدهم بهذه الاسماء بها برفق وتلطف به في التعاليم ونبيه بما
ورد في التزكية من النهي وكذلك اذا ناداه أحد بهذه الاسماء فعمله كما ذكر
وأقل ما يمكن في حقه في غير هذا المجلس ان لا يستجيب لمن ناداه بهذا الاسم
حتى يناديه بالاسم المتروك لان في هذا المجلس يتعين عليه خصوصا التغيير
باللسان والتعاليم بالرفق لانه لذلك قد (الأتري) ان هذه الاسماء فيها من
التزكية ما فيها فيقع بسببها في المخالفة بدليل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وأقوال العلماء أما الكتاب فقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقوله
تعالى ألم تر إلى الذين يزكوا أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون شيئا ولا
انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا وأما السنة فقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا على الله أحدا ولا كن قولوا أخاله كذا
وأظنه كذا وأما قول العلماء فقد قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه
شرح أسماء الله المحسنى فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الانسان
نفسه ثم قال قال علماءنا ويجري هذا المجرى ما قد كثرت في الديار المصرية
وغيرها من بلاد العراق والحجم من نهتهم أنفسهم بالنعوت التي تقتضى التزكية
والثناء كزكي الدين ومحى الدين وعلم الدين وشبه ذلك اه فاذا نادى المناد
بهذا الاسم فقد ارتكب ما لا ينبغي للحديث المتقدم لانه قد زكى الغير وهو
موضع النهي وانت اذا استجبت له صرت مثله لما تقدم ألا ترى الى ما روى في
الحديث من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي
الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا
واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار
وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا رواه
الترمذي ومنه أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ملا من تن ما جاء به وقد ورد

أيضا لا يزال الرجل يفتري الصادق حتى يكتب عند الله صادقا ولا يزال
الرجل يفتري الكاذب حتى يكتب عند الله كاذبا وقد سئل عليه الصلاة
والسلام أي سرق المؤمن قال قد يكون ذلك قيل أيرزى المؤمن قال قد يكون
ذلك قيل أي كذب المؤمن قال نعم لا يفتري الكاذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله وفي رواية قال لا اه وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقد ورد فيمن انفلتت دابته فلم يقدر على امساكها فاماها المخللة فتأني على
ان العلف فيها فيمساكها انها تكتب عليه كذبة يحاسب عليها يوم القيامة مع
انه مذكور في ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعه المال وفعله
ذلك من باب صيائمه الا ترى الى البخاري رحمه الله لما ان رجل من بلاد الى
بعض الشيوخ ليسمع عليه الحديث فلما ان جلس عنده جاء صغيرا يقع من
موضع فقبض الشيخ يده لكي يظن الصبي ان في يده شيئا يعطيه اياه ايا في
فياخذ ما فيها فقام البخاري رضي الله عنه وتركه ولم يسمع عليه شيئا الا انه رأى
ان ذلك كذب وقدح في الرواية عنه فاذا قال مثلا يحيى الدين او زكي الدين
فلا بد ان يسئل عن ذلك يوم القيامة ويقال له هذا هو الذي احيى الدين
وهذا هو الذي زكى الدين الى غير ذلك فكيف يكون حاله اذ ذاك حين
السؤال بل حين اخذه صحيفته فيجدها مشحونة بما تقدم ذكره من التزكية
وقد اختلف علماء ائمة الله عليهم في معنى الآية المتقدمة وهي قوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل الملائكة الكرام يكتبون كل ما يلفظ
به الشخص المكلف كان ما كان أولا يكتبون الاما تضعه الامر والنهي وعلى
هذا القول الثاني هي المسئلة التي نحن بسبيلها اذا نهى الله عن شيء
مذمومة في الشرع الشريف وهي تزكية الانسان نفسه وتزكيتة لغيره
والكذب ومخالفة السلف رضي الله عنهم فان الله وانما اليه راجعون ولو وقف
امرنا على هذا لكان قريبا ان لو كان سائغا لانه اذا تقرر عندنا ان هذا كذب
وتزكية يوجب لاحدنا التوبة والاقلاع ولكن زدنا على ذلك الامر بالخوف
وهو اننا نرى ان ذلك جائز او مندوب اليه بحسب ما سوات لنا انفسنا من ان
الناس اذا خطبوا بغير هذه الاسماء تشوشوا من اجل ذلك وتولد الشحنة
والبغضاء فوضعتنا لهم التزكية المخالصة حتى لا يتشوشوا ولا تولد البغضاء

ولا العداوة لا يجرم ان العداوة والبغضاء والشحناء قد كانت عند بعضهم
وحمل منها أو فر نصيب كل ذلك بسبب هذه البدعة فبقيت البواطن
متنافرة مع الأذهان في الظاهر فأدت هذه البدعة الى الامر بالخوف لان
صفة المناقاة ان يكون باطنه ومعتقده بخلاف ظاهره وهو ذبا لله من ذلك
ولو كانت هذه الاسماء تجوز لما كان أحد أولى بها من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ انهم شعوس الهدى وانوار العلم وهم أنصار الدين حقا كما نطق
به القرآن والخبر كله في الاتباع لهم في الاعتقاد والقول والعمل الا ترى الى
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي اختارهن الله له عليه الصلاة والسلام
واصفاهن ليعلم الله سبحانه وتعالى ما فيهن من الشيم الكريمة والاحوال
العالية المرضية لما ان دخل عليه الصلاة والسلام بزينة أم المؤمنين
رضي الله عنها قال لها ما اسمك فقالت برة فذكره ذلك الاسم وقال لا تزكوا
أنفسكم لسانيه من اشتقاق اسم البر ومعلوم بالضرورة انهما ما اختيرتا لسيد
الاولين والآخرين الا وفيهما من البر بحيث المنتهى لكنه عليه الصلاة
والسلام كره ذلك الاسم وان كان حقيقة لسانيه من التزكية فقد داسهما
زينة وكذلك فعله عليه الصلاة والسلام مع جويرة أم المؤمنين وجدد
اسمها كما تقدم فسمها جويرية فاذا ذكره عليه الصلاة والسلام ذلك
في حق من فيه ذلك حقيقة ونهى عنه بقوله لا تزكوا أنفسكم فابالك
باحوالنا اليوم (ومن) هذا الباب ايضا ما أخرجه أبو داود في سننه عن شريح
عن أبيه هاني رضي الله عنه انه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
قومهم كانوا يسمونه بأبي الحكم فدهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
الله هو الحكم واليه الحكم فلم يكتفى بأبي الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا
في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضى كلاً الفريقين بحكمي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أحسن هذا فقال من الولد فقال لي شريح ومسلم وعبد الله
قال من أكبرهم قال شريح قال فانت أبو شريح (فان) قال قائل انما هذه
الاسماء مجاز لا عبرة بها وقد صارت ايضا كاسماء الاعلام حتى لا يعرف
أحد الا بها فقد خرجت عن باب التزكية الى باب أسماء الاعلام كالعباس
وعلى (فالجواب) ان هذا يرده ما نشاهد في الوجود مباشرة وهو أن الواحد

وكان اسمها برة
أيضا كما في اسد
الغاية اه

منا اذا قيل له اسماء العلم الشرعي كالعباس وعلى تشوش من ذلك على من ناداه بذلك ووجد عليه الحق لكونه ترك ذلك الاسم وعدل عنه الى غيره فهذا يوضح ويبين ان التزكية باقية مقصودة في هذه الاسماء وانها لم تخرج ولم تخرج عن موضعه الذي وضعت له مع انه لو لم يكن فيها الا ~~الكذب~~ والتزكية لكان منها عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التشبه بالاعاجم وهذه الاسماء ما ظهرت الا من قبلهم وقد رأيت لبعض الشيوخ من يقتدى به في العلم والفتوى والدين يقول انه أدرك أبا ومن كان في سبيله لا يتسمون بهذه الاسماء ولا يعرفونها وكان سببها ان الترك لما تغلبوا على الخلافة تسموا اذذاك هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة الى غير ذلك فتشوقت نفوس بعض العوام من ليس له علم الى تلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلا اليها لاجل عدم دخولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا في اول ما حدثت عندهم هذه الاسماء اذا ولد لاحدهم مولود لا يقدرون ~~بسم~~ بسم الله لان الدين الا بامر يخرج من جهة السلطنة فكانوا يعطون على ذلك الاموال حتى يسمى ولداً أحدهم بفلان الدين فلما ان طال المداد وصار الامر الى الترك فلم يبق لهم بالتسمية بالدولة معني اذا نها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا ويسمون اولادهم بغير ما لم يعطونه على ذلك ثم انتقل اليه بعض من لا علم عنده ولا عمل ثم صار الامر متعارفا متعاهدا حتى أنس به بعض العلماء فتواطؤوا عليه فان الله وانا اليه راجعون كان الناس يقتدون بالعالم ويهتدون بهديه فصار الامر الى ان يحدث الاعاجم ومن لا علم عنده شيئا فيقتدى العالم بهم فان الله وانا اليه راجعون على عكس الامور وانقلاب الحقائق ألا ترى الى الامام المحافظ النووي رحمه الله من المتأخرين لم يرض قط بهذا الاسم وكان يكرهه كراهة شديدة على ما نقل عنه وصح وقد وقع في بعض الكتب المنسوبة اليه رحمه الله انه قال اني لا أجعل أحدا في حن من يسميني بحبي الدين وكذلك غيره من العلماء الاعاين بعلمهم وقد رأيت بعض الفضلاء من الشافعية من أهل الخبر والصلاح اذا سأل عن النووي رحمه الله يقول قال يحيى النووي فسأله عن ذلك فقال انا انكره ان تسميه باسم كان يكرهه في حياته فعلى هذا

فهذه الاسماء انما وضعت عليهم افعالهم براء من ذلك وقد قال مالك رحمه الله ولا ينبغي ان يسمى الرجل بيس ولا بجبريل ولا بهدي قيل فلهادي قال هذا اقرب لان الهادي هادي الطريق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره سب الاسماء مثل حرب ومرة وبجرة وحفظة انتهى ثم الجواب عن يتهى بهذه الاسماء في كونهم أكثروا التكبير على مالك رحمه الله في اخذه بعمل أهل المدينة وكان في القرن الثاني ثم انهم اقتدوا في هذه الاسماء عن أحدثها في القرن السابع وليسوا بالمدينة بل بالمرافق وغيره وقد قال مالك رحمه الله العمل أثبت من الأحاديث قال من اقتدى به وانه لضعيف ان يقال في مثل ذلك حدثني فلان عن فلان وكان رجال من التابعين يتابعهم عن غيرهم أحاديث فيقولون ما نجهل هذا ولا يمكن مضى العمل على غيره وكان محمد بن أبي بكر بن جرير رعا قال له أخوه لم لم تقض بحديث كذا فيقول لم أجده الناس عليه قال النخعي لو رأيت الصحابة رضي الله عنهم يتوضئون إلى الكوعين ما توضأت كذلك وأنا أقرؤها إلى المرافق وذلك لانهم لا يتهمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وهم أحرم نحاق الله على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يظن ذلك بهم أحد الا ذور يمة في دينه قال عبد الرحمن بن مهدي السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث قال ابن عيينة الحديث مضلة الالفقهاء يريد أن غيرهم قد يحمل الشيء على ظاهره وله تأويل من حديث غيره أو دليل يخفى عليه أو متروك أو جب تركه غير شيء مما لا يقوم به الا من استبحر وفاقه قال مالك رحمه الله وانما فسدت الاشياء حين تعدى بها منازلها وليس هذا المجدل من الدين بشيء فقله ابن يونس ومن البيان والتحصيل قال مالك رحمه الله العلم الذي هو العلم معرفة السنن والامر الماضي المعروف المعمول به ثم انظر رجلك الله الى مكيدة الشيطان في هذه الاسماء وما أوقع فيها من سوء المعوم الا ترى ان الغالب على الاسماء الشرعية ان يكون فيها اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الانبياء عليهم السلام أو اسم من أسماء الصحابة رضي الله عنهم وقد ورد في الحديث عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أهل بيت فيه اسم نبي الا بعث الله تبارك وتعالى اليهم ملكا يقرئهم

بالغداة والعشي اه وقد ورد عن الحسن البصري انه قال ان الله ايقظ
العبد بين يديه يوم القيامة اسمه أجراً ومجراً قال فيقول الله تعالى له عبي
اما استحييتني وانت تهصيني واسمك اسم حبيبي محمد فيذكر كس العبد رأسه
حياء ويقول الله -م اني قد فعلت فيقول الله عز وجل يا جبريل خذ بيده
عبي وادخله الجنة فاني استحي ان أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي اه
فاذا كانت هذه العناية العظيمة في اسم من أسماء الانبياء فكيف بها في اسم
من أسماء الله تعالى كفي بها بركة انهم ينطقون باسم من أسماء الله تعالى
أو باسم من أسماء الانبياء عليهم السلام أو اسم من أسماء الصحابة رضي الله
عنهم فتعود عليهم بركتها فلما رأى الشيطان هذه البركة وعمومها أراد ان
يزاها عنهم بعادته الذميمة وشيطنته الكريمة فلم يتمكن ان يزأها الا بضدها
وهو ان يكون الاسم يعود عليهم بالضد ثم انه لا يأتي لاحد الا من الوجه
الذي يعرف انه يقبل منه فلما ان كان اهل المشرق الغالب على بعضهم
حب الفخر والرياسة أبدل لهم تلك الاسماء المباركة بما فيه ذلك نحو وعز
الدين وشمس الدين الى غير ذلك مما قد علم فنزل التزكية موضع تلك الاسماء
المباركة ولما ان كان اهل المغرب الغالب عليهم التواضع وترك الفخر
والخيلاء أتى لبعضهم من الوجه الذي يعلم انهم يقبلونه منه فأوقعهم في
الالقاء المنهية عنها بنص كتاب الله تعالى فقالوا لعمد جدو ولا جد جدوس
وايوسف يسو واعبد الرحمن رجحو الى غير ذلك مما هو معروف معروف
عندهم يتعارف بينهم فاعطى لكل اقليم الشيء الذي يعلم انهم يقبلونه منه
ثم وبالله من ذلك فاذا كان الاصل هذا فكيف يتبع او كيف يرجع اليه
هذا اذا كان المسلم من التزكية والكذب فكيف مع وجودهما في العالم
أولى بل اوجب ان ينصح نفسه وينصح جالساه وانذرانه المسلمين بانظار
سنة والارشاد اليها وانحذار بدعة والنهي عنها والتهاون بها ولو لم يكن في
ذلك من الفائدة الا معرفة الذنوب لكان ذلك كافيا والله الموفق فيحتاج
ان يعتنق ما سبق اليه من هذه النعمة الشاملة لانه اذا فعل هذا او فحود حصل
له اذذاك وصار من المشهود لهم بالجنة ومن لم يهذوا المشهود باسم بالجنة
العشرة رضوان الله عليهم ثم اهل بيعة الرضوان رضوان الله عليهم ثم اهل

بدورضوان الله عليهم ثم ما جاء من الافراد المشهود لهم بالجنة ثم هذا العالم
الذي ذكره قوله عليه الصلاة والسلام من احيى سنة من سنتي قد اُميتت
فيها احياني ومن احياني كان معي في الجنة واتى غنيمة اعظم من هذه
ان يكون مشهودا له بالجنة وهو في هذا الزمان العجيب نسال الله تعالى ان
يعيننا على ما يقربنا اليه بمنه وسياقنا باقى الكلام على كنى الرجال الشرعية
مع الكلام في نفوت النساء في موضعه ان شاء الله تعالى وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(فصل لـ) في اللباس وينبغي له ايضا ان يتحفظ في نفسه بالفعل
وفيمن يجالس بالقول من هذه البدعة التي يفعلها كثير من ينسب الى العلم
في تفصيل ثيابهم من طول هذا الكم والاتساع والكبر الخارق الخارج عن
عادة الناس فيخرجون به من حد السمات والوقار ويقعون بسببه في المحذور
المنهى عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاءة المال ولا يخفى على
ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاءة مال لانه قد يفصل
من ذلك الكم ثوب غيره وقد روى مالك رحمه الله في موطائه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ازرة المسلم الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين ما اسفل من ذلك ففي النار ما اسفل من ذلك ففي النار لا ينظر الله يوم
القيامة الى من جازاه بطرافه هذا نص صريح منه عليه السلام انه لا يجوز
للانسان ان يزيد في ثوبه ما ليس فيه حاجة اليه اذ ان ماتحت الكعبين ليس
للانسان به حاجة فنه منه وأباح ذلك للنساء فلها ان تجر مرطها خفافها شيئا
او ذراعا للحاجة الداعية الى ذلك وهي التستر والابلاغ فيه اذ ان المرأة كلها
عورة الا ما استثنى وذلك في اختلاف الرجال وكره مالك للرجل مسحة الذوب
وطوله عليه ذكرا بن يونس وقد حكى الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى
الطراطوشى رحمه الله في كتاب سراج الملوك والخلفاء قال ولما دخل محمد
ابن واسع سيد العباد في زمانه رحمه الله على بلال بن ابي بردة امير البصرة
وكان ثوبه الى نصف ساقيه قال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له
ابن واسع انتم شهرة وناها كذا كان لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيولكم
فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة اه فتوسيع الثوب وكبره وتوسيع الكم

وكبره ليس للرجل به حاجة فيمنع من ان يزداد على الكعبين سواء بشواه وان
 كان للانسان ان يتصرف في ماله لكان تصرفا غير تام محجور عليه فيه لانه
 لا يملك الملك التمام لانه ابيع له ان يصرفه في مواضع ومنع ان يصرفه في
 مواضع فالمال في الحقيقة ليس هو ماله وانما هو في يده على سبيل العارية على
 ان يصرفه في كذا ولا يصرفه في كذا وهذا بين منصوص عليه في القرآن
 والحديث اما القرآن ف قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى غير
 ذلك واما الحديث ف قوله عليه السلام يقول احدهم مالي مالي وايس لك من
 مالك الاما كانت غافيت وماليت فابليت وما تصدقت فابقيت ومن ذلك
 قوله عليه الصلاة والسلام يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد
 يرجع اهل وماله ويبقى معه عمله او كما قال عليه السلام الى غير ذلك فهو
 عبد محجور عليه في كل تصرفه فليس له ان يضع المال الا حيث اجيز له ان
 يضعه اذ انه متصرف فيه الا يؤذن له فيه وما يفعله لونه من صفة الاتساع
 والكبر في الثياب فليس بشروع اذ ان ذلك ليس به حاجة فيمنع الا ترى
 الى ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين لبس ثوبا فوجدكه يزيد
 على اطراف اصابعه فطالب شيئا يقطع به فلم يجده فاخذ حجرا والقي كره عليه
 ثم اخذ حجرا آخر فجعل يرضه به حتى قطع ما فضل عن اصابعه ثم تركه كذلك
 مدلى حتى خرجت الخيوط منه وتدللت فقيل له في حياطةه فقال رايت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بثوب كذلك ولم يخطه بعد حتى تقطع
 الثوب قال ابن القاسم يعني ان عمر رضي الله عنه قطع كم رجل الى قدر
 اصابع كفيه ثم اعطاه فضل ذلك وقال له خذ هذا واجعله في حاجتك قال
 ابن رشد رحمه الله انما فعل عمر رضي الله عنه هذا لانه رأى ان الزيادة في طول
 الكعبين على قدر الاصابع مما لا يحتاج اليه فراه من السرف وخشى عليه
 ان يذله منه عجب فابن الحمال من الحمال فان الله وانما اليه راجعون وقد
 نقل الامام ابو طالب المكي في كتابه قال ومما احدثوه من البدع لبس الثياب
 الكثيرة الاثمان قال وقد كان الساف رضي الله عنه ثوب احدهم من
 سبعة دراهم الى عشرة دراهم وكانوا لا يجاوزون هذا الا نادرا او كما قال واما
 الخروج به عن حد السمات والوقار فلا يخفى على ذي بصيرة حاله به كيف

هو يخرج وجههم به عن زى سائر الناس وتكافهم في جملة ان تركوه مدلى ثقل
عليهم في مشيهم فتقل مروءة أحدهم بسببه فلا يقدر على المشى الكثير بسببه
ولا يقدر على تعامل قضاة الخواشج بسببه وان رفع يده به احتاج الى حمله
وفي جملة كافة وان كان يصلى ثقل عليه في صلاته سيما اذا كان يبطانة وتركه
مدلى وان رفع يده به كان حاملة لثقل في صلاته فهو مشغل في الصلاة واذا كان
شغلا في الصلاة فيمنع منه الا ترى أنه عليه السلام نهى عن أن يكفت أحد
شعره في الصلاة أو يضم ثوبه وما ذاك الا أنه شغل في الصلاة فاذا ضم ثوبه حين
الركوع والسجود وقع في هذا النهى الصريح وان لم يضم وتركه على حاله
انفرش على الارض حين السجود والجلوس فيمسك به ان كان في المسجد
ما ليس له أن يمسكه الا ترى الى ما روى عن الصحابة رضى الله عنهم ان
ثيابهم كانت تنقطع من عند ممنا كبرهم أشد تراصهم في صلاتهم لانه عليه
السلام كان لا يدخل في الصلاة حتى يستويهم ويعلمهم ترصيص الصفوف
وكيف هي وكذلك الخلفاء بعدهم وقد قال ابن حبيب أدركت الناس
بالمدينة ورجال موكلون بالصلاة فان رأوا أحدا صلى في صف والصف الذى
يأيه الى القبلة يحتمل أن يدخله ذهبوا به بعد الصلاة الى الحبس ولانه ليس له
فى المسجد الا موضع قيامه وسجوده وجلوسه وما زاد على ذلك فليسائر المسلمين
والمحصر اليوم على ما يعهد ويعلم ولو كانت طاهرة فلا بد لبعضهم من بدعة
هذه العبادة فاذا بسط لنفسه شيئا يصلى عليه احتاج لاجل سعة ثوبه ان
يبسط شيئا كبيرا ليعم ثوبه على سجدة فيه يكون فى سجدة اتساع
خارج فيمسك بسبب ذلك موضع رجلين او قدوهما ان سلم من الكبر من
انه لا يضم الى سجدة احدا فان لم يسلم من ذلك وولى الناس عنه وتباعدا
منه هيبه اكتمه وثوبه وتركهم هو ولم يأمرهم بالقرب اليه فيمسك ما هو اكثر
من ذلك فيكون غاصب لذلك القدر من المسجد فيقع بسبب ذلك فى المحرم
المتفق عليه المنصوص عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قال
عليه الصلاة والسلام من غصب شبرا من ارض طوفة الله يوم القيامة الى
سبع ارضين او كما قال عليه السلام وذلك الموضع الذى امسكه بسبب قاشه
وسجدة ليس للمسلمين به حاجة فى الغالب الا فى وقت الصلاة وهو فى وقت

الصلاة غاصب له فيقع في هذا الوعيد بسبب فحاشه وسجاده وزيه فان
 بحث سجادة الى المجد في اول الوقت اوقبله ففرشت له هناك وقعد وهو
 الى ان يمضي المجد بالناس ثم يأتي فيمخطى رقابهم فيقع في محذورات سجادة
 منها غصبه لذلك الموضع الذي همات السجادة فيه لانه ليس له ان يجبره
 وليس لاحد فيه الاموضع صلاته ومن سبق كان اولي ولا تعلم احدا يقول
 بان السبق للسجادات وانما هو ابني آدم فيقع في الغصب اول الكونه منع
 ذلك الموضع من سبقه فاذا جاء كان غاصبا لما زاد على موضع صلاته بل غاصبا
 للموضع كله لانه لما ان سبقه غيره كان أحق بذلك الموضع منه فيكون غيره
 هو المتقدم ويتأخر هو فلما ان تقدم على من سبقه كان غاصبا ومنها تخطيه لرقاب
 المسلمين حين اتيانه للسجادة وقد نص عليه الصلاة والسلام على فاعل ذلك
 انه مؤذون من الله تعالى عليه السلام للذي دخل يخطى رقاب الناس اجاس
 فقد اذيت فنهاه واخبر بان فاعل ذلك مؤذون وقد ورد كل مؤذون النار فيقع في
 هذا الوعيد والعياذ بالله تعالى فان زاد على ذلك ما يفعله بعض الناس ايضا
 من نصب بساط كبير في المسجد لكي يصل عليه هو وبعض خدمه وحشمه ثم
 يبسط على البساط هذه السجادة فقد امكن في المسجد واضع كثيرة غاصبا لها
 في كل ما تقدم ذكره مع ما يضاف الى ذلك من الخيلاء وهذا امر لو فعله بعض
 الاعاجم او المجاهل لابيدينهم لوجب على العالم تحذيرهم من ذلك وزجرهم ونهيهم
 والاخذ على ايديهم او وعظهم ان كانوا يخاف شوكتهم فكيف يفعله العالم في
 نفسه ~~كان~~ ان الناس يقتبسون آثار العالم ويقتدون بهديه ويرجعون عن
 عوائدهم لعوائده فانعكس الامر فصار من لا علم عنده من الاعاجم وغيرهم
 يحدثون اشياء مثل هذا وغيره فيسكت لهم عن ذلك ثم يأتي العالم فيتشبه بهم
 في فعلهم فكان الناس يقتدون بالعلماء فرجعنا نقصدى بفعل المجاهل وهذا
 السبب هو الاصل الذي ~~تركت~~ تركت منه السنن غالب العنى اتخاذ عوائد يقع
 الاصطلاح عليها وعشى عليها فينشأ الناس عليها لا يعرفون غيرها ويتركون
 ما وراءها فجاء ما قال صاحب الانوار رحمه الله سواء بسواء وبكم يا معاشر
 العلماء السوء المجاهلة بربهم جلستهم على باب الجنة تدعون الناس الى النار
 يا عمالكم فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم ولا أنتم ادخلتم الناس بها بصالح

أعمالكم قطعتم الطريق على المرید وصددتم الجاهل عن الحق فاظنكم قد ا
عند ربكم اذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق أتباعه اه على انه لم ينقل
عن أحد من مضي أنه كان لعلمائهم لباس يعرفون به غير لباس الناس جميعا
لا مزية لهم على غيرهم في الثوب ولا في التفصيل بل لباس بعضهم كان أقل
من لباس الناس لتواضعهم وورعهم وزهدهم ولمعرفة الحق والرجوع
اليه والتفضيلة ذلك عند الشرع والعالم أولى من يسار الى الأفضل
والأزج والأزكى في الشرع نعم ان عمر رضي الله عنه قال استحب للفقاري
ان ~~يسكن~~ ون ثوبه أبيض يعني يفعل ذلك توقيرا للعالم فلا يلبس ثوبا وسخيا
ولا قدرا بل نظيفا من الأوساخ ولم يقل أحد انه يخالف لباس الناس
بسبب علمه قد كان لمالك رحمه الله ثياب كثيرة يوقر بها مجلس الحديث
حين كان يقرؤه على ما نقل عنه ولم ينقل عنه انه كان في غير مجلس الحديث
الأعلى العادة فقد صح عنه انه كان اذا طلبه الفقهاء للدرس سألهم
ما يريدون فان أخبروه انهم يريدون مسائل الفقه خرج على المسألة التي
يحدونه علم الا يزيد على نفسه شيئا وان أخبروه انهم يريدون الحديث دخل
الى بيته واغتسل ولبس أحسن ثيابه وتخير بالمسك والعود ثم يخرج الى
الحديث ويطلق البخور بالمسك والعود طول مجلسه ذلك حتى يفرغ تعظيما
للحديث واقدحكي عنه ابن وهب رحمه الله انه كان يوما يحدث ولونه يتغير
ويصفر ويتلون الى ان فرغ المجلس وانقضى الناس خرج الخف من رجله
فاذا فيه عقر بقداسعته سبع عشرة مرة قال فقلت له يا امام ما منعك ان
تخلعه في اول ضربة ضربتك فقال استحييت من النبي عليه السلام ان يكون
حديثه يقرأ واقطعه اضراصاب بدني أو كما قال فكأن تعظيمه الحديث كما
ترى وهذا اللباس اليوم لم يجعله لجلس الحديث بل لجلس غيره ولو
كانوا في مجلس الحديث فتجدهم يرفعون اصواتهم اذ ذاك وهو مكره لقوله
تعالى لا ترفعوا اصواتكم الآية قال مالك رحمه الله ولا فرق بين رفع الصوت
عليه في حياته او بعد مماته على حديثه فيوقرون مجلس الحديث في اللباس
ويقللون الادب في رفع الصوت والبحث والانتزاع اذ ذاك على ان الحديث
الذي يقرءونه ينهاتهم عن ذلك اللباس لما تقدم من نهيه عليه السلام

من اضاءة المال ومن أمره بازرة المؤمن الى انصاف ساقية وقد تقدم معناه وما ورد عنه عليه السلام من التاكيد في لبس الحسن من الثياب الا في الجمع والاعباد ولم يرد عنه في ذلك مخالفة لبس الناس افقيه ولا غيره ومجالس العلم اللبس لها اخفض رتبة من الجمع والاعباد وقد جعلت اليوم هذه الثياب للفقهاء كأنها فرض عليه وأنه لا بد للطالب منها ولا يمكن ان يشهد في الدرس الا بها فان قد تغيرها قيل عنه مهين يتهاون بمنصب العلم لا يعطى العلم حقه لا يقوم بما يجب له فانه كس الامر ودرت السنة ونسي فعل الساف بفتوى من غفل أو وهم واتباعها وشدا اليد عليها لكونها جاءت فيها حفاظ النفس وملكها وذاتها وهي التميز عن الاهمال والافران لأن من لبس ذلك الثوب عندهم قيل هو فقيه فيتميز بذلك عن العوام وهذه درجة لا تحصل له لو لم يكن ذلك الا بعد مدة طويلة حتى تحصل له درجة فضيلة تنقله عن درجة العوام فينبغي للابن لتلك الثياب انتقلت درجته عنهم ورجع لمحوها بالفقهاء فان الله وانا اليه راجعون رجوع الفقه بالزى دون الدوس والفهم ولهذا والله أعلم الاشارة من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه بقوله ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولا يكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فماتوا فافقه واخبر علم فضلو واضلوا اهـ ومعلوم بالضرورة ان العوام لا يتقون العوام يسألونهم ولا يرأس عامي على آخر من جهة الفقه لكن لما صار الفقه عندهم له حاجة يختص بها فجاء هذا المبتدئ فلبس تلك الخلعة وهو بهدلم يعرف شيئا أو عرف البعض ولم يعرف البعض ورآه العوام على زى من هو عندهم من العلماء في زمانهم فسألوه عن مسائل تقع لهم في دينهم وما عليه من الخلعة بمنعه ان يقول لا أعلم لئلا ينسب الى قلة العلم والمعرفة فيسقط من أعينهم بعد ان حصل عندهم أنه من الفقهاء فتجتمع عليه هذه الدسيسة السمية مع نزغ الشيطان وتسويله وتزيينه فيفتي برأيه ويجاريه من المصلحة ويقبض مسئله على غير ما ظننا منه انها مثاه أو تقاربها وليس المحكم كذلك وأن كان له منصب فيكون ذلك عليه أعظم فيرتكب المحذور ويدخل نفسه في الخطر ويفتي فيضل بارتكابه للباطل ويضل غيره فخصات هذه المفسدة العظمى

سبب مخالفة السنة في اللباس وهذا امر مجرب عند العلماء مشهور بينهم ان
السنة اذا تركت في شئ لا ياتى ما عمل عوضا منها الا ترك الخير والخير كانه
بجذا فيه في قدمه عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الخبير بجذا فيه
في الجنة والجنة لا تنال الا من تحت قدمه عليه السلام اعني باتباعه فان
هذا ما حكى عن عمر رضي الله عنه فيما تقدم وما حكى عنه ايضا انه كان له ثوب
فيه احدى عشرة رقعة احدها من آدم وما زال الناس لا يفرقون بين العالم
وغيره الا بحسن هديه وسنته او حسن كلامه (قال) ابن مسعود رضي
الله عنه العالم يعرف بلبه اذا الناس تائمون وبنهاؤه اذا الناس مغرطون
وبكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا
الناس يختالون وبجزئه اذا الناس يفرحون (وقال) عبد الله بن عمر رضي
الله عنه لا ينبغي له ان يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن
يعفو ويصفح اه فانظر رحمك الله الى قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن
عمر رضي الله عنهما هل قالا العالم يعرف بوسع كفه وطوله ووسع ثوبه وحسنه
بل وصفوه بما تقدم ذكره وذلك بعيد من اوصافنا اليوم كثيرا وكذلك
غيرهما من الاحساب والتابعين والعلماء المتقدمين لم يصفوا العالم الا
بمثل تلك الاوصاف قالوا وينبغي للعالم ان يكون لله حامدا وانعمه
شاكرا وله ذاكرا وعليه متوكلا وبه مستعينا واليه راغيا
وبه معصيا وللاوت ذاكرا وله مستعدا وينبغي ان يكون خائفا من ذنبه
راجيا عفوره ويكون خوفه في صحته ا غالب عليه اه فلم يذكرا احدا انه
يكون زيه كذا واباسه كذا حين كان العلماء على هذا انتفع الناس بهم
ووجدوا البركة والخير والراحة على ايديهم (حكى) لي سيدي ابو محمد رحمه
الله عن شيخه سيدي أبي الحسن الزيات رحمه الله انه خرج الى بستانه ليعمل
فيه لانه كان من عادته يخرج الى حائطه يعمل بيده واذا ببعض الظلمة
اخذوه مع غيره في البستان البستان الساطان فضى معهم وقمديهم معهم الى
ان جاء الوزير ودخل البستان لينظر ما عمل فيه فاذا به وقد وقعت عينه على
الشيخ وهو يعمل فطأ طأ على قدميه يقبلهما ويقول يا سيدي ما جاء بك هنا
فقال اعوانكم الظلمة فقال يا سيدي عسى انك تقبلنا وتخرج فابي فقال له

ولم قال هؤلاء اخواني من المسلمين كيف أخرجوهم في ظلمكم لا أفعل ذلك
فسأله أن يخرجهم فخرجهم فبقي فقال له ولم فقال له غدا تأخذونهم أنتم ان
كانت لكم حاجة فلم يخرج من هناك حتى تابوا الى الله تعالى أن لا يستعملوا
أحد من المسلمين ظلما اه فانظر الى بركة زى العالم اذا كان مثل زى الناس
وما يحصل لهم به من الخير والبركة هذا في واحدة فما بالك بغيرها وغيرها
فلو كان على الشيخ اذ ذاك لباس يعرف به لم يؤخذ في كانت تلك البركة تمنع
على هؤلاء المساكين الذين أخذوا اذ ذاك في ظلم السلطان فانظر رحمك الله
الى هذه الحكاية التي وقعت لهذا السيد الجليل يؤخذ منها الاستغراب للعالم
أن يكون لباسه مثل لباس سائر الناس لتحصل به المنفعة لآخوانه المسلمين
في هذا وما شاكم قال الفضيل بن عياض رحمه الله لو أن أهل العلم أكرموا
أنفسهم وشعروا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى
لخصمت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعاء وعز الاسلام
وأهله ولا كنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم
وبذلوا علمهم لا يناء الدنيا ليلصبوا بذلك ما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس
اه فهذه المفاصد كلها ظاهرة بيضاء لا يكابر فيها الوجود ما حسبه مشاهدة
عند الصغير والكبير منافع ما يحصل فيها من المغامرة والمباهاة والخيلاء فأين
هذا مما حكى عن عمر رضي الله عنه حين قدم الى الشام وكان على جبل خطابه
ليف ورحله وزاده فحتمه ورفقه عليه فسأله الا جئنا دان يلبس ثيابا بيننا
وان يركب يردونا ليرهب العدو بذلك ففعل فلما ان استوى على البرذون
نادى يا على صوته أقبلوا عر عثرته أقالكم الله عثرتهكم فرجع الى ثوبه وجعله
وقال بالاعيان اعترزنا فـ كان ذلك سببا لفتح البلاد على ما نقله أهل التاريخ
وكذلك فيما نحن فيه سواء بسواء وانما عز الفقهاء بفهم المسائل وشرحها
ومعرفتها ومعرفة السنن والعمل عليها وتعظيمها وترقيتها وتعليم ما حصل
من بركتها وخيرها ومعرفة البدع وتجنبها وتبيين شؤونها ومقتضاها وظلالها
وما يحصل من المقت لفاعله أو المستهين للقليل منها وتبيين ما يحصل لفاعل
هذا كله من الخير والبركة ومن التواضع لله تعالى والمعرفة به
وخشيته ومعرفة أحكامه والعمل بها قال الله تعالى انما يخشى الله

من عباد العلماء فجعل عز وجل خلعة العلماء الخشية وجعل بعض هؤلاء
 خلعة العالم توسيع الثياب والا تكام وكبرها وحثها وصقالتها وان كان
 من محتاج مع العمامة الى طيبان فتجد بعضهم قد خنق نفسه به ويتفقد
 في كل وقت وحين من جوانب خديها ان يكون مال الى احد الجانبين فيظهر
 وجهه للناس كانه امرأة تحجب تخاف ان تبين وجهها للرجال حتى ان
 بعضهم لا يفرزا لبرقي الطيبان مع العمامة حتى لا يكشفه الهواء عن رأسه
 ووجهه وهكذا تفعل المرأة بالقنصاع والخمار سواء بواضعك ذلك بالامر
 وتحفظ على نفسها ان تنكشف رأسها من قنصاعها أو يبين وجهها لغير
 محارمها وقد وقع النهي عن تشبه الرجال بالنساء وان كان الرداء وردت به
 السنة وكذلك العمامة والعذبة ~~لكن~~ الرداء كان أربعة أذرع ونصفا
 ونحوها والعمامة سبعة أذرع ونحوها يخرجون منها التلبية والعذبة
 والباقي عمامة على ما نقله الامام الطبري رحمه الله في كتابه قال الامام
 الطرطوشي رحمه الله تعالى روى أبو بكر بن يحيى الصولي في غريب الحديث
 ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتلحي ونهى عن الاقتعاط قال ابن قتيبة في
 كتابه المحكم قطع الرجل عمامته بقطعها الاقتعاط أي أدارها على رأسه ولم يتلح
 بها وقد نهى عنه وكذلك فسر الاقتعاط أبو عبيدة وغيره من أئمة اللغة ومن
 مختصر العين الاقتعاط أن يعتم الرجل بالعمامة ولا يتلحي والمقتعطة العمامة
 وقد اقتعطها قال القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله وقد سئل مالك رضي
 الله عنه عن المعتم لا يدخل تحت ذقنه منها فذكره ذلك قال القاضي أبو
 الوليد انما كره مالك رحمه الله ذلك لخلافه فعل السلف الصالح رضي الله
 عنهم قال الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله اقتعاط العمامة والتعميم دون
 حذك وهو بدعة منكرة قد شاعت في بلاد الاسلام وتطرحها مدرجة الله
 يوم الى رجل قد اعتم ولم يحتمك فقال اقتعاط كافتعاط الشيطان ذلك عمامة
 الشياطين وعمائم قوم لوط وأصحاب المؤتفكات قال عبد الملك بن حبيب
 رحمه الله في كتاب الواضحة ولا بأس أن يصلي الرجل في بيته وداره بالعمامة
 دون تلحي وأما بين الجماعات والمساجد فلا ينبغي ترك الالتفات فان تركه من
 بقايا عمائم قوم لوط قال بعضهم وقد شدد العلماء رضي الله عنهم الكراهة

في ترك التحنيك قال صاحب الجواهر وفي المختصر روى ابن وهب عن مالك رضي الله عنهما انه سئل عن العمامة يعم بها الرجل ولا يعمها تحت حلقه فانكرها وقال انها من عمائم القبط فقبيل له فان صلى بها كذلك قال لا بأس وليست من عمل الناس الا أن تكون عمامة قصيرة لا تبلغ وقال أشهب رحمه الله كان مالك رضي الله عنه اذا اعتم جعل منها تحت ذقنه وسدل طرفها بين كتفيه قال القاضي أبو محمد بن الوهاب رحمه الله في كتاب المعونة له ومن المكره ما خالف زى العرب وأشبه زى الجهم كالتعميم من غير حنك قال رحمه الله وقد روى انها عمامة الشياطين وقال بعض العلماء السنة في العمامة أن يسدل طرفها ان شاء أمامه بين يديه وان شاء من خلفه بين كتفيه وقال لا بد من التحنيك في الميئتين وأما حكم طرف العمامة فقد تقدم تخيير العلماء في سدلها ان شاء بين يديه وان شاء بين كتفيه وفي مسلم وأبي داود والنسائي عنه عليه الصلاة والسلام انه ارخى طرف عمامته بين كتفيه قال مالك رحمه الله لم أرا أحدا ممن أدركته يرخي بين كتفيه الذؤابة ولا يكن يرسلها بين يديه ثم المحجب من قول بعض المتأخرين ان ارسال الذؤابة بين اليدين بدعة مع وجود هذه النصوص الصحيحة الصريحة من الأئمة المتقدمين من السلف فيكون هو قد أصاب السنة وهم قد أخطأوها وابتدعوها أسأل الله السلامة عنه قال القرافي رحمه الله ما أفتى مالك حتى أجازة أربعون محنكا اهـ وما حكاها القرافي رحمه الله من ان مالك كان رحمه الله ما أفتى حتى أجازة أربعون محنكا دليل على ان العذبة دون تحنيك يخرج بها عن المكره لان وصفهم بالتحنيك دليل على انهم قد امتازوا به دون غيرهم والا فلا كان لوصفهم بالتحنيك فائدة اذا السكل مجمعون فيه وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول انما المكره في العمامة التي ليست بهما فان كانا معا فهو الكمال في امثال السنة وان كان أحدهما فقد خرج به عن المكره والله أعلم فعلى هذا اذا ارخى العذبة وتقع أكل السنة كما لو صحت وأرخى العذبة وقد نقل عن مالك رحمه الله انهم كانوا يعتمون حتى تطالع الثريا ومعنى ذلك ان طلوعها انما يكون في زمان الحرف فيزيلونها عن رؤسهم ومن فعل مثل هذا في هذا الزمان كأنه ابتدع بدعة في الدين حتى انهم لم يردون شهادته ويقعون في حقه

بنسبته انه داخل بذلك في جملة المولدين وأنه ليست له مروءة بسبب ما ارتكب
 من ذلك فراجع فعل السلف جرحه في حق من اقتدى بهم وهذا عندهم بخلاف
 من حضر السماع ورقص وسقطت عمامته وظهر منه فعل المجانين وما يذهب
 المروءة والخشعة بالكافية فانهم لا يسقطونه وربما نسبوه الى الخير والاصلاح
 وربما اعتقدوه على ذلك فان الله وانما اليه راجعون (فانظر) رحمة الله واني انا
 الى هذه النصوص المبرجة من أئمتنا في العمامة وما تكلموا عليها (ثم) قال
 بعض المتأخرين ان العمامة دون تحنيك ودون عذبة جائزة ليست بمكرهه
 واستدل على ذلك بأن اللبس من باب المباح وتركه ومضى (فانظر) الى هذا
 الاستدلال العجيب مع ما تقدم للعلماء فيهم من النصوص ومع ذلك فليس
 اللبس من قبيل المباح مطلقا الا ترى ان الفرض منه في حق الرجل ان
 يستتر من سرته الى رصكته وفي حق المرأة ان تستر جميع بدنها الا الوجه
 والكفين والسنة في حق الرجل أن يستر جميع جسده على الوجه المشروع
 فيه فهو مطلوب بذلك لاجل الامتثال ثم العمامة على صفتها في السنة كما
 تقدم ذكره والرداء في الصلاة مطلوب شرعا وكذلك هو مطلوب في الشرع
 بالخروج الى المجمع والاعياد بتياب غير ثياب مهنته فأن المباح المطلق وهذا
 الذي ذكره كله مطلوب في الشرع الشريف ثم لو تنزهنا عنه الى ما قاله انه من
 قبيل المباح فالأكل أيضا من قبيل المباح لكن السنة فيه ان يسمى الله تعالى
 عند اكله ويأكل بيمنه ولا يأكل بيساره وأن لا ينهش الخبز كاللحم وان يصغر
 اللقمة ويكثر مضغها وان يكون المساء حاضرا وان يحمد الله تعالى عند آخره
 وكذلك في شربه المساء وان كان مباحا وكذلك الدخول الى البيت والخروج
 منه هو من باب المباح والسنة فيه ان يقدم اليمنى ويسمى الله تعالى في
 الدخول والخروج فاذا كان نفس لبس العمامة من باب المباح فلا بد فيها من
 فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين وقوله بسم الله والذكر الوارد
 ان كان ما لبسه جديدا وامتنال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك
 والعذبة وتصغير العمامة على ما تقدم بيانه وقد قال علماء نازحة الله عليهم
 في تارك شيء من السنن والآداب ان الواجب ان يقبح له فعله ويذم على ذلك
 فان أبي أن يرجع والاهجر من أجل ما أتى به من خلاف السنة فكيف يمكن

أن يقول بالجواز دون كراهة مع هذه النصوص وقد قال مالك رحمه الله
 بالغنى أن عاملاً لعمري بن عبد العزيز رضي الله عنه على العن وأنه ارتدى بردة
 وكانت ماوية فأنجرت من خلفه فقبل له أرفع مع أرفع فأنجرت من بين يديه
 فقال له هكذا الشيء يجعل غير قدرو عزله قال ابن رشد رحمه الله اغتاف قبل له
 أرفع أرفع ما أنجرت خلفه لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم
 القيامة إلى من جازأره بظراف طول الرداء كرهه بخلافه أن يغفل عنه فيجبره
 من خلفه وقد جاء النهي عن ذلك لمن فعله بطرافة التوقي من ذلك على كل حال
 من الأمر الذي ينبغي وقد قال الشيخ الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب
 الأربعين له أعلم أن مفتاح السعادة في اتباع السنة والاقتداء برسول الله
 صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة
 أكله وقيامه ونومه وكلامه لست أقول ذلك في آدابه فقط لأنه لا وجه
 لأهمال السنن الواردة فيها بل ذلك في جميع أمور العادات فيه يحصل الاتباع
 المطلق كما قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى
 وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بأن تتسرع في قاعدا
 وتتعمق قائماً وتاكل يمينك وتعلم أظافرك وتبتدي بمسحاة اليد اليمنى وتختتم
 بأبهامها وفي الرجل تبتدي بختنمها اليمنى وتختتم بختنمها اليسرى وكذلك في
 جميع حركاته وسكناته فلا قد كان محمد بن أسلم لا يأكل البطيخ لأنه لم تنقل
 كيفية أكله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهوا أحدهم فلبس الخف
 وابتدأ باليسار فكفر عنه بكر حنطة فلا ينبغي أن تتساهل في أمثال ذلك
 فتقول هذا مما يتعاقى بالعادات فلا معنى للاقتداء فيه فان ذلك يغلق عنك باباً
 عظيماً من أبواب السعادات اه قال الهروي في غريبه قال النضر بن شعيب
 السكر بالبصرة ستة أوقار وقال الأزهري السكر ستون قفيرا والقفير ثمانية
 مكا كيك والكدوك صاع ونصف وهو ثلاث كيلجات فالسكر على هذا
 الحساب اثنا عشر وسقاً كل وسق ستون صاعاً (فان) زاد في كبر العمامة
 قليلاً لاجل حرأ وبرد فيسأخ فيه والذؤابة لم يكنوا يرسلون منها الا القليل نحو
 الذراع أو أكثر منه قليلاً لا أدأقل منه قليلاً وقد ورد في الطيلسان أنه ربيعة
 بالليل ومثله بالنهار وقد ورد أن أحبار اليهود اغتافوا يعرفون في زمان

نبينا صلى الله عليه وسلم بصفة هذا الطبيب ان اليوم فيكون ذلك تشبههم
ومن البيان والتحصيل قال مالك بانني ان سكتة بنت حسين او فاطمة بنت
حسين رأت بهن ولدها مقنعا راسه فقالت له اكشف عن رأسك فان القناع
ريبة بالليل ومذلة بالنهار وقال مالك وأما من تقنع من حر أو برد فلا بأس
بذلك قال ابن رشد رحمه الله المعنى في هذا بين لانه اذا تقنع بالليل استريب
منه مخافة ان يكون تقنع اسوء يريد ان يفعله من اغتيال أحد او شبه ذلك
واذا تقنع بالنهار لم يكرهه من لقيه ولا وفاء حقه ولا عرف منزلته واضطره الى
اضيق الطرق وذلك اذلال له ومن كتاب مختصر العين والمقنعة ما تقنع به
المرأة راسها والقناع اوسع منها ومن صحاح الجوهري والمقنعة والمقنعة
بالكسر ما تقنع به المرأة راسها والقناع اوسع من المقنعة ومن النهاية لابن
الاثير الرأس موضع القناع قال وفي حديث بدر فاكشف قناع قلبه فسات
قناع القاب غشاؤه تشبهها بقناع المرأة وهو أكبر من المقنعة ومنه
حديث عمران بن وهب جارية عليهما قناع فضر بهما بالذرة وقال أتشبهين
بالحراثر وقد كان يومئذ من لباسهن اه فساقلوه دليل على ان المقنعة
والقناع معاً مختصان بالمرأة وأما قناع الرجل وهو ان يغطي رأسه بردائه
ويرد طرفه على أحد كتفيه فهو مكر ولانه مختص بالنساء الامن ضرورة كحر
أو برد على ما تقدم من قول مالك رحمه الله أو غير ذلك من الاعذار والرداء
هو السنة وهو ان يجعله على كتفيه دون ان يغطي به رأسه فان غطى به رأسه
صار قناعا كما تقدم وأما الطبيب ان المعهود في هذا الزمان فيكم ما تقدم
ذكره فان كان ضرورة كحر أو برد فلا بأس به لكن بشرط ان لا يتكاف
هذا التكاف الذي يفعله بعض الناس اليوم فيه وما لم يخرج به الى حد
هذا الكبير الشنيع وكذلك العمامة ايضا والبقير ٣ الذي يرسلونه بين
أكتافهم لا بأس به بشرط أن لا يكون حرا خالصا ولا غاليا ولم يخرج به الى
حد هذا الكبير وأن ينظر الى عطفه في كل وقت وحين فيعدله لان هذا انما
ينبغي للمرأة ان تنظر الى لباسها وزينتها وتمد بها الانهاس محل الشهوة فالزينة
والتعديل لها زيادة للرجل في باعث الشهوة ولها ذلك بخلاف الرجل فيكفيه
من الزينة لباس المحسن من الثياب لا غير دون ان يخرج به الى ما يفعله النساء

٣ قوله والبقير
المخ في القاموس
البقير ككبير
مرد تشق فتلبس
بلاكين كالبقيرة
اه

من الزينة والتعديل الخسارج عن عوائد من مضى من الرجال أو ليس حري
أو غير ذلك مما يفعله بعض من ينسب إلى العلم اليوم فتجدكم أحدهم له صحاف
من حري نحو شبر وكذلك في أذيال ثوبه وذلك سرف وخيلاء وانما يحوز من
الحري في ثوب الرجل الخيط الرقيق وذلك قدر الأصبع على المشهور
من مذهب مالك رحمه الله والخلاف مشهور معروف إلى كمال أربعة
أصابع وكثير من بعضهم تجدد سراويله قد نزلت عن حد الكعبيين وهو
موضع النسي سواء بسواء ويوسعون ذلك كثيرا ويخذونه من أرفع القماش
حتى تنكشف العورة بسببه من وجهين لأنه لا بد له أن يتخفف في بيته
وخلوته مع أصحابه والسراويل لا تستر لرقه فاشه فالبدنة ظاهرة من تحتها
وكذلك إذا وقف يجمع ركبتيه وهو قاعد أو اضطجع ورفع ركبتيه فإنه قد
تنكشف العورة أيضا لسهلة كنه وهذا بين مشاهد مرئي وكذلك أيضا
ما يفعله بعضهم من الطرز في أكاف ثوبه فتجد يرفع الطيلسان من كتفيه
ويشهره خيفة على الطرز أن يتخبا عن الناس فلا يرونه وهذا من فعل
النساء وزينتهن فهو تشبيه بهن وانما أبيع ذلك للراة لوجهين أحدهما ما
ما تقدم من أنها محل الشهوة والثاني أنها ناقصة كما جاء في الحديث أنك
ناقصة عقل ودين فأبيع لمن الحري والتعدي بالذهب والفضة وغير
ذلك لنقصانهم وأما الرجل فهو محل الكمال فقد كمل الله تعالى وزينه
فأله وزينه الناقصات فكل ما يفعله مما ذكرنا من نقص من كمال
زينته التي زينه الله بها وأما المسلم فقد زاده الله تعالى كمالا على كمال
وزينه وتوجه بتأجير الرياسة الحقيقية فأله ولا زينة بالرياسة بالقماش
بل هي عامة وآفة آتت على الزينة التي زينه الله بها فيجب عليه أن يتوب
ويرجع إلى الله تعالى منها قبل أن يدركه الموت فلا يصح سبب ذلك وانظر
رحمنا الله تعالى وإياك إلى ما جرت إليه بدعة هذه البدعة التي جعلوها
علامة على الفقيه فكيف جرت إلى محرم اتفاقا وهو أن بعض المخالفين
من أهل الأهواء واللعاب إذا عملوا الخيال بحضرة بعض العوام وغيرهم في بعض
الأوقات يخرجون في أثناء لعبهم مائة يسعون بها يابا القاصي فيلبسون زيه
من كبر العمامة وسعة الأكمام وطولها وطول الطيلسان فيرقصون به

ويذكرون عليه فواحش كثيرة ينسبونها اليه فيكثر ضحك من هناك
ويستخرون به ويكثر من التثنية عليهم بسبب ذلك فلو انهم اتبعوا السنة
المطهرة لسلوا من هذه الالهانة التي تقدم ذكرها فان المتبع للسنة المطهرة
أعزه الله تعالى وجاهه عن ذلك في كل موطن سوء حتى لو وقع فيه أحد لكان
محاربا لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام وكثيرا لتشجيع عليه وأخذ
على يده ولم يترك لشيء من ذلك اذا الجنب رفيع جدا لا يتحمل الدنس نعم انما
يحتاج العالم ان يترين ويزين مازينه الله به بالزهد في الدنيا والتفاني منها
واطرأحها وترك المباهات بها وليس الخشن وأكل الغليظ والمهرب من الدنيا
ومن زينتها ومن ابتأسها مع النصيحة لهم والرغبة في الآخرة والاقبال عليها
وطايعها والعمل عليها ومحبة أهلها وخدمتهم والنصيحة لهم والتواضع لهم
وما أشبه ذلك هذه هي زينة العالم التي تزينه وترفعه وتعظمه وتريد رياسته
بسببها ويرتفع قدره ويعلم أمره ويظهر علمه ويعتز به وواضع له من يراه
ويسمع به من سلطان أو أمير أو عامي ألا ترى الى ما يحكى عن الامام أبي محمد
عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله من هيبته الامراء والاسلاطين والعوام
لهم مع جلوسه في الدروس وغيرها مرة بكاوتة على رأسه ومرة بقيامه الى غير ذلك
ما حكي عنه فلم يزد ذلك الارتفاع وعزالا تصافه بما تقدم ذكره من الاوصاف
المحميدة وما يقوله أهل الوقت من استباحة ما يلبسونه من هذه الثياب ان
ذلك بفتواه فان كان استنادهم في ذلك الى فتواه فهو غلط محض وخطأ صراح
ووقوع في حقه بما لا ينبغي وادعاء عليه بشئ لا يحيزه ولا يرضاه لنفسه ولا
لاحد من اخوانه المسلمين يبين ذلك ويوضحه جوابه في فتاويه المنسوبة اليه
رحمه الله لسان سئل فيها فقيل له هل في لبس هذه الثياب الموسعة الاردان
والعمائم الكبيرة بأس أو بدعة تستعقب توبيخا في القيامة والمبالغة في تحسين
الخياطة والزينة والتضريب يضربا هل الورع أم لا فأجاب رحمه الله بما هذا
نصه الأولي بالانسان ان يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في
الاقتصاد في اللباس وافرط توسيع الاكمام والثياب بدعة وسرف
وتضييع للمال ولا تجاوز الثياب الاعقاب فما زاد على الاعقاب ففي النار
ولا بأس بلبس شعائر العلماء من أهل الدين ليعرفوا بذلك فيستألفوا فاني

كنت محرماً فأنكرت على جماعة من المحرمين لا يعرفونني ما أخذوا به من
آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت على الطائفين
ما أخذوا به من آداب الطواف سمعوا وأطاعوا فان لبس ثياب الفقهاء لمثل
هذا الغرض كان فيه أجر لانه سبب الى امتثال أمر الله والانتفاء عما نهى الله
عنه وأما المبالغة في تحسين الخباسة وغير ذلك فمن فعل أهل الرعونة
والالتفات الى الأغراض الخسيسة التي لا تليق بأولي الأسباب والله أعلم
بالصواب اهـ (فانظر) رحمك الله وایانا بنظر الانصاف في جواب هذا العالم
هل فيه شيء يبيح ما ذكره معاذ الله ان يفهم عنه ذلك من هذا الكلام
الآتري انه قدم في أول كلامه بأن قال عن ذلك بدعة وسرف وتضييع للمال
فبعد أن قدم هذه القواعد وصرح بها حينئذ قال ولا بأس باللبس شعار
العلماء من أهل الدين ليعرفوا بذلك فتعفظ أولاً بدكر البدعة والسرف
واضاعة المال ثم تعفظ ثانياً بقوله العلماء من أهل الدين فلو قال العلماء وسكت
لكان لنا زرع فيه طريق مما الى الميل الى غرضه الخسيس فلما ان وصف العلماء
بقوله من أهل الدين أزال الاحتمال بالكلية لان العالم اذا كان ذا دين لم يسامح
نفسه في ارتكاب شيء من المنكر وهات ولا في ترك شيء من المندوبات على ما قد
علم واستقر من أسرارهم سافوا وخلفاء انقلع عن منى ومباشرة فيمن يباشره منهم
ويعاينه فاذا كان عالم في المندوب والمنكر وه على ما ذكره فكيف يرتكبون
المحرم المتنوع فونه ولا يختلف أحد من العلماء في أن اضاعة المال والسرف
ممنوعان محرمان لا قائل منهم بغيره فكيف يأتي العالم الدين يقع في محرمات
ثلاث وهي البدعة والسرف واطاعة المال هذا مما لا يتعقل لاحد فالحاصل
من أحوالنا اننا لبست تلك الثياب وتعلقنا بقوله ولا بأس باللبس شعار العلماء
من أهل الدين ورأيت لبعض من ينسب اليوم الى العلم والدين باللبس تلك
الثياب فقلنا هذه تلك الثياب جهلنا منسباً بأهل الدين والعلم منهم وصفتهم
(وانظر) رحمك الله وایانا الى حال من تعلقوا بفتواه وما جرى له حين سأل
السائل فلم يكن معه في الطريق شيء فقطع نصف عامته ودفعها ثم مر
وسأله آخر فاعطاه النصف الآخر فقال له بعض من معه خذها متى فأتى
عليه فقال له يا سيدي انشى هكذا بين الناس مكشوف الرأس فلم يرد عليه

جواباً ومشى لسبيله وشق الطريق من باب زويلة الى ما بين القصرين والناس
يتراجعون عليه ويستفتونه ويتبركون به فلما ان جلس في المدرسة قال ان
اراد ان يعطيه الامة ان جاء الناس يستفتون اليك اوالى اوكما قال فكيف
يحتاج من هذا حاله ان ينسب اليه شيء مما استباحوه في هذا الوقت ولهذا المعنى
وما شابه قال رزين رحمه الله ما ألقى على بعض العلماء من المتأخرين الالوضههم
الاسماء على غير مسميات لان لباس العلماء كان على وجه معروف فمن مضى
على ما تقدم ذكره عنهم ثم تغير ذلك وصار لباسهم اليوم على ما بهد فجاء هذا
العالم فقال لا بأس بلبس شعار العلماء من اهل الدين فظن من سمع هذا المقال
ان هؤلاء هم العلماء المذكورون وان هذه الثياب هي المراد ولبس الامر
كذلك بل المراد من تقدم من العلماء ولباسهم ومن اقتدى بهم من المتأخرين
فوقع الاسم على غير معنى فوقع ما وقع بسبب وضع الاسماء على غير مسميات
(وانظر) رحمك الله وايانا الى قوله في تحسين الخياطة وغير ذلك انه من فعل
اهل الرعونة والالتفات الى الاغراض الخبيثة مع ان تحسين الخياطة ليس
فيه حظ بل من قبيل المباح ثم ذكر فيه ما ذكره كيف يكون المحرم المتفق
عليه يبيعه أو يستحبه أو يكره ذلك من شعار العلماء ذلك بعبارة
الصواب ولا يتعقل لذوى الالباب والذي تكلم عليه رحمه الله وشنع أمره
وأعظم القول فيه انما هو تحسين الخياطة فكيف به اليوم ترى هذه الازياق
وهذه التضاريب وهذه السجف التي رجعت اليوم كلها حبرا المخرقة والخيط
معا فبان واضمح بطلان ما نسبوه الى هذا الامام ان كان تعلقهم بفتواه وان
كان تعلقهم بفتوى غيره فذلك لم يوجد وان وجد هذا فخذول على الثوب
التي التنظيف الشرعي الذي ليس بمحرم ولا مكروه لان من ثبتت عدالته
لا يمكن ان يحمل ما ينقل عنه الا على الوجه الجائز ليس الا ومن لم تثبت
عدالته فلا سبيل ان يرجع الى نقله لانه لا يؤمن على الدين وقد تقررت قواعد
الشرعية والمحمد لله وعرفت فاي من خالفها عرف بذلك في قوله وعمله والله
الموفق (وقد) حكى عن الشيخ المحافظ الجليل أبي عبد الله القرماني رحمه الله
تعالى في هذا لباس اشياء كثيرة لا يأخذها حصر لكان تشير الى شيء منها
ليستدل بها على ما عداها فتم اما ذكر عنه انه كان في بيته بئس له ثوبه ولم يجد

شيئا يلبسه فلبس ثوب زوجته وجلس يشغل ولده حتى تفرغ أمه من غسله ثم
احتاج إلى خبز البجين في القرن فأخذ الطبق على يده والولد على ذراعه
الآخر ونرج لأن يخبز وإذا امرأة عجوز لقيته فطلبت منه أداء شهادة عند
الحاكم فذهب معها في الوقت وهو على تلك الحالة والبجين على يده وولده
على ذراعه حتى جاء إلى القاضي وجماعة الشهود عنده فأدى الشهادة فقال له
القاضي وما حملك على أن تأتي على هذه الحالة فقال له غسلت ثوبي ولم أجد
شيئا ألبسه فلبست ثوب الزوجة وسكنت أشغل الولد عن أمه ثم احتجبت
إلى الخبز فخرجت لأخبر فلقيني هذه المرأة وطلبت مني أداء الشهادة وهي
واجبة على فخفت أنه لا يطول العمر فبادرت إلى خلاص الذمة وبعدها
أدرك قضاء حاجتي فرددت القاضي رأسه إلى العدول فقال لهم أفبكم من
يقدر أن يفعل مثل هذا فقالوا لا فقال وأين العدالة وكذلك غيره من العلماء
مقدمهم ومما أخرجهم مع أن علماء المغرب إلى الآن لا يعرفون ثياب الدروس
ولا يعرفون عليها فالحمد لله الذي بقي من الأمر بقية تعرف في بلاد المغرب
العالم الكبير الرجوع إليه في الفتوى والمثل في النوازل الذي يحضر عنده
من الفقهاء المجمع الكثير إذا قدم لا تحسد الدروس لا يعرف من بينهم بل هو
أقلهم لباسا لأنه أرهدهم وأورعهم فهو أقلهم تكلفا من الدنيا ويرى يخرج
للسوق لشراء حاجته بيده لأنهم لا يتخذون لأنفسهم خادما ولا يتتبعون عبدا
ولا يتخذون مركوبا بل يعمل أحدهم حاجته بيده ويرى الجمع في يده الخضر
والسكانون واللحم والخبز وغير ذلك ورعا أثناء القاضي بجماعته ليستفتيه
في بعض النوازل وهو على تلك الحالة في السوق فيقف معهم ويفتيهم وهو
على تلك الحالة ثم يرجعون ويمره إلى بيته وليس فيهم من يجسر على أن
ياخذ من يده شيئا أو يمشی معه اتقاء على خاطره وعلا على ما يختاره منهم
وإذا تفرق الناس عنه من الدرس خرج وحده لا سبيل إلى من يتبعه اتقاء
على خاطره (وقد) كان سيدي أبو الحسن الزيات رحمه الله إذا خرج من أخذ
الدروس ووجد عند باب المسجد بعض الجماعة ينتظرونه يسألهم ما تريدون
فإن أخبروه أجابهم وإن لم يكن لهم حاجة يسألهم أي طريق تريدون فيخبرونه
بالطريق التي يريدونها ولا يمشي واما ما يقول هو أنا مضي من هذه

الطريق غير الطريق التي يريدونها فيبذل على نفسه الطريق وكذلك ان كان
 مارا بالطريق فلقية أحدهما له وقف معه حتى يحببه فان اراد ذلك الشخص
 ان يمشى معه سأل أي طريق تريد فيقول له الشخص هذه الطريق للطريق
 التي يرى الشيخ مارا اليها فيقول هو وأنا أريد هذه الطريق الطريق فيقول
 ورجع إلى الطريق التي أتى منها وبيد على نفسه خوفا منه رجع الله
 ان يوطأ عقبه أو يقال عنه وقد كان سيدي أبو محمد رجه الله يخرج للسجود
 والدرس بما تبصر من اللباس ولا يقصد لذلك لباسا معينيا الا ما كان
 من الاعياد والجمع وكان يخرج في زمان الصيف بقميص خام غليظ يصل الى
 نصف ساقه أو نحوها ويلبس الى نصف ساقه وعلى رأسه طاقية طاق واحد
 ومذيل أو خرقه يجمعها على أكفاه حين الصلاة ثم يزيلها اذا فرغ منها
 ويجمعها بين يديه وان كان في زمن الشتاء زاد على ذلك دلقا واحدا
 فليطافوطة تساري سبعة دراهم أو نحوها وعمامة خمس طيات أو نحوها
 وكان رجه الله يخرج عملا المساء من البحر بيده ثم يأتي به الى بيته فان لقية
 أحد سأل ان يحمل عنه أي ذلك عليه الا ان يحوط فيبرقسه وتحن اليوم
 عكس هذا سواء بسواء فليس هذه الخراج المتقدم ذكرها لعل ان تنسب
 بسببها الى العلماء وامل ان يسمع منا ويرجع اليها في حنوطنا نفسنا واما اخذ
 العلم النافع منا والافتراء بنا في الخير فبعبدا لا من رحم ربك وان وطئ أحد
 عفتنا ومشى معنا نرى له تلك الحرمة وننظر له في المصلحة ينزل أو غيره من
 المنافع كل هذا سببه حب الرياسة منا والخطوة وايتار الظهور على الخمول
 وحب القيل والقال والجاه وما فعلناه والذي يذهب ذلك كله عنا ويأتي
 بفسده لا ترى الى ما ورد في الاثر ما من آدمي الا وبرأسه حلقة مثل حكمة الدابة
 يرميها فان تواضع رفعه الملك وقال له ارفع رفعك الله وان ارفع مع ضربه
 الملك وقال له اتضع وضعك الله أو كما قال مع ان العالم انما يزينه ما تقدم
 ذكره مع زيادة الفضيلة بمعرفة مذاهب الناس واختلافهم والشاركة في
 فنون العلم واللباس الحسن على زى ما يغلونه اليوم لا مدخل له في العلم بل
 يزيل بهجته ويكون سببا الى ضدهما يورثه العلم من الوقار والهيبة والسكون
 ولو كانت الزينة تزيد في العلم شيئا لم يجز على يوسف عليه السلام ما جرى

لأجل حسن وجهه الذي هو خاتمة خلقه الله تعالى بالامتعة لانه على
 ما روى انه ليس في ولد آدم عليه السلام أجل من يوسف عليه السلام بعد
 نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والقدس بحسن وضيق عليه من أجل حسن وجهه
 بعد أن وقف على برأته بالشاهد الذي أنطقه الله بتصديقه وبيان برأته
 وبعد اقرار امرأة العزيز بها هي التي راودته عن نفسه فاستمعهم فحبس بعد
 ذلك كله لحسن وجهه قال الله عز وجل ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
 ليسبحنّه حتى قيل قوله تعالى علي انه سجين بغير ذنب له حسن
 وجهه ولا يغيبوه عنها وعن غيرها فطال في السجن حبسه حتى اذا عبر الرؤيا
 وقف الملك على علمه ومعرفة فاشتاق اليه وروى في صحبته قال عز وجل
 وقال الملك ان اتوني به استخلصه لنفسى وكان هذا القول من الملك عند
 ما وقف عليه من علم يوسف ومعرفة قبل أن يسمع كلامه فلما ان دخل عليه
 وسمع كلامه وحسن عيادته صيره على خزائن الارض وفوض اليه الامور
 كلها فتم امانها وصار يعين الملك كانه من تحت يده فكان هذا الذي باخه
 صلى الله عليه وسلم بكلامه وعلمه لا بحسنه ولا بحمالة قال الله عز وجل
 فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعاني على خزائن الارض اني
 حفيظ عليم ولم يقل اني حسن جميل قال الله عز وجل وكذلك مكنا يوسف في
 الارض يتبوا منها حيث يشاء فوالله ما يبالي المرء على هذا بحسن وجهه
 أو قبحه ولا بحسن ثوبه وكمه كان ما كان لا منفعة في ذلك كله والله الذي
 يشينه عدم علمه وسوء فهمه والذي يزيه كثرة علمه وجودة فهمه قال
 عليه الصلاة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم وان كان يتنظر الى قلوبكم
 مع انه لم يرد عنه عليه الصلاة والسلام انه كان له لباس خاص لا يلبس الا به
 بل كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما تيسر من غير أن يتكلف فكان
 يخرج بالقانسوة والعمامة والرداء وربما خرج بالقانسوة والعمامة
 دون الرداء وربما خرج بالقانسوة دون العمامة والرداء وربما خرج
 عرياً من الجميع على ما نقله الامام الطبري رحمه الله في كتابه قال ابن رشد
 رحمه الله والقانس ما كان اهل ارتفاع في الرأس على أي شكل كانت اه
 وقد لبس عليه السلام القباء والضيق من الثياب والواسع منها وكذلك

الحساب والتابعون ولم يرد عنه عليه السلام ولا عن أحد منهم صفة هذه
 الثياب التي فوقتنا هذا والعالم أولى من يطالب بالاتباع والاقتداء والفضائل
 ولو لم يكن في ذلك من النقص شيء إلا أن صاحب تلك الثياب لا يتصف
 بالتواضع غالباً والتواضع أصل في الدين كبير وإن كان يزهو في نفسه
 التواضع فالتواضع في النفس دعوى بغير حقيقة ولو كان صادقا في دهواه
 التواضع أظهر في اتباعه أسلفه في اللبس وغيره وإن كان ليس ذلك منه حرمة
 للعالم ليس إلا واعتقد أن حرمة العلم إنما تظهر بذلك الخلعة فهذا أمر يجب عليه
 أن يتوب منه ويستغفر ويعترف بخطائه لأن اعتقاد ذلك ازدراء بالمأذنين
 إذا أنهم لم يفعلوا ذلك أصلاً فيكون هو أعرف منهم بإقامة حرمة العلم وهم
 لا يعرفون كيف يقيمون حرمة فيكون هو أعرف من سلفه وأفضل (وانظر)
 رحمة الله إلى هذه المفسدة التي وقعت بهذا اللباس كيف جرت إلى حرمان
 تعلم العلم فلو قدر أيت وياشرت من له أولاد يريد أن يشغلهم بالعلم فيمتنع
 عليه ذلك لأجل قلة ذات اليد لا يتدبر أن يحصل لأحد منهم تلك الثياب التي
 اصطالحوا عليها ولا يقدر على ولده أن يحضره مجلس العلم بغيرها فتركو تعلم
 العلم لأجل ذلك وهذا هو المقصود الأعظم لا بلبس وجنوده إذا أن العلم به
 يخالف إبليس ويتركه يطاع فأى مفسدة أعظم من هذه فتنبه لها وسبب هذا
 كله والوقوع فيما وقعنا فيه من قلة العلم والفهم إذا أنه لو كان لنا علم وفهم لعرفنا
 أن الفضائل والخيرات أن تقدم وأن ذلك لا يوصل إليه إلا باتباعهم فإذا
 خالفناهم فما يحصل لنا إلا النقص والعياذ بالله قال ابن رشد رحمه الله تعالى
 كان العلم أولاً في صدور الرجال ثم انتقل إلى جلود الضان وبقيت مفاصله
 في صدور الرجال وكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول وقدوات المفاتيح
 وإن وجد مفتاح فقل أن يكون مستقيماً اهـ وأما الآن فتدعيت
 المفاتيح في الغالب وقد صارت العلوم عند بعضهم بحسن الثياب وطولها
 ووسعها (وانظر) رحمة الله إلى هذه المفسدة التي ترتبت على هذا اللباس
 ما أشتهها الآن العلم كان مصاناً مرفعاً معظم لا ينسب إليه إلا أهله المتصفون
 به فلما ان لبسوا له خلعة يختص بها بقي يدعيه من ليس عنده علم بل
 منهم ومن في الجهل واختلط على المسلمين العالم مع العامي لا يفرقون بينهما

مجواب لو محذوف
 تقديره ليكن
 ردعا وزجرا اهـ

حتى لقد قيل لبعض مدول هذا الوقت المشهورين تيمم عن جرح أصاب يده
 ليجمع بين الماء والتيمم على مذهب امامه الشافعي رحمه الله فصح أصبه
 الجريح في حائط وقال هذا التيمم طنا منه ان ما قاله في شرح التنبية ويتيمم
 عن الجريح ان ذلك هو المراد بالتيمم منه فلو بقي العلماء على ما كان عليه
 سافهم في هدى العالم وسعته وزهده ورعه وتنشئه وخوفه وقلة وهربه
 والاعراض عن الدنيا وأبنائها وحسن منطقة وعذوبة عبارته ووقوفه
 على باب ربه ودعوى الناس الى ذلك وتواضعه واشفاقه طامسا بأهل زمانه
 متحفظا من ساطاته ساعيا في خلاص نفسه ونجاة هجته مقبلا بين يديه
 ما يقدر عليه من عرض دنياه مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع ويكون أهم
 أموره عنده الورع في دينه واستعمال تقوى الله تعالى ومراقبته فيما أمر به
 ونهاه عنه فلو بقي العلماء على بعض هذا الحفظ بهم العلم وتميز أهله من غيرهم
 ولكن ساطا وافتخا الامروا ندرس وصار لا يعرف العالم من العاصي لتقارب
 النسبة بينهم في التصرف والحال فتجد لباس بعض العوام كلباس العالم
 لا يدخل نفسه في منصب لا يستحقه ولا يعرفه وتجد تصرف العالم في بيته
 وشرائه وغير ذلك كتصرف العاصي الذي لا يعرف شيئا من الامر والنهي
 وآيته كما فيه من الجائر والمكروه والممنوع انما هو في الدروس جاره الى
 اللسان ليس الا واما عند التصرف الذي هو موضع الفائدة فقل ان تجد
 اذ ذاك احدا منهم في الغالب يقوم بشئ مما ذكره بلسانه في دونه فالعارف
 عند بعضهم اليوم بمثل الفقه الماهر فيه انما هو باللسان دون التصرف
 اعنى في الغالب لا ترى ان احدهم يقعد يبحث في مسألة من مسائل البيوع
 ويحرف فيها النقل عن العلماء بالمتع أو الكراهة وينقض ذلك الا كما اذ ذاك
 ويضرب على الحصى ويقيم الغبرة التي تحت قدمه يقوم من محاسنه ذلك فيرسل
 الى السوق من يقضى حاجته العبد الصغير والصبي الصغير والمرأة ومن
 لا يعرف شيئا ولا قرأ في السوق ما يعلم من العوام الجاهلة بما يلزمهم في سلهم
 من الاحكام وما يحل ويحرم ومن أين تدخل عليهم المفاسد ومن أين يدخل
 عليهم الربا فيقع البيع من جاهل والشراء من مثله هذا هو حال بعضهم والا
 فالغالب منهم مباشر وشرا حوائجهم بأنفسهم ولا يرجون على شيئا

ذكر العلماء سيما على مذهب الشافعي رحمه الله في كونه لا يميز البيع الا
 بالاجاب والقبول وذلك معدوم بينهم في الغالب بل مذهب مالك رحمه الله
 في ذلك معدوم بينهم وهو قريب لانه يميز اذا عدم الاجاب والقبول
 ما شاركهما في الدلالة على الرضا الباطني من قول أو فعل قصد به ذلك
 فتكفي المعاطاة وهو أن تعطيه ويعطيك على خلاف فيه مذكور في كتبهم
 وكذلك بيع الاستئمان والاسترسال على خلاف فيه أيضا وهو أن تقول له
 يعني كيف بعث فهذا وجهان سهلان قريبان ومع هذا التساهل
 والترخيص فالغالب عليهم تركه على ما يشاهد من بعضهم مباشرة من شراء
 حوائجهم على يد العبد والأصبي ومن لا يعلم وفي السوق أيضا مثاهم من لا يعلم
 كما تقدم فقد يخرقون الاجماع بسبب التعاطي في الشراء والبيع ان كانوا
 اكثروه أو لا من وجه حل فهو يرجع الى الحرام البين وأما ان كان الكسب
 أيضا فيه شيء من المفاسد فمقبح على قبح وسبب هذا كله حب الرياسة والحياة
 من الناس أن يروه يبيع ويشترى ويحمل الحاجة بنفسه فيكون ذلك
 وضعا من حقه بالنسبة الى زمانه وأما دخول الاسواق وشراء الحاجة باليد
 ومباشرة في السنة التي لا اختلاف فيها فبقيت عندهم اليوم كأنها عيب
 كما صار الثوب الشرعي عندهم عيبا أيضا بالنسبة الى ثيابهم وخلعهم
 أعاذنا الله من البلاء منه فهذه سنة ماضية فيها وجوه من الحكمة عديدة
 منها التواضع ومنها امثال السنة في قضاء حاجته بيده ومنها لقاء اخوانه
 المسلمين ومباشرة بهم واغتنام بركة بعضهم وارشاد الباقين ومنها النظر
 في تصفية الغداء وتخليصه من الربا والحرام والمكر وهو ما لا ينبغي ومنها
 ذكر الله تعالى في موضع الغفلة سيما في وقتنا هذا تقدم ذكره على
 ما سيأتي بيانه في نية الخروج الى السوق وعددها وكيفيتها ان شاء الله
 تعالى (وقد) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب بالدرية من يتعد
 في السوق وهو لا يعرف الاحكام ويقول لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا
 أو كما كان يقول وقد أمر مالك رحمه الله باقامة من لا يعرف الاحكام من
 السوق لئلا يطعم الناس الربا (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يذكر أنه أدرك
 بالمغرب المحتسب عشي على الاسواق ويقف على كل دكان فيسأل صاحب

الدكان عن الاحكام التي تلزمه في سماعه ومن أين يدخل عليه الربا فيها وكيف
يقهر زعمائها فان اجابه ابقاءه في الدكان وان جهل شيئا من ذلك أقامه من
الدكان ويقول لا نعم كذلك انك تفقد بسوق المسلمين تطعم الناس الربا أو مالا
يجوز انتهى الا ترى انه قد ذهب ببعض العلماء الى أنه يكره ان يستظل بجدار
صير في مع ان الاحكام كانت اذ ذاك مظاهر جليلة لم يفتهم بالاحكام فعلى
هذه الفتوى اليوم يحرم ذلك على الاطلاق غالب الجاهل بالاحكام ونصرف
البائع والمشتري بما لا ينبغي في حل البياعات فانحكم في الجميع اليوم حكم
الصير في اذ ذاك على ما تقدم (فانظر) رحمت الله واني انا كيف كان العوام
في هذا الزمن القريب منا وكيف حال العلماء اليوم وما بين الزمانين أمدا طائلا
فانا لله وانا اليه راجعون سنة فيها وجوه من الحكم عديدة صار العالم منها
يستغنى من فعلها ويحتشم من الدخول فيها كل هذا سببه الرجوع الى العوائد
في التصرف والمالبس وترك النظر الى قواعد الشرع والى فعل الساضين من
فضلاء المتقدمين

(فصل في القيام) وينبغي له أيضا ان يقهر في نفسه بالفعل
وفيمن جالس بالقول من هذه البدعة التي تحت بها البلوى وكثر وقوعها عند
الصغير والكبير منا من يعرف العلم وعن لا يعرفه أعنى في الاكثر الامن
وفقه الله وقيل ما هم وهو هذا القيام الذي اعتاد بعضنا البعض في المجالس
والمحافل لانه لم يكن من فعل من مضى والخبر كلام في الاتباع لهم في القول
والفعل والحركة والسكون سيما ان كافي مجلس علم فهو أشد في الكراهة لانه
لا بد وأن يكون يذكرا أقوال العلماء فاذا دخل أحد علينا اذ ذاك قطعنا
ما كافيه وقفنا الى من دخل علينا فان كان الداخل صبيا صغيرا أو شابا أو من
لا يبال له في دينه فيكون أعظم في قلة الادب مع العلم الذي حكمنا اذ ذاك قوله
أو مذهبه فان كان مجلسنا اذ ذاك الحديث فهو أعظم لانه قلة أدب مع النبي
صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع حديثه لاجل غيره
فكيف أبدعة نعوذ بالله من ذلك (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم
يوقرون مجلس الحديث حتى في رفع أصواتهم يستغيثون ان يرفعوها اذ ذاك
لقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم الاية قال مالك ولا فرق بين رفع الصوت

عليه في حياته أو على حديثه بعد مماته بل صكوا نوالا يقطعون حديثه ولا
 يتحركون وإن أصابهم الضر في أبدانهم ويصعلون المشقة التي تنزل بهم -
 اذ ذلك احترام الحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد تقدم بعض صفة توقيهم
 للحديث كيف كان وما جرى بالكثرة في الله في سبع عشرة مرة
 وهو لم يتحرك وتحملة للسببها توقيهم بالحديث النبي صلى الله عليه وسلم ان
 يكون يقرأ وهو يتحرك اضرأصاب بدنه مع انه معذور فيما وقع به فكيف
 بالحركة والقيام اذ ذلك لا ضرورة بل لبدعة سيما ان انضاف الى ذلك ما لا
 ينبغي من الكلام المعتاد في سلام بعضنا على بعض من التلحق والتزكية والائمان
 بوجود المحبة وحلول البركة واحناء الرأس وركوعه بل يقرب بعضهم من
 السجود بل يفعلونه لبعض كبرائهم ومثابعتهم أعاذنا الله من بلائه عنه وقد
 روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رجلا يقول لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل منا ياتي أخاه وصديقه أينهي له قال لا
 قال أفيا تترمه ويقبله قال لا زاد رزين الا ان ياتي من سفره وهذا فيه وجوه
 من المذورات منها ارتكاب النهي في التشبه بالاعاجم وقد شهانا نبينا صلى
 الله عليه وسلم عن التشبه بهم وقيام بعضنا لبعض من فعلهم ومنها ان فيه
 اذلالا لقائم واذلالا للاقوم اليه أما اذلال القائم فبقيامه حصلت له المذلة وأما
 المقوم اليه فلائه يخط اذالك ويقبل يده أو يشير الى الارض بالتقبيل
 أو غير ذلك مما يباشر بعضنا من بعض وذلك اذلال محض لا يرتاب فيه ولا يشك
 وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ان يذل نفسه ومنها الخلف بالله
 اذالك وقد كان السلف رضوان الله عليهم يوقرون الخلف كثيرا وتكثيره
 لغير ضرورة من البدع المحسنة بعددهم واليمين هنا غير ضرورة بل كان
 بعضهم يوقران يد كراسم الله تعالى الاعلى سبيل الذكرك حتى اذا اضطروا
 في الدعاء الى من أحسن اليهم بالمكافأة له يقولون جزيت خيرا وخوفا على اسم
 الله تعالى ان يخرج على السننهم بغير صفة الذكر ومنها ما يحصل من حرمان
 بركة السنة عند الاقام بالسلام المشرع أو المصالحفة المشرعة لما رواه
 أبو داود في سننه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما من مسلمين بالتقيان فيتمصا فغان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ومنه

أيضا عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى
المسلمان فتصافحا ورحمهما الله واستغفراهما ففرهما وذاكر ابن يونس في كتابه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صافح عالما صادقا فمكثا فمكثا فمكثا فمكثا فمكثا
انتهى وقد ورد في السلام من الفضل والترغيب ما هو مشهور معروف
كفي به أنه اسم من أسماء الله تعالى ينطقون به على السنتهم على سبيل
الامتثال والتشريع فيكون بسببه من الذاكرين وقد ورد في الحديث
الصحیح ان جبارا عن رب العزة عز وجل يقول من ذكرني ذكرته وأنا جليس
من ذكرني فيحصل لهم هذا الخير العظيم والنعمة الشاملة والغالب ان
السلام المشروع اذ ذاك بيننا متروك وكذلك المصافحة فان وقع منا السلام
كان قولنا بصلك الله بالخير مسالك الله بالخير يوم مبارك ليلة مباركة وذلك
كله من البدع والحوادث وان كان دعاء والدعاء كله حسن لكن اذا لم
يصادم سنة كان مباحا او مندوبا بحسب الواقع والنية وأما ان يصادم سنة
فلا يمتثلون في منه لان علماء نازحة الله عليهم قد اختلفوا في البدع هل تمنع
مطلقا وهو مذهب مالك وأكثر اهل العلم او لا تمنع الا اذا طرقت السنن
وهو مذهب الشافعي ومن تبعه وهذا من القسم الذي عارض سنة لانه ترك
السلام الشرعي بسببه وأحل القيام والدعاء محله ولا فائده من المسلمين فان
قال العالم من لا أنا فعل ذلك بعد السلام فجوابه ان العوام يقتدون به
في البدع وهم لا يعرفون السنة فيظنون ان تلك هي السنة التي ارتكبوها
وان وقعت المصافحة بيننا اذ ذاك كان عوضا عنها تقبيل اليد وقد وقع
انكار العلماء لذلك فان كان المقبل يده عالما او صالحا او هماما فانكره
مالك في المشهور عنه وأجاز غيره وأما تقبيل يد غيره فليس يعرف أحد
يقول بجوازه لا سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون المقبل يده ظالما او بدعا
أو ممن يريد تقبيل يده ويختاره فهو والداء العضال الواقع بالفاهل والمقمول به
وبن أعجبه ذلك منهم ما ورد في ذلك من الوعيد نعوذ بالله من الخنافة وترك
الامتثال كل هذا سببه ترك السنة أو اتهاون بشئ منها الا ان ترك أبدا لا
وينزل بموضعها عقوبة لتاركها بدعة أو بدع قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ما من سيئة الا ولها أخيات وقد قال مالك رحمه الله باغنى ان عمر بن

الخطاب رضى الله عنه نزل بالايطع فنظر الى القمر ليلة البدر فقال ان كل شيء
 اذا تم نقص وان هذا القمر قد تم فهو ينقص بعد هذه الليلة وانى لا ارى
 الاسلام الا وقد تم وانى لا اراه الا وسينقص قال القاضى ابو الوائدين رشيد
 رحمه الله فكان الامر فى الاسلام على ما قاله رضى الله عنه ما زال ينقص الى
 يومنا هذا وهو بعد فى نقص كما سبق فى أم الكتاب أسأل الله العصمة برحمته اه
 وقد روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال ما من عام
 الا والذى بعده شرمته سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن
 عباس رضى الله عنهما ما من سنة الا وتحبون فيها بدعة وتحبونها فيها سنة ولن
 تقيتوا سنة فترجع اليكم أبدا وها هو ذا ظاهر بين ألا ترى انهم لما تركوا الاسلام
 وهو السنة واستعملوا القيام والدعاء صاروا الاسلام عند ذلك كأنه منكرا لا يعرف
 حتى لو سلم عليهم أحد الاسلام الشرعى اشق عليهم فعله وقالوا عنه لا ينصف
 فى الاسلام ما يراى أحد عنده شيئا لا يعابا باحد لا يلتفت الى أحد متكبر
 لا يعاشره قبيلا يخالط وان حسنوا الظن به قالوا مربوط يا بس مشدد ثقيل
 ولربما وجدوا عليه فى قلوبهم ولم يقربوه من أنفسهم ولا من مجالسهم حنقا
 عليه فيما عامهم به فصار ما مدح الله عز وجل وأثنى عليه بقوله تحية من
 عند الله مباركة طيبة من عامهم بذلك وجدوا عليه فأنال الله وانا اليه
 راجعون على ترك السنن والمجهول بها والمحرمان من بركاتها وبركة معرفتها
 وبركة معرفة أهلها وكذلك أيضا لواقى بالمصاحفة الشرعية وترك تقبيل
 اليد لوجدها عليه بمثل ما وجدوا على من قبله أو أكثر ولهذا المعنى وما
 نحونا نحوه قال عليه السلام تحذيفة كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة
 قالوا ترك سنة وقد تقدم معنا فيكون هذا العالم يتحزن من هذا الامر كما
 ويتفطن له ويرعاه اذ هو راع ان حضره وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
 فصل فى هذا القيام وما جال به من الخصال المذمومة شرعا ما هذا
 عدده وهى محبة القيام وفعله والانحناء والركوع والكذب بالالفاظ التى
 اصطلحوا عليها فيما يدينهم من التزكية والخلق وتكرار ذلك واليمين عليه
 وتكرارها والمداهنة وهو ان يظهركل واحدا منهم خلاف ما يبطن والتمكيد
 بذلك والاحتقار لمن لا يقام له والربا بالقيام وما جال به وذلك اثنتا عشرة

خصلة أعادنا الله من بلائه بمنه. ولا يذران يغترا ويحيل إلى بدعة لدليل قام
 عنده على إباحتهما من أجل استئناس النفوس بالموافاة أو يقتوى مفت قد
 وهم أوتى أو جرى عليه من الاعتذار بما يجري على البشر وهو كثير بل إذا
 نقل إباحة شيء من هذه الأمور عن أحد من العلماء فينبغي للعالم بل يجب
 عليه أن ينظر إلى ما أخذ العالم المسئلة وجوازه إياها من أين اخترعها وكيفية
 إجازته لها لأن هذا الدين والمحمد لله محفوظ فلا يمكن أن أحدا يقول فيه قولا
 ويتركه بغير دليل ولو فعل ذلك أحدم يقبل منه وهو مردود عليه إلا أن تكون
 قواعد الشرع تشهد بصحته فيرجع للقواعد وللدلائل القائمة ويكون قول
 هذا العالم بآنا واتفق بما وبسط القواعد والدلائل وإن أتى على ما يقوله
 بدليل فينظر في الدليل فإن كان موافقا قبل وكان له إجران إجماعا
 وأجزا لأصاها وإن كان مخالفا لم يقبل وكان له إجر واحد وهو إجماعا
 وذلك راجع إلى نيته وجده ونظرة الأثرى أن مال كارجحه الله لا يأتي
 بمسئلة الأوتى بما أخذها ودليلها أفيد منها إلى الكتاب العزيز وأولى حديث
 النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى إجماع أو إلى أقوال العلماء أو فتاوىهم أو
 أحكامهم فيقول وعلى ذلك أدركت أهل العلم بآنا وبذلك حكم عمر بن
 الخطاب وبذلك حكم عمر بن عبد العزيز وبذلك أفتى سعيد بن المسيب وبذلك
 كان ربيعة يفتى وكان ابن هرمز يفعل كذا ويقول كذا إلى غير ذلك من
 الآثار الروية عنه في أسناده كل مسألة يرد لها إلى أصاها ويعزوها إلى
 ناقلها والمفتى فيها أو المنفرد فيها أو إجماع الناس فيها هذا مع أن الأئمة
 المجمع على تقليد هم قداسة فاض عنهم وشاع وذاع شهادتهم لها بالتقدمة وقد
 سمى إمام دار الهجرة وكذلك غيره وغيره من العلماء المتقدمين إذا أتوا بالمسئلة
 ذكرها وأخذها إلا أن يكون مأخذها بيدنا جدا لا يحتاجون إلى ذكرها كثيرة
 وضوحه للغالب من الناس فإذا كان هذا دأب العلماء المتقدمين المجمع
 على جواز تقليد هم فكيف المتأخر الذي لم يصل إلى هذه الدرجة (فإذا) تقرر
 هذا وعلم فانرجع إلى ما كتب بيده من أمر القيام وأنه لم يكن من فعل من مضى
 وقد وقع إبهام من المتأخرين من الفضلاء أنه من القسم الجائز والمندوب وألف
 عليه تأليف في إباحته وتنبه وحاول ذلك وأنكر أن يكون من القسم المسكروه

وجعل التأليف الذي ألفه على يابن الباب الاول فيما ورد من الاحاديث
في الترغيب لذلك والندب اليه والباب الثاني فيما ورد من النهي عن ذلك
والاستعداد عنه فن ينظر هذا الكتاب أو يقف عليه من لم يحصل من العلم
ما يعرف به ما أخذ المسائل يظن انه كما قال من القسم المجاز أو المندوب فحتاج
اذن ان ننظر الى ما أخذ دليله واستباحته فان كان على القواعد وشهدت له
الاصول قبلنا وسلمنا وان كان على غير ذلك فحتاج ان نبين كيفية الامر في
ذلك وما المجاز منه وما المندوب وما المكروه منه وما الممنوع (وقد) نقل هذا
المتأخر رحمه الله آية وأحاديث جملة على جواز القيام أو الندب اليه (فعلى)
هذا نحتاج ان تأتي بتلك الأدلة واحدا واحدا ونبين معنى كل دليل وأنه
دليل على القواعد لا على الجواز بعد بيان ما أخذ دليله وايضا من أي قسم
ظاهر لك الصواب فاسألكه والله يرشدنا وإياك لطريق السداد ويحذرننا وإياك
طريق الجحود والعناد وأن برزقنا وإياك الانصاف والاتصاف به في القول
والعمل والاعتقاد (فبدأ) رحمه الله هذا الكتاب فقال قال الله تعالى وانخفض
جناتك للؤمنين قال ومن انخفض لهم والاكرام ان يحترموا بالقيام لا على
طريق الرياء والاعظام بل على طريق التكرم والاحترام وعلى هذا استقر من
لا يخصص من علماء الاسلام وأهل الصلاح والورع وغيرهم من الاماثل
والاعلام فالذي يختار القيام لأهل الفضل والمزية من أهل العلم وطائفة
والوالدين والصالحين وسائر ائمة البرية فقد جاءت بذلك جملة من الاخبار
وأنا أذكر ان شاء الله الكريم بجملة ما بلغني فيما ذكره ليس يدل به على ما سواها
ما حذفته وذلك من الاحاديث النبوية وأقاويل السلف الثيرة المحكمية
اخرج الأئمة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه واللفظ لا يخفى ان اناسا
نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فامرسل اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء على حمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى خيركم
او الى سيدكم وقد اتفق العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم على القيام
بهذا الحديث فمن احتج به ابوداود في سننه فترجم له باب ما جاء في القيام
وكذلك ترجم له غيره ومن احتج به الامام ابوالحسن مسلم صاحب الصحيح
رحمه الله قال لا أعلم في قيام الرجل للرجل حديثا صحيح من هذا قال وهذا

القيام على وجه البر لا على وجه التعظيم انتهى (فانظر) رحمك الله الى هذه
السنة من هذا الامام في الاستدلال بالآية على القيام والمخاطب بها النبي
صلى الله عليه وسلم وأمرته مندرجون بعده في الخطاب والله يقول في كتابه
لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان النبي صلى الله عليه وسلم أول من يبادر الى
امتنال أمر الله فهل يتقبل رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول
هذه الآية هل قام لاحد أو أمر بالقيام لاحد مع انه نذبه عليه الصلاة والسلام
الى تنزيل الناس منازلهم فهل بعد نذبه لذلك كان يقوم تنزيل الناس
منازلهم بل بعد نزول هذه الآية عليه عليه الصلاة والسلام ونذبه الى تنزيل
الناس منازلهم كان خفض جناحه لهم بالتواضع والتنازل عن الدرجة العالية
التي وهبها الله تعالى وأكرمهم بها الى مخاطبة الضعيف الفقير في دنياه
أو الفقير في آيائه في باسطهم ويؤانسهم بحديثه ومباشرة ذلك بنفسه الكريمة
وبعائه وتهذيبه وتقويته يقين هذا وإيمان هذا وتدريبهم الى الثقة بوعده الله
ومفعونه وما وهب لا وإيائه وما توعد به أعداءه هذا وما شابهه والذي نقل
عنه عليه السلام من خفض جناحه بعد نزول الآية عليه لا القيام وهو عليه
السلام المبين للأحكام وعنه تنافي وعند نزول الآية عليه وقت البيان
وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وكذلك نذبه عليه السلام الى تنزيل
الناس منازلهم اغماهم من هذا القليل الذي ذكر فيما طاف بالكبير في دنياه
في تبين الأحكام عليه وما يجب عليه وما يجب له مع اظهار البشاشة اليه
والشفقة عليه والمودة والائتس والبسط بالكلام الطيب والدنو من المنزلة
المقربة للملك كالمعه والمباسط له وكذلك أيضا من كان كبيراً في دينه بسبب
صلاح أو علم أو همة ما في طاف به أكثر من ذكر قبله أعنى في الانس والدنو
والبسط له لأن منزلة الدين أعظم من منزلة الدنيا في عظم في إكرامه على ما ورد
لا يزيد على ذلك لانه عليه الصلاة والسلام المبين للأحكام فافعله مفسرة
ومبينة لأقواله وأحاديثه والكتاب الله تعالى وما احتوى عليه من أمره
ونهيته فيمثل قوله وأمره عليه السلام على ما أمثله عليه السلام في حق نفسه
المكرمة ومع أصحابه وعلى ما أمثله أصحابه بعده (وأما) قوله بعد ذلك وعلى
هذا استمر من لا يهوى من علماء الاسلام الفصل الى آخره فلو ذكر رحمه الله

هذا وسكت لكان مخطرا للسامع الذي لم يحصل بعد شيئا ان هذا الذي ذكره هو السنة ولكنه رجه الله لم يقتصر على ذلك بل أتى بذكر العلماء والصلحاء والفقهاء وذكر مآثرهم واستفادهم الى ما ذكر وعين ذلك عنهم وبسط وظهر الامر للعالم وغيره ثم ذكر اولا الحديث المتفق على صحته وهو قوله عليه السلام قوموا الى خيركم اوالى سيدكم فهذا الحديث لا ينافي في صحته وهو بين في القيام كما ذكر (والجواب) عنه من ثلاثة أوجه الوجه الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص في الحديث الامر بالقيام للانصار والاصل في افعال القرب العموم ولا يعرف في الشرع قربة تخص بعض الناس دون بعض الا ان تكون قربة تخص بعضهم فتهم كما هو معلوم مشهور فلو كان امره عليه السلام بالقيام من طريق البر والاكرام لكان عليه السلام اول من يبادر الى ما ندب اليه وهو المخاطب خصوصا بخفض الجناح وأتمه هو ما قلنا لم يقم عليه السلام ولا امر بذلك المهاجرين ولا فعلوه بعد امره عليه السلام للانصار بذلك دل على انه ليس المراد به القيام للبر والاكرام اذ لو كان ذلك كذلك لاشترك الجميع في الامر به وفي فعله واذا كان ذلك كذلك فيحمل امره عليه السلام بالقيام على غير ذلك من الضرورات المحوجات لذلك وذلك بين في قصة الحديث وبساطه وذلك ان بني فريظة كانوا نزلاء على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان سعد بن معاذ اذا ذاك خلفه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في المسجد دمه لا يباحلجراح لم يملك نفسه ان يخرج وترك له النبي صلى الله عليه وسلم عجزا تخذمه فلما ان نزلت بنو فريظة على حكمه ارسل النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فأتى به على دابة وهم يسكنونه عينا وشمالا لا يقع عن دابته فلما ان أقبل عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار اذ ذلك قوموا الى خيركم اوالى سيدكم أي قوموا فانزلوه عن الدابة وقد ورد معنى ما ذكر في رواية أخرى وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقيام اليه لينزلوه عن الدابة ارض به انتهى لان عادة العرب جرت ان القبيلة تخدع سيدها تخفصهم النبي صلى الله عليه وسلم بنزوله وخدمته على عادتهم المستقرة بذلك (فان) قال قائل لو كان المراد به ما ذكرتم وهو الانزال عن الدابة لآمر عليه السلام بذلك من يقوم بتلك الوظيفة وهم ناس من ناس فلما ان هم

دل على ان المراد به الجميع اذ ان بعضهم نزول الضرورة الداهية الى نزوله
فالجواب انه عليه السلام فعل ذلك على عادته الكريمة وشعائله اللطيفة
المستقيمة لانه عليه السلام لو نصح احدا منهم بالقول والامر لكان في ذلك
اظهارا لخصوصيته على غيره من قبيلته فيحصل بسبب ذلك لمن لم يأمره انكسار
خاطر في كونه لم يأمره بذلك وكانت اشارته عليه الصلاة والسلام او نظره
او امره عندهم من اكبر المخصوصية فامرهم عليه السلام لم بذلك هو ما حفظنا
منه عليه السلام ان ينكسر خاطر احدهم او يتغير فيكون ذلك في حقهم
مثل فرض الكفاية من قام به اجزاء من الباقيين فهذا الذي ينبغي ان يحصل
عليه الحديث لا قرائن التي قارنته وهي هذه وما تقدم من ان افعال القرب
تعم ولا تخص قبيلة دون اخرى وقد اختلفت الرواية في امره عليه السلام
بذلك هل كان لا انصار خصوصا وهو المشهور اولها جرين والانصار وما وقع
من الجواب نعم القبيلتين وغيرهما (الوجه الثاني) انه غائب قدم والقيام
للغائب مشروع (الوجه الثالث) انه عليه السلام امرهم بالقيام اتهمته بما
خصه الله به من هذه التوازية والكرامة بهادون غيره والقيام للتمنئة
مشروع وقد قال الشيخ الامام ابو الوليد بن رشد رحمه الله في البيان
والتحصيل القيام للرجل على اربعة اوجه وجه يكون القيام فيه محظورا
ووجه يكون فيه مكرها ووجه يكون فيه جائزا ووجه يكون فيه حسنا
فاما الوجه الذي يكون فيه محظورا لا يحل فهو ان يقوم اكبارا وتعظيما لمن
يجب ان يقام اليه تكبرا وتحييرا على القائم اليه واما الوجه الذي يكون
القيام فيه مكرها فهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن لا يجب ان يقام
اليه ولا يتكبر على القائم اليه فهذا يكره للتشبيه بفعل الجبابرة وما يخشى
ان يدخله من تغيير نفس المقوم اليه واما الوجه الذي يكون القيام فيه جائزا
فهو ان يقوم تحلة واكبارا لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ويؤمن
ان تتغير نفس المقوم اليه لذلك وهذه صفة معدومة الا من كان بالنبوة
معصوما لانه اذا تغيرت نفس عمر رضي الله عنه بالدابة التي ركب عليه اذن
سواء بذلك اخرى واما الوجه الذي يكون القيام فيه حسنا فهو ان يقوم
الرجل الى القادم عليه من سفر فرحاطة قدمه ليسلم عليه او الى القادم عليه

سروراً بنعمة أولاه الله أياها لهنثه بها أولاً قدم عليه مصاب بمصيبة ليعز به
بمصابه وما أشبه ذلك فعلى هذا يخرج ما ورد في هذا الباب من الآثار
ولا يتعارض شيء منها انتهى وحاصل ما ذكرناه أن كل أمر ندينك الشرع أن
تفتي إليه لا مر حدث عنه مما تقدم ذكره أو ما أشبه ذلك فلم تفعل حتى قدم
عليك المتصف بذلك فالقيام إليه اذذاك عوض عن المشي الذي فات والله
الموفق للصواب فقد حصل القيام له ورضى الله عنه من القسم المنسوب
لتهنثه بما أولاه الله تعالى من نعمته بتلك التولية المباركة (وأما) قوله
وقد احتج به هذا الحديث العلماء والفقهاء (فقد) ذكر رجحه الله
من احتج به وهو أبوداود ومسلم وهذا ليس فيه حجة لأن الحديثين دأبهم أبداً
في الحديث هذا وهو أنهم ينظرون إلى فقه الحديث فيبشرون عليه
ويذكرون فوائده في تراجمهم جملة من غير تفصيل كما قالوا في البخاري
رجحه الله جل فقهه في تراجمه وكذلك غيره من الحديثين ولا يتعرضون في
غالب أمرهم إلى التفصيل بالجواز والمنع أو الكراهة أو غير ذلك اغماشهم
سياق الحديث على ما هو عليه والفقهاء يتعرضون لذلك كله ألا ترى أن
أبداود رضى الله عنه قد تبوأ على غير هذا الحديث وهو الحديث الذي وقع
التهنى فيه من القيام فقال باب كراهة القيام للناس بل يؤخذ من ترجمته
وتبويبه على الحديثين أن فقهه اقتضى منع القيام لأنه لما ان ذكر الحديث
الذي يستدل به على القيام لم يقل باب ما جاء في فضل القيام ولا استحباب
القيام ولا جواز القيام بل قال باب ما جاء في القيام ولم يزد ولما ان ذكر الحديث
الأخر قال باب كراهة القيام للناس فيلوح من نحوه خطابه أنه يقول
بالكراهة ولا يقول بالجواز وهذا كله بين واضح والله أعلم وإذا لم نقل
بفحوى الخطاب ولم نأخذ منه الحكم فلا سبيل إلى أن نحكم بأنه أخذ بأحد
الحديثين وترك الآخر إلا بقريئة والقريئة قد دلت على ما ذكره الله الموفق
(وأما) قوله أخرجه الإمامان البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده كعب رضى الله عنه في حديث
تويته الطويل المشهور قد ذكره إلى قوله وانطلقت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى دخلت المسجد وإذا برَسُول الله صلى الله عليه وسلم جالس

حول الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صالحنى وهناني والله
 مقام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة اه (استدل) رحمه الله
 على القيام بقول طلحة بن عبيد الله كونه قام اليه وهو في الحقيقة دليل على
 المنع بل لا يعطى الحديث ونصه غير ذلك ببيان ذلك انه لو كان القيام
 مندوبا اليه اذ ذلك او مشروعا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليتركه لانه أول
 من يبادر الى ما شرع صلى الله عليه وسلم أو يندب اليه ولم يكن من جالسه
 اذ ذلك مجهول هذا المندوب أو المجتاز حتى لم يفعله أحد منهم فان قال قائل
 قد قام طلحة بن عبيد الله بحضرة عليه السلام ولم ينهه وهذا وقت البيان
 وتأخيره لا يجوز فالجواب انه قد بين في الحديث وصرح فيه بالقيام لا شيء
 شيء كان وهو كونه قام لتهنئته ومصافحته فكان قيامه لثلاث معان وهي
 البشارة والمصافحة والتهنئة ولم يكن لنفس القيام اذ لو كان لصرح به كما
 صرح بغيره ويدل على ما قلناه انه لم يقم غير طلحة بن عبيد الله وما ذاك الا ان
 السنة مضت على ان التهنئة والبشارة والمصافحة تكون بين الناس على قدر
 المودة بينهم في المعرفة والمخالطة والممازجة بخلاف السلام فانه مشروع على
 من عرفت وعلى من لم تعرف فقد يكون طلحة بن عبيد الله بينه وبين كعب
 ما ذكره كان ما صدر منه لاجل زيادة المعرفة على غيره وهذا معلوم من
 الشريعة الحمدية أمر قد تقرروا وهو ان الناس لم يتساووا في كثرة المودة
 وتأكد المحقوق فرب شخص له حق واحد وآخر له حقان وآخر له ثلاثة
 حقوق الى ما هو أكثر من ذلك ألا ترى ان الجار له حق الجوار ليس الا ان
 كان ذميا فان كان مسلما كان له حقان فان كان صاحبا كان له ثلاثة
 حقوق فان كان صهرا كان له أربعة حقوق فان كان قريبا كان له خمسة
 حقوق فان كان صديقا صاحب سر كان له ستة حقوق فان كان صاحب
 رأى ونظرفى العواقب ولا يخرج عن رأيه ويرجع اليه كان له سبعة حقوق
 فان كان مشاركا في مجلس علم كان له ثمانية حقوق فان كان مشاركا في سبب
 من الاسباب كان له تسعة حقوق فان كان صاحب محاسن كان له عشرة حقوق فان
 كان عالما كان له أحد عشر حق فان كان يدلى بقراية بين كان له اثنا عشر
 حق الى غير ذلك وهو ممتد كثير فاذا كان ذلك كذلك فيحمل قول طلحة

ابن عبيد الله على خصوصية بينه وبين كعب دون غيره من المهاجرين فيأتي
على هذا ان كلاً منهم كان متمثلاً بما يلزمه وما يندب اليه من قام حتى بشر وهذا
وقد دونهما والاولى بل هو الاوجب لاننا اذا جعلنا قيام طلحة لاجل البر
والاكرام وانه من المندوب فيكون كل من جلس ولم يقم قد زهد في فعل الخير
وقد زهد في فعل المندوب وتعالى واعلى تركه والني صلى الله عليه وسلم بين
أظهرهم مباحثهم ولم ينههم ولم يرشدهم ولم يعلمهم معاذ الله ان يظن هذا
بالمؤمنين من صالحى ائمة فكيف بمقدمى فكيف بالعصاة الخبيثين
الخيار فكيف بحضرة من لا يقر على النسيان ولا الغلط ولا الوهم لعصمة في كل
ذلك سيما فيما يتعلق بالواجب او المندوب فانه لا يجوز عليه شئ من ذلك فبان
والحمد لله الامر واقع ان قيام طلحة بن عبيد الله دليل على المنع لا على الجواز
(ثم قال) رحمه الله اخرج الاثمة ابوداود والترمذى والنسائي واللفظ لابي
داود والترمذى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت ما رأيت أحدا
أشبه سمتا وهديا من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها
قالت وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام لها فقبلها وأجلسها
في مجلسه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت من مجلسها
فقبلته وأجلسته في مجلسها قال الترمذى حديث حسن انتهى (استدل)
رحمه الله على ان القيام مشروع بما ذكر في الحديث وليس في كل ما أتى به
من الباب ما يبين به مراده غير هذا الحديث لو سلم له ظاهره لكانه ذكر
في الحديث المعنى الذى لاجل له وقع القيام وهو التقبيل واجلاس الوارد
في مجلس صاحب البيت لانه عليه السلام قد ندب الى تنزيل الناس منازلهم
وليس ثم منزلة أعظم من منزلته عليه السلام ثم منزلته بعده لقوله عليه
السلام في حقها فاطمة بضعة مني يربني ما رابها وقوله عليه السلام في حقها
فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وادا كانت بهذه المزية وانها بضعة منه فيجب
ترفيهها وتعظيمها امثالاً لآل الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وتقرؤوا
وليس لقائل أن يقول ترفيع النبي صلى الله عليه وسلم له ترفيع لنفسه
المكرمة لانه عليه السلام لم يعرف منه ترفيع ولا تعظيم لنفسه المكرمة الا
ما كان صادراً بسبب ترفيع جناب الله تعالى ألا ترى الى وصف واصفه

وكان لا يتصرف لنفسه فاذا رأى حرمه من حرم الله تنتهك كان أسرع الناس
 اليها نصرة ومن هذا المعنى ما ورد عن نساء الطاهرات في كلامهن معه
 عليه السلام في تفضيل عائشة رضي الله عنهن من زيادة المحبة لهن وسألته ان
 يعدل بينهن في المحبة فاجابهن بان قال لم يوح الي في فراش احدا كن الا
 في فراشها ~~واحد~~ ون جبريل عليه السلام سلم عليها ولم يسلم على غيرها من
 نساء الطاهرات لما اختصت به ولا يكونها أيضا اخذ منها شطر الدين فلاجل
 هذه المناقب وما شاكلها كان ايماره عليه السلام لهن على غيرهن ومن هذا
 الباب أيضا محبة في خديجة رضي الله عنها حتى قالت عائشة رضي الله عنها
 ما غرت من احد ما غرت من خديجة وان كنت لم ادركها قد كانت امرأة عجوز
 ثأبه فيكرهها واول قول كانت تأتي في أيام خديجة وما ذاك الا لما يرها الله به
 هن غيرها الا ترى ان تفضيله لعائشة كان لما في التي تقدم ذكرها وخديجة
 لما ان آخر بطول تقبها وهي ظاهرة بينة لمن طالع الاحاديث او سمعها ولم
 يكن لها مزية الا ان الله تعالى قد سلم عليها على لسان جبريل عليه السلام فابن
 من سلم عليها الله تبارك وتعالى من سلم عليها جبريل يدينها ما يدينها وان كن
 السكل فيهن البركة الكاملة والخير الشامل لانهن ما اخترن لسيد الاولين
 والآخرين الا لاحتوائهن على كل خير ومكرمة لكن زيادة الخصوصية
 ظاهرة بينة فكان عليه السلام يزبد لكل شخص في المحبة بحسب ما كانت
 منزلته عند الله تعالى وهذا هو المراد بالحديث الصحيح المتقدم في اول
 الكتاب في صفة اولياء الله تعالى ~~كنت سمعته الذي~~ سمع به وبصره الذي
 يبصر به أي كانت أفعاله كلها لله وبالله على ما يريد لانفس فيه حظ ولا
 لهوى فيه مطمع ولا لامارة فيه مدخل فاذا كانت هذه صفة الاولياء فما
 باللك بصفة الانبياء فما باللك بصفة سيد الانبياء والاولياء قطب دائرة الكمال
 ومحل الفضائل العلية التي يجز عنها كل البشر مداه عليه السلام فاصله ان
 تعظيمه عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها في تقييدها احسين دخولها عليه
 واجلاسها في مجلسه لاجل ما خصها الله به من الشيم الكريمة واللائف الجميلة
 لو لم يكن لها خصوصية تمتاز بها الا حصوله عليه السلام في صحيفته انما
 صحيفة مثل هذه وأي مزية ~~أكبر~~ منهن والله ما وجدت قط ولا توجد أبدا

جواب لو محذوف
 تغديره لا كفاها
 ذلك شرفا ومثله
 فمابعده في السيرة
 فاطمة رضي الله
 عنها اه

فسيحان من من عليهما من وتكريمهما تكريم فسيحان قيامه عليه الصلاة والسلام وقيامها أرضي الله عنها لان بيوتهم على ما قدم علم من ضيقها وقد كانت أحواضهم على ما قدم علم من شطف العيش وقلة الدنيا سيما فاطمة رضي الله عنها التي أنرت العالدين في يدها فشكت ذلك إلى أبيها عليه السلام والرؤساء قد أناء فحماها على حاله عليه السلام واختارها ما اختار لنفسه المكرمة فاهل الناس وتركها لوقت ورايها وعلماها عرضا عن الخادم التي طالبت اذا آوت إلى فراشها أن تسبح ثلاثا وثلاثين وتحمده ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعاً وثلاثين وقد كانت تقعد الايام لا تأكل شيئا وفيها وفي بعائها نزل قوله تعالى انما نطمعكم لوجه الله الآية في قصة من الجهادية بطول ذكرها وقد ذكرها أهل التفسير ومناقبها في هذا المعنى كثيرة يطول تتبعها وهي موجودة مشهورة معروفة في الكتب المتعرضة لهذا الفن (فالمحصل) من هذا ان الاقلال الذي كان عندهم من الدنيا كانوا يمتنعون بسببه من فراش زائد على ما يضطرون اليه أو شئ زائد على ما يقدمون عليه الا ترى الى حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين بات عند خالته ميمونة قال فاضطجعت في عرض الوسادة والنبي صلى الله عليه وسلم وأهله في طواها وأولو كان ثم وسادة غيرها لمجملها له دون وسادتهم فاذا لم يكن عندها الا وطاة واحدة وهي قاعدة عايه ودخل عليها أبوها فكيف يمكن أن يقعد عليه السلام على الارض وهي على حائل لا يمكن ذلك أصلا فاحتاجت الى القيام من مجالها حتى يقعد أبوها صلى الله عليه وسلم على الحائل ثم تقعد هي بعد ذلك اما على طرف الحائل أو على الارض وكذلك ايضا اذا دخلت هي رضي الله عنها على أبيها عليه الصلاة والسلام وهو عليه السلام يقضاها ويعظمها بتفضيل الله تعالى وتعظيمه لها كما تقدم فلا يمكن أن يقعد عليه السلام على حائل وهي تقعد مباشرة للارض فيقوم عليه السلام حتى يجلسها على ما كان عليه جالسا لاجل المنزلة العظمى التي لها عند ربها وما يدل على أن قيامه وقيامها كان لما ذكره والافساح في الجحاس والابصار به مع التقييل المذكور وأما غيره من معاني المحرث ما يأتي بعد هذا وهو نص في عين المسئلة على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ففي هذا الجواب وايضا مع مقتنع مع الانصاف وأما مع عدمه

الشطف بقصتين
الضيق والشدة
ومثله الشطاف
كصواب اه

فلو جئنا بقرب الارض أجوبة واضحة لا يمكن التسليم ولا القبول لان
 الانصاف هو رأس الخبر وزبدته ومنبعه فقد تبين الامر وانضح فاسلك أي
 الطريقين شئت والله يرشدنا وإياك لطريق الرشاد ويصيننا وإياك طريق
 المحر والعداد (ثم) قال رحمه الله روى أبو داود أن عمرو بن السائب حدثه
 أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم كان جالساً يوماً فقبل أبوه من
 الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فجلس عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها ثوباً فقبلت
 من جانبه الآخر فجاءت عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه انتهى (استدل) رحمه الله على أن
 القيام مشروع ومندوب بقيام النبي صلى الله عليه وسلم إلى أخيه من
 الرضاعة ولقد نطق مالك رحمه الله بالحكمة في قوله كل كلام مأخوذ
 منه ومترك إلا كلام صاحب هذا القبر (فانظر) رحمك الله وإيانا بنظر
 الانصاف إلى هذا العالم كيف جعل القيام للأخ من باب البر والاكرام على
 ما ظهر له ونقل هذا الحديث ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم لأبيه
 ولألأمه وانما قام لأخيه والقضية واحدة والموضع واحد وقد قدم رحمه
 الله في أول الفصل قوله الذي يختار القيام للأولاد والاعمال والصلوات ولم
 يذكر الأخوة ثم أتى بهذا الحديث دليلاً عليه لانه في ترك القيام للأولاد
 وانه الذي اختار صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وهذا
 الحديث أوضح دليل وأقوم طريق على ان ما ورد عنه عليه السلام من القيام
 بنفسه الكريمة وأمره بذلك لعذر كان هناك موجود من غير قصد للقيام بنفسه
 ألا ترى ان الله سبحانه أمر ببر الوالدين وأكرامهما وقرن رضاهما برضاه
 وسخطهما بسخطه وقد قال عليه السلام لأذي سأله عن أفضل الاعمال
 بر الوالدين فلو كان القيام لهما من باب البر والاكرام لم يكن عليه
 السلام لا يترك ذلك بالكليّة وهو عليه السلام قد أوجب برهما مع إيجاب
 الله تعالى لذلك (فان قيل) قد وقع منه عليه السلام القيام لأخيه وذلك كاف
 في الجواز (فالجواب) ان قيامه عليه السلام لأخيه قد تبين وانضح في سياق
 الحديث السبب الذي لأجله وقع منه عليه السلام القيام له ألا ترى
 أنه ذكر فيه أنه لما أقبل أبوه بسط له طرف رداءه فلما ان أقبلت أمه بسط

لما عرف ردائه من الجانب الآخر فلما ان اقبل أخوه قام عليه السلام
حتى أقعده بين يديه فدل ان قيامه عليه السلام كان لأحد وجهين
أولهما ما ان يوسع عليه السلام له في المجلس أو يوسع له في الرداء وانما
قلنا ذلك لما قد علم من حاله وحال ردائه عليه السلام لانه كان ردائه عليه
السلام على ما نقل أربعة أذرع ونصفا ونحوهما فن ابن يسع على هذا أربعة
فصاق الرداء عن أربعة ومن أخلاقه الكريمة ومعاشرته الجميلة لم يقدر عليه
السلام ان يقعه وهو بنفسه المكرومة وأبواه على الرداء وأخوه على الأرض
مباشرة لما أقام عليه السلام حتى فصح له في الرداء حتى وسعهم أو حتى وسع
له في المجلس لئلا يكون خارجا عنهم ألا ترى انه عليه السلام لما ان دخل
المحاطة وكان معه اعرابي فأخذ عودا من أراك وقسمه نصفين فكان أحدهما
معوجا والآخر مستقيما فأخذ المعوج وأعطى المستقيم للأعرابي فقال له
الأعرابي لم يارسول الله أعطيتني المستقيم وأخذت المعوج فقال عليه
السلام ان الله يسأل عن صحبة ساعة فإذا سألتني أريد ان أكون فضلة
فيها على نفسي فإذا كان هذا دأبه وخلقه ومعاماته مع ربه ل لم يشاركه
الافى دخول محاطة فكيف يكون حاله مع من شاركه في الرضا ع والمحر
والترية وام واحدة وأب واحد أعني الجميع من الرضا ع فكيف يكون برة
به وإكرامه له فلم يكنه عليه السلام لأجل هذه المعاني وما شابهها ان يقعد
على حائل عن الأرض وأخوه دون حائل وأما إكرامه عليه السلام له بالقيام
فلا سبيل الى القول بذلك لان إكرام الوالدين بذلك من باب الأخرى والأولى
ولو كان ذلك من باب البر والإكرام وتركه لكان قد ترك لوالديه شيئا من باب
البر والإكرام لم يفعله معهما وهذا لا يخطر ان في قلبه ذرة من الإيمان ولو علم
هذا القائل ما في هذا الذي قرر من الخطر ما قاله ولا تكلم به نسال الله
العصمة في القول والعمل بحمد وآله (ثم) قال رحمه الله قال مالك عن ابن
شهاب ان أم حكيم بنت الحارث بن هشام كانت تحت بكرمة بن أبي جهل
فأسلمت يوم الفتح بكة وهرب زوجها من الاسلام حتى قدم اليمن فارتحلت
أم حكيم حتى قدمت عليها اليمن فدعته الى الاسلام فأسلم فقدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب اليه فرحا

وما عليه رداء حتى يأتيه انتهى (استدل) رحمه الله على النذب الى القيام
بهذا الحديث وهذا لا ينافي فيه الا انه ليس فيه دليل عام وقد تقدم عدم
قيامه عليه السلام لا بويه وانه لو كان القيام من باب البر والاكرام لعله
عليه السلام لا بويه واذا تقرر ذلك فكل ما يرد من القيام فيحمل على غير البر
والاكرام لما ذكر وقد اجاز علماءنا رحمه الله عليهم القيام للغائب لان السنة
في الوارد انك تأتي اليه فتسلم عليه فان لم تفعل في ذلك حتى قدم عليك فأقول
ما يمكن انك تقوم ماشيا اليه عوضا عما فاتك من المشي الى بيته كما تقدم
وقد نص في الحديث انه قدم من اليمن فتخرج عن بابه وكذلك قام عليه
السلام لجمع قريش أي طالب حين قدم من اليمن فقبله وعانقه وقال والله
ما أدرى بأمرهم أسرا ~~كثير~~ هل بقدوم جمع قريش أو بفتح خير أو كما قال عليه
السلام وقد حمله علماءنا رحمه الله عليهم على القيام للغائب فكذلك فيما
ضمن بسبيله سواء بسواء (ثم قال) رحمه الله أخرج أبو داود والنسائي عن محمد بن
هلال عن أبيه قال قال أبو هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحدثنا فإذا قام فقلنا قيسا ما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه
انتهى (فهذا) أيضا ليس فيه دليل لما نحن بسبيله لان هذا الذي ذكر
لا يمكن غيره ضرورة لاحد العلماء فكيف لسيد العلماء وقد وثقهم أجمعين
الأتري ان العالم اذا قعد اجتمع الناس عليه حلقة كل انسان يترك ما كان
فيه من هلاكة نافلة ويبحث في مسألة وجلوس في مصلاه الى غير ذلك فكل
واحد يسرع الى ذلك ويستفيد من العالم ما اذا فرغ العالم وانصرف انصرف
الناس بانصرافه الى ما كانوا يصعدون او الى قضاء بعض ضروراتهم او الى
مصلاهم او الى استقبال القبلة الى غير ذلك من الضرورات المحوجة الى
الحركة والقيام وبيوت النبي صلى الله عليه وسلم كانت اذ ذلك مفتوحة الى
المسجد والممجد اذ ذلك في الصغر بحيث قد علم والنبي صلى الله عليه وسلم في
أسرعه في المشي بحيث قد علم فسيحكمهم مع هذه الحالة ان يستووا قياما الا
والنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل بعض بيوت أزواجه واذا كان ذلك كذلك
فليس فيه دليل والله أعلم (ثم قال) رحمه الله وأخرج عن بشر بن كعب عن
رجل غيره انه قال لا يرضى الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم بصالحكم اذا القيتموه قال ما لقيتموه قط الا صالحني وبعث الى ذات يوم ولم
 اصكن في اهلي فلما جئت اخبرت انه ارسل الى فاتيته وهو على سرير
 فالتزمني وكانت تلك أجود وأجود انتهى (فانظر) رحمك الله وايانا بنظر
 الانصاف أي شيء يجمع بين المصافحة والالتزام وبين القيام بل فيه التعرض
 لترك القيام البتة لأنه لما ان دخل عليه وهو عليه السلام في البيت على
 السرير والتزمه اذذاك ولم يقم اليه دل ذلك على ترك القيام البتة ولو كان
 مندوبا اذذاك لفعله فسبحان الله ما بعد ما بين المرميين (ثم قال) رحمه الله
 روى المحافظ أبو موسى الاصبهاني بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت
 قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع
 الباب فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وقبله انتهى (انظر)
 رحمك الله الى هذا الدليل ما أعجبه ألا ترى أنه ذكر في الحديث أنه قرع
 الباب فقام عليه السلام ليفتح له الباب ففقه له واعتنقه فأخذ هو منه
 الدليل للقيام مع أنه لو قدم عليه فقام اليه عليه السلام من غير أن يحتاج الى
 القيام الى فتح الباب لم يكن فيه دليل لأنه غائب قد قدم وقد تقدم ان
 علماءنا رحمته الله عليهم يميزون ذلك لاقدام وغيره ممن تقدم ذكره في التقييم
 (ثم قال) رحمه الله وعن حماد بن زيد قال كنا عند أيوب بن جهمي يونس فقال حماد
 قوموا السيدكم أو قال سيدنا وعن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أتاه أبو
 ابراهيم الزهري ليسلم عليه فلما رآه أجروا ثوب اليه قائما وأكرمته
 فلما مضى قال له ابنه عبد الله يا أبا ابراهيم شاب أمل به هذا العمل وتقوم
 اليه فقال له يا بني لا تهارضني في مثل هذا ألا أقوم لابن عبد الرحمن بن عوف
 رضي الله عنهما وعن أبي هاشم قال قام وكيع لسفيان فذكر عليه قيامه
 فقال أنت تكرر على قيامي وأنت حدثتني عن عمرو بن دينار عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله
 تعالى اجلال ذي الشيبة المسلم وأخذ سفيان بيده فأجلسه الى جانبه
 وعن محمد بن الصلت قال كنت عند بشر بن الحارث يعني المحاسي الزاهد
 فجاه رجل يسلم على بشر فقام اليه بشرف فقامت اقيامه فذهني من القيام فلما
 خرج الرجل قال لي بشر يا بني قد رى لم منعتك من القيام له قلت لا قال لأنه

لم يكن بينك وبينه معرفة وكان قيامك لقيامي فأردت ان لا تكون لك حركة
 الا لله عز وجل وذكر الامام ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب آداب الصحبة قال
 ويقوم لائحوانه اذا ابصرهم مقبلاين ولا يقعد الا بقعودهم وانشدوا
 فاما بصريانية مقبلا . . . حللنا الحيا وابتدنا القيام
 فلا تنكرن قيامي له . . . فان الكريم يحجل الكرام
 انتهى هذا الذي ذكره رحمه الله عن هؤلاء الائمة الجاهلة محمول على القيام
 الجاهل المندوب على ما فسر العلماء فيما تقدم لاعلى قصد القيام اي من الا
 وهذا بين والله اعلم مع ان هذا العالم الذي استدل بهذه الآثار هو وغيره من
 ائمة مذهبهم انكروا على مالك رحمه الله في اخذ به عمل علماء أهل المدينة
 مع انهم اتجم الغفير والنبى صلى الله عليه وسلم مات بين أظهرهم وعنددهم
 استقر أمر الشريعة وبان ما استنسخ وما بقي وقيل ان تذهب عنهم الشئ في
 ذلك الزمن القريب ومع هذه القرائن كلها واكثر منها اكثر والنكير عليه
 وشددوا ثم يأتي هذا العالم بعد انكاره على مالك رحمه الله فيما ذكر يشرع
 النذب في القيام بفعل آحاد الناس في أقطار مختلفة واعلموا ان اعداها وقعت
 لهم اذ ذاك كائنة عندهم بل هي ظاهرة بيينة موجودة كما أبدىنا ذلك مع
 ان ما ذكره رحمه الله لا ينهض على قاعدة مذهب مالك رحمه الله ولا على
 مذهب الشافعي رحمه الله لان مذهب مالك رحمه الله مبني على أربع
 قواعد المساعدة الاولى آية محكمة القاعدة الثانية حديث صحيح عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرنا نسخ ولا معارض المساعدة الثالثة
 اجماع أهل المدينة القاعدة الرابعة اجماع أكثرهم بعد اختلافهم
 ومناظرتهم ومذهب الشافعي رحمه الله مبني على آية محكمة أو حديث صحيح
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرنا نسخ واذا كان كذلك فما ذكره
 رحمه الله لا ينهض على مذهب مالك رحمه الله لعدم دخوله في عمل أهل
 المدينة المتصل بل وقع لآحاد من الناس في أقطار مختلفة ولا ينهض على
 مذهب الشافعي رحمه الله لانه لا يأخذ بعمل أهل المدينة المتصل فكيف
 يستدل هذا القائل بجواز ذلك بعمل آحاد من الناس في أقطار مختلفة
 (فان) قال قائل انما وقع النكير على مالك رحمه الله في كونه يشرع بعملهم

وهذا ليس بتشريع (فالجواب) انه تشريع لا ريب فيه ولا شك لانه ادخله
 في باب المندوب وباب المندوب مشروع ولو جعله من قبيل المباح لمكان
 كلاما صحيحا مستقيما الواسع من الاحاديث الواردة في النهي عن ذلك على
 ما سيأتي ان شاء الله تعالى ومع ذلك فلا باحة حكم شرعي (ثم قال) رحمه الله
 روى المحافظ ابو موسى باسناده عن الامام أبي سعيد القفاص قال النبلاء من
 الرجال والعلماء يكرهون قيام الرجل لهم اكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو مباح لبعض الناس ان يقوم للناس انتهى قد قرر ان القيام مكروه عند
 العلماء اكرامة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ثم قال وهو مباح لبعض الناس
 وذلك محمول على القيام المندوب او المجاوز على ما تقرره فافهم ذلك والله يوفقنا
 واياك (ثم قال) رحمه الله هذا ما تيسرنا جزا من الاحاديث واقول الائمة من
 الترخيص في القيام وحاصله انه ثبت ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بنفسه الكريمة وبامر به بذلك لانصاره وروية قريبة حين فعل بحضوره ومن
 فعل جماعات من الصحابة رضى الله عنهم في موطن وجهات مختلفات ومن
 جهة ائمة الناس في أعصارهم في الحديث والفقه والزهد انتهى وقد تقدم
 الجواب عن كل ذلك حين اتى به وما المراد به وانه ليس في شيء من ذلك دليل
 للجرأيل لمنع اقرب كما قررنا. (وقد) عمل رحمه الله هذا الجزء الذي عمله في
 اباحة القيام على ثلاثة فصول الفصل الاول فيما ورد من الترخيص في
 القيام الفصل الثاني في تنزيل الناس منازلهم الفصل الثالث فيما ورد
 من الاحاديث في النهي عن القيام والجواب عنها (وقد) تقدم الفصل الاول
 والجواب عنه مستوفى وبقي الفصلان الاذان بعده (فقال) في الفصل الثاني
 قال الله عز وجل ومن يعظم حرمات الله فهو خير به عند ربه وقال تعالى
 ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب (هذا) الذي ذكره رحمه الله
 مسلم لا ينزع فيه الا ان تعظيم المحرمات والشعائر قد عرفت من القواعد
 الشرعية و ليس للقيام فيها مجال والله الموفق (ثم قال) رحمه الله روى ابو
 داود عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من اجلال الله تعالى اكرام ذى الشيعة المسلم وحامل القرآن
 غير الغالى فيه والمجا فى عنه واكرام ذى السلطان المقسط وروى الترمذى

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا (مسلم) عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم (الترمذى) عن ميمون بن أبي ثابت أن عائشة رضى الله عنها أمرت بها أن تل فاعطته كسرة ومر عليها رجل عليه ثياب وهيئة فاعمدته فلما كل فقيل لها فى ذلك فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم انتهى (حاصله) انه رجه الله تقرر عنده وفى نفسه ان القيام من باب البر والاكرام على اقر رقبيل فأتى به بدل بكل ما هو من باب البر والاكرام وقد تقدم أنه لو كان من باب البر والاكرام لم يكن عليه السلام ليترك برور والديه واكرامهما بالقيام (وانظر) هل فى هذه الاحاديث التى أتى بها فى تنزيل الناس منازلهم ان احدا قام لاحد بل نزلوا الناس منازلهم فى اجلاسهم وفى اطعامهم زائدا على غيرهم فتمتثل ذلك على ما ورد عنهم فلو ورد عنهم القيام لاشرافهم وكبرائهم لافتخياءهم وقبلناهم على الرأس والعين لانهم القدوة ونحو الاتباع وما يخالفهم الا باحدا ومعاذ الله ورسوله وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا توسع المجالس الا لثلاث لذى علم ولذى سن ولذى سلطان اه (فانظر) رجه الله وابانا كيف قال عليه السلام لا توسع المجالس الا لثلاث ولم يقل لا يقام الا لثلاث فيحمل اكرام ذى الشبهة المسلم واجلاله وبره على ما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث لا على ما يخطر لنا من عوائدنا التى اصطلحنا عليها فهل ينقل عن احدهم من نزل الناس منازلهم ما نفعله نحن اليوم من هذا القيام واحدا نقوم اليه ونغشى اليه خطوات وآخرة نقوم اليه ليس الا وآخرة نقوم اليه نصف قومة وآخر ربع قومة وآخر التحرك من الارض وآخر لا نتحرك له الا بالبشاشة وآخر لا بالبشاشة ولا غيرها وهذا شئ لا يقدر احد من المسلمين على اعتزائه الى صاحب الشريعة أصلا بل لاحد من الصحابة بل لاحد من التابعين بل لاحد من تابع التابعين وشئ لا يعرف له أصل عند أهل هذه القرون فاما راحه يتبعين والله تعالى أعلم (ثم قال رجه الله (البغوى) قد كان المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ومعه السيف والمغفر وهذا

الذي قاله البغوي متفق عليه والحديث مشهور في الصحيح (انظروا) رحمكم الله وايانا لهذا الجب كيف يستدل بان القيام مندوب اليه من هذا الحديث وكيف يمكن ذلك والمغيرة بن شعبة كان خادما عليه السلام في هذه الغزوة وهو الذي يخاطب قبائل العرب ويذب عنه من اراد اذيته عليه السلام من المقردين منهم وهذا لا ينكر وليس من باب القيام للبر والاكرام بل هو لا جمل الحاجة الداعية الى ذلك في ذلك الوقت فهل يجوز للمغيرة ان يبعد اذ ذلك ويترك النبي صلى الله عليه وسلم الى العدو وهذا لا يتعقل فكيف يستدل احديهم بهذا الامر العظيم الواجب على الانسان في حق نفسه وفي حق نبيه عليه الصلاة والسلام على ان القيام للداخل مندوب اليه فلم يستدل به على ان القيام واجب لكان اقرب اذ ان قيام المغيرة كان واجبا عليه فعلى هذا بان ان القيام على خمسة اقسام مضت اربعة وبقى الخامس الذي هو المأمول عليه وهو الواجب مثل هذا وما شا كل (هذا) تمام الكلام على الفصل الثاني الذي قرره وهو تنزيل الناس منازلهم (وبقي) الفصل الثالث وهو النهي عن القيام وما اجاب عنه (فقال) رحمه الله الترمذي عن انس رضي الله عنه قال لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك قال الترمذي حديث حسن صحيح وترجم الترمذي لهذا باب كراهة قيام الرجل للرجل ابو داود واللفظ للترمذي خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأياه فقال اجاسا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار قال الترمذي هذا حديث حسن وترجم له باب كراهة القيام للناس ابو داود عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وروى ابو موسى الاصبهاني عن ابي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم الرجل من مجلسه فهذا ما بلغنا في النهي (فاما الجواب) عن الحديث الاول وهو اقرب ما يحتج به من وجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم هو اقرب ما يحتج به من بعدهم الفتنه بافراطهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم خاف عليهم وعلى من بعدهم الفتنه بافراطهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم

كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر لا تطروني كما أطرت النصارى
 عيسى ابن مريم فذكر صلى الله عليه وسلم قيامهم لهذا المعنى ولم يذكر قيام
 بعضهم لبعض بل قام صلى الله عليه وسلم وقاموا غيره بحضرته ولم ينفه عن
 ذلك بل أقره وأمر به في حديث القيام لسعد وقد قدمنت في الباب الأول
 بيان هذا كله وهذا جواب واضح لا يرتاب فيه إلا جاهل أو معاند الوجه
 الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين أصحابه رضى الله عنهم من
 الانس وكمال الود والصفاء لا يحتمل زيادة بالأكرام بالقيام فلم يكن في
 القيام مقصود بخلاف غيره فإن فرض صاحب الإنسان قريبا من هذه الحالة
 فلا حاجة إلى القيام وأما الحديث الثاني فقد أوج أكثر الناس بالاحتجاج به
 والجواب عنه من أوجه الأصح والأولى والأحسن بل الذى لا حاجة إلى
 ما سواه أنه ليس فيه دلالة وذلك لأن معناه الصريح الظاهر منه الزجر الأكبر
 والوعيد الشديد للإنسان أن يجب قيام الناس له وليس فيه تعرض للقيام
 بنهى ولا غيره وهذا متفق عليه وهو أنه لا يجوز للأقرب أن يجب قيام الناس له
 والمنهى عنه هو محبة القيام ولا يشترط كراهية لذلك وخطور ذلك بهاله
 حتى إذا لم يخطر ذلك بهاله وقاموا إليه أو لم يقوموا فلازم عليه فإذا أحب فقد
 ارتكب التحريم سواء قيم له أو لم يقيم فدار التحريم على المحبة ولا تأثير لقيام
 القائم ولا نهيه في حقه بحال ولا يصح الاحتجاج بهذا الحديث فإن قال من
 لا تحقيق عنده بأن قيام القائم سبب لوقوع هذا في المنهى عنه قلنا هذا سؤال
 فاسد لا يستحق سائله جوابا فإن تبرع عليه قبل قد قد مننا أن الوقوع في المنهى
 عنه يتعاقب بالمحبة فحسب أم (فانظر) رحمت الله وإيانا بتطرا لا تصاف
 كيف قرأ حديث النهى وصححه سلم أجاب بالجواب الأول وفيه ما فيه
 الأثرى أنه قد قرر أن المحبة رضى الله عنهم كما نوايق قومون بعضهم لبعض
 وقاموا بحضرته صلى الله عليه وسلم ولم يذكر قيام بعضهم لبعض وأنه عليه
 السلام قد قام لبعضهم على ما ظهر له واستقر في ذهنه أن ذلك كان من باب
 البر والأكرام ولم يكن لضرورة أدت إليه كما قد أبديناها فإذا كان ذلك كذلك
 وقتنا له عليه السلام فأى أطراء في ذلك أن جعلناه عليه السلام كواحد مننا
 لم نزل له شيئا في الأكرام فلو عكس وجه الله الأمر فقال لم تكن المحبة

يقومون ولا قام صلى الله عليه وسلم لا حدثتم قام والله عليه السلام فنهاتهم
 لكان ذلك جوابا مستقيما اذ انالو فعملنا ذلك لمخالفة العادة التي يعامل بها
 بعضها اوردنا له على ذلك فحينئذ يكون الخوف من الاطراء واما اذا عاملناه
 معاملة بعضنا مع بعض ومعاملة عليه السلام معنا فهذا لا يقال ان فيه اطراء
 اذ اننا نراه منزلة واحد منا في معاملة بعضنا مع بعض ومعاملة عليه السلام
 معنا ولو سلمنا لهذا السيد رحمه الله ما ذكره والعياذ بالله لوقعنا في مخالفة نص
 الكتاب العزيز سواء بسواء ألا ترى ان الله تعالى أمر بتوقيره عليه السلام بقوله
 تعالى وتعرضوه وتوقروه فاذا قررنا ان القيام من باب البر والاكرام وكما
 نفعله بتلك النية بعضنا مع بعض ولا نفعله معه عليه السلام فنكون قد
 ارتكبنا النهي مصادمة اذ اننا تركنا توقيره في ذلك والعياذ بالله تعالى ان
 نظن بأحد من الصحابة ان يكون ترك شيئا من باب البر والاكرام له عليه
 السلام فكيف يتفق الجميع على تركه بل في هذا القول خطر عظيم لو تأمله
 هذا القائل ما تكلم به ولا أشار اليه ألا ترى الى جواب عائشة رضي الله
 عنها لما أن سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن وقد وجد
 ذلك منه محسوسا ظاهرا يندس في عوائده عليه السلام ومعاملاته الجميلة مع
 أصحابه وأهله وغيرهم وقد نطق القرآن بالأمريته وقبره فكيف ينهى عليه
 السلام عن شيء أمر الله به هذا أمر لا يتعمق في الغشاهي عادة استقرت فوقع
 الاستئناس بها المروورها والانسان لا يخلو من الغفلة فوقع ما وقع بسبب ذلك
 واما المخالفة للسنة فبعيدة عن منصب العلماء فكيف بالاخيار منهم وقد ورد
 من اجتهد فأصاب فله أجران فان أخطأ فله أجر واحد فكذلك فيما نحن
 بسبيله له أجر واحد والله يعفو عن الجميع اذ لولا العفو ما استحق أحد النجاة من
 النار الا من استثناه الله تعالى ممن قد علم فان قال قائل قد يكون نهيه عليه
 السلام عن القيام اليه على سبيل التواضع فاجواب ان التواضع منه عليه
 السلام انما يكون فيما لم ينزل عليه فيه شيء واما بعد الانزال فلا سبيل الى ذلك
 ولو كان ذلك كذلك لكان فيه أمر بترك ما أمر الله عز وجل به من جميع أنواع
 التوقيره عليه السلام وهذا باب ضيق نعوذ بالله من الغلط والغفلات ألا
 ترى قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى وقوله عليه الصلاة

والسلام لا تفضلوا الانبياء بعضهم على بعض وقوله عليه السلام أنا سيد ولد
آدم ولا فخر وقوله عليه السلام آدم من دونه تحت لوائى فهذه أحاديث
متعارضة كما ترى والجمع بينهما هو أن حديث المساواة وعدم التفضيل كان قبل
الانزال عليه في ذلك والاختيار له بالامر وأحاديث التفضيل بعد الاختيار له
بذلك فيما أنزل عليه أعني بالتفضيل من غير تنقيص يلحق المفضل كما قاله
علماء أئمة الله عليهم فكذا فيما نحن بسبيله سواء بسواء بل مسألةنا آكد وأولى
لأن فيها القرآن يتلى بقوله تعالى وتزروه وتوقروه وقد قرر أن القيام من
ذلك الباب ثم منعه وظاهر هذا الكلام متناقض وقد ورد من حديث عائشة
رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة يغشانا
في كل يوم مرتين غدوة وعشية فجاء يومافى وسط القافلة وأبو بكر قاعد على
السرير فقال ما جاء به في هذا الوقت إلا أمر حدث فدخل النبي صلى الله عليه
وسلم وأبى قاعد على السرير فوسع له في السرير حتى جلس معه عليه ثم أخبره
النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالهجرة فقال الصحبة يا رسول الله فقال الصحبة
(فانظر) رحمة الله تعالى وإياك كيف دخل النبي صلى الله عليه وسلم فوسع له
ولم يقم وكان أكثر الناس براواكراما واحتراما وتعظيما وترفيعا وتوقيرا للنبي
صلى الله عليه وسلم (ثم قال) رحمه الله وهذا جواب واضح لا يرتاب فيه
الاجاهل أو معانداه (فانظر) رحمة الله وإيانا إلى هذا اللفظ من هذا السيد
ما أعجب به وقد نقل الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى في مختصره الكبير
ما هذا الفظه قيل مالك رحمه الله فالرجل يقوم للرجل له الفقه والفضل
فيجاسه في مجلسه قال يكره ذلك ولا بأس أن يوسع له قيل له فالمرأة تبالغ في بر
زوجها فتلقاه فتتزعج ثيابه وتعليه وتقف حتى يجلس قال أما تلقها وترعها ثيابه
وتعليه فلا بأس وأما قيامها حتى يجلس فلا وهذا من فعل الجبابرة ربما يكون
الناس ينظرونه فإذا طاع قام وإليه فليس هذا من أمر الاسلام ويقال إن عمر
ابن عبد العزيز فعل ذلك به أول ما ولي حين خرج إلى الناس فأنكره وقال إن
تقوموا نقيم وأن تقعوا تقعوا وانما يقوم الناس لرب العالمين فإذا كان هذا لفظ
الامام مالك رحمه الله فكيف يقول من تقدم ذكره وهذا جواب واضح
لا يرتاب فيه الاجاهل أو معاند وعدالة الامام مالك رحمه الله وتقدمه على غيره

من الأئمة رجعهم الله مشهورة معلومة (وأما الجواب) عن جوابه في الوجه الثاني فالواجب العادل منه لما ورد عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم لم يعرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم أشد توقيراً له عليه السلام وهيبتهم له حتى أنهم كانوا لا يقدرون أن يتأملوه ولا يرفعوا رؤسهم بحضورته عليه السلام فمن ذلك ما خرج مسلم رحمه الله في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيم له ولو قيل لي صفة ما كنت أتتني هذا قوله رضي الله عنه وهو من جلة أصحابه صلى الله عليه وسلم ولولاه كان عليه السلام يباسطهم ويتواضع لهم ويؤانسهم لا قدر أحد منهم أن يقدمه ولا أن يسمع كلامه عليه السلام لما رزقه الله من الماهية والجلالة بين ذلك ويوضحه ما ورد عن عائشة رضي الله عنها في حاله عليه السلام عند ركوعه الفجر قالت ان كنت مستيقظة قال حدثيني يا سحرا وان كنت نائمة اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما تحصل له من الخلع والقرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وتلاوته والاحوال التي يكمل اللسان ان يصف بعضها لما استطاع بشر ان يتأقوا ولا يبشيره ولا يسمع كلامه فيحدث مع عائشة رضي الله عنها او يضطجع بالارض حتى يحصل الثانية من بينهم وهو حديثه مع عائشة رضي الله عنها او جنس أصل الخلقة التي هي الارض فاذا تحصل عنده بذلك شيء مما من المناسبة حينئذ يخرج عليه السلام اليهم واما قبل حصول ذلك فلم يكن يفعل ذلك فانهم لا يطيقون مقابلة تلك الانوار الجليلة ولا سماع تلك الالفاظ العذبة المهدومة في غيره عليه السلام فيفعل ذلك عليه السلام رفقاً بهم ولكي يتوصل الى ان يبين عن الله أحكامه وكان بالؤمنين رحيماً فهذا التوقير والماهية حاصل فيهم مشاهد مره من كثير ابل ذلك في أقرب الناس اليه أعظم ممن بعد عنه وأكثر الا ترى الى حديث ذي البدين حيث قال فيه وفي القوم أبو بكر وعمر فهايان يكاماه فابوبكر وعمر هابا الكلام مع قريبهما وذاو البدين تكام فعلى هذا فكل من قرب منه عليه السلام وتأكد امره معه كان أكثر هيبة له عليه السلام وأكثر توقيراً

وأعظم احتراماً وأكبر أجلاً واذا قلنا ان القيام من باب البر والاكرام
ويكونون قد تركوه لأجل قربهم منه فتعطي هذه القاعدة ان من كان أقرب
إليه كان أقل توقيراً لله عليه السلام لأجل الانس وكمال المودة فلا يحتاج الى
التوقير وكذلك ينبغي على هذه القاعدة ان يكون الصالحون والاولياء أقل
توقيراً من غيرهم لأجل الانس وكمال المودة وهذا كس ما ظهر في الوجود
وما استقر من أحوال السلف والخلف بالمشاهدة والعيان ونقل الأئمة عن
الأئمة فيأتي على هذا الجواب الجواب الأول سواء بسواء وقد تقدم بل في حق
غيره عليه السلام وجدنا استعمال الأدب في حق القريب أكثر منه في حق
البعيد ألا ترى الى ما حكى عن محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة في
دخوله على مالك وقصته معه وقد تقدمت في أول الكتاب فأصحابه الذين هم
أقرب الناس إليه كانوا كأن على رؤسهم الطير أشدة هيبتهم له وتوقيرهم لجنابه
وتعظيمهم لمحرمته ومحمد بن الحسن لأجل بعده منه لم يكن له ما كان لهم فلو
عكس رحمه الله الأمر وقال إذا لم يكن الصاحب تأكدت صحبته ولازم أمره
فلا حاجة الى القيام لكان ذلك قريبا من القبول منه لأجل ان من قرب من
صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه ازداد قربا الى الله ومن ازداد قربا
الى الله ازداد الى رسوله صلى الله عليه وسلم توقيرا وتوقيرا وتوقيرا ولا وهيبة
وأعظما وأجلا ولا وهذا موجود في سوس مشاهد مرعى كل من كان له أمر
نافذ ويرجع اليه أمر به وينفذ بأمره وخوف الناس منه وأهيبهم له وأوقرهم لديه
من كان أقربهم إليه وهذه قاعدة مقررة عند الأئمة ألا ترى ان الأولياء
مطالبون بأدب لا يطالب بها غيرهم من عوام الناس لزيادة خصوصيتهم
ومزيتهم على غيرهم فإذا تركوا منها شيئا عوقبوا على تركه كما ويتركه أكثر
الناس ولا يبالون فلا يعاقبون وما ذاك إلا لأن القريب المحرم عليه أقوى
والأدب تطالب منه أكثر كما حكى عن بعضهم انه مذكر حله في المسجد ليس تريح
ثم ضمه من ساعته وجعل يستغفر فقال له بعض جلسائه اليس هذا أمرا باحا
فقال أمّا لكم فنهى وحكى عن بعضهم انه جاور بالبيت الحرام مدة لم يبل في
الحرم ولم يضطجع ولم يستند وما ذاك إلا للهبة القائمة عليه اذ ذاك لأجل قرب
وكما حكى عن بعضهم انه مكث أربعين سنة لم ينظر الى السماء لأجل الهيبة

والاعظام وقد قال الامام ابو القاسم المجتهد رحمه الله حسنات الاربابيات
المقربين وحكايتهم في ذلك اكثر من أن تكتب أو تحصر (وأما الجواب)
عن جوابه عن الحديث الآخر وهو قوله ليس فيه دلالة إلى آخر كلامه
وعبارته وقد تقدمت في هذا الذي قاله رحمه الله يرد ما شهدته الاصول
واستقر من الاحاديث الا ترى الى قوله عليه السلام المؤمن يحب لآخيه المؤمن
ما يحبه لنفسه وهو قد أورد هذا الحديث الذي أوردته رحمه الله وهو قوله
عليه السلام من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار اه
فاذا دخل عليك أخوك المؤمن فقممت اليه وسر بذلك فقد تبوأ مقعده من
النار وكان ذلك بسبب قيامك أنت وحركتك له ولا حجة له في جوابه بقوله
مدار التحريم على المحبة فحسب سواء قيم له أو لم يقيم فقد ارتكب التحريم لان
هذه المحبة انما صدرت منه لما شهدته للقيام فلو كان لا يقوم أحد لا تحل
تتشوف نفسه اليه ولم تحبه وينبغي للمؤمن أن تكون قاعدته في تصرفه
كله ظاهرا وباطنا مع نفسه ومع غيره أن يحكم على نفسه اساس العلم وكيفية
ذلك ما قاله الامام ابو حازم سلمة بن دينار رحمه الله شيئا أن هـ ما خير الدنيا
والآخرة ان عملت بهما اتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما
قال تعمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله أو كما قال
فليس الانسان مكلفا بأن لا يقع له محبة الشيء وانما هو مكلف بأن لا يرضى به
وان كانت نفسه تحبه فيكرهه لكرهية الشرع الشريف (وقد قيل) من
العصاة أن لا تحب فاذا أحب ولم يجد سبيلا إلى وقوع ما أحب فقد عصم من
وقوع تلك المعصية وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان (فالحاصل) من هذا ان الذي يكره الانسان
لنفسه ويسأل الله تعالى في كل وقت وأوان ان يعاقبه منه ولا يرضاه لاحد
من العصاة وهو تبوء مقعده من النار لا يفعله به هذا الاخ المؤمن الداخل
عليه ان كان يحب ذلك وقد ورد عنه عليه السلام انه قال من غشنا فليس
مننا انتهى وهذا الفعل من باب الغش لانك تذكر الشيء لنفسك وتوقع فيه
غيرك بل هو من قبيل الخديعة والمكر وأهل الايمان بعداء من ذلك وقد ورد
عنه عليه السلام انه قال المؤمن مرآة المؤمن وقال عليه السلام المؤمن

للمؤمن كالأنيان يشد بعضه ببعض على هذا معنى الحديث فكل باب أو مسألة
أو حركة أو سكون كانت سببا إلى نجاة أخيك من النار واجب عليك أن تعامله
بها وكذلك في العكس سواء بسواء فكل باب أو مسألة أو حركة أو سكون
كانت سببا إلى عقابه وتوبيخه ودخوله دار الهوان والغضب واجب عليك
أن تنفيه منها وقد قال عليه السلام الدين النصيحة فإذا قمت إليه فأنك
لم تنصحه بل غششته بدليل ما تقدم بل ينبغي أوجب أن يعرض الإنسان
على نفسه هذا القيام فإن رأى نفسه أنها تحب ذلك وتشتهيها وتؤثره فينبغي
أن لا يفعله مع أخيه المؤمن لئلا يوقعه في البلاء العظيم المذكور في الحديث
وإن رأى نفسه أنها لا تحب ذلك وتكرهه فينبغي أن لا يعامل أخاه المؤمن
بشيء يكرهه وأن يعامل به وهذا هو حقيقة معنى الحديث المتقدم المؤمن
مراة المؤمن فينظر إلى نفسه فيأجب أن يفعل معه فعله ومع أخيه وما يكره
أن يفعل معه لم يفعله معه البتة وهذا الذي أوردناه كله هو الذي قاله هذا
السيد فيه هذا سؤال فاسد لا يستحق صاحبه جوابا وقد تقدم جوابه بما
يسر الله في الوقت ولولم يكن الأفضل الحساب وفهمهم للحديث ومعناه لكان
ذلك أولى من فعلنا وفهمنا بل أوجب لأنهم تلقوه مشافهة من صاحب
الشرعية صلوات الله عليه وسلامه (وانظر) رحمت الله وإيانا إلى معارفة
الذي تلقى الحديث من في صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه كيف
نهى عن ذلك على العموم وذلك الذي فهم فكان ينبغي اتباعه في فهمه وفقهه
(وانظر) رحمت الله وإيانا إلى رواية الحديث كيف يؤبوا عليه باب كراهة
القيام للناس باب كراهة القيام للرجل ولم يقولوا باب ما جاء في ترك القيام ولم
يقولوا مثل ما قالوا في عكسه حيث قالوا باب ما جاء في القيام فيعطى ذلك أو يفيد
أنهم يقولون بالكراهة ولا يقولون بالجواز وقد تقدم (وانظر) رحمت الله وإيانا
إلى قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه لما ان خرج عليهم فقاموا إليه لا تقوموا
كما تقوم الأتاجم يعظم بعضهم بعضا جمع عليه السلام فيه شيئين الأول
النهى والثاني التعليل وهو كون القيام إذا وقع بنفسه يكون تعظيما ولولا
ذلك لبين لهم كيفية القيام الجائز وأخبرهم بأن القيام إذا وقع ولم يكن بنية
التعظيم كان جائزا وهذا وقت البيان وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز

بل لو كان يجوز على سبيل البر والا كرام ما احتاج عليه السلام الى تنبيههم عن ذلك لعلمه منهم باكرامه وتبجيله وتوقيره ولعلمه منهم انهم يحتشون امر الله تعالى في ذلك (ثم انظر) ايضا الى قوله عليه السلام من سره ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقد تقرر عندنا من أصل الشرع والطبيع والعادة والتجربة ان النفس في غالب الامر غالبة مكيدة تخدعة متكبرة متجبرة منازعة للار بوبية فالشيطان على ما جيل عليه من الشيطنة والتهمرد والكفر والطغيان والمخالفة والعصيان لا ينزع الربوبية وهي تنازعها فان شعرت من صاحبها انه لا يكره منها ما تبديه من احوالها السيئة ومنه بالجميع وأظهرته لديه وان شعرت منه انه يرد عنها عن احوالها المستهينة قيل ان تظهر له شيئا من تعبها ياها وبقيت تشارى عليه في - فطوطها او تزعم انها طالبة للثواب والتخير وهي طالبة لشهواتها وحنها وخافها خيفة منها ان أظهرت ما كنته ان لا يمكنها صا - بها من مرادها والغالب منها محبة الخطوة والشهرة والظهور - على الاقران ومحبة الشرف والرفعة على الناس والكبر عليهم وذلك كله موجود في القيام اليها فان النفس التي تقف لذلك ويحصل لها الانكسار والتذل وتراه للبر والا كرام وتنويه على ما زعم هذا القائل والحب من هذا السيد وكيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم هذا النهي الصريح المطلق العام ولم يقيد به بغيره ولم يخصه بحالة فقال هذا يجوز بنية البر والا كرام وقد تقدم بيان هذا كله (فان) قال قائل انما قال ذلك لورود الأحاديث المعارضة في فعل القيام (فالجواب) ما تقدم من الاجوبة عن القيام المذكور ما كان سببه وما جرى فيه من الكلام ولا شيء كان وفيها وقع من الجواب مفتح مع الانصاف وقد وقع لسالك رحمه الله تعالى في المتبعية من كتاب الفكاح انه سئل عن الرجل تكون له المرأة الحريصة المبالغة في تأدية حقه فاذا رآته داخلها فاتفقه فآخذت عنه ثيابه ونزعته ثيابه ولم تنزل قائمة حتى يجلس فقال أما قل لها ياها ونزعها ثيابه ونزعته ثيابه فلا ترى في ذلك بأسا وأما قيامها فلا ترى ذلك ولا أرى ان تفعله هذا من التخيير والساطان فقامت والله ما ذلك من شأنه ولا يشتهي هذه المحالة ولا يمكنها تريد اكرامه وتوقيره وتأدية حقه وأنه ليس لها عن ذلك ويمنعها منه فقل لي كيف استقامتها

في غير ذلك فقلت له من أقوم الناس طريقة في كل أمرها فقال تؤدي حقه في
غير هذا وأما هذا فلا أرى أن تفعله إن هذا من فعل الجبابرة وبعض هؤلاء
الولاية يكون الناس جلوسا ينتظرونه فإذا طاع عليهم قام والله حتى يجلس فلا
خير في هذا ولا أحبه وليس هذا من أمر الإسلام فأرى أن تدع هذا وتؤدي
حقه في غير ذلك وليس هذا من الذي أخبر الله تعالى عنه هذا من فضل ربي
ليبلغني الشكر أم أكفر قال عمر بن الخطاب للداية التي ركبها ما نزلت عنها حتى
تغيرت قال قال مالك وأبو بكر فضله (فانظر) ربحك الله تعالى بعين الاتصاف
إلى قول مالك رحمه الله مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لو كنت آتيا
أحد أبا السجود لا ثمرت المرأة أن تسجد لوجهه فانظر مع هذه المحرمات والمحرمات
الذي للزوج ينصر صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم كره لها مالك القيام له
لفهمه منع القيام مطلقا ولم يفرق بين القيام لأب والقيام لأبوكرام والاحترام
والتعظيم من الأحاديث المتقدمة فهذا نص الإمام (وانظر) ربحك الله وأبانا
إلى هذه المقسدة العظمى التي وقعت بسبب جواز هذه القيام كيف وقع
بسببه ارتكاب ما نهىنا عنه وهو هذا القيام الذي يفعله بعض الناس
للإهودي والنصراني وقد تقدم أن في القيام أذلالا لا قائم وقد قال عليه
السلام الإسلام يهمل ولا يعلى عليه انتهى وقد علا هذا العدو والكافر على هذا
المسلم في هذا الحال بسبب ما أجيز من القيام وقد قال عليه السلام المؤمن
لا يذل نفسه أو كما قال فهو قد نهى أن يذل نفسه وإن كان مع مسلم فكيف
يكون الأمر مع يهودي أو نصراني أو متافق عدو من أعداء الله وأعداء رسوله
صلى الله عليه وسلم فكيف يكون القيام إليه وكيف يكون الذل له
فأنا لله وأنا إليه راجعون على عدم الحياء من الارتكاب لمثل هذه الأمور
(فإن) قال قائل أغما أجاز وأذلك إذا خافوا الفتنة منه (فالجواب) أن خيفة
الفتنة أغما بسبب استعجالنا نحن القيام حتى جعلنا بيننا شعيرة من شعائر
الدين حتى لو تركه واحد منا لوجدنا عليه الوجد الشديد فلما أن ارتكبنا
هذا الأمر بيننا واصطلمنا عليه من تلقاء أنفسنا طلبه اليهودي
والنصراني منا لأن شهوات النفوس والمخطوطات الناس الكل مشتركون في
محبتها والقول بها الأمن مع الله سيما من كان شاردا عن باب ربه ورضا عن

مولاه فيكون ذلك في حقه أكثر من غيره وليس ثم شروء وأعراض أعظم وأدهى وأمر من المخالفة بالكفر ومجدد الوحدة فيكون محبة ذلك في حقه أكثر وأكثروا فلو وقفنا نحن على حدود الشريعة المجدية ولم نزدعاليه شيئا ولم نستحسنه من تلقاء أنفسنا إلا ما استحسنه صاحب شريعتنا صلى الله عليه وسلم وأما ما رأه مصلحة لنا لم يكن أحد من أهل المال يخالفنا فيه ولا يطلبه منا لأنهم لا يقرون على اتباعه في أمر ما أبدالكفرهم وطغيانهم ألا ترى أن السلام المشروع وما جعل الله عز وجل فيه من البركة والخير ظاهرا وباطنا حسا ومعنى كيف يتحاماه أهل الكفر والضلال عن آخرهم ولا يفعلونه مع أنفسهم ولا مع من يعاملونه من المسلمين فلو كان هذا القيام مشروعاً عنه عليه السلام لتحاموه كما تحاموا والسلام لأن كل ما شرع عليه السلام وانتفت منه حظوظ النفس فليس لهم إليه سبيل وما يستعمل لحظوظ النفس هو الذي يشاركنا فيه أهل المال فلو أنكرنا القيام ابتداءً بعضنا لبعض ما طلبه أهل المال منا وقد كان الأصل عدم القيام البتة لأن العرب كانت لا تعرفه ولا يعامل بعضهم بعضاً فلما أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من فعل الأعاجم بأن أمره وانفتح وزال اشكاله لأنه عليه السلام قد نهي في غير هذا الحديث عن التشبه بالأعاجم وقد علاه ههنا بأنه من فعل الأعاجم حين نهي عنه وهذا واضح لا يخفى على ذي بصيرة وقد روى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منّا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكفاه وأعظم من هذا فتنة أن أكثرهم يجهلون الفتنة المخوفة ما هي ويظنون أنه لو تسبب الذم في قطع رياستهم أو قطع منصب لهم أو قطع شيء من جامعياتهم أو عقد وجهه في وجوههم أو تكلم فيهم عند استأذنه بامر ما كان ذلك عذراً لهم في جواز القيام لأهل المال معاذ الله وإنما يجوز ذلك إذا وقع الخوف الشرعي وهو معلوم بين العلماء مشهور بينهم ليس على ما تسول لنا حظوظ أنفسنا ويزين لنا شيطاننا ويحماها عليه قلة يقيننا وأعظم فتنة وأدها وأمرها هذا الأمر المفضع الذي وقفنا فيه وأصطلحنا عليه وهو أن ترى ذلك كله جائزاً ومندوباً إليه معضلة

عظيمة لا تستدرك ولا يمكن تلافيها التعذر وقوع التوبة منها لأن التوبة لا تكون
 من الجائز ولا من المندوب وإنما تكون من المعاصي (فالخاص) من أحوالنا
 فيه أعني في القيام أنا ارتكبتنا به بدعة جرت إلى حرام متفق عليه وهو القيام
 لليهود والنصارى والمنافقين فأن الله وأنا إليه راجعون على ارتكاب البدع
 والتسامح فيها لا ينبغي ومما يذكره بعض علمائنا وتسامحهم وتغافلهم عن كل
 ذلك حتى ارتكب بسبب ذلك الكثير الكبير والله سبحانه وتعالى المستول
 في التجاوز والعفو عما مضى والتدارك واللاطف والأقالة مما بقى بمحمد وآله
 (وقد) وقع لغيره من المتأخرين أن هذا القيام يتعين اليوم لما يترتب على تركه
 من العداوة والبغضاء وقد أمرنا بترك ذلك فقال عليه السلام لا تبأغضوا ولا
 تدابروا الحديث (فهذا) الذي ذكره رحمه الله هو الذي يؤدي إلى ما احترز
 منه ببيان ذلك أن الإنسان لا يخجل من أحد أحوال ثلاثة إما أن يقوم لكل
 داخل عليه أو العكس وإما أن يقوم لبعض الناس دون بعض فإن كان
 الأول فهو مذهب محرمة العلم والمروءة وقل أن يستقر له قرار في مجلس
 ويشغل عن كل ضروراته لكل داخل صغير أو كبير وهذا شنيع ومع شناعته
 يمنع ما للانسان قاعداً إليه ويشغل عنه مع ما في ذلك من مخالفة السنة
 والسلف الماضين وإن قام لبعض الناس دون بعض فهو وضع الفتنة
 والتدابير والتقاطع فلم يبق إلا القسم الثالث وهو أن لا يقوم لأحد فيسلم
 الناس مما يقع بينهم وتخصم مادة التدابير والتقاطع وتبقى حرمة العلم قائمة
 والمروءة موجودة وبركة الاتباع حاصلة ووجه آخر وهو أنه لو أجزأ ذلك
 لأجل ما يقع لبعض الناس من التغيير لكان ذلك يؤدي إلى نسخ الشريعة لأن
 العوام كلما أحدثوا حدثاً في الدين ان لم نوافقهم عليه حفظوا الخواطرهم بالمخالفة
 للشرع أفضى ذلك إلى ما ذكر وهذا عكس ما كان عليه السلف رضي الله
 عنهم لأن عاداتهم مضت أن العوام يحدثون والعلماء ينكرون ويرجون فصار
 اليوم الحال بالعكس العوام يحدثون وبعض العلماء يتبعون وبعضهم
 لا ينكرون وهم يعلمون وقد قال عليه السلام من أحدث في أمرنا ما ليس
 منه فهو رد أو كما قال وهذا عام في الواجب والمندوب والمباح * *
 (فصل) * وينبغي له أيضاً أن لا يجلس على حائل مرتفع دون من معه لأن في

ذلك صورة الترفع على غيره وليس ذلك من شيم العلماء اذ ان من شأن المدرس
التواضع كما تقدم وقد سئل مالك رحمه الله عن يجلس في المسجد على شيء مثل
قروة أو بساط أو شيء يتكى عليه فذكر ذلك وعابه وقال اتخذ المساجد بيوتنا
ورخص ذلك للمريض فعلى هذا ان اضطر المدرس أو غيره الى شيء يجده تحت
فليكن على قدر الضرورة وليبين عذره لئلا يظن ان ذلك من شعائر المأذنين
من سلف الامة وقد كان سيدي الشيخ الامام أبو محمد المرجاني رحمه الله
أصابه مرض فاتخذ الدرس في بيته في ناحية منه لاجل مرضه فلما ان كان من
الغد خرج من تلك الناحية فوجد خارجا عنها فقبل له هلاكة فوضعك
بالأتمس لانه اكن لك لاجل مرضك فقال ان ذلك الموضع فوق جاسائي
وكان الموضع علوه عن أصحابه عرض أصبعين فقبل له يا سيدي هذا شيء
يسير فقال لو وجدت سيلا ان احفر حفرة تحت الارض فأقعد تحت
جلساتي اغامت ذلك أو كما قال رضي الله عنه وما رأيت أحدا من علماء
المغرب وفضلائهم يقعدون على حائل دون جلساتهم وقد كان سيدي أبو محمد
رحمه الله يجلس الى أخذ الدروس في المسجد على الحالة المذكورة ثم بعث له
سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله بعبادة من صوف بقي يتعجب من أمره في
إرساله اذ ان السجادات الغير ضرورة شرعية بدعة ومثله بعيد أن يقع في
مثل هذا ثم قال ما أرسلها الا لحكمة فتركها في بيته لم يستعملها فلما كان الاقليل
وأخذ مغس في فؤاده بسبب برودة البلاط الذي يصعد من تحت المحصر
فبقي يخرج بها الى المسجد ويطويها حتى تكون على قدر جلوسه ايسر الا
ويجهد على المحصر وكان يقول هذه هي الحكمة التي لاجلها أرسلها هذا
السيد فهذا آداب العلماء والصلحاء قديما وحديثا والعلماء أولى من يقتدى
بهم ويقتفى آثارهم ويقتدى بهديهم

*(فصل) * وينبغي له أيضا ان يحفظ من هذه المراوح ان كان في المسجد
اذنها بدعة وقد أنكر مالك رحمه الله الاشياء التي تعهد في البيوت ان تعمل
في المساجد لانها لم تكن من فعل السلف وان كانت مباحة في غيره ويستحب
استعمالها في المدارس ضرورة المحتر والذباب ما لم يكن ثمنها من ربيع الوقف
أو يقطع بها حصر الوقف عند البحث والانتزاع عند ايراد المسائل ومن

الطراطوشى قال مالك رحمه الله وأصكره المرواح التى فى مقدم المسجد التى
يرقح بها الناس قال وما كان ذلك يفعل فيما مضى ولا أجيز للناس ان يأتوا
بأرواح يترقحون

(فصل) وينبغي له أيضا ان يتحرز من هذه المحلة التى تعمل له فى كون
الطالبة يبعدون عنه والسلف كما اتوا لا يبعدون بل تمس ثياب الطالبة
ثياب المدرس اقربهم منه والتحيز كما فى الاتباع فان كان ذلك للرياسة فذمه
أشد من الاول

(فصل) وينبغي له أيضا ان لا يكون فى مجلسه مكان يميز لا تحاد الناس
بل كل من سبق لوضع فهو أولى به كما هو ذلك من شروع فى انتظار الصلاة
ولا يقام أحد من موضعه جيرا ويجلس فيه غيره للنهى من صاحب الشريعة
صلى الله عليه وسلم عن ذلك حتى لو قام غير معرض عنه ضرورة وطاد كان به
أحق أيضا اللهم الا أن يكون الموضع معلوما عند الناس انه لا يجلس فيه الا
فلان وهم محتاجون اليه فى فتواه وعلمه فان جلس فى غيره لم يهمل مكانه
أو يعلم بحقيقة هذا مستثنى مما نهي عنه فان كان المسبق صاحب علم وفضيلة
فحينما اجلس كان صدرا وليست المواضع بالتي تصدر الناس ولا ترفعهم وانما
يرفع المرء ما هو حامله من علم وفضيلة ودين وتقوى وانما وقع التخصيص
ان ذكر لا احتياجهم اليه فى فتواه وعلمه وان كان الدليل مقتضاه العموم
فالضرورة خصت الدليل العام وليس هذا بأول دليل نخص وذلك كثير
ولا بأس ان يوسع له فى المجلس ما لم يؤد ذلك الى الضرر اقول عليه السلام
واكن تقصروا وتوسعوا

(فصل) وينبغي له أيضا ان لا ينزع على من آذاه ويجاهد نفسه ليرتاض
فيحسن له بالمقدور والصنيع عنه وكذلك لا يؤاخذ من تسلط عليه بالاذية وقلة
الادب ويواجهه بما يواجه به غيره من المحبين والمعتقدين من طيب القول
وحسن العبارة وعدم الجفاء تقربا بذلك الى ربه عز وجل ولا يقابل الشر
بمثله فان ذلك ليس من شيم العلماء وانما شيمهم الحلم والاقالة والصنيع والعفو
الاترى الى محمد بن محمد بن رحمه الله وكان قاضى بلاد افرى بقبيلة فكان
اذا قدمه لا تخذ الدروس انا انسان يقتضى رقاب الناس حتى يصل

اليه فوجدته في اذنه ساعة ثم ينصرف فبقي كذلك مدة وكان اذا
 أقبل يقول القاضي لجماعته افسحوا له فيأتي ويفعل العادة ثم انقطع
 بعد ذلك مدة فسأل عنه من حضره فقالوا لا نعرف خبره فقال اطلبوه فاذا
 وجدتموه فأتوني به فوجدوه فأتوا به اليه فأخذه وخلابه وقال ما منعك
 من عادتك فقال له يا سيدي لي بنات قد كبرن واحتجن الى التزويج وانا فقير
 فقال لي بعض الناس ان اغضبت فلانا ففحن نزيل فقرك ونجهز بناتك أو كما
 قالوا فبقيت تلك المدة أحيى اليك فأقذفك واشتمك وافعل ما قد رأيت لعلك
 تغضب يوما ما ليحصل لي ما اتفقوا عليه فلما است من غضبك تركت ذلك
 اذ لا فائدة فيه فقال له لو أخبرني كنت أقوم لك بضرورتك أعليك سفر فقال
 يا سيدي أي شيء أشرت به علي فقلت فامر الكاتب ان يكتب له كتابا بالوصية
 عليه الى نوابه بالبلاد وانه يستحق ومن يعتني به القاضي فسافر الى البلاد ثم
 رجع ومعه من الاموال ما زال فقره وجهز بناته (فانظر) رحمت الله وانيانا
 معاملته مع من شقه وقذفه فيكون العالم يفتدي بهذا السيد ومن نحاسخوه
 في الاخلاق الحسنة والشيم الجميلة وقد وثقهم في ذلك كله سنة تديهم محمد صلى
 الله عليه وسلم الا ترى الى قوله عليه السلام تخلقوا باخلاق الله انتهى فن جملة
 اخلاقه سبحانه وتعالى العفو والصفح والمغفرة والتواب والعالم اولى بل
 اوجب من يبادر الى ما أمر به وهو من يفتدي به وباجملة فرتبته منيفة
 والصبر على الاذى والمساو في الحقيقة الذي يؤذيك هو المحسن اليك وقد
 ورد عنه عليه افضل الصلوة والسلام انه قال جبلت القلوب
 على حب من احسن اليها واذا نظرت الى الناس وجدتهم على قسمين محسن
 ومسيء فالمحسن جبل قلبك على محبته وهذا المحسن انما احسن اليك بشئ
 يغني واذا نظرت الى المسيء بعين التحقيق فهو محسن اكثر من الذي قبله
 لانه احسن اليك بالباقي اذ انك تأخذ من حسنة ان كانت موجودة والا
 اتخذ من سيئاتك وشأن اهل التوفيق اغتنام الباقي فينبغي لك ان تكافئه
 على احسانه قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان (وقد حكى)
 عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما بين هذا وبوضعه وهو انه كان مارا بطريق
 فاقبه انسان فصغفه ومرفى طريقه فرآه جماعة على بعد منهم فلما ان مر بهم

قالوا له أتعرف من هذا الذي صفته قال لا قالوا وابراهيم بن ادهم فرجع
اليه فطأ على قدمه فقبلها وقال والله يا سيدي ما عرفتك وسأله المحسالة
فقال له والله ما ارتفعت يدك عني حتى سألت الله تعالى لك المغفرة فقال له
وما حملك على ذلك فقال لا ذلك لما صفته حتى علمت ان الله تعالى يثيبني على ذلك
وما كنت بالذي توصل الى نبي افا وصل اليك شرا (وانظر) رحمت الله الى
قول بعضهم لو كنت مغتابا لحد لا اغتبت والذي لا شيء الحق بحسناتي فهم
ابدا ينظرون الى باطن الامور وعواقبها وغيرهم الى ضدها (فانظر) رحمت
الله تعالى الى هذا المقام الاثنى الذي يحصل له كظم الغيظ اذ ان ذلك
يدخله في قوله صلى الله عليه وسلم سلامة الصدر لا تباع بعمل فتفي عليه
السلام ان تبلغ سلامة الصدر بالوفوف بعرفة وقيام ليلة القدر وغيرهما
وهذا ما تحصل عاذا صكر

(فصل لـ) وينبغي له أن يحذره أن يتكئ على اليد اليسرى اذا
جماها من خلفه قليلا ويتكئ على شحمتي أصل كفه تلك لما ورد ان تلك
المهية من فعل المغضوب عليهم ذكره ابو داود في سننه

(فصل لـ) ويجب عليه ان لا يسمع من يمين عنده وكذلك من ينقل
اخبار الناس وما جرى لهم مما لا يترتب عليه فائدة شرعية لان للشيطان في هذا
الباب مجال كبير لانه لا يأتى لأحد الا من الباب الذي يعلم انه يقبل منه فلا
يمكنه ان يأتى للعالم اوالعابد فيوسوس له بالزنا أو شرب الخمر لانه قد ايسر ان
يقبل ذلك منه وان كان يأتى بك شخص غائب فيذكر بحرف فيقوم بعض من
حضره ويستثنى بقوله الا ان فيه كذا وانه كذا فيترتب الاثم على جميع من
حضره فاعلم هذا والمراد والله اعلم بما ورد ان الرجل من أهل النار ليتنفس
فيحرق بنفسه جماعة كثيرة او كما ورد وما هو ذابن الا ترى ان المستثنى
اذا استثنى ولم يرد عليه أحد من الحاضرين فقد باء واجبه بالاثم والعياذ
بالله تعالى فيحتاج ان يحذر من هذا جهده

(فصل لـ) ويجب عليه ان يحذر زعمه على نفسه وعلى من حضره
من الغيبة لانها مصيبة عظيمة في الدين ولولم يكن في التحذير عن ذلك الا قوله
تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا يجب احذركم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهوه

وقد روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره فقال له رجل أرايت ان كان في اني ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وروى أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت قالت يا رسول الله حبيتك من صفة قصرها قال لقد قلت كلمة لو مزج بماء البحر ازجته قالت وحكيت له اناسا فقال ما أحب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا ومن كتاب ابن رزين عن جابر روى أبي هريرة رضي الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غيبة في فاسق ولا بجاهر وكل أمي معافي الا الجاهرون وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له ان رجلا يرفع الحديث أو يمتشي بالحديث الى الأمير فقال له حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وروى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يباغى أحد عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب ان اخرج اليهم وأنا سليم الصدر والادلة من الكتاب والسنة على هذا واشباهه كثيرة سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يحكي انه اجتمع جماعة من المباركين يتونس فلما ان أرادوا الطعام ابطأ واحد منهم فسألو عنه فقال قاتل منهم ما زالت عادته هكذا فقام سيدي حسن الزبيدي رحمه الله وقال انا لله وانا اليه راجعون اليوم لي اربعون سنة لم اسمع غيبة فاسمعتوها الى اليوم والله لا اقع في هذا المجلس وخرج من حبيته ولم يتناول شيئا فقس على هذا وانظر بترك اي نسبة بيننا وبين هذه الاحوال السنية وما بالهدم قدم اللهم الا ان يكون معارض خص فيه العلماء وذلك في خمسة عشر موضعا وهي غيبة الفاسق المعان بفسقه وصاحب بدعة يدعو اليها وصاحب بدعة يخفيها فاذا ظفر بأحد القاهاليه والغيبة عند المحاكم لخصمه واذا سأل الحاكم عن أحد فغيبته جائزة وعند العالم للفتوى وعند من يرجى تغيير ذلك على يديه وعند الخطبة وعند المرافقة في السفر وكذلك في التجارة للشركة وكذلك فيمن يشتري دارا فسأل عن جارها أو دكانا أو تجر يح عند المحاكم والمشاورة في امر ما من امور المخالطة والمجاورة والمصاهرة وتجرب مع المحدثين للرواية وذكر الرجل باسم قبيح اشهر به كالأعمش والأعرج والانخفش فهذه المواضع المستثناة

ومن ذلك أصحاب المكوس والظلمة وغيرهم من المنتصبين لنظم العباد واذيتهم
في العرض أو المال أو البدن ولا يعين بعض هؤلاء بالذكر إذا خشي الفتنة فإن
أمن عين وان لم يرجع المذكور لأن في ذلك منقعة للمسلمين فيصرونه
ويجبرونه ولا يتعاطون مثل فعله

(فصل) وقد تقدم المنع من النعوت لما قبلها من الكذب فن باب أولى
الكذب صراحا فيقرر زمنه ان يقع في محاسنه فان وقع فليتنقم على فاعل ذلك
أو يمنعه من حضور المجلس حتى يتوب الى الله تعالى ويقام على ما سبق من
مراتب الانكار وشروطه وان لم يقدر على الانكار لا بقلبه قام وتركه ولا يكون
منكرا بقلبه ان قد وياثم الا ان يجز عن الخروج اضرة شرعية وليس هي
المجاء وتعييس وجه المنكر بل ما بعد انكارا شرعيا (وقد قال) الشيخ الامام
أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب الاربعين له كل من شاهد منكرا ولم ينكر
وسكت عليه فهو شريك فيه قاله مع شريك الغتاب ويجري هذا في جميع
المعاصي حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويحلبس على
الخبر والمجلوس في دار أو حمام على حيطانها صور أو فيها أو ان من الذهب
أو الفضة والمجلوس في مسجد يسي الناس الصلاة فيه فلا يقفون الركوع
والسجود والمجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة أو في مجلس
مناظرة أو مجادلة يجري فيها الذي أو الأبحاث بالسفاهة والشتم (وبالجملة)
من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقيا في نفسه الا ان يترك المداينة
فلا تأخذه في الله لومة لائم ويستغل بالحسبة والمنع وانما يسقط عنه الوجوب
بأمرين أحدهما ان يعلم انه لو انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين
الاستهزاء وهذا والغالب في منكرات تركها الفقهاء ومن يزعم أنه من
أهل الدين فهو ناجي زالكوت ولو كان يستحب الزجر باللسان ويجب أن
يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدته المعصية بالاختيار فن جالس في
مجلس الشرب فهو فاسق وان لم يشرب ومن جالس معتسبا بأولابس حرير
أو آكل ربا أو حرام فهو فاسق ولا يتم من موضعه الثاني ان يعلم انه يقدر
على المنع من المنكرات بان يرى زجاجة فيها خمر فيكسرها أو بساب آلة
الملاهي من يد صاحبها ويضرب بها على الأرض وان علم انه يضرب

أو يصاب بذكره فهذا هنا يستحب المحسبة لقوله تعالى وأنه عن المنكر وأصبر
على ما أصابك ثم قال عدة المحسبة شيان أحدهما اللطف والرفق والبداءة
بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والادلالات بدلالة الصلاح
فإن ذلك يؤكدها عية المعصية ويجعل العاصي على المنكر وعلى الأذى ثم
إذا آذاه ولم يكن حسن الخلق غضب نفسه وترك الإنكار لله واشتغل بشغاه
غالبه منه فيصير عاصيا بل ينبغي أن يكون كارها للمعصية يود لو تركت المعصية
بقول غيره وإذا أحب أن يكون هو المعترض كان ذلك لما في نفسه من دلالة
الاحتساب وعزته قال صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن
المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حكيم فيما يأمر به حكيم فيما
ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المؤمن ربه الله واعظ
بعضه فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني
وأمره بالرفق فقال له فقولا له قولنا وروى أبو أمامة رضي الله عنه أن غلاما
شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أئذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال
صلى الله عليه وسلم أقروه أقروه أدن مني فدنا منه فقال عليه السلام أتجبه
لأمتك فقال لا جعاني الله فذاك فقال عليه السلام كذلك الناس لا يحبونه
لأنهم اتهم ثم قال عليه السلام أتجبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس لا يحبونه
لأنهم اتهم حتى ذكر الأخت والأمة والخالة وهو يقول كذلك الناس لا يحبونه
ثم وضع يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه فلم
يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا وقال بعضهم لأفضيل أن سفيان بن
صبيحة قبل جواز السلطان فقال ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعاتبه
بالرفق فقال يا أبا علي إن لم تكن من الصالحين فانا نحب الصالحين العمدة
الثانية أن يكون المحتسب قد بدا بنفسه فنهى عنها وترك ما ينهى عنه أولا قال
الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا كنت تأمر بالمعروف فامتنع من أفعاله قبل
أخذ الناس به والأهلكت فها هو الأثو حتى ينفع كلامه والاستهزى
به وليس هذا شرط بل يجوز الاحتساب للعاصي أيضا (قال أنس) قلنا
يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى تعمل به كله قال بل مروا بالمعروف وإن لم
تعملوا به كله وإنه وإن المنكر وإن لم تحبذوه كله وقال الحسن البصري

يريد أن لا يظفر الشيطان منكم بهذه المصلحة وهو أن لا تأمروا بالمعروف حتى
تفعلوا الأمر كله يعني أن هذا يؤدي إلى حسم باب المحسبة فمن ذا الذي يعصم
من المعاصي * * * * *

(فصل) وينبغي له أيضا أن يتحرز من المزاح المخرج عن حد الوقار وإن كان
المزاح جائزا إذا كان على سبيل الصواب وابقاء هيبة العلم ووقاره ألا ترى إلى
واصف النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وكان يمزح ولا يقول لاحقا مثل
قوله عليه أفضل الصلاة والسلام للذي سأله أن يجعله على جبل فقال له
لا أحملك الأعلى ولداقة أو كما قال عليه السلام فخرج إلى قومه فقال لهم
سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلني على جبل فقال لا أحملك الأعلى ولد
ناقة فقالوا له وهل الجبل الأولد لناقة ومثل قوله عليه السلام للمرأة التي شكت
زوجها فقال له ما زوجك هو والذي في عينيه بياض فأتت المرأة إلى زوجها
فوجدته نائما فجعلت تفتح عينيه وتنظر إلى بياض فاستفاق من نومه وسألهما
عن سبب ذلك فأخبرته بكلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما زوجها أما
علمت أن كل إنسان في عينيه بياض إلى غير ذلك مما شرعه عليه السلام في هذا
الباب تخفيف الأثمة ورحمة بهم صلى الله عليه وسلم فهذا هو توقيف بحال
العلم لا بإقامة وحسن الملبس بل بحسن السمات واتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم وقد صنف في ذكر الآداب سلف صالح منهم الإمامان الكبيران أبو
طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما من كبار الأئمة رضي الله عنهم وإنما
ذكرت نبذها لما احتاج إليه الوقت في الأمر الظاهر ومن طالب زائدا على ذلك
فليلقه في كتب الأئمة رضي الله عنهم (ثم نرجع) الآن إلى ما كنا بسبيله حين
خروج العالم إلى المسجد وتحيته له فإذا فرغ منها وحضرت صلاة الغرض فإن
صكان العالم مشغلا بالقاء العلم اذ ذاك فليترك كل ما هو فيه هو وجلسائه
ويشتغلون به وهذا هو المراد بقول القائل ما هو فرض يترك لغرض فيقال
هو طلب العلم يترك لأداء الصلاة وما تقدم من حكاية مالك مع ابن وهب
رحمهم الله تعالى في قوله له ما الذي قت إليه بأوجب عليك من الذي قت عنه
محول على أنهم لم يكونا في المسجد اذ ذاك فإن كانت الصلاة لها ركوع قبلها
فإن كانت الصبح صلى ركعتي الفجر وهي من السنن فإذا أراد أن يجدها

فرضا فله ذلك كما تقدم وهو أن يذره ما على نفسه عند التلبس بهما فتصير
 فرضا في سنة وكذلك في غيره ما ثم يصلى الفرض وقد تقدم ما يفعل فيه من
 استحضار الإيمان والاحتساب وغير ذلك مما ذكر قبل فاذا فرغ من صلاته
 ومن الآداب المندوب إليها بعد ما في تعيين عليه النظر فيما يجب تقديمه
 أو يستحب وفيما يجب تأخيرها أو يستحب ومن هذا الباب يقع كثير من
 الناس في تقديم ما يجب تأخيرها أو تأخير ما يجب تقديمه فينظر في هذا الوقت
 المشهود وهو بعد صلاة الصبح والذي يتكلم فيما يفعل فيه ما هو الأولى
 به فيه فيقدم فعله بالشروع فيه دون غيره قد كان مالك رحمه الله إذا جاء أحد
 يسأله عن مسألة علم بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس يقول يأتي أحدكم
 في صلاة شيطان ويسأل عن مسألة علم انكارا منه رحمه الله الاشتغال بالعلم في
 ذلك الوقت اقتداء منه بالسلف السابقين رضي الله عنهم وإيثارا منه اشتغال
 ذلك الوقت بالتوجه والعبادة وهذا ينبغي أن يكون محولا على زمنه لأنهم
 كانوا راغبين في العلم فاذا طلعت الشمس انتشروا في طلب العلم والتجروا أما
 اليوم اذا طلعت الشمس انتشروا في أسباب الدنيا والآنهم كالعالمين بالعلم
 ان يتركوا ذلك ويأتوا المساجد لتعلم العلم لان العالم الذي يعلم العلم فرض
 المسئلة انه في المسجد بعد الصبح وسياقيا اذا كان في المدرسة أو غيرها ان شاء
 الله تعالى فاذا كان الامر كذلك من أحوالهم المذكورة آتفا فينبغي أو يجب
 اشتغال هذا الوقت بالكلام في مسائل العلم وآكدها الفقه والكلام في أمر
 الطهارة والصلاة والمحلال والمحرام وما يجوز وما يكره وما يمنع لعلمهم به دون
 ذلك وينتفعون أحكام ربهم عليهم ولعل ذلك يدعوهم الى الاشتغال بالعلم
 والاصغاء الى فوائده فانه أفضل الاعمال وعهدى من عادة كثير من علماء
 المغرب يأخذون الدروس بعد صلاة الصبح ويبقى العوام اليوم يتعلمون منهم
 في المساجد أمر دينهم وكان سيدي الشيخ الامام أبو الحسن الزيات رحمه الله
 أحد شيوخ سيدي أبي محمد رحمه الله يأخذ الدرس في رسالة الشيخ أبي محمد
 ابن أبي زيد رحمه الله ويأين عبارته ليوصل الى العوام فهم العلم ولا يسمع
 سؤال طالب من الفقهاء ويقول لهم حتى ياتي درس كتاب التهذيب ان شاء
 الله تعالى لاني اذا اشتغلت بالبحث معكم فبأي شيء يوم هؤلاء المساكين الى

أسبابهم ودكا كينهم فهذه صفة العلماء المرجوع اليهم والمقتدى بهم - م رضى
الله عنهم لا يرم ان الامام صاروا في دكا كينهم من أعرف الناس بعلم
ما يحسب اولونه وما يحسب ساجون اليه وتجدهم يبحثون في دكا كينهم ببعضهم مع
بعض في المسائل حتى ان بعضهم لا يوقف بعض الفقهاء في بعض المسائل فاذا
طاعت الشمس فان كان هو على وضوء فليركع ركعتي الاشراف وتجزى من
الضحى ان نواها وان اراد ان يجدها فافضل كفاة ثم وهو اذا بشرط ان
يكون فرغ من مجلس العلم عند الاشراف او قبله وأما ان كان في انسانيته
فلا يقطع حتى يتم فاذا فرغ منه وهو على طهارة فليركع كما سبق
ثم ينصرف لسبيله فاذا خرج من المسجد فقد تقدمت الآداب في خروجه
منه وينضاف الى ذلك ان ينوي سرية العود الى المسجد لقوله عليه
السلام سبعة يظاهم الله في خاله يوم لا ظل الا ظله وعدة منهم ورجل قلبه معلق
بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه فاذا ذهب مارا الى بيته فله في رجوعه
اليه نيات عديدة تارة تكون على الوجوب وتارة تكون على الندب فاما
الوجوب فهو وان ينوي الرجوع الى اهل بيته يقوم بالحق الذي لهم عليه وان
يرشد هم في دينهم ويتفقد احوالهم وما يتعاطونه في فرضهم وغيره من الامور
لانهم من رعيته وهو مسئول عنهم لما ورد كذا - كم راع وكذا - كم مسئول عن
رعيته

• (فصل) • وينبغي له ايضا ان يتحفظ على نفسه من مشي الناس معه ومن
خلفه ومن وطأ عقبه وتقدمهم فعليه وان كان له على احد الاضرار شرعية
فان هذا كله من الكبر والخيلاء وقوة النفس غالباً وان كان في نفسه
متواضعا لكان ظاهراً هذه الاعمال تنافي ذلك وتجبر الى المذموم الامن رحم
ربك وكفى به انه يخالف للاف رضى الله عنهم اجمعين قال أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضى الله عنه اضر ما على الانسان وطأ عقبه او كما قال
وطأ العقب هو المشي خلفه

• (فصل) • وقد تقدم ما يجب عليه او يندب له في الطريق حين خروجه
في فعل مثله في رجوعه
• (فصل) • فاذا بدأ بدخول بيته قال بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله

ويقدم اليمين ويؤخر الشمال كما ورد في نروجه منه بخلاف المسجد وقد ذكر
 فاذا دخل بيته فليسلم على أهله ان كانوا حاضرا وان كانوا في غير ذلك الموضع
 فليسلم على نفسه فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينبغي له ان
 يقرأ عند دخوله قل هو الله أحد كلمة لما ورد في ذلك من الثواب الجزيل
 ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو فيقول اللهم اني اسالك خير
 المخرج وخير المخرج بسم الله ومجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا لما
 جاء فيه أيضا

(فصل) وينبغي له ان يركع في بيته قبل جلوسه لقوله عليه الصلاة
 والسلام لا تتخذوا بيوتكم قبورا وان شابهها فافرضا كما تقدم
 (فصل) وينبغي له ان يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون اليه لانه
 جاء من تعاليم غيرهم طلبا للثواب ارشادهم فخصاصته ومن تحت نظره أكد
 لانهم رعيته ومن الخاصة به كما سبق كالمرآة الحديث فيهم نصيبهم
 فيبادر لتعاليمهم كد الاشياء في الدين أولا وانفعها وأعظمها فاعلمهم الايمان
 والاسلام ويحدد عليهم علم ذلك وان كانوا قد علموه ويعلمهم الاحسان ويعلمهم
 الوضوء والغسل ووصفتهم ما والتيم والصلاة وما في ذلك كله من الفرائض
 والسنن والفضائل وكل ما يحتاجون اليه من امر دينهم الاثم فالأثم سمعت
 سيدي أبا محمد رحمه الله يقول لما ان تاهلت قات للزوجة لا تهركي ولا
 تتكلمي بكلمة في غيبي الا وتعرضيها على حين آتي لاني مسئول عن تصرفك
 كله كنت مسئولا عن نفسي ليس الا وأنا الا كن مسئولا عن نفسي وعنك
 فاستل عن عشر ملوات ثم كذلك في جميع المامورات وكل ما أنا مطالب به من
 الفضائل وغيرها حتى بالغ معها بان قال لها ان تقات الكوز من موضع الى
 موضع فاخبريني به قال وذلك خيفة من أن تتصرف في شيء تظن انه لا يترتب
 عليه حكم شرعي وقد يكون ذلك فيه فبقيت تخبرني بكل تصرفها الى ان طال
 عليها ذلك فبقيت تخبرني بما يظهر لها ان في ذكره فائدة وتسكت عن الباقي
 فوجدت نفسي قلقا خيفة أن يكون ما لم يظهر ان لها فيه فائدة قد يكون
 فيه ذلك فبقيت اذا دخلت البيت ينطق الله لي جدار البيت حين أدخل
 فيقول لي جميع تصرفها فاجاس فتعرض على كل ما تريد مما يظهر لها ان في ذكره

فائدة كما تقدم فاقول لها هل بقي شيء فتنقول على ما ظهر لها هو ذلك فاقول
لها وفعلت كذا وكذا واذا ذكر لها بقية تصرفها فتنقول أوحى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان الباب على مغلقا ولا أجد معي في البيت أحدا وكل
ذلك قد فعلته فن أخبرك بما بقيت بعد ذلك فتحرك بحركة حتى تخبرني
(فانظر) رحمتك الله تعالى وإيانا كيفية نظركم إلى تخليص ذمهم فلو أنهم
الذين فهم وامننى قوله عليه السلام كل كم راع وكل كم مسئة ول عن رعيته
وعملوا به نعمنا الله بهم وأعادنا على المسلمين من بركاتهم بمنه لا رب غيره
*(فصل) ومن آكد الاشياء وأهمها تفقد القراءة اذ ان القراءة على ثلاثة
اقسام واجبة وسنة وفضيلة فالواجبة قراءة أم القرآن على كل مصل بجميع
حروفها وحركاتها وشرائطها لان من لم يحكم ذلك فصلاته باطله الا ان يكون
ماموما والسنة سورة معها والفضيلة ما زاد على ذلك اعنى في غير الفرائض
لان أفضاها طول القيام فيها الا ترى الى حديث ابن عباس رضى الله عنهما
حيث قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتح بسورة البقرة ثم آل
عمران ثم النساء ثم المسائدة حتى سمعت هذا في ركعة واحدة والله أعلم حيث
ركع وحديث عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث كان يقرأ في ركعة
الوتر المخرمة كلها وكذلك يفعل في ولده وعبدته وأمتة اللهم الا ان يكون
في بعضهم عجمة بحيث لا يقدر على النطق فلا حرج وقد ورد الحديث
بالتصريح فيهم انهم يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ويتعين عليه ان يعلم عبده وأمتة
الصلاة والقراءة وما يحتاجان اليه من أمور دينهما كما يجب ذلك عليه في
زوجته وولده اذ لا فرق لانهم من رعيته وقد كثرا جهل عند بعض الناس
بهذا المعنى حتى ان بعضهم يرى ان العبد والجارية لا حظ لهما في تعليم ذلك
حتى لقد بلغنى ان بعضهم يذكر شيئا لو اعتقده لكان كفر الاشك فيه وان لم
يعتقده فهو جاهل وسخف وبدعة يجب عليه التوبة منه والاقلاع عنه وهو
ما اصطاح عليه بعضهم من قواهم ان صلاة العبد وصومه وباقي عبادته كل
ذلك لسيدته أو لسيدته وكذلك الامة وهذا القائل به من المسلمين أسأل الله
العافية عنه وكذلك يعلمون ما يخصون في أنفسهم من معرفة المحكم

في الحيض من ذلك أن يعرفن أن الحيض على ست مراتب أوله أسود ثم
حمرة ثم صفرة ثم غبرة ثم كدرة ثم قصة ثم ينقطع فتصير جافة فالخمس الأول
حيض والقصة والجفوف نقاء وكثيرا ما يتساهل اليوم في هذا الباب لقلة
سؤالهن ومن يعلمن فتهن من ترى أن الوطء اغما يحرم في القميين الأولين
وأما الصفرة والغبرة والكدرة فلا بأس بالوطء فيها عندهم ومنهم من تعتقد
أن الوطء اغما يتنع في الثلاثة الأيام الأولى وبعد ما يجوز الوطء ومنهن من
تعتقد أن مدة الحيض سبعة أيام فإن رأت الطهر قبل مضيا لم تعتد به
وانتظرت تمامها دون غسل وصلاة وصوم ووطء وإن زاد عليها فاعتدلت
وصلات وصامت ووطئت مع وجود الحيض وقد روى الترمذي عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة
في دبرها أو كاهننا فقد كفر بما أنزل على محمد انتهى فيستحلون ما حرم الله
عليهم بسبب العوائد الرديئة وتغفل الأزواج ثم يعلمن أكثر مدة الحيض
وأقلها وما بينهما ويعرفن ما اذارات الطهر قبل غروب الشمس بقدر خمس
ركعات إلى ركعة واحدة وهل يقدر لها قدر زمن الغسل بالاتراخ أو زمن
الركعات وكذا اذارات الطهر قبل طلوع الفجر يارب أربع ركعات إلى ركعة
واحدة والصبح إلى أن يبقى لها مقدار ركعة واحدة قبل طلوع الشمس
ويحقق لمن الطهر ما إذا يكون لأن النساء يختلفن في هذا فواحدة يكون طهرها
بالمجفوف وأخرى يكون طهرها بالقصة البيضاء ويعلمن أيضا موانع
الحيض والنقاس وذلك خمس عشرة جملة منها عشرة متفق عليها عند الجميع
وهي منع رفع حدثها من حيضتها وجوب الصلاة صحة فعل الصوم
دون وجوبه من المصحف دخول المسجد الاعتكاف الطواف بالبيت
الطلاق في الحيض الوطء في الفرج ومنها خمسة مختلف فيها وهي منع وطئها
فيما تحت الأزارع منع وطئها بعد النقاء وقبل الغسل المشهور المانع من ذلك
الثالث منع رفع حدث غيرها منع استعمال فضل ما شق قراءتها القرآن
ظاهرا المشهور الجواز وليحذر من هذه البدعة المحرمة التي تفعل في زماننا
هذا وهي أن تقعد المرأة بعد انقطاع دمها فتطلب الصابون في يوم وتغسل
تسليها في الثاني وتغتسل في الثالث وتصلى بعد ذلك فتقعد مدة بغير صلاة

في ذمتهم ترك تكب ما هو أعظم وهي أنها لا تصلح إلا ما أدركته بعد غسلها
ولا تقضى ما فوتته بعد انقطاع حيضها ووقد اختلف العلماء رضوان الله
عليهم في تارك الصلاة متعمدا وهو قادر على أدائها حتى خرج الوقت هل عليه
قضاء أم لا سبب الخلاف أنه هل هو مرتد أو مسلم فن قال أنه مرتد قال لا قضاء
عليه ويعود إلى الاسلام والمشهور أنه مسلم مرتكب لكبيرة عظيمة فيجب
عليه أن يتوب ويقضى ما ترتب عليه في ذمته ولا تقبل شهادته إلا أن تظهر
استقامته وكذلك ينهون أيضا على ما إذا عمداً به الدم وزاد على طاعتها
وانقطع وحكم ذلك مذكور في كتب الفقه وكذلك ان عمداً به أو لم ينقطع
وهي المستعاضة ويتعين عليه أن ينهين على ما يفعل بعضهن من أنهن إذا
انقطع الحيض عن أحدهن خرجت إلى الحمام فتغتسل فيه وهي لا تدري
أحكام الغسل وما يلزمها فيه بل تنظف جسدها ووقت عصر عليه فأوصات
بهذا الغسل لم تصح صلاتها ولا يحل لزوجه أو طوؤها إذا نزلت تغتسل به من
حيضها الغسل الشرعي لأن النية لم توجد فيه فيجب عليه أن يعلم الحكم
في ذلك وهو أن تغتسل بنية رفع الحدث من حيضتها أو جنابتها أوهما معا
فإذا نوت النية الممتدة فقد صح غسلها واستباححت الصلاة والطهارة وكل
ما كانت ممنوعة منه في حال حيضها سواء كان ذلك قبل إزالة الوسخ أو بعده
بخلاف ما يفعله بعضهن من أن الغسل اغاها وبدخول الحمام والتنظف فيه
من غير نية لمجهلهن بالحكم في ذلك وينهين على هذه البدعة التي يفعله بعض
النساء بل المحرمة وهي أنهن يعتقدن أن أحدهن لا تطهر حتى تدخل يدها
في فرجها وتغسل داخله فإن لم تفعل ذلك فلا غسل لها فخرت هذه البدعة
المحرمة إلى محرم أجمع الناس عليه وهو أنها إذا انقطع حيضها ولم تغتسل وكان
ذلك قبل طلوع الفجر في رمضان فإنها يجب عليها صوم ذلك اليوم وهي لم
تغتسل فتترك الغسل نهارا محافظة منها على صحة الصوم بسبب أنها تظن
بإدخال يدها في فرجها فلما لم تفعل هذا الفعل المحرم اغتسلت نهارا
وحصل لها الصلاة والصوم معا على أنها لو اغتسلت نهارا لصح صومها في
مذهب مالك رحمه الله مع فعلها هذا المحرم الشنيع لأنها لا تفطر بذلك عنده
وينتقض به وضوءها دون غسلها إلا أن مالك رحمه الله لما سئل عن المرأة

عليهم على هذا المنهج تجد أولادهم وعبيد - دهم وأما هم في غالب أمرهم
 مشتركون في هذه الفضائل كلها ألا ترى إلى بنت سعيد بن المسيب رضى الله
 عنهم المسان دخل بها زوجها وكان من أحد طلبة والدها فلما ان أصبح أخذ
 رداءه يريد أن يخرج فقالت له زوجته إلى أين تريد فقال إلى مجلس سعيد
 أتعلم العلم فقالت له اجلس أعلمك علم سعيد وكذلك ما روى عن الإمام مالك
 رحمه الله حين كان يقرأ عليه الموطأ فان نحن القاري في حرف أو زاد أو نقص
 تدق ابنته الباب فيقول أبوها للقاري ارجع فالغلط منك فيرجع القاري
 فيجد الغلط وكذلك ما حكى من أشبه أنه كان في المدينة على ساكنها أفضل
 الصلاة والسلام وأنه اشترى خضرة من جارية وكانوا لا يبيعون الخضرة
 إلا بالخبز فقال لها إذا كان عشيبة حين يأتينا الخبز فأتينا فاعطيك الثمن فقالت
 ذلك لا يجوز فقال لها ولم فقالت لأنه يبيع طعام بطعام غير يبيد فسأل عن
 الجارية فقيل له إنها جارية بنت مالك بن أنس رحمه الله تعالى وعلى هذا
 الأسلوب كان حالهم وانما عيذت من عيذت تنبها على من عداهم وقد كان في
 زماننا هذا سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى قرأت عليه زوجته الخمة فحفظتها
 وكذلك رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله ونصف الموطأ للإمام مالك
 رحمه الله تعالى وكذلك ابتهاها قريبان منها فإذا كان هذا في زماننا هذا بالاك
 بزمان السلف رضوان الله عليهم أجمعين والعالم أولى من يحمل أهله ومن
 يلوذ به على طلب المراتب العالية فيجتهد في ذلك جهده فانهم أكدر عيته
 وأوجبهم عليه وأولاهم به فيأبهم على ما تقدم ذكره * *
 • (فصل في آداب الأكل) • ويتحرر من هذه البدعة التي أحدثت وهي ان
 يسكنون للرجل طعام خاص به وزبديه خاصة به وكوز خاص به ألا ترى
 حديث عائشة رضى الله عنها قالت كنت أشرب من الأناة فيأخذ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيشرب منه فيضع فاه في موضع في أه وهذا شريع منه
 عليه السلام اتبعتم أمته بركة بعضهم لبعض وتكون منفعتهم عامة بعضهم
 لبعض وانظر إلى قوله عليه السلام سؤر المؤمن شفاء فيحرم المسكين هذه
 البركة بسبب هذه البدعة التي أحدثت وانظر إلى قوله عليه الصلاة
 والسلام المؤمن يأكل بشهوة عياله انتهى فإذا كان له طعام خاص به فهو

بأكل شهوة نفسه فكيف بالعالم الذي هو امامهم وقدوتهم وهذه دسيسة
من دسائس ابليس دسها على المسلمين بواسطة النساء لانهن يجدن السبيل
الى اطعام الرجل ما يختزن من السحر وغيره لانه صانع عاقل ودينهن اذا نهن
مصائد الشيطان وغيرهن تحملهن على ذلك فلو كان يشاركهن في الاكل
ما وجد ابليس لفتح هذا الباب من سبيل فانتظر رحمنا الله واياك الى شين
البدعة كيف تجر الى محرمات وأقل ما في ذلك ان فاعله متصف بالذكور
والعالم اولى الناس بالاعتناء باتباع السنة والمبادرة اليها وينبغي له ايضا
ان يتحرز من الاكل وحده لما ورد شر الناس من أكل وحده وخرب
عبده ومنع رفقته انتهى اللهم الا أن يكون معه ذورا في ذلك بسبب حجة
أو مرض أو صوم أو وصال أو غير ذلك من الاعذار الشرعية وهي كثيرة
متعددة فتخرج هذا عن هذا الباب الى باب ارباب الاعذار ومع ذلك فلا
يغلي من أناه بطعام أن يذيقه منه شيئا وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام
اذا اتى أحدكم خادمه بطعام فليأوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو كلتين لانه
ولى علاجه اه وما ذاك الا لقوة باعث الشهوة على الخادم ولا فرق على هذا
التعامل بين الخادم وغيره من يباشر ذلك أو يراه لان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن الاكل والعينان تنظران حتى لو نظر اليه هرا أو كلب فقد جعله العلماء
داخلا في النهي وينبغي له أن يجلس معه من عمل له الطعام فان لم يجلسه
فليأوله كما تقدم ويكون ما يأوله من أوله لا من فضله وينبغي له أن يتحرز
من الاكل وأحد قائم على رأسه اذ ذاك فانه من البدع والتشبه بالاعاجم قل
ان سلم من وجود الكبر وكثير من يفعل اليوم هذا سيما اذا كان الذباب كثيرا
فبقوم شخص على رأس الاكل فينش عليهم ويرقح وهذا من البدع
فان اضطر الى ذلك فليكن فاعله جالس حتى يسلم من التشبه بالاعاجم ومن
الخيلاء والكبر ولا فرق بين أن يكون القائم عبده أو أمته أو كاتنا من كان
(فصل) فاذا اراد أن يأكل فلا يخلو اما ان تكون يده نظيفة
أم لا فان كانت نظيفة فهو بخير في الغسل أو الترك والغسل اولى الا ان التزامه
اعنى المداومة عليه بدعة فان كان على يده شيء أوحك بدنه أو مس عرقه
فلا بد من غسائها وقد ورد في الحديث الغسل قبل الطعام ينفي الفقر وبعده

ينفي اللطم يعني المجنون وينوي بغسلها اتباع السنة وهذا فيما كان له من
الطعام دسم فان لم يكن فلا بأس بترك الغسل وقد كان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخذون بأقدامهم وفيه منفعة لها وهذا دليل واضح
على ترفيعهم لنعم الله تعالى اذ أنه لو بقي في اليد شيء من أثر الطعام ما اتخذوا
بالأقدام يؤيد ذلك أمره عليه الصلاة والسلام باليد بعد الأكل أو بلباسها
أخاه وقد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضى الله عنه
فصحة بقي لعاقلها قال فلهةتها فشبعت وقد قال القاضى أبو بكر بن العربي رحمه
الله فى سراج المريدين له وقد روى ابي عاصم بن أبى أويس عن مالك انه دخل
على عبد الملك بن صالح يسلم عليه فجلس ساعة ثم دعا بالطعام ودعا بالوضوء
لغسل يده فقال عبد الملك ابدء وابأى عبد الله يغسل فقال مالك ان أبا عبد
الله لا يغسل يده فاغسل أنت يدك فقال له عبد الملك لم يا أبا عبد الله فقال له
ليس هو من الأمر الا قول الذى أدركت عليه أهل بلدنا وانما هو من زى الجهم
وقد بلغنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول يا **صكم** وزى الجهم
وأمرها وكان عمر بن الخطاب اذا أكل مسح يده بظهر قدميه فقال له عبد
الملك افترى لى تركه يا أبا عبد الله قال اى والله فاعاد عبد الملك الى ذلك اه فاذا
حضر الطعام بين يديه فيحتاج فيه الى آداب منها ان يشعر نفسه فينظر فيها
حضره كم من طلم علوى وسقى خدمه فيه لما قيل ان الرغيف لا يحضر بين
يدى آكله حتى يخدم فيه ثمانية وستون طالما على ما نقله ابن عطية رحمه الله
فى كتاب التفسير له فاذا أشعر نفسه بذلك فيعلم قدر نعم الله تعالى عليه فى احضار
هذا الرغيف بين يديه فيقدر شكرها بان يعلم ما لله تعالى عليه من النعم وعجزه
عن شكرها ثم الاكل فى نفسه على خمس مراتب واجب ومندوب ومباح
ومكروه ومحرم فالواجب ما يقيم به صلبه لاداء فرض ربه لان ما لا يتوصل الى
الواجب الا به فهو واجب والمندوب ما يعينه على تحصيل النوافل وعلى تعلم
العلم وغير ذلك من الطاعات والمباح الشيع الشرعى والمكروه ما زاد على
الشيع قليلا ولم يتضرر به والمحرم البطنة وهو الاكل الكثير المضرب للبدن
ورتبة العالم التخيير بين الاكل المباح والمندوب وقد سبق حدهما فاذا
أراد أن يأكل فليقل عندهم الله اللهم بارك لنا فيه وينوى مع ذلك اتباع

السنة وينبغي له ان يستحضر قبل التسمية اومعها كيفية الملوك الى الله تعالى باكله فينوي ان يستعين باكله ذلك على طلب العلم لقوله عليه الصلاة والسلام من سلك طريقا يطالب به علم سهل الله له طريقا الى الجنة اه وبضيف الى ذلك نية الافتقار والحاجة والاضطرار والمسكنة مع نية الوجوب والندب المتقدمة الذي ذكر في التقسيم ونوع من الاعتبار والتعلق بولاه والشكر والرجوع اليه في اكله وفي تخايله من آفة اكله فان له ملكا موكلا بالطعام وآخر بالشراب فاذا اخذ اقامة سوغها له الملك ومثله في الشراب فاذا قدر انه يشترى تخلي عنه الملك باذن ربه حتى ينفذ فيه ما قدر عليه فيحتاج ان يعرف قدر نعم الله تعالى عليه في تسويغ هذه اللقمة والشربة فذايف بجميع ما يحتاجه من ذلك ويفكر في حاله حين الاكل اذ انه متوقع للموت في كل لقمة وفي كل شربة وكثير من جرى له ذلك الا ترى الى ما جرى في مجلس الحسن البصري رحمه الله حين قال ان الله اذا اراد ان يقتل بالنعم قتل بالنعم ولو كان ما كان او كما قال فقال له رجل ايقتل بالزبد فقال نعم فلما ان خرج الرجل من المجلس قال ما اتفقتى اليوم الا بالزبد حتى ارى ما قاله الحسن احدث موت بالزبد فأتخذ خبزا وزبدا وجاء الى بيته فرفع اقامة فأكلها فشرق بها فأتى الله تعالى السلامة عنه وقد قال عليه الصلاة والسلام ان طالب اهل الكتاب للاباء له فامتنعوا والذي يغشى بيده لوفاء المات كل واحد منهم بريقه او كما قال فاذا كان الموت متوقعا معه في حال بقاء ريقه فسا بالاك باللقمة او الشربة والموت متوقع معه في حال طلبه للحياة الا ترى ان الاكل والشرب في غالب المحال لا يطالبهم الناس الا للحياة وقديموت بهما فانفس سبب الحياة يخاف منه الموت وهذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى ثم ان الملك الذي يتناول اللقمة والآخر الذي يتناول الشربة وظيفة تهما التسويغ ليس الا وله ملك آخر موكل بالغذاء فبقية سم قوته على البدن فيرسل لكل عضو وجارحة وعرق ما يصلح له ويحتمله بعد تصفيته فيعطى اللطيف لطيفا والكنيف كنيفا فقدره قادر وملاك آخر ياخذ ما لا قوت فيه وهو الغضلة فيرسله للأمران فلو بقي معه ذلك التفل مات به أو زاد خروجه على العادة مات فهو عيب دمفة رمضه طرحة حاج الى شئ ياكله والى من يسوغه له والى من

يدفعه عنه فينبغي له بعد أن يتربق الموت عند كل نفس لأن أنفاسه عليه
 معدودة قال الله تعالى اغسلوا عندهم عدا قال ابن عباس رضي الله عنه نود
 عليهم الأنفاس فتصير كما حكى عن بعضهم أنه جاء إلى شيخه ابن زوره قال قد خات
 عليه فوجدته يصلي فأدبر في صلاته وقال لي ما حاجتك فاني مشغول فقلت له
 وما شغلك قال أبادر خروج روعي وقال غيره جئت إلى شيخني لاسلم عليه فخرج
 فسلمت عليه فرأى في كسائي عقدة فقال ما هذه فقلت أخى فلان اعطاني
 لويزات عزم على أن أفطره اليها فقال له وأنت تظن أنك تعيش إلى المغرب
 والله لا كلمك بعدها أبدا وكما قال وكما ~~حكى~~ عن بعضهم أنه دخل عليه
 فوجدوه يلتفت عينا وشعلا فقالوا له من أنت فتأفت قال الملك الموت أنظر
 من أي ناحية يأتي لقبض روعي واصالح الانسان ملائكة عديدة فربما تقدم
 ذكره المحفوظ وحراسته والاعتناء به الا ترى أنه اذا نام فهو محروس من
 الخشاش والمجان وغير ذلك وما ذاك الا حراسته بالملائكة الموكلين به وان
 اراد الله تعالى به أمرا تخلو عنه كما تقدم دليل ذلك قوله تعالى له معقبات من
 بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومن مسند ابن قانع عن أبي أمامة
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالعبد ستين
 وثلاثمائة ملك يذوبون عنه من ذلك بالبرص سبعة أملاك ولو وكل العبد إلى
 نفسه طرفة عين لا خلة طفته الشياطين اه فاذا نظر العبد إلى هذه المحكمات
 له قدر نعم المولى سبحانه وتعالى عليه اذ ان الملائكة تحفظه في حال الحياة
 وتحرسه بعد الامات كما ورد في الخبر ان المحفوظة تصعد إلى الله عز وجل فتقول
 يا ربنا وكلنا بعبدك فلان وقدمات وأنت أعلم او كما قال فان فعل فيقول الله
 عز وجل انزلنا إلى قبره واعبداني واكتب له ذلك في صحيفته إلى يوم القيامة
 فانظر إلى هذه المنة العظمى والكرم الشامل اللهم لا تحرمنا ذلك يا ذا الفضل
 العظيم وينبغي له ان يعتبر في حال اكله وكيفية امره فيكون مشغولا بذلك
 التفكير واذا كان ذلك كذلك فيجب ما قاله بعضهم ان هؤلاء بقى أكلهم اكل
 المرضى ونومهم نوم المرضى فيكون مشغولا بنفسه بذلك متهميا في تلك الحالة
 وغيرها وقد ذكر بعضهم انه يسمى عند كل لقمة وهذا الذي قاله وان كان
 حجة ناقلا تباع أولى لانه لم يكن من فعل من مضى ولا يسمى عند كل لقمة

اذ ان ذلك بدعة فحسن متبعون لا مشرعون اللهم اجعلنا من المتبعين وكذلك
لا يقول بسم الله الرحمن الرحيم لانه لم يرد ذلك وانما ورد بسم الله وان كان ذلك
حسنا وكذلك ينبغي ان لا يفعل ما قاله بعضهم انه يقول في اول لقمة بسم الله
وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ثم يسمى بعد ذلك
في كل لقمة وهذا مثل ما سئل عنه الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى حين
قيل له كيف تقول في الركوع سبحان ربى العظيم او سبحان ربى العظيم وبحمده
فقال اما انا فلا أقول وبحمده تحفظا منه على الاتباع ولم يتعرض الى ما زاد
على ذلك اذ انه ذكر حسن اكن الاتباع لا يفوقه غيره ابدا وينبغي له ان لا
ياكل وهو قائم او ماش بل حتى يجلس وينبغي له ان يجلس الجالس الى
الطعام على الهيئة الشرعية وهو ان يقيم ركبته اليمنى ويضع اليسرى من غير
ان يجلس عليها والهيئة الثانية الشرعية ان يقيمهما معا والهيئة الثالثة
الشرعية ان يجلس كجلوسه للصلاة واما جلوس المترجم والجالس على ركبته
السكاب راسه على الطعام فهاتان منهي عنهما وانما كره ان يكب راسه لئلا
يقع شيء من فضلاته في الطعام سيما اذا كان مضطضا فيعاقبه هو في نفسه
وبعاقبه غيره سيما ان كانت العمامة كبيرة فيكون ذلك سببا لمنع غيره من
مديده للمائدة ارحمها وكفى بها آفة الهيتين انه يحض الف للسنة فيهما وقد
روى البخاري وابوداود عن ابي بصير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا قال الخطابي رحمه الله بحسب اكثر العامة
ان المتكئ هو المائل المعتمد على احد شقيه لا يعرفون غيره وكان بعضهم يتناول
هذا الكلام على مذهب الطب ودفع الضرر عن البدن اذ كان معلوم
ان الاكل مائلا على احد شقيه لا يكاد يسلم من ضغط يناله في بخاري طعامه
ولا يسقيه ولا يسهل نزوله الى معدته قال الخطابي وليس معنى الحديث
ما ذهبوا اليه وانما المتكئ ههنا هو المعتمد على الوطاء الذي تحته وكل من
استوى قاعدا على وطاءه ومتكئا والاتكاء ما خوضن الوكأ وزنه
الافتعال ومنه المتكئ وهو الذي او كائمه مدته وشدها بالقوة ود على الوطاء
الذي تحته والمعنى اني اذا اكلت لم افقد متكئا على الاوطاء والوسائد فدل من
يريد ان يستكثر من الاطعمة ويتوسع في الألوان والكنى آكل عاقلة وآخذ

العلاقة والبلغة
بوزن الالف
ما يبلغ به اه

ينفي الهم يعني المجنون وينوي بغسلها اتباع السنة وهذا فيما كان له من
الطعام دسم فان لم يكن فلا بأس بترك الغسل وقد كان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعتمدون بأقدامهم وفيه متعة لها وهذا دليل واضح
على ترفيعهم لنعم الله تعالى اذ أنه لو بقي في اليد شيء من أثر الطعام ما عندوا
بالاقدام يؤيد ذلك أمره عليه الصلاة والسلام باليد بعد الاكل أو بامهاتها
أخاه وقد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه
فصحة بقي لعاقها قال فامهتها فشبع وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه
الله في مراجع المريدين له وقد روى اسماعيل بن أبي اويس عن مالك انه دخل
على عبد الملك بن صالح يسلم عليه فجلس ساعة ثم دعا بالطعام ودعا بالوضوء
لغسل يده فقال عبد الملك ابدء وابأي عبد الله يغسل فقال مالك ان ابا عبد
الله لا يغسل يده فاغسل أنت يدك فقال له عبد الملك لم يا ابا عبد الله فقال له
ليس هو من الامر الا قول الذي أدركت عليه أهل بلدنا وانما هو من زى الهمم
وقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول اياكم وزى الهمم
وأمرها وكان عمر بن الخطاب اذا أكل مسح يده بظهر قدميه فقال له عبد
الملك افترى لي تركه يا ابا عبد الله قال اى والله فاعاد عبد الملك الى ذلك اه فاذا
حضر الطعام بين يديه فيحتاج فيه الى آداب منها ان يشعر نفسه فينظر فيها
حضره كم من عالم علوى وسقى خدمه فيه لما قيل ان الرغيف لا يحضر بين
يدي آكله حتى يخدم فيه ثمانية وستون طالما على ما نقله ابن عطية رحمه الله
في كتاب التفسير له فاذا أشعر نفسه بذلك فيعلم قدر نعم الله تعالى عليه في احتضار
هذا الرغيف بين يديه فيقدر شكرها بان يعلم ما لله تعالى عليه من النعم ويجزئه
عن شكرها ثم الاكل في نفسه على خمس مراتب واجب ومندوب ومباح
ومكروه ومحرم فالواجب ما يقيم به صابه لاداء فرض ربه لان ما لا يتوصل الى
الواجب الا به فهو واجب والمندوب ما يعينه على تحصيل التوافل وعلى تعلم
العلم وغير ذلك من الطاعات والمباح الشيع الشرعى والمكروه ما زاد على
الشيع قليلا ولم يتضرر به والمحرم البطنة وهو الاكل الكثير المضر للبدن
ورتبة العالم التخيير بين الاكل المباح والمندوب وقد سبق عددهما فاذا
أراد أن يأكل فليقل عندهم الله اللهم بارك لنا فيه وينوي مع ذلك اتباع

بباركلكم فيه ولما روى من أكل مع مائة غفر له وهذا فيه وجهان من
 الفوائد أحدهما بركة اتباع السنة والثاني كثرة البركة لوجوب الملائكة لأن
 البركة تحصل في الطعام إذا حضره واحد من المباركين أو أكل منه فكيف
 إذا اجتمع جماعة وأكل واحد من الجماعة ملائكة معه فيقدر عدد الجماعة
 تضاعف الملائكة ومهما أكثر عليه من ليس له ذنوب كانت البركة فيه أكل
 وينبغي له أن يكون أكله من الطعام ثلث بطنه وللماء الثلث وللنفس الثلث
 فهو من الآداب المطلوبة في الشرع الشريف وينبغي له أن يلحق الأنا إذا
 فرغ الطعام منه لما ذكرنا القصعة تسعة عشر لا حسب اللهم إلا أن يكون قد
 شبع الشبع الشرعي فإنه يترك ذلك إلى أن يجوع فيأكلها أو يأتي غيره
 محتاجا فيأكلها وقد تقدم حديث أبي هريرة في هذا المعنى وينبغي له أن لا
 يتخلى نفسه من أن يلقم زوجته اللقمة واللقمتين وكذلك من حضره من
 عبيده وأماؤه وأولاده وخدمته ومن حضره من غير هؤلاء أصهارا أو
 أوصياء أو أصدقاء إن أمكن ذلك فأما الزوجة فلقوله عليه السلام حتى
 اللقمة يضعها في امرأته فقد حصل له الثواب مع أن وضع اللقمة في امرأته
 له فيه استمتاع فغيرها من باب أولى الذي هو مجرد عن ذلك إلا أنه خالصا
 وينبغي له أن يحتسب في ذلك كما أعني إحضار الطعام والاطعام لقوله عليه
 الصلاة والسلام إذا اتفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة ومعنى يوم
 بالضرورة أن الواجب فيه الثواب ابتداء لكن لما زاد هذه الآية الاحتساب
 جعل له في مقابلة الاحتساب صدقة فإن استحضر مع ذلك الإيمان كان له في
 مقابله مائة مائة ما تقدم كما مروى وينبغي له أن يصغر اللقمة ويكثر المصغرة للسنة في
 ذلك وينبغي له في أول اللقمة أن يبدأ في مضغها بياحية اليمن لأن تلك هي
 السنة لقوله عليه الصلاة والسلام ألا فيمضوا ألا فيمضوا وهذا عام
 في المحركات والسكنات إلا ما استثنى على ما تقدم وبعد ذلك يأكل كيف شاء
 وقد حكى عن بعضهم أن شابا جاء لزيارة فقدم له شيئا لالا كل فابتدأ الأكل
 بجهة اليسار فقال له من شيخك فقال له يا سيدي إن بياحية اليمن
 توجهني فقال له كل رضى الله عنك وعن ربك ولاجل هذا المعنى يقال
 إن الشخص إذا ورد يعرف في تصرفه ما هو فإن كانت حركاته وسكناته على

السنة عرف انه متبع وان كان عـلى غير ذلك علم انه من العوام ومن هـذا
الباب قول على رضى الله عنه لما سئل في كم يعرف الشخص قال ان سكت
فمن يومه وان نطق فمن حينه وما ذاك الا لما ذكر وينبغي له ان لا يأكل الا مما
يأله الله الا ان يكون الاكل مع أهله أو هو الذى أنفق عليه فله ان يحول
بيده حيث يشاء وكذلك فى الفسقة والفرع وما مع الاهـل وغيرهـم سواء
وينبغي له ان لا يأكل من وسط القصعة ولا أعلاها بل من جانبها على ما تقدم
واذا وقعت منه اللقمة أمامه الاذى وأكلها وينبغي له ان لا يقرن فى
التمر وما أشبهه لما فيه من مخالفة السنة وينبغي له ان لا يأخذ لقمة حتى يتلع
ما قبلها فان أخذها من قبل ذلك من الشره والبدعة وينبغي له ان لا ينظر
الى الآكل الا ان يخاف على أحد منهم ان يؤثر غيره ويترك نفسه بغير
شئ فلهذه المصلحة يتقدم من هذه صفة فيأمره بالاكـل وينبغي له ان
لا يصوت بالمضغ فان ذلك بدعة ومكر وهـ كمالا يصوت بجمع الماء من المضمضة
حين الوضوء فانه بدعة ومكر وهـ أيضا وينبغي له ان يعلم عدم الزيادة فى الاكل
لان من رأى فى أكله لا يؤمن عليه ان يرائى فى عمله وقد حكى عن بعضهم ان
أصحابه اثنوا على شخص بين يديه مرارا وهو ساكت لا يرد جوابا فسألوه
عن سبب سكوته فقال رأيت يرائى فى أكله ومن رأى فى أكله لا يؤمن عليه
ان يرائى فى عمله وينبغي له اذا أخذ لقمة لا يرد بعضها الى الصفقة خيفة من
إصابة لعابه كما تقدم وينبغي له ان لا يأكل من ألوان الطعام لان ذلك ليس
من السنة وان كان جائزا واكره قد تقدم ان للمسلم فى الاكل رتبة بين قد
ذكرناهما قبل فاذا كانت الألوان استدعى ذلك الى الزيادة على رتبته لان
الكل لون شهوة باعثة غالباً فان كان عمل الألوان لاجل شهوة عياله أو غيرهم
فله ان يحجبهم الى ذلك على غير هذه الصفة وهو ان يعمل لهم فى كل يوم لونا
واحدا من الطعام فيجمع بين الاتباع وبين شهوة من طالب ذلك منه وقد حكى
ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أقدم اليه ألوان طعام ففرغ الجميع فى صفقة
واحدة ثم خلطها ثم بعد ذلك أكل صفقا منه رضى الله عنه على الاتباع
للسنة وينبغي له ان يقابل الاطعمة فيما كل ثقبلا بخفيف ورطبا بيباس
وحارا ببارد وينبغي ان يقسم الصائم أكله بين الفطر والسهور فيسلم من

الشبيح و يقوى على الصوم وينبغي له ان لا يتابع الشهوات الا ان يكون
ضعيفا وينبغي له ان لا يسرف في الاكل وعلامته ان يرفع يده وهو يشتهي
وينبغي له ان لا ينهش البضعة ويردّها في القصعة لان كل ذلك مستقدر
وينبغي له ان ياكل على حائل عن الارض ولا ياكل على هذه الاخونة
وما أشبهها لانهم امن البدع وفيها نوع من الكبر وقد نقل الشيخ المجاهد ابو
طالب المكي رحمه الله في كتاب القوت له ان اول ما حدث من البدع اربع
وهي المنخل والخوان والاشنان والشبيح اه اما المنخل فان كان الشيء
المطعمون باليد او برحى المساء فلا شك ان المنخل بدعة اذ لا ضرورة تدعو اليه
الامن باب الترفه وان كان الطحين بالدواب فلا شك ان المنخل يتعين ان
اصابه شيء من روث الدواب واما الخوان فلا ضرورة تدعو اليه لان النبي
صلى الله عليه وسلم كان ياكل على الارض في بعض الاحيان وفي بعضها
ياكل على سفرة وفيه تنبيه على ان الخوان من فعل الاعاجم وقد
نهى عن التشبه بهم وهو على اى صفة كان جنسه من نحاس او خشب
او غيره وقد رأيت بعض المتبعين اذا جاءته زبديّة لمّا قعر مرتفع يكمر قعرها
وحينئذ ياكل منها ويقول أخاف ان يكون خوانا لموهما على الارض
فتقع في التشبه بمن تقدّم ذكره واما الاشنان فلا يخلو ان يكون في ارض
مصر او غيرها فان كان في غيرها فلا شك انه بدعة لان محومها ليست فيها
ذرة بل لها رائحة عطرية كالحجاز والعراق وبلاد المغرب وغيرها وان كان في
ديار مصر فينبغي له ان يتخلف يديه من ذفر محومها وان لا يتبعين الاشنان
فيستعنى بغيره بالاستطاع تحفظا على السنة فان اضطر الى غسل يديه فعل
واما الشبيح فقد تقدّمت مراتب الاكل وهذا كله اذا كان العالم في بيته
مع اهله فاذا اكل مع الضيف فله زيادة آداب منها ان يخدم الضيف بنفسه
ان استطاع وينوي بذلك اتباع السنة لان النبي صلى الله عليه وسلم تولى
امراهماب النجاشي بنفسه الكرمية فقبل له الا تكفيك فقال خذوا واصحابي
فأريد ان أكافئهم فينبغي على هذا ان يتولى بنفسه صب المساء على يد
الضيف حين غسل يديه ويقدم له ما حضر ويجذر التكاف لانه سبب
الى التبرم بالضيف وذلك ليس من شيم الكرام بل هو قبيح من الفعل وينبغي

السفرة جمد
يفرش على
الارض اه

إذا حضر من دعي أن يقدم لهم ما هندهم مجلولا ولا يبطئ لبتكثير وينبغي أن
لا يتخير المدعو على الداعي انما يأكل ما حضر وينبغي أن يحير المدعو أن لا
يتشوط الالهم إلا أن يعلم أنه ليس في ذلك تكاف ويدخل السرور على من
غيره والتكاف هو أن يأخذ عليه شيئاً بالدين وليس له جهة يعوض منها
أو يكون الذي يأخذ منه الدين تكثرها ما يبذل له أو يكون المتدين يصعب
عليه أن يبذل وجهه في أخذ الدين فهذا وما أشبهه والتكاف الممتنع وأما
أن كان الذي يؤخذ منه الدين يسر بذلك والاخر يدخل عليه السرور مع
كون الوفاء يتيسر عليه فهذا ليس من التكاف في شيء وما أعزه إذا كان لله
خالصا بل هذا النوع عفو في زمانه هذا وينبغي للدعوى أن لا يبطئ من
الطعام لا حديثا لا ياذن صاحب المنزل وينبغي له أن يحذر مما يفعله بعض
من لا خير فيه من أنهم يأخذون بعض ما تيسر لهم أخذه فيخذلونه ويحبسونه
تحتهم حتى إذا رجعه والخائبة ونهم أخرجوه وهذا من باب السرقة وأكل أموال
الناس بالباطل وينبغي إذا حضر من دعي وأحضر الطعام فلا ينتظر من
غاب وينبغي له أن يحضر ما أمكنه من الطعام من غير أن يجهف بأهله وإن
كانت ألوانا للضيف له حكم آخر غير حكم أهل البيت إذا كان أهل البيت
يمكنهم أن يأكلوا الألوان في عدة أيام بخلاف الضيوف فقد لا يقيمون ولأنه قد
تكون شهوة بعض الضيوف في لون وآخر شهوته في آخر فإذا كانت الألوان
لهذا الغرض فهو صحيح وله في ذلك خير من الثواب لأن في ذلك إدخال السرور
على الجميع وفي إدخال السرور على المسلمين ما قد علم وقد كان بعض السلف
إذا جاءه الأضياف يقدم لهم في وقت واحد مائة ومائة مائة شهر أو نحوه فيقال
له في ذلك قبيح قول قد ورد أن بقية الضيف لأحساب على المرء فيه أفه كان
لأياكل الأفضلة الضيوف لأجل ذلك وينبغي أن يروح عليهم صاحب
البيت أو من يقيم مقامه وكذلك يأش ولا يفعل ذلك قائما لأنه من زى
الاعاجم وقد تقدم ما فيه من الكراهة وينبغي أن يدخل عليهم وهم يأكلون
أن لا يسلم عليهم لما قاله علماء نازحة الله عليهم أن أربعة لا يسلم عليهم فإن سلم
عليهم أحد فلا يستحق جوابا إلا كل واحد من الناس الحاجة الإنسان والمؤذن
والماي وزاد بعض الناس قارئ القرآن وينبغي لصاحب البيت أو من يقيه

مقامه ان يبدأ بالاكل ايئسا للضيف فيؤاكلهم ولا يمين في الاكل حتى اذا
شبع الاضياف أو قاربوا حينئذ يأكل بانشر ارجلهم ويغسلهم بالاكل خوفا من
ان يكون بقي بعضهم بدون شبع وقد كان بمدينة فاس رجل من التجار
فكان يعمل الطعام الشهى في بيته ويجمع الفقراء فيصب الماء على أيديهم
حين غسائها ويقدم لهم الطعام فاذا شبعوا قعدوا كل ويسألهم ان ياكلوا معه
ويقول لهم اشبعوا نفسي هذا الطعام فجاءت كفارة شهواته ان تاكلوه
قبلي فاذا فرغ من غسل أيديهم وقف لهم على الباب ودفع لكل واحد منهم
شيئا من الفضة وينبغي له ان يقدم الخبز قبل الادم ثم ياتي بالادم بعده
وينبغي له ان تكون نفسه غير متطلعة لشيء يبقى بعد الاضياف لانه ليس من
شيم الناس وينبغي له ان لا يحفظ طعاما للساخرين وليس عنده لانه قد
يدخل التشويش بذلك على بعضهم وينبغي للدعوان ان كان عنده الخبز
بالدعوة ان يصبح مفطرا فهو افضل وذلك فقهه حال فاذا حضر المدعو ولم
يتقدم عنده الخبز وكان صائما فلا يدع وينبغي للدعوان ان يستحق ما دعي اليه
وان قل لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو دعيت الى
كراخ لا تجبت ولو اهدي الى ذراع لقيت وينبغي له ان يتفقد الضيف في
اثناء اكله ويجعل خيار الطعام بين يديه ولا يحوجه ان يتقدم اليه لانه قد
يستحي من ذلك اللهم الا ان يكون الضيف فيه من الادلال ما يحمله على ذلك
ولا بأس بتركه وقد روي ان الحسن البصري وفرق دار جهنم الله تعالى حضرا
على طعام فكان فرقته تلتقط اللباب من الارض وياكله ولا ياكل من
الصخرة شيئا وكان الحسن ينظر الى اطيب الطعام فيأكله فلما ان خرجا جاء
انسان من المحضرين الى فرقته فساله عن سبب ما رأى منه فقال له اغتيم
بركة سور الانعوان ولا اكرم نعمة الله تعالى لاني ان لم ألتقط ذلك قد يقع على
الارض فتدوسه الاقدام ثم راح الى الحسن فساله كما سال فرقته فقال له
الحسن رضى الله عنه اني ما أجبتك حين دعاني الا لدخول السرور عليه
وكيفما اباغت في الاكل وتناولت اطيب الطعام الذي انتخبه ففقه ادخال
السرور عليه أكثر فينبغي له ان يتفقد من كان حاله كحال فرقته في اكله
فيؤكده عليه ومن كان حاله كحال الحسن في ذلك فيسربه ويشكره على ذلك

وينبغي اذا حضر الخبز بين يدي الجماعة فلا ينتظرون غيره من الادم لان فيه
 عدم احترام الخبز واحترامه مطلوب في الشرع الشريف فان كان الخبز
 كثيرا ابقاءه على حاله وان كان قليلا كسره وان كسره مع كثرته فلا بأس به
 لان فيه ستر على الاكلين كل ذلك واسع ونكسيرا الخبز بالسكين بدعة
 مكرومة وفيه افتراء على محرمة الخبز وكذلك لا بعض في الخبز حين الاكل
 ولا ينهش به خلاف اللحم لان السنة المحمدية قد فرقت بينهما ما جعلت العض
 والنهش في اللحم من الخبز وبعض الناس يقتسأهلون في هذه الامور
 فيقطعون اللحم بالسكين اذا ارادوا اكله ومثله الخبز ولا ضرورة تدعو الى
 ذلك ويحذر ان يفعل ما اعتاده بعض الناس في هذا الزمان وهو انه اذا
 كسرا الخبز يجعل الناحية المكسورة من جهة الاكلين وكذلك ان جعله
 للاحية الزبدي فان تعد ذلك بدعة بل يضع الخبز كيف تيسر ولا جناح
 عليه ولا ينفخ في الطعام ولا في الشراب لان ذلك منهي عنه مع انه لا يامن من
 ان يخرج شيء من ريقه فيكون ذلك مصافا فيه وهو مستقدر وفيه امتحان له
 وكذلك لا يتناول اللقمة بشماله لما ورد ان الشيطان يأكل بشماله ويشرب
 بشماله والمؤمنون يراهم ذلك وينبغي ان يأكل بثلاثة أصابع من يده
 اليمنى وهي المسبحة والابهام والوسطى الا ان يكون ثريدا وما أشبهه فبأكل
 بالخمسة منها كذلك نقل عن السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين ومضى
 عما هم رضي الله عنهم انهم كانوا يبدون بأكل اللحم قبل الطعام ولا يأكل
 مضطجعا الا الشيء الخفيف كالبقل وغيره لما روي عن علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه انه تناول تمرات وهو مضطجع وكذلك لا يشرب وهو مضطجع الا من
 ضرورة خفيفة ان يجري عليه شيء في شربه واستحب بعضهم ان لا يخلى المائدة
 من شيء ان حضر بقل او غيره قال بعض الناس فيه انه ينبغي ان يجانأ والسياطين
 او كما قال فاذا حضر الطعام فلا يجعل عليه الخبز خفيفة ان يتلوث به وكذلك
 لا يخرج الطعام ويجعله على الخبز الا ان يكون يأكل ذلك الخبز فان كان
 لا يتلوث فلا يجعل الخبز عليه احترامه الا ان يكون يأكل كما تقدم واجد ان
 يسمح يده في الخبز فان فيه امتحانا له وينبغي له ان لا يخلى اضيافه من شيء ملو
 وان قل بل هو آكد من الوان الطعام فلو اطعمهم لونا واحدا مع شيء لوان

بعد كان اولى من عمل الالوان وليس فيها شئ خلوفان جهه افيا حبهذا
وينبغي له ان كانت الوانا وقدم لهم بعضا او قد بقي بعضها ان يخبرهم بانه قد بقي
عنده من الالوان كذا وكذا حتى لا يكتبوا من الاول وقد يكون فيهم من لو علم
بالطعام الثاني لا تنظره فاذا لم يعلم به واتى به وجده على كفاية من الاول
فيحرمه شهوته ويحرم نفسه من سروره باكل المدعو فيكون قد بخش نفسه
حظا او كذلك يخبرهم بالخلاوة ان كان ما حضره مع الطعام وكذلك الغالطة
والنقل وغير ذلك وينبغي ان كانت الوانا ان يقدم خفيفها قبل ثقلها
فاذا فرغ من الاكل التقط ما سقط من اللباص وينبغي للاضياف ان يتركوا
فضلة من الطعام وان قل امثلة اللسنة وقد تكون لاهل البيت نية صالحة
في بقية سوره ويقدم لهم ما يغسلون به ايديهم في ذلك ينقسه كما فعل
قبل الاكل وينبغي ان يبدأ بالغسل افضاهم ثم يدور على يمين من يصب
عليهم الماء للغسل وينبغي ان يكون صاحب المنزل آخرهم غسل يد
وان يكون الذي يصب عليهم الماء للغسل وينبغي ان لا يبصق احدا
في الماء ولا يغسل بالاشنان ولا بالتراب فاذا غسلوا بالماء مسحوا ايديهم بعد
الغسل باخص اقداهم ان كانت خفيفة او بخزقة صوف معدة لذلك او ما
يتوم مقامها من شئ خشن عدا المحرم شرعا ليزيلوا بذلك بقية الدسم عن
ايديهم محافضة على النظافة الشرعية وانما يمنع من الغسل بالاشنان
والتراب خيفة ان يكون في الجماعة من يريد ان يشرب هذا الماء اذ ان شربه
شفاء وما زال السلف على ذلك لان الغسل بالاشنان والتراب يحرم ببركة ذلك
له واغيره الا ان يشربه على تلك الحالة فيدخل في جوفه التراب والاشنان
والبصاق وهذا فيه ما فيه فان لم يكن في الجماعة من يظن به انه يشرب هذا
الماء فيغسل بما شاء من تراب وغيره والغسل بالاشنان لا يفعله الا مع تعذر
غيره كما تقدم وقد نقل عن كثير من هذه الطائفة انهم كانوا يستشفون بهذا
الماء ويتشاحون عليه ويتنفسون فيه حتى انهم يقيمون النداء عليه
ويببونه بالثمن الكثير حتى يحصل لهم ببركة ذلك اغتناما مشهورا ببركة
الان ترى الى ما وقع في قصة هرقل لما ان سأل عن احباب النبي صلى الله عليه
وسلم كيف حالهم في تصرفهم معه فاخبر انهم يتبركون بالماء الذي يتوضأ به

وببصافه وماشا كاهما فاستدل بذلك على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام
وكذلك المتبعون له باحسان الى يوم الدين هذه البركة حاصلة لهم وان كانت
ليست مثلها ~~التي~~ بركة الاتباع له صلى الله عليه وسلم والمحافظة على ذلك
ورثوا منها أو فر نصيب (وقد) وقع عندنا بمدينة فاس ان القاضي الاعظم بها
وكان يعرف بابن المغيرة وكان من الفقهاء والصلحاء الكبار مرض مرضا شديدا
الى ان اشرف منه على الموت وكان بالبلد طبيب حاذق في وقته عارف بالطب
فأيس منه وقال لهم اتركوه يا كل كل ماشاء واختار فانه لا بقاء له على مقتضى
ما استدل به من الصنعة فأرسلت زوجته القاضي الى الشيخ الجليل أبي عثمان
الورسكي الى فأخبرته بما جرى من الطبيب فأخذ الشيخ الماء وتوضأ في اناء ثم
أرسل بماء وضوئه الى زوجة القاضي وقال لها السقية هذا الماء فسقته ذلك
ثم بقي ساعة ثم قام يريد قضاء حاجة الانسان فأقنى له باناء فقضى حاجته فيه
فوجدت فيه كمية عظيمة سوداء فتعجب كل من رآها فأرسلت زوجة القاضي
الى الطبيب الذي ما شك انه يموت كما تقدم فأرته ما خرج منه فتعجب من ذلك
عجبا شديدا وقال هذا أمر الهى ولا يقدر على هذا الا الله تعالى فاما البشر
فلا يقدر ان يخرج هذا من فؤاده وهذا الذى لو بقي معه لقتله وأما
الآن فلا خوف عليه (فانظر) رحمك الله تعالى الى هذه البركة
كيف هي باقية في المتبع له صلى الله عليه وسلم وهذه العصابة فيهم من أظهره
الإيمان الى فهو معروف ومنهم من أخفاه فلا يعرف فيقتنم بركة الجميع وينبغي
له ان ينبه من حضره وغيرهم على ما يفعل اليوم من هذه البدعة بل المحرم
للسرف والتخيل لاهى ما يفعله بعض الناس من غسل الايدي بماء الورد
وتنظيفها بالماذييل والفوار الحارير وقد تقدم ان وظيفة العالم في التغيير
الكلام باللسان فيبث حكم الله تعالى اعباده اذا قدر بشرطه وينبغي ان لا
ياكل أحد حتى يحضر الماء فان الاكل بغير حضوره بدعة اذ ان ذلك خلاف
السنة وفيه خطر لانه قد يشرق باللامعة فلا يجد ما يسيغها به فيكون قد
تسبب في هلاك نفسه وينبغي له اذا فرغ من أكله ان يشرب ولا يلبث ولا
يتحدث بعد تمام الطعام وينبغي له ان لا يستجمل برفع السفرة لوجوه أربعة
الاول بسط الجماعة بزيادة الانفس لهم الثاني اهل أن يأتي وارد فيحصل

ان حضر بركته او اجره او هم اماما الثالث لما ورد ان الملائكة تستغفر
 لهم مادام الماء كحل بين ايديهم وهذا عام ولو فرغوا من الاكل فتركوا لاجل
 ذلك الرابع ان في تركه التشبه بالكرام والتشبه بالكرام فلاح و ينبغي
 لهم ان يمثلوا السنة بعد فراغهم من الاكل في ذلك بقولهم الحمد لله اللهم ابد لنا
 خيرا منه الا ان يكون لنا السنة ان يقال فيه الحمد لله اللهم زدنا منه وكان
 سيدي ابو محمد رحمه الله يقول المحكة في ذلك والله اعلم طلب الزيادة من
 الفطرة اعني فطرة الاسلام التي قبض عليها عليه الصلاة والسلام حين اتى له
 بطشتين أحدهما مملوء لبنا والاخر خرا فقبض عليه الصلاة والسلام على
 طشت اللبن فوقع النداء قبض محمد على الفطرة فهو عليه السلام يستريد منها
 فلو حاناه على ظاهره لوقع الاشكال الا ترى انه عليه الصلاة والسلام خبر ان
 تسير معه جبال تهامة ذهبا وفضة تسير سيره وتقف لوقوفه في كيف
 يطالب الزيادة من هذا الشيء اليسير فدل على ان المراد ما تقدم ذكره وقيل
 غير ذلك الثاني ان يقول الحمد لله الذي اطعمني هذا الطعام ورزقني من غير
 حول مني ولا قوة الثالث ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا
 وآوانا وجعلنا مسلمين الى غير ذلك مما ورد في ذلك قال فقد امثل السنة وان
 اتى بالجميع فيا حيدوا ويزيد الضيف ما رواه ابو داود في سننه من حديث
 انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عباد فجاء بخبز
 وزيت فاكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم افطر عندكم الصائمون واكل
 طعامكم الابرار وصات عليكم الملائكة اه زاد بعضهم وذكركم الله فيمن عنده
 وينبغي له ان لا يجهل بشرب الماء لانه مضر بالبدن على مقتضى صناعة الطب
 سيما اذا كان الطعام سخنا فانه يضر الفم ويتلف الاسنان ويقبح الطعام
 وينزله من المعدة قبل ان ينفع وذلك ضرر كبير الى غير ذلك فاذا شرب شيئا
 قوى به ما تقدم من النيات في الاكل ثم يسمى الله تعالى وهو ان يقول بسم الله
 فقه طوقه تقدم المحكم اذا قال الرحمن الرحيم متصلا بقوله بسم الله عند الاكل
 ففي الشرب هنا كذلك الا انه في الاكل لا يسمى عند كل لقمة وفي الشرب يسمى
 عند كل واحدة من المرات الثلاث والفرق بين التسمية عند الاكل والشرب
 اتباع السنة فان السنة فرقت بينهما فجعلت التسمية في اول الاكل مرة

هذا هو الاول
 من اقسام التخيير
 الالائية بعده
 بأسطر في قوله
 الثاني ان يقول
 الخ اه

والتهجد في آخره كما سبق وجعلت في الشرب ان يقول بسم الله ويمص الماء مصا
ثم يقطع ويحمد الله تعالى ثم يسمي ثم يشرب الثانية ثم يحمد الله عقبها ثم يسمي
ثم يشرب حتى يروي ثم يحمد الله فلهذه ثلاث مرات مئة واليات ويدرج شرب
الماء فتكون الاولى هي الاقل والثانية أكثر منها والثالثة يبلغ بها
كفايته وحكمة ذلك ان لنباط القاب ووضع اربعة لطيفات اذا جاء الماء دفعة
واحدة قطعه وقدمت بسببه فيؤنس الاولى بالشيء القليل كما تقدم وقد ورد
فيمن شرب الماء على هذه الصفة ان الماء يسبح في جوفه ما بقي في جوفه فيبقى
في عبادة وان كان نائما او غافلا قال الامام ابو سليمان الخطابي رحمه الله في
شرحه لما لم سنن أبي داود رحمه الله وأما فيه عن الشرب نفسا واحدا فانه من
تأديب وذلك انه اذا جرعه جرعا واستوفى ربه منه نفسا واحدا تكاثرا في
موارد حلقه وأثقل معدته وقد روى ان الكباد من العيب الكباد وجع
الكبد وهو اذا قطع شربه في انفاس ثلاثة كان أنفع لربه وأخف لمعدته
واحسن في الادب وأبعد من فعل ذي الشره وهو ما تقدم ذكره وفي شرب
الماء وأما الذين فيه عيبان غير تحديد يسمي الله تعالى في أوله ويحمد الله في
آخره كما سبق في الطعام وغيرهما من الاشربة هو مخير فيها بين العيب والمص
ويجهر بالتسمية ويسر بالتهجد وحكمة ذلك انه يجهر بالتسمية لينبههم عليها
وعلى الانحد في الاكل بخلاف التهجد جهرافانه قد يكون في الجماعة من لم
يكتف بعد وأما في شرب المساق فان شاء جهر وان شاء أسر لكن العالم الجهر
في حقه أولى ليقتهدي به وينبغي للجماعة ان لا يرفع أحدهم يده قبل
اصحابه وكذلك لا يحمد جهرًا كما تقدم اذ في ذلك تنفير لهم عما هم يصعدده
ويكره ان يتنفس في الاناء لوجهين أحدهما المسارعة من شرب الشارب
عليه السلام عن ذلك وكفى به والثاني خشية ان يتعلق بالاناء رائحة كريهة
فيتأذى بها الشارب وله ان يشرب قائما لحديث علي بن أبي طالب رضي
الله عنه انه أتى له باناء فيه ماء فشرب قائما ثم قال ان أحدكم يكره ان يشرب
قائما وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب وهو قائم وينبغي
ان كان في كوز ثلثة ان لا يشرب منها لانه موضوعة اجفاس الوسخ وقد نص
علماء وناصرة الله عليهم على كراهة ذلك وينبغي ان لا يشرب من ناحية أذن

الكوز الساوردان الشيطان يشرب منها وينبغي ان يبدأ في السقي بأفضلهم
ثم يدور على يمينه وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم من انه اذا
شرب بعض من يحترمه ونه قام والله حتى يفرغ من شربه فينحنون له ويقبلون
أيديهم وبعضهم يقومون عند فراغه من الشرب ويقبلون مائة قدم
ذكره وبعضهم يقومون نصف قومة أو أقل منها أو أكثر مع الإشارة
إلى الأرض بالتقبيل وقولهم صحة وذلك كله من محدثات الأمور وفيه التشبه
بالأعاجم وبعضهم لا يفعل شيئا من ذلك وإنما كنهه بقول ان يفرغ من
الشرب صحة وهذا اللفظ وان كان دعاء حسنة افتخاذه عادة عند الشرب بدعة
(فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا م أيمان شرب بوله عليه
الصلاة والسلام صحة يا أم أيمان أن تلج النار بطنك (فهذا) ليس فيه حجة
لأنه لم يكن ثم ما يشرب وانما هو البول وهو اذا شرب عاديا لضرر فقهال عليه
السلام صحة لينفي عنها ما توقعه مما جرت به العادة من بول غيره عليه
السلام فتضمن ذلك دعاء واختيارا وذلك بخلاف شرب الماء ويدل على ذلك
انه لم ينقل عنه عليه السلام هذا اللفظ في غيره هذا الوطن ولا عن أحد من
أصحابه ولا عن أحد من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فلم يبق الا
ان يكون بدعة وليحذر من الشرب من فم السقاء للأوجوه التي ذكرها العلماء
وينبغي ان يكمل الآداب معهم حتى يحوز فضيلة الاتباع والسبق فيقدم
لهم نعالهم عند خروجهم ويمشي معهم خطوات اتوابعهم وقد ورد ثلاث
محقرات أجرهن كبير صب الماء على يداخيك حتى يغسلها وتقدم نعالها اذا
خرج وامسك الدابة له حتى يركبها فيحصل له في هذا الخير العظيم
فيكون متصفا بالاتباع مع حصول التواضع لله تعالى وادخال السرور على
الأخوان وهذه من أكر المحالات (هذا) حال العالم مع الضيف وبقى
الكلام فيما اذا دعى العالم الى دعوة فلا ينبغي له ان يسارع الى الدعوات
كلها ما خلا دعوة النكاح فان الاجابة واجبة عليه ما لم يكن ثم منكر بين وهو
في الاكل بالخيار ان شاء كل وان شاء لم يأكل فان اهدى له طعام فليتناظر في
ذلك بلسان العلم والورع فليسان العلم معروف وكذلك الورع والورع أعلى
وهو مخير في أيهما يسلك وله في العلم سعة ان شق عليه الورع ويتنظر في

سبب صاحب الطعام فان كان مستورا بل ان العلم هل على ذلك وان كان مخالفا قام عليه بسطوة الشرع الشريف فزجره واخبره بما فيه الا ان ~~يكون~~ ثم مانع شرعي فبطلت له في الجواب وينبغي له ان يتحفظ من هذه العادة المذمومة التي احدثت وهي ان يهدي أحد الاقارب والتجار طعاما فلا يمكن المهدي اليه ان يرد الوعاء فارغا حتى يرد به طعام وكذلك المهدي ان يرجع اليه الوعاء فارغا وجد على فاعل ذلك ~~وكان~~ سببا للترك المهاداة بينهما ولسان العلم يمنع من ذلك كله لانه يدخله بيع الطعام بالطعام غير يديده ويدخله ايضا بيع الطعام بالطعام متفاسدا لا ويدخله النجاسة (فان قال قائل) ليس هذا من باب البياعات وانما هو من الهدايا وقد سوي في ذلك (فالجواب) ان هذا مستلزم لو عشو فيه على مقتضى الهدايا الشرعية ~~لكنهم~~ يفعلون ضد ذلك لطالبهم العوض فان الدافع يتشوف له والمدفوع اليه يحرص على المكافأة فخرج بالاشاحة من باب الهدايا الى باب البياعات واذا كان ذلك كذلك فيعتبر فيه ما تقدم ذكره والعالم أولى من ينبه على هذه المعاني بفعله وقوله

• (فصل في عيادة المريض) • وينبغي له ان يتحرز في نفسه بالفعل وفي غيره بالقول من هذه البدعة التي احدثت في عيادة المريض وهي انه لا يعادى في يوم السبت وذلك مخالف للسنة وذكر بعضهم ان اصل هذه البدعة ان يهوديا كان طيبيا للملك من الملوك فرض الملك مرضا شديدا وكان اليهودي لا يفارق عيده فجاء يوم الجمعة واراد اليهودي ان يمضي الى سبته فمنعه الملك فاذا قدر اليهودي ان يستحل سبته وخاف على نفسه سفك دمه فقال له اليهودي ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ومضى لسبته ثم شاعت بعد ذلك هذه البدعة وصار كثير من الناس يعتمدونها حتى اني رايت بعض الفضلاء من ينسب الى العلم والصلاح ينسبها الى السنة ويستدل بزعمه على ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزار القبر يوم السبت فأخذ من هذا بزعمه ان في عيادة المريض يوم السبت تفاسدا على موت المريض وليس هذا من باب التفاول في شيء بل هو من باب التشاؤم والطيرة المنهي عنها والمسلمون براء من ذلك وينبغي له ان يتحفظ في نفسه بالفعل وفي غيره

بالقول من هذه البدعة التي أحدثت في عبادة المريضة أيضا وهي ان من
 صام رمضان لا بد ان يأتي معه بشي فان لم يفعل والا وقع الكلام فيه بما
 لا ينبغي ولم ترد السنة بذلك بل المطلوب العبادة ليس الا فان كان معه شيء
 فهو من باب الهدايا والصدقات وقد تقدم ذلك في هدايا الاقارب والمجيران
 في الطعام وسياق تمام البيان في ذلك ان شاء الله تعالى (ثم انظر) رحمنا الله
 واياك الى هذه البدعة كيف جرت الى ترك شعيرة من شعائر الاسلام فتجد
 بعضهم اذا اشتكى صاحبه ولم يكن عنده شيء يدخل به عليه ترك عبادته وربما
 كان سببا للقطيعة نهوذا بالله من المعصية والضلal (هذا) حال العالم في مناولة
 غذائه مع اهله وضيافته وغير ذلك (ثم نرجع) الى ذكر بقية تصرفه في بيته
 فينبغي له او يحجب عليه ان يحفظ من بدعة هذه الاسامى التي أحدثها النساء
 وقد تقدم في نعوت الرجال ما أغنى عن ذكره وقد ذكر ذلك الشيخ الامام
 الجليل المحافظ القدوة المعروف بالنووي رحمه الله تعالى وأعظم القول
 فيه فكفى غيره مؤنة ذلك فن اراده فليأتمسه في كتابه اكن بقى في ذلك شيء وهو
 ان هذه النعوت ترد بين امرين أحدهما شنيع قبيح وهو النعت بست
 الخاق وست الاسلام وست المحكام وست القضاة وست العلماء وست الفقهاء
 وست الناس وست النساء وست الكل وما أشبه ذلك ألا ترى انه
 يدخل تحت عموم ذلك الانبياء والرسل والعلماء والصالحين وغير ذلك من
 الاخبار وان كان المعنى بذلك والمتلفظ به لا يعتقدون دخول من تقدم
 ذكرهم تحت العموم واذا لم يعتقدوا ذلك فهو تهميد كذب محض بلا ضرورة
 مع ما فيه من الكبر والفخر والتزكية والثناء والتعظيم والتشبه بالاعاجم وأما
 ما سواها كست العراق وست اليمن وما أشبه ذلك فهو من باب التزكية
 والتعظيم وقد تقدم وكذلك تسميتهن بام فلان الدين وفلان الدين فهو من
 باب التزكية وقد تقدم في باب نعوت الرجال لكن يحتاج الى زيادة بيان فيما
 نحن بسبيله فن ذلك ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاقي أنى الله تعالى
 عليهن في كتابه العزيز وعظم فيه قدرهن بقوله تعالى يا نساء النبي لستن
 كأحد من النساء الآية مع قوله عز وجل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير
 له عند ربه ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ومعلوم

مطلب
 بقية الكلام
 على تصرف
 العالم في بيته
 اه

بالضرورة القطعية التي لا يشك فيها ولا يرتاب ان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من يبادر الى تعظيم المحرمات والشعائر ومع ذلك لم يسم واحدة من نسائه الطاهرات رضي الله عنهن بشئ من هذه النعوت المحدثه وكفى بها الاترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في حق ابنته الطاهرة التي قال في حقها فاطمة بضعة مني فاذا كانت بضعة منه صلى الله عليه وسلم فناهيك بها منزلة رفيعة فيجب تعظيمها ما أمكن ثم انه عليه الصلاة والسلام لم يزد على اسمها المعلوم شيئا وواجب الاعتقاد بأنه صلى الله عليه وسلم وفي له سبحانه ولا كل ذي حق حقه وقد كرم بالزيادة على ذلك فلو كانت الزيادة على الاسماء المألوفة لمن فيها شئ مما من الخيرية لم يتركها عليه الصلاة والسلام وامن الجواز ولو مرة واحدة لتعظيمه صلى الله عليه وسلم للشعائر وقد تقدم ان تعظيمهن من الشعائر لو كانت هذه النعوت من باب المباح أعني انها لو كانت سالمة من التزكية والكذب المنهي عنهما بالنصوص القطعية وقد تقدمت لكان أمرها أقرب ولكن وضعوا النعوت في باب المكره والمحرّم بحسب حال الامم والمسمي وقد تقدم فهو ولاء ارجح النبي صلى الله عليه وسلم وبناته رضي الله عنهن اسماء وهن معلومة وهن اللاتي امرنا باخذن شريعته عليه الصلاة والسلام عنهن بقوله عليه الصلاة والسلام ترككم الثقلين ان تضلوا ما كنتم بهما كتاب الله وعترتي اهل بيتي اه فهذه عترته صلى الله عليه وسلم رتبة الراوي عنهن عن خديجة رضي الله عنها عن فاطمة رضي الله عنها عن عائشة رضي الله عنها عن زينب بنت جحش رضي الله عنها عن ميمونة رضي الله عنها عن أم سلمة رضي الله عنها الى غير ذلك فهل يقدر احد ان ينقل زيادة على اسمائهن المعروفة هذا مع علم من نقل عنهن ما يجب عليه وعلى غيره من تعظيم حقوقهن بدليل ما تقدم من الكتاب العزيز وقد قال عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فهل يقدر احد ان يظن في هذه القرون التي وصفهم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه بالخيرية انهم بأجمعهم فاتهم تعظيم من تقدم ذكرهم هذا بما لا يتعقل فدل على ان ما حدث بعدهم ليس فيه شئ من الخيرية اللهم الا ان يكون ذلك لم يقع في زمانهم لكنه على اصولهم وقواعدهم فندم وأما غير ذلك

فيرجع الى باب المكروه أو المحرم وهذه النعوت المهدثة لا تخرج عن أحدهما
 فإذا قال القائل مثلاً أم شمس الدين وأم ضياء الدين ونحوهما فلا يخفى أنها
 احتوت على الكذب والتزكية وهما منهي عنهما فاما الكذب فمفهوم
 واما التزكية فان كانت على خلاف ما ذكره كذلك وان كانت في الشخص
 فمكروه لقوله عليه الصلاة والسلام للذين آمنوا على الرجل بحضرتة قطعت
 ظهر الرجل أو ظهر أخيك فلا يطق ظان أننا نذكر الكنى الشرعية فان ما ورد
 منها ليس فيه تزكية وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام أجرت من أجرت
 بأم هانئ فهل في ذلك شيء من التزكية وكذلك أم سلمة وأم رومان وأم معبد
 وما أشبه ذلك ففس على هذا تصيب فالكنى المشروعة ان يكنى الرجل بولده
 أو بولد غيره وكذلك المرأة تكنى بولدها أو بولد غيرها كما ورد عنه عليه الصلاة
 والسلام في حديث عائشة رضي الله عنها حين وجدت على كونها لم يكن لها
 ولد تكنى به فقال لها عليه الصلاة والسلام تكنى بابن أختك يعني عبد الله
 ابن الزبير رضي الله عنهما وكذلك يجوز التكنى بالمحالة التي الشخص متصف
 بها كإبي تراب وأبي هريرة وما أشبههما وقد سئل مالك رحمه الله أي كنى
 الصبي فقال لا بأس بذلك فقبل له كنى ابنك أبا القاسم فقال أما أنا فلا
 أفعله وليكن أهل البيت يكنونه فما أرى بذلك بأساً قال ابن رشد رحمه الله
 قوله في كنية الصبي لا بأس بذلك يدل على ان ترك ذلك أحسن عنده ولذلك
 قال في كنية ابنه أما أنا فلا أفعله ولكن أهل البيت يكنونه وإنما كان تركه
 أحسن لما في ظاهره من الانخبار بالكذب لان الصبي لا ولده يكنى بذلك
 للاخبار بانه والد المكنى باسمه وإنما جعل الكنية التي يكنى بها علماله
 على سبيل الأكرام والتواضع له وبالله التوفيق

(فصل في لبس النساء) قد تقدم رجاء الله نية العالم وهدية
 في لبسه وغير ذلك وبقى الكلام هنا على لبس أهل فاصدرون هذه البدة
 التي أحدثها النساء في لباسهن وهن كما ورد ناقصات عقل ودين فلبسهن
 كذلك ليس بحجة فالذكر للنساء والكلام مع من سألهن من العلماء
 والازواج والعالم أولى من يأخذ بهن لاتباع ما استطاع
 في كل الاحوال فمن ذلك ما يلبسن من هذه الثياب الضيقة القصيرة وما

منهى عنها او وردت السنة بصفه ذهبا لان الضيق من الثياب يصف من
المرأة كفافا او ثديها وغير ذلك هذا في الضيق واما القصير فان الغالب
منهن ان يجعلن القميص الى الركبة فان الخشيت او جلست او قامت
ان كشفت عورتها او وردت السنة ان ثوب المرأة يخرج عن عفافها ويكون فيه
وسع بحيث انه لا يصفها فان كان السر او ينفذ عن الثوب الطويل
فصحح ان فيه سترة لكن يشترط فيه ان يكون من السرة وهن يعملنه فحتمها
بكثير وحكم المرأة مع المرأة على المشهور حكم لرجل مع الرجل وحكمهما ان
من السرة الى الركبة لا يكشفه احدهم الا لا يخرج خلاف سائر البدن فتكون
قد ارتكبت النهي فيما بين السرة الى حد السر او يلانها لان يكون الثوب
كثيفا لا يصف ولا يشف وقد اتخذ بعضهم هذا السر او يل هذا الخروج
ليس الا واما في البيت فتعقد بدونه وهي لا تخلوا ما ان يكون البيت
لا يدخله غير زوجها او هو ووفيه فان كان الاول فذلك جائز لما في غير الصلاة
وكذلك الثوب الرفيع والضيق الذي يصف كل ذلك جائز لما وان كان
الثاني مثل ان يكون معها جارية في البيت او عبدا او اخ او ولدان او غير
ذلك فلا يجوز له ذلك لان المرأة كلها عورة الا ما استثنى من ظاهرها طرفها
لذوى المحارم والغالب عليهم ان يقعدن في بيوتهن بهذه الثياب على الصفة
المذكورة بغير سر او يل بين من تقدم ذكرهم ولا يلبس السر او يل
الا عند الخروج فيكون العالم ينهى عن هذه القبايح ويذمها ويعلمون امر
الشرع في ذلك ومن العتبية قال مالك رحمه الله وبالفن ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه نهى النساء عن لبس القبايل قال وان كانت لا تشف فانها
تصف قال ابن رشد رحمه الله القبايل ثياب ضيقة ملتصقة بالجسد اصفها
فتبدي فخافة جسم لا يسهل امن فخافته وتصف محاسنه وتبدي ما يستحسن مما
لا يستحسن فنهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يلبسهن النساء امثالها
لقوله عز وجل ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها

(فصل ل) وينبغي له ان ينهاهن عن هذه الاعمال التي يعملنها
على رؤسهن كما ورد في الحديث لا تقوم الساعة حتى يكون نساء كاسيات
عاريات مائلات مميلات على رؤسهن مثل اسنة البنت لا يدخان الجنة ولا

السر او يل واحدة
تذكر وثلاث
مروقة في النكحة
وجهها سر او يلات
اه مختار

يحدث ربحها وان ربحها لا يوجد من مسيرة خمسمائة عام قال الشيخ الامام
 أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في معنى ذلك ما هو ذاك قوله عليه الصلاة
 والسلام نساء كاسيات عاريات يعني انهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين
 لان كشافهن وابدان بعض محاسنهن وقيل كاسيات ثيابا بارقا يظهر ما تحتها
 وما خافها فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة وقيل كاسيات في
 الدنيا بأنواع الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة ثم قوله
 صلى الله عليه وسلم مائلات مميلات قيل معناه زائغات عن طاعة الله تعالى
 وعن طاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب
 ومميلات يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن وقيل مائلات متبخترات يعلمن
 رؤسهن وأعطافهن للغيلاء والتبخترو مميلات لقلوب الرجال بما يبدون من
 زينتهن وطيب رائحتهن وقيل يتمشطن الميلاء وهي مشطة البغايا والمميلات
 اللواتي يتمشطن غيرهن مشطة الميلاء ثم قوله صلى الله عليه وسلم على رؤسهن
 مثل أسنمة البخت معناه يعطمن رؤسهن بالخمر والمقانع ويجعلن على رؤسهن
 شيئا يسمى عندهن الناهرة لاعتقاص الشعر والذوائب المباحة للنساء اه
 وقوله عليه الصلاة والسلام على رؤسهن مثل أسنمة البخت فهذا شاهد مرقى
 اذ ان في عمامة كل واحدة منهن سنامان وأقل ما فيه من الضرر أن رأسها
 يعقل بسبب هذه العمامة لانهم اتخذوها عادة من فوق الحاجبين وفي ذلك
 مفسد أحدهما ان المرأة محل لاستمتاع الرجل وأعظم جمال فيها وجهها وهي
 تغطي أكثره فتقع بذلك في الاتم لانها تمنع زوجها حقها ولورضى زوجها بذلك
 فانها تمنع منه مخالفتها للسنة والثاني انها اذا كانت هذه الموضع مستورة فاذا
 احتاجت الى الوضوء محتاج الى كشفها حتى تغسل ما يجب عليها فاذا غسلته
 فقد تستهوى لان الموضع قد اعتاد التغطية فاذا كشفته عند الغسل قد تنظر
 فيكون ذلك سببا لترك فرضين أحدهما غسل الوجه والثاني مسح الرأس
 والثالث الزينة التي جأها الله تعالى بها في وجهها سترتها عن زوجها وقد
 يفضي ذلك للفراق لانها تبقى في تلك الحالة بشعة المنظر (فان قيل) ان فيه
 بعض جمال لها فهنا نادر والنادر لا حكم له فان فرض ان الغالب فيه جمال لها
 فتمنع من ذلك لما تقدم من مخالفتها للسنة والخير كما في الاتباع *

(فصل — ل) ويجب عليه ان يمنع من توسيع الاكمام التي
احد ثوبها مع قصر الكم فانها اذا رفعت يدها فظهرت اعكانها او ثوبها وغير
ذلك وهذا من فعل من لا يخبر فيه من المتبرجات وكذلك ما يفعله بعضهن من
لبس الثوب القصير على الصفة المذكورة وترك السراويل وتقف على هذه
الحالة في باب الريح على هذه السطوح وغيرها من رفع رأسه او التفت رأى
عورتها والشرع امره بالستر البالغ وذلك معلوم

(فصل) وينبغي له ان يعلم ان السنة في الخروج ان اضطررون اليه لان
السنة قد وردت ان المرأة تخرج في حفش ثيابها وادناء واغلاظه وتجر
مرطها اخذها اشبرا او ذراعا ويعلم ان السنة في مشيها في الطريق وذلك ان
السنة قد حكمت ان يكون مشيها مع المجدران لقوله عليه الصلاة والسلام
ضيقوا عليهن الطريق وقد روى ابو داود في سننه عن ابي اسيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط
الرجال مع النساء في الطريق استأخرن وليس لهن ان تضيقن الطريق
عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلمق بالمجدار حتى ان ثوبها اليتماق
بالمجدار من اصوقها به وقد روى الامام رزين رحمه الله عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في طريق
وامامه امرأة فقال لها اتحنى عن الطريق فقالت الطريق واسع فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جبارة لها ولما كان مشيها مع المجدران
نهي عليه الصلاة والسلام عن البول هناك لا ينبغي جس مرط من مرت عليه الى
غير ذلك من الحكم الشرعية وفوائدها متعددة (وانظر) رحمنا الله واياك الى
هذه السنن كيف اندرست في زماننا هذا حتى بقيت كأنهم لم تعرف لما ارتكبن
من ضد هذه الاحوال الشريفة فتعد المرأة في بيتها على ما هو معلوم من
عادتهن بحفش ثيابها وترك زينتها وتجميلها وبعض شعرها نازل على جبهتها
الى غير ذلك من اوساخها وعرقها حتى لو رآها رجل اجنبي لافترط بطنها
خالبا فكيف بالزوج الماصق لها فاذا ارادت احدا من الخروج تنظفت
وترينات ونظرت الى احسن ما عندها من الثياب والحلي فلبسته وتخرج الى
الطريق كأنها عروس تحلى وتمشى في وسط الطريق وتراحم الرجال ولهن

صنعة في مشيهم حتى ان الرجال يرجعون مع الشيطان حتى يوسوسوا لهم في الطريق اعني المتقين منهم وغيرهم يخاطبهم من وراء حجبهم وعمازحهم وقصدا كل هذا سببه عدم النظر الى السنة وقواعد ما مضى عليه سلف الامة رضي الله عنهم فاذا نبيه العالم على هذا وامثاله انسدت هذه المثل ورجى للجميع بركة ذلك فمن رجع عما لا ينبغي فهو القصد المحسن ومن لم يرجع علم انه مكتسب للذنوب فيبقى منكسرا القاب لاجل ذلك وفي الكسر من الخير ما قد علم ومن انكسر رجع له التوبة والرجوع

*(فصل في خروج النساء الى شراء حوائجهن وما يترتب على ذلك) وينبغي له ان كانت لاهله حاجة من شراء ثوب او حلي او غيره مما افليتول ذلك بنفسه ان كانت فيه أهلية لذلك او بمن يقوم عنه بذلك على لسان العلم وهو معلوم ولا يمكنهن من الخروج اليه لهذه الاشياء اذ ان ذلك يفضي الى المنكر البين الذي يفعله كثير منهن اليوم جهارا اعني في جلوسهن عند البرازين والمواغين وغيرهما فانها تناجيه وتبسطه وغير ذلك مما يقع بينهما وربما كان ذلك سببا الى وقوع الفاحشة الكبرى (الأتري) الى قوله عليه الصلاة والسلام يا عدو ابين أنفاس النساء وأنفاس الرجال وما ورد من انه لو كان عرق من المرأة بالشرق وعرق من الرجل بالغرب لمحن كل واحد منهما الى صاحبه او كما قال فكيف بالمباشرة والكلام والمزاح فان الله وانا اليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب (وقد قال) بعض السلف رضي الله عنهم ان للمرأة في عمرها ثلاث خراجات خرجة لبیت زوجها حين تهدي اليه وخرجة موت ابويها وخرجة لقبرها فان هذا الخروج من هذا الخروج وهذه المفاسد كلها حاصلة في خروجهن على تقدير علمهن باحكام الشريعة فيها يتعاطونه من امر البيع والشراء والصرف وكيفية حكم الربا وغير ذلك فكيف يمتنع مع الجهل بذلك كله بل اكثر الرجال لا يعلم ذلك (وقد) ورد في الحديث الغيرة من الايمان او كما قال ومن اتصف بهذه الصفة وقع بينه وبين نساء الا فرنج شبهه فان نساء من يبعن ويشترين ويجلسن في الدكاكين والرجال في البيوت والشرع قد منع من التشبه بهن

(فصل في السكنى على البحر) وينبغي له ان يمنعه من السكنى على البحر

وهو استطاع جهده وذلك لوجوه أحدها أنه عليه الصلاة والسلام من
 المجلوس على الطرقات ومن كان في دار على البصرة وكما يجالس على الطريق
 لأن البحر طريق للمروءة بالمرأى كذب فإذا نظر كشف على عورات المسلمين
 إذاً ذلك الموضع يشتمل على عورات كثيرة منها كشف عورات النواقي
 كما هو واقع مرئي وكذلك كشف عورات غيرهم من المغتسلين فيه والكلام
 القاحش الذي يمنع للرجال سماعه فكيف بالمرأة ومنها أن بعضهم يكون
 معهم المغاني في الشفاعة وغيرها فإحداهن تضرب بالطار وأخرى بالشبابة
 ومنهن من يصوت بالزمار مع رفع أصواتهن بالغناء إلى غير ذلك من غلور
 هذه العورات المذكورة وغيرها الوجه الثاني أن أهله ينكشفن بجلوسهن
 في الطرقات وغيرها يشاهدن ما تقدم ذكره وغيره فإن كان هنـد بنات
 أو أماء أو غيرهن فتزيد الغناء بحسب ذلك الثالث أن شاطئ البحر
 لا يجوز لأحد البناء عليه لا للسكنى ولا لغيرها إلا القنطرة المحتاج إليها لقوله
 عليه الصلاة والسلام إن الملاء الثلاثة البراق في الموارد وقارعة الطريق
 والظل رواء أبوداود في سننه وما ذاك إلا لأنها مرافق للمسلمين فمن جاء يرتفق
 بها يجد هناك نجاسة فيقول لمن الله من فعل هذا فإذا ناسق الحق العبد المعلن
 بهذا الفعل والنبي صلى الله عليه وسلم بأقمت رؤوف رحيم فنهاهم عليه الصلاة
 والسلام أن يفعلوا ما يلعنون بسببه هذا وهو مما يذهب بالشمس والريح
 وغيرهما فكيف بالبناء على النهر المخذل لدوام غالبه وقد قال ابن هبيرة
 رحمه الله في كتاب اتفاق الأئمة الأربعة واختلافهم اتفقوا على أن الطريق
 لا يجوز تضييقها انتهى والبناء على النهر أكثر ضررا وأشد من تضييق
 الطريق لأن الطريق يمكن المروءة فيها مع تضييقها بخلاف النهر فمن بنى عليه
 كان غاصبا له لأنه مورد للمسلمين فإذا جاء أحديرد الماء فيحتاج إلى أن يدور من
 ناحية بعيدة حتى يصل إليه وليس عليه ذلك فيكون من أحوجهم إلى ذلك
 غاصبا وقد قال عليه السلام من أخذ شبرا من أرض ظالم طوقه الله يوم
 القيامة من سبع أرضين رواء البخاري ومسلم وقد تقدم فيمن أرسل سبيحة
 إلى المسجد قبل اتيانها فوضعت هناك لم يصل بها المكيان أو كان فيها زيادة
 على ما يحتاج إليه أن ذلك كله غصب هذا ولا بدوم فكيف بالبناء

على النهر كما تقدم وقد قال علماء نارحة الله عليهم ان حريم العيون خمسة اذنة
ذراع وحريم الانهار الف ذراع واختلافوا في حريم البئر ف قيل خمس وعشرون
ذراعا وقيل خمسون وقيل ثمانمائة وقيل خمسة مائة وذلك بحسب موضع
البئر ولاي شئ هي هل هي للزراع او للساشية او في البادية او في البلد نقله
الشيخ ابو الحسن اللخمي في تبصيرته وابن يونس في كتابه ولم يحدد مالك رحمه الله
في ذلك حدا الا ما يضر بالناس فعلى هذا ولو كان اكثر من الف ذراع اذا
أضر بهم يمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار وعكسه ان كان
اقل ولم يضر بالناس لم يمنع ثم افضى الامر من اجل كثرة البناء عليه الى ان
امتنع على المسلمين اخذ الماء منه للشرب وغيره الام واضح قليلة ومع ذلك عليها
فتن مانع أصحاب الدور من برد الماء من السقائين الذي يبيعهونه للمسلمين ثم جرت
هذه المفسدة الى ان وصلت الى عماد الدين وأصله وهو الصلاة بافسادها
لانه اذا صلى احد في هذه الدور وقع فيها خلاف للعلماء في الصحة والفساد
وهذا مشهور معروف وقد قال صلى الله عليه وسلم موضع الصلاة من الدين
كوضع الرأس من الجسد اه فاذا كانت نزلة الصلاة من الدين هذه المنزلة
العظمى فكيف يرضى لبيد ان يصليها في موضع اختلاف فيه فان الله وانا اليه
راجعون الرابع ان البناء على البحر لا بد وان يفضل شئ من آلة العمارة
او ينهدم هناك شئ من الدور فيقع ذلك في البحر غالبا فتجى المراكب وليس
هندم خبر فتمر على ذلك فيكسر ها غاليا سيما اذا كانت الحجارة مبنية بارزة
مع الزوايا الخارجية من البيوت في داخل البحر ثم مع هذه الاذية يمنعون
أصحاب المراكب من ان يلتصقوا اليها والموضع مباح ليس لأحد فيه
اختصاص الخامس ان المراكب قد تأتي في وقت هول البحر مع ثقاه بالوسق
فيريد صاحبها ان يرسى في الموضع القريب منه ايسلم من آفات البحر فلا يجد
لذلك سبيلا من كثرة الدور التي هناك فيمضي لسبيله حتى يجاوز الدور فقد
يكون ذلك سببا لغرقه وذلك كله في ذمة الباقي هناك السادس ما يترتب
عليه من المفاسد وذلك ان النساء يلبسن ويتهلين في بيوتهن التي على البحر
على ما اعتدنه من العوائد الذميمة في الخروج الى الطرقات وعليهن من جمال
الزينة والتجلى ما تقدم ذكره لانهن يبالغن في هذه الاشياء اذا شعرن ان

العيون تنظر اليهن فقد يراها من يشغف قلبه بصورتها فلا يدرك على الصبر
 عنها فيحتال الخيل ~~الكثيرة~~ على الوصول اليها ما بالطاواعة منها ان قدروا
 ارباقى بالليل فهران وصل اليها وقعت الفاحشة الكبرى وان علم به وقعت
 الفتنة وقد يفضي ذلك الى سفك الدماء وقد يشغف آخرها عليهم من الخيل
 فيكون ذلك سببا لنزول المذاهب عليهم بالليل وما يقاربهم من السرقة والخلسة
 وقد تشغف هي ببعض من تراه من الشبان كما تقدم في الرجل وأقل ما في ذلك
 ان القلب يعلق غالبا بما رأت والغالب عدم العلم عنده ما اذا قرب
 زوجته قد يجعل بين عينيه الصورة التي تعلق خاطرها بها وكذلك هي فيكون
 ذلك حراما كما قال علماء ائمة اربعة الله عليهم فيمن شرب الماء بعد ان نحران
 ذلك الماء يصير في حقه حراما وقد ورد فيه حديث عن ابي هريرة رضي الله
 عنه وسيأتي ان شاء الله تعالى السابع ان في ذلك سرفا واضاعة مال وقد
 نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها اذا لم يخلوا ~~ساكن~~ هناك من أحد
 امرين اما ان يسكن في ملكه واما ان يسكن بأجرة فان كان في ملكه فقد
 اضاع ماله لما يقول اليه الامر كما قد علم من مجاورة البحر ففي ذلك اغتراب ماله
 وبأهله وبولده قال الله عز وجل في محكم التنزيل ولا تعلقوا بأيدكم الى
 التهلكة وهذا والحالة هذه قد ألقى بنفسه الى التهلكة وان كان يسكن
 بالأجرة فلا يثاب على ما دفع منها لما تقدم ذكره وقد أخبرني من أثق به
 ان الناس كانوا بمصر قبل هذا الزمن اذا عرض عليهم الملك للبيع صعدوا
 على سطحه فاذا رأوا البحر لا يعطون فيه شيئا ويقولون عنه انه ليس بملك لما
 يضافون عليه من وصول البحر اليه فيتلغوه وان لم يروا البحر حينئذ
 يتساورون فيه وهم اليوم يصد ذلك يريد أحدهم ان يبنى في قلب البحر
 ومن بنى في قلب البحر فهو شبيه بمن رمى ماله فيه الا ان الذي رمى ماله
 فيه هو الذي يحل اتلافه والذي بنى فيه أجل اتلافه وهذا ما هدم في الى
 غير ذلك من المفاسد فعلى هذا فنحن اضطر الى بناء المسكن عليه فليكن بوضع
 يراه منه اذا كان الموضع في البعد بحيث لا يميز بين الذكر والانثى لانه
 اذا كان كذلك انزاحت تلك المفاسد كلها وسقط عنه التغيير وغيره وهذا
 طريق متوسط بين الحالتين المذكورتين قبل كما قاله علماء ائمة اربعة الله عليهم

فمن أحدث ما ذنقه على دور سبقتها انه اذا صعد المؤذن عليها ورأى الناس في بيوتهم ولم يميز بين الذكر والانثى ان ذلك جائز وان مير ذلك منع احداثها والصعود عليها وقد نقل ابن رشد رحمه الله ان حكم احياء الموات يختلف باختلاف مواضعه وهي على ثلاثة اوجه بعيد من العمران وقريب منه لا ضرر على أحد في احيائه وقريب منه في احيائه ضرر على من يختص بالاكتفاح به فاما البعيد من العمران فلا يحتاج في احيائه الى استئذان الامام الاعلى طريق الاستفاد على ما حكى ابن حبيب واما القريب منه الذي لا ضرر في احيائه على أحد فلا يجوز احياءه الا باذن الامام على المشهور من المذهب واما القريب منه الذي في احيائه ضرر كالاغنية التي يكون أخذ ثمن منها ضررا بالطريق وشبه ذلك فلا يجوز احياءه بحال ولا يبيح ذلك الامام وبالله تعالى التوفيق

• (فصل في زيارة القبور) • وبني له أن يمنع من الخروج الى القبور وان كان له ميت لان السنة قد حكمت بعدم خروجهن قال عليه الصلاة والسلام انما خرجن في جنازة ائمتنا فحين يحمله قلن لا قال أفترانه قبره فحين ينزله قلن لا قال أفترانه عليه التراب فيمن يحشى قلن لا قال فارجهن ما زورات غير ما جورات وقال عليه الصلاة والسلام افاطمة ابنته رضى الله عنها احين لغيرها في طريق من أين أقبات فقامت من عند جيران لنا عزيتهم في ميتهم فقال لها عليه الصلاة والسلام اعلاك بلغت معهم الكداء يعني القبور فقالت لا والله سمعتك تنهى عنها فقال لو بلغت معهم الكداء وذكر وعيد شديد او قال عليه الصلاة والسلام لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج أخرج أبو داود في سننه والترمذي والنسائي وقد رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نساء في جنازة فطردهن وقال والله لا ترجع ان لم ترجعن وحصين بالحجارة فعلى هذا ليس للنساء نصيب في حضور الجنازة وقد اختلف العلماء في خروجهن على ثلاثة اقوال قول بالمنع وقد تقدم والثاني بالجواز على ما به لم في الشرع من الترويض عكس ما فعل اليوم والثالث الفرق بين المجالة والشابة فيجوز للمجالة ويمنع للشابة واعلم ان الخلاف المذكور بين العلماء انما هو

الكداء في
الموضعين بوزن
معناه اه

في نساء ذلك الزمان وكن على ما يعلم من عاداتهن في الاتباع كما تقدم وأما
 خروجهن في هذا الزمان فماذا لله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة
 أو غيرة في الدين يجوز ذلك فإن وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على
 ما يعلم في الشرع من الستر كما تقدم لا على ما يعلم من عاداتهن المذمومة في هذا
 (وانظر) رحمنا الله تعالى وإياك إلى هذه المفسدة التي ألقاها الشيطان
 لبعضهم في بناء هذه الدور في القبور ألا ترى أن الشارع عليه الصلاة
 والسلام شرع دفن الأموات في العجرا وماذا إلا أن الإيمان بنى على
 النظافة فإذا دفن المؤمن في العجرا فالعجرا مطشاة فأى فضيلة خرجت
 من الميت شربتها الأرض فيبقى المؤمن نظيفا في قبره فلما ان رأى الشيطان
 هذه السنة المباركة وما فيها من الخير العظيم سئل لهم عندها فإذا كان عندهم
 ميت خرجوا بأهله وأولادهم إلى قبره فيسكنون في دار إلى جانبه ولا بد
 للدار من بيت الخلاء ولا بد من استعمال المياه فإذا أقاموا هناك نزلت تلك
 الفضلات وهي سريرة السريان في الأرض فتصل إلى الميت فتقصبه وينتفع
 الميت في قبره بالفضلات التي تخرج والنجاسات التي تجذب إليه عكس
 ما وردت به السنة وهم يقيمون على ميتهم هناك بقدر عزته عندهم فمنهم من
 يقيم الشهر والشهرين والثلاثة إلى غير ذلك (فانظر) رحمنا الله وإياك إلى
 هذه البدعة وما جرت إليه فالخير كله في الاتباع وقد وقع النهي عن الميت
 في القبور لما يخشى من كشف أسرار الموتى وقد ستر الله عز وجل ذلك عنارحة
 بنا فمن يبت هناك يمرض نفسه إلى زوال هذه المحسنة لأنه قد يرى
 شيئا يذهب به عقله ونهى عليه الصلاة والسلام عن أن يتبع الميت بنارحين
 تشييعه إلى قبره لأنه تغاؤل ردى وهو لا يوقدون الشموع وغيرها عنده
 مع ما يوقدون من الاخطاب لطمعهم الأهم عافنا من قلب المحقق وقد قال
 لى من أتى به أنه بنى دارا حول القبور فسكن هناك فأصبحت جارية من
 جواريه فأخبرته أنها رأت في النوم شيئا كبيرا ذاتية وجمال وعليه ثياب
 بيض وهو يقول نحن من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سكان بهذا
 الموضع أو أنتم تدقون على رؤسنا بالهاون بالليل والنهار وقد شققتم علينا
 قال فأخبرت ذلك الموضع وأمرت بهدمه من آخره فالبنا في القبور ومنه

منه اذا كانت في ملك الانسان لنفسه وأما ان كانت لغيره فلا يصل البناء
 فيها (وقد) ذكر الشيخ المجليل عبد الرحمن بن عبد الحكم رحمه الله تعالى في كتابه
 الذي ذكر فيه تاريخ مصر باسنادهم ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما ان
 فتح مصر وأخذ البلاد من المقوقس ملك مصر أعطاه المقوقس في هذه
 الارض التي هي موضع القرافة مالا جزى يلا فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه كتابا يذكر فيه ان المقوقس أعطاه في أرض من
 الاموال كذا وكذا وهي لا تنفع لشيء ورأيت أن هذا المال ينتفع به في بيت
 مال المسلمين ويأخذوه وأرض الامنة فمعهما ~~الكتاب~~ وفتت في ذلك لا مرك
 فانظر ماذا ترى فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أما بعد فاسأله لما اذا
 بذل هذا المال فيها وهي لا تنفع لشيء فساله عمرو بن العاص رضى الله عنه
 عن ذلك فقال له انا نجد في الكتاب الاقول انها تربة الجنة فكتب عمرو بن
 العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر رضى الله عنه أما بعد فاني
 لا أعرف تربة الجنة الا لأجساد المؤمنين فاجعلها موتاهم أو كما قال فاذا جعلها
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لدفن موتى المسلمين فيها واستقر
 الامر على ذلك منع البناء فيها وقد قال لي من أتى به وأسكن الى قوله ان الملك
 الظاهر كان قد عزم على هدم كل ما في القرافة من البناء كيف كان فواقفه
 الوزير في ذلك وفنده واحتمال عليه بأن قال له ان فيها مواضع للامراء وأخاف
 ان تقع فتنة بسبب ذلك وأشار عليه بأن يعمل فتاوى في ذلك فيستفتى فيها
 الفقهاء هل يجوز هدمها أم لا فان قالوا بالجواز فعل الملك ذلك مستندا الى
 فتاويهم فلا يقع تشویش على أحد فاستحسن الملك ذلك وأمره أن يفعل
 ما أشار به قال فأخذ الفتاوى وأعطاهما الى وأمرني أن أمشي بها على من
 وجد في الوقت من العلماء فمشيت بها عليهم مثل الظهير الترمذى وابن الجوزى
 ونظائره ما في الوقت فالكمل كتبوا خطوطهم واتفقوا على لسان واحد أنه
 يجب على ولي الامر أن يهدم ذلك كله ويجب عليه ان يكاف أصحابها رعى
 ترايبها في الكيمان ولم يختلف في ذلك أحد منهم قال فاعطيت الفتاوى للوزير
 فما عرف ما صنع فيها وسكت على ذلك وسافر الملك الظاهر الى الشام في
 وقته ذلك فلم يرجع ومات به فهذا اجماع من هؤلاء العلماء المتأخرين فكيف

يجوز البناء فيها فعلى هذا فكل من فعل ذلك فقد خالفهم ومن كتاب ابن
 بشير وليست القبور موضع زينة ولا مباهاة ولهذا نهى عن بناءها على وجه
 يقتضى المباهاة والظاهر أنه يحرم مع هذا القصد ووقع لمحمد بن عبد الحكم
 فيمن أوصى أن يبنى على قبره بيت أنه تبطل وصيته وقال لا تجوز وصيته
 ولا كرامة وظاهر هذا التحريم والألو كان مكررها لنفذه وصيته ونهى عنها
 ابتداءه فإذا تقرر هذا وعلم فيما بقى على ذلك ما تقدم من الاختلاف فى الصلاة
 فى الدور المنصوبة بل هذا الغضب أشد من ذلك لأن هذا غضب بحق موتى
 المسلمين والأول للأحياء منهم فالأحياء قد يمكن التحلل منهم بخلاف الأموات
 وليس له أن يحفر قبراً ليدفن فيه إذا مات لأنه تحجير على غيره ومن سبق كان
 أولى بالموضع منه . يجوز له ذلك فى ملكه لأنه لا غضب فى ذلك وفيه تذكرة
 أن حفره وهذه المفاصد كالمسامع وجود السلامة من هتك المحريم والمخاوف
 التى تقع لهم وهذا مما لا يحتاج فيه إلى كلام ولا بيان والعالم أولى من يذب
 عن الدين ويذكر هذه الأشياء وغيرها ويعظم القول فى ذلك وينشرها حتى
 يعلم ما فيها من القبائح ويبين السنة فى زيارة القبور لأن هذه المسئلة قل من
 يعلم آدابها فى الوقت اعنى فى الغالب وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
 عن زيارة القبور ثم أباحها بعد ذلك فقال عليه الصلاة والسلام كنت
 نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها ولا تقولوا هجرا وفى رواية أخرى فإنها
 تذكرة الموت بفعل عليه السلام فائدة زيارة القبور وتذكرك الموت (وصفة)
 السلام على الأموات أن يقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
 والمؤمنات والمسلمين والمسلمات رحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وأنا
 أن شاء الله بكم لا حقون أسأل الله لنسألكم العافية انتهى ثم يقول اللهم
 اغفر لنا ولهم وما زدت أو نقصت فواسع والمقصود الاجتهاد لهم فى الدعاء
 فإنهم أحوج الناس لذلك لا نقطاع أعمالهم ثم يجلس فى قبلة الميت ويستقبله
 بوجهه وهو مخبر فى أن يجلس فى ناحية رجله إلى رأسه أو قبالة وجهه ثم
 يثنى على الله تعالى بما حضره من الثناء ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
 الصلاة المشروعة ثم يدعو للميت بما أمكنه وكذلك يدعو عند هذه القبور عند
 نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع إلى الله تعالى فى زوالها وكشفها عنه

وعنهم وهذه صفة زيارة القبر وعموماً فإن كان الميت المزارع من ترجى بركته
فیتوسل إلى الله تعالى به وكذلك یتوسل الزائر بمن برأه الميت عن ترجى
بركته إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى
الله عليه وسلم اذهب والعمدة فی التوسل والأصل فی هذا كله والمشرع له
فیتوسل به صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وقد روى
البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا
خطب واستسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه
وسلم فنتسقيناً وانا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فبسدقونا اه ثم یتوسل بأهل
تلك المقابر أعني بالصالحين منهم فی قضاء حوائجهم ومغفرة ذنوبهم ثم يدعو
لنفسه ولوالديه ولما يحبهم ولاقاربهم ولاهمل تلك المقابر ولا تموات المسلمين
ولا حيائهم وذريتهم إلى يوم الدين ولما غاب عنه من اخوانه ويحار إلى الله
تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى لانه سبحانه وتعالى
اجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم في الدنيا في الآخرة أكثر فأن أراد
حاجة فليذهب اليهم ویتوسل بهم فانهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه وقد
تقرر فی الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور وما زال
الناس من العلماء والاكابر كابر اعن كابر مشرقاً ومغرباً یتبركون بزيارة قبورهم
ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى (وقد) ذكر الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان
رحمه الله في كتابه المسمى بسفينة النجاة لاهل الاجتهاد في تكرارات الشيخ
أبي النعمان في أثناء كلامه على ذلك ما هذا الغلط تحقيق لذوى البصائر والاعتبار
أن زيارة قبور الصالحين محبوب ولاجل التبرك مع الاعتبار فإن بركة
الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين
والتشفع بهم معمول به عند علماءنا المحققين من أئمة الدين انتهى ولا يعترض
على ما ذكر من ان من كانت له حاجة فليذهب اليهم ویتوسل بهم بقوله
عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام
ومسجدى والمسجد الاقصى انتهى وقد قال الامام الجليل ابو حامد الغزالي
رحمه الله تعالى في كتاب آداب السفر من كتاب الاحياء له ما هذا نصه القسم
الثاني وهو أن يسافر لاجل العبادة ما لم يجد اداوج إلى ان قال ويدخل

في جملة زيارته وقبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء
 وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويحوز
 شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد
 الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى والمسجد الاقصى
 لان ذلك في المساجد لانها مائة تسعة وتسعون مسجدا والمساجد والافلا فرق
 بين زيارة الانبياء والاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت
 في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل والله
 تعالى أعلم وذكرا العبد رضى ربه الله في شرحه لرسالة ابن ابي زيد رحمه الله
 ما هذا الفظه وأما النذر للمشى الى المسجد الحرام والمشى الى مكة فله اصل في
 الشرع وهو الحج والعمرة والى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والنبي
 افضل من الكعبة ومن بيت المقدس وليس عنده حج ولا عمرة وهذا الذى
 قاله مسلم صحيح لا يرتاب فيه الا مشرك او معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
 وقد نقل ابن هبيرة في كتاب اتفاق الائمة قال اتفق مالك والشافعى وأبو حنيفة
 وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم مستحبة
 ونقل عبد الحق في تهذيب الطالب عن أبي عمران الفاسى ان زيارة النبي
 صلى الله عليه وسلم واجبة قال عبد الحق يريد وجوب السنن المؤكدة
 والحاصل من أقوالهم انها قريبة مما لو به لنفسها لاتفاق لها غيرها فتنفرد
 بالقصد وشد الرحال اليها ومن خرج قاصدا اليها دون غيرها فهو في أجل
 الطاعات وأعلاها هنيئاً لله ثم هنيئاً لله اللهم لا تحرمنا من ذلك بمنك يا كريم
 سمعت سيدى ابا محمد رحمه الله يقول انظر الى سر ما وقع من هجرته عليه
 السلام الى المدينة واقامته بها حتى انتقل الى ربه عز وجل وذلك ان حكمة
 المولى سبحانه وتعالى قد مضت على انه عليه الصلاة والسلام تتشرف الاشياء
 به لانه يتشرف بها فلو بقي عليه الصلاة والسلام في مكة الى ان انتقل الى ربه
 تعالى لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ ان شرفها قد سبق بادم والخليل
 واسماعيل عليهم الصلاة والسلام فلما ان اراد الله تعالى ان يبين لعباده انه عليه
 الصلاة والسلام افضل المخلوقات كان ما تقدم ذكره من هجرته عليه الصلاة
 والسلام الى المدينة فتشرفت المدينة به الا ترى الى ما وقع من الاجماع على

ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاء الكريمة صلوات الله عليه وسلامه
وقد تقدم انه عليه الصلاة والسلام افضل من الكعبة وغيرها وانظر الى
الاشياء التي يشرها عليه الصلاة والسلام تجدها أبدا تتشرف بحسب مباشرة
لهما وقد رز ذلك يكون التشريف الا ترى انه عليه الصلاة والسلام قال
في المدينة تراها شقاء وما ذاك الا تردده عليه الصلاة والسلام بتلك الخطا
الكريمة في أرجائها العيادة مريض أو غائبة مأهوف أو غير ذلك ولما ان كان
مشيه صلى الله عليه وسلم في مسجد بالمدينة أكثر من تردده في غيره من
المدينة عظم شرفه بذلك فسكان الصلاة فيه بألف صلاة ولما ان كان تردده
عليه السلام بين بيته ومنبره أكثر من تردده في المسجد كانت تلك البقعة
الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة اه وفي تأويل ذلك قولان للعلماء
أحدهما ان العمل فيها يحصل لصاحبه روضة في الجنة والثاني انها بنفسها
تنقل الى الجنة وهذا هو الصحيح (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من زيارة القبور
فيما ذكر من الآداب وهو في زيارة العلماء والصلحاء ومن يتبرك بهم وأما
عظيم جناب الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فبأني
اليهم الزائر ويتمن عليه قصدهم من الاماكن البعيدة فاذا جاء اليهم
فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار
والخضوع ويحضر قلبه وخاطره اليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين
بصره لانهم لا يبلون ولا يتغيرون ثم يثنى على الله تعالى بما هو عليه ثم يصلي
عليهم ويتوسل اليهم ثم يترحم على التابعين لهم باحسان الى يوم الدين
ثم يتوسل الى الله تعالى بهم في قضاء ما ربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم
ويطلب حوائجهم منهم ويجزم بالاجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنه في ذلك
فانهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على
أيديهم وبصديهم ومن عجز عن الوصول اليهم فليرسل بالسلام عليهم ويذكر
ما يحتاج اليه من حوائجهم ومغفرة ذنوبه وسر عيوبه الى غير ذلك فانهم السادة
الكرام والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من
جأ اليهم هذا الكلام في زيارة الانبياء والمرسلين عليهم السلام عموما

• (فصل — ل) • وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه
وسلامه فكل ما ذكر يز يد عليه أضاعه أعني في الانكسار والذل
والمسكنة لانه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعة ولا يخيب من قصده ولا من
نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به اذ انه عليه الصلاة والسلام
قطب دائرة الكمال وعروس الممالك قال الله تعالى في كتابه العزيز لقد رأى
من آيات ربه الكبرى قال علماء وأئمة الله عليهم رأي صورته عليه الصلاة
والسلام فاذا وعروس الممالك فمَن توسل به أو استغاث به أو طالب
حواله منه فلا يرد ولا يخيب لما شهت به المعايضة والآثار ويحتاج الى
الادب الكلي في زيارته عليه الصلاة والسلام وقد قال علماء وأئمة الله عليهم
ان الزائر يشعر نفسه بانه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته
اذ لا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لا ثمة ومعرفة بأحوالهم
ونياتهم وعزائمهم ونحو اطهرهم وذلك عنده جلي لا خفاء فيه (فان) قال قائل
هذه الصفات مختصة بالمولى سبحانه وتعالى (فالجواب) ان كل من انتقل الى
الآخرة من المؤمنين فهم يعلمون أحوال الاحياء غالباً وقد وقع ذلك في الكثرة
بحيث المنتهى من حكايات وقعت منهم ويحتمل ان يكون علمهم بذلك حين
عرض أعمال الاحياء عليهم ويحتمل غير ذلك وهذه أشياء غيبية عنا وقد أخبر
الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك
والكيفية فيه غير معلومة والله أعلم بها وكفى في هذا بياناً قوله عليه الصلاة
والسلام المؤمن ينظر بنور الله انتهى ونور الله لا يحجب به شيء هذا في حق
الاحياء من المؤمنين فكيف من كان منهم في الدار الآخرة وقد قال الامام
أبو عبد الله القرطبي في تذكرة ما هذا اللفظ ابن المبارك أخبرنا رجل من
الانصار عن المنهال بن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من
يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أئمة غدوة وعشية
فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فذلك يشهد عليهم قال الله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيد اقال وقد تقدم ان الأعمال
تعرض على الله تبارك وتعالى يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الانبياء
والآباء والائمة يوم الجمعة ولا تعارض فانه يحتمل أن يختص بيئنا عليه

الصلاة والسلام بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء اه قال توسل به
 عليه الصلاة والسلام هو محل حظ اجمال الاوزار وانقال الذنوب والخطايا
 لان برصكة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاطها
 ذنب اذ انهما اعظم من الجميع فليس تبشر من زاره و يلجأ الى الله تعالى
 بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره اللهم لا تحرمنا من شفاعته
 بحرمة عندك آمين يا رب العالمين ومن اعتقد خلاف هذا فهو والمحرور
 المسمع قول الله عز وجل ولوا انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله
 واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فن جاء ووقف ببابه وتوسل
 به وجد الله توابا رحيما لان الله عز وجل منزله عن خلف الميعاد وقد وعد
 سبحانه وتعالى بالتوبة ان جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه فهذا لا يشك
 فيه ولا يرتاب الا جاحد للدين معاند لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو نبي الله
 من المحرمان وقد جاء بعضهم الى زيارته صلى الله عليه وسلم فلم يدخل المدينة
 على ساكنها افضل الصلاة والسلام بل زار من خارجها ادباً منه رحمه الله مع
 نبيه صلى الله عليه وسلم فقبل له ألا تدخل فقال أمثلي يدخل بلد سيدنا المومنين
 لا احد نفسي تقدر على ذلك أو كما قال وقد قال مالك رحمه الله لرسول الخليفة لما
 ان أتى اليه بالبعلة ليركبها حتى يأتي اليه لعذره في كونه لا يقدر على المشي لانه
 قد كان اختلعت يداه وركبته من الضرب الذي قد وقع به رضى الله عنه في
 الحكاية المشهورة فاي أن يركب وقال موضع وطئه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم باقدامه الكريمة ما كان لي ان أطأه بحافر بعلة ومشى اليه متكئاً
 على رجلين يحير رجلاه حتى بلغ الى الخليفة في خارج المدينة على ساكنها افضل
 الصلاة والسلام وجرى له معه ما جرى وقد قال مالك رحمه الله للخليفة لما أن
 سأله اذا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم هل يتوجه الى النبي صلى الله
 عليه وسلم أو الى القبلة فقال مالك رحمه الله وكيف تصرف وجهك عنه وهو
 وسيلتك ووسيلة آييك آدم عليه السلام قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه
 الله في كتاب الشفاء له وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع
 عليه ارفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
 من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جوارحي
وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما
زارني في حياتي قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه رحمه الله تعالى ومما لم ينزل
من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم والتبرك بروية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملا مس يديه
ومراتي قدميه والعمود الذي يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه
وعن حمزة وقصده من العبادة واثمة المسلمين والاعتبار بذلك كله (وقال)
ابن ابي زيد سمعت بعض من أدركته يقول يا غنا الله من وقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم قال صلى الله عليك يا محمدية ولما
سبه بن مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة (وعن) زيد
ابن ابي سعيد المهدى قال قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي
ايتك حاجة اذا اتيت المدينة ستري قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرته مني
السلام قال غيره وكان يريد اليه ابريد من الشام (قال) مالك في رواية ابن
وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا ينفذ وجهه الى القبر
لا الى القبلة ويدنو ويسلم عليه ولا يحس القبر بيده وقال نافع كان ابن عمر يسلم
على القبر رايته مائة مرة وأكثر ما يفعل يحجى الى القبر فيقول السلام على
النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم
ينصرف (وقال) ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول عليه السلام
بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام عليكم من ربينا وصلى
الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي واقض لي أبواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم (ثم) أفصد الى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمدا لله فيه ما وثقه الله
تمام ما خرجت اليه والعمود عليه وان كانت ركعتك في غير الروضة
أجزأتك وفي الروضة أفضل (ثم) تتقف بالقبر متواضعا متوقفا فتصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم وتثني عليه بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو
لهما (قال) مالك في كتاب محمد يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل

وخرج قال محمد واذا خرج جعل آخر هذه الوقوف بالقبور وكذلك من خرج
مسافرا (وقال) مالك في المدة وطئة وليس يلزم من دخول المسجد وخرج منه من
أهل المدينة الوقوف بالقبور وإنما ذلك للغربة فقل له إن ناسا من أهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر
فيسلمون ويذهبون ساعة فقال لم يباغنى هذا من أحد من أهل الفقه
ببإدنا ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أو لما ولم يباغنى عن أول هذه الأمة
وصدورها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره ذلك إلا ما جاء من سفر أو أراد (قال)
ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبور فسلموا
قال وذلك دأب (قال) الباجي ففرق بين أهل المدينة والغربة لأن الغربة
قاصدون إلى ذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبور
والسلام (وفي العتبية) يبدأ بأباركك قبل السلام في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم (ومن) كتاب أحمد بن سعيد الهندي ومن وقف بالقبور لا يلتصق به
ولا يجسه ولا يقف عنده طويلا انتهى يعني بالوقوف طويلا أن الحجرة الشريفة
داخل الدرايز فاذا وقف طويلا ضيق على غيره وأما لو وقف خارج الدرايز
فذلك الموضع في المسجد فلا يمنع منه لأن له فيه حق الصلاة وانتظارها
والاهتكاف وغير ذلك وينبغي له أن لا يدخل من داخل الدرايز التي هناك
لأن المكان محل احترام وتعظيم فينبه العالم غيره على ذلك ويحذره من
تلك البدع التي أحدثت هناك فترى من لا علم عنده يطوف بالقبور الشريف
كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويألفون عليه مناديا لهم وثيابهم
يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له
ما به الصلاة والسلام وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام الأمن هذا
الباب ولاجل ذلك كره علماءنا رجة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو
بجدران المسجد أو بالمحصف إلى غير ذلك مما يتبرك به سد هذا الباب ولخلافه
السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صلى الله عليه وسلم فكل ما عظمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعظمه ونتبعه فيه فتعظيم المحصف قراءته
والعمل بما فيه لا تقبله ولا القيام إليه كما يفعل بعضهم في هذا الزمان وكذلك
المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجداره وكذلك الورقة يجدها الإنسان

في الطريق فيها اسم من اسمائه تعالى واسم نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترفيعه ازالة الورقة من موضع المنة الى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها وكذلك الخبز يجده الانسان ماقي بين الاثر رجل تعظيمه اكله لا تقبله وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبل يده وقدمه ولا التمسح به . كذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده (ومن) هذا السبب ايضا قول بعضهم في المصحف مصحف وفي الكتاب كتيب (ومن ذلك) قولهم حين مناواتهم المصحف : الكتاب اظنة حاشاك (ومن ذلك) قولهم في المسجد مسجدا وفي الدعاء ادع لي دعيرة الى غير ذلك وهذه الالفاظ شائعة قبيحة لو علموا ما فيها من الخطر ما تكلموا بها اذ ان حكمل ذلك تعظيمه مطلوب والتصغير ضده (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لمن الله اليه ود اتخذ واقبور انبيائهم مساجد انتهى فاذا كان هذا الذم العظيم فيمن اتخذ الموضع مسجدا فكيف بالطواف عنده (واما) اكل القرع عنده في الروضة المشرفة فمنوع اذ ان فيه قلة ادب واحترام معه ومع مسجدته ومع روضته التي عظمها ورفعها عليه الصلاة والسلام هذا وجه (الوجه الثاني) ان عامتهم يلقون النوى هناك وهو اذى فيجتمع مع عليه الذباب وفي ذلك من الاذى للموضع الشر يف مافيه (الثالث) انه يعامل الموضع الذي عظمه عليه الصلاة والسلام بالنقيض لانه اذا اكل القرع حصل له اياه في الزواطة ثم يأخذها ويأقيها في المسجد واعياه عليها وهذا بصاق في المسجد وفيه من سوء الادب وقلة الاحترام ما هو شامد مرقي اسأل الله تعالى السلامة عنه (فاذا) زاره صلى الله عليه وسلم فان قدر ان لا يجلس فهو به اولى فان يحزفله ان يجلس بالادب والاحترام والتعظيم وقد لا يجتمع الحاج الزائر في طلب حوائجه ومغفرة ذنوبه ان يذكرها باسمائه بل يحضر ذلك في قلبه وهو حاضر بين يديه صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام اعلم منه بحوائجه ومصالحه وارحم به منه لنفسه واشفق عليه من اقاربه وقد قال عليه الصلاة والسلام اغمامي ومثلكم كمثل الفراش تقعون في النار وانا آخذ بحجزكم عنها وكما قال وهذا في حقه صلى الله عليه وسلم في ~~كل~~ وقت وأوان أعنى في التوسل به وطالب الحوائج بجساده عند ربه عز وجل ومن

لم يقدر له بزيارته صلى الله عليه وسلم بجسمه فليزورها كل وقت بقلبه
 وليحضر قلبه انه حاضر بين يديه متشفعا به الى من من به عليه كما قال الامام ابو
 محمد بن السيد البطلاني رحمه الله تعالى في رقعته التي ارسلها اليه من ابيات
 اليك افر من زلالي وذنبي * وانت اذا لقيت الله حسبي
 وزورة قبرك المحجوج قدما * مناي وبغيتي لوشاء ربي
 فان احرم زيارته بجسمي * فلم احرم زيارته بقلبي
 اليك غدت رسول الله مني * تحية مؤمن دنف محب
 اللهم لا تحرمنا شفاعة ولا عنايته في الدنيا والاخرة وأدخلنا بفضل ملك في
 زمرة المتبعين له يا احسان الى يوم الدين بجاهه عندك فان جاهد عندك عظيم
 (ثم) يسلم على صاحبه وأول خلفائه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويترضى
 عنه ويثنى عليه بما حذره ثم يفعل كذلك مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 ويتوسل بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقدمهما بين يديه شفيعين في
 حوائجه (ثم) هو بالخيار ان شاء ان يخرج الى البقيع ايزور من فيه اقتداء
 بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا اتى البقيع بدأ بثالث الخلفاء عثمان بن
 عفان رضي الله عنه ثم يأتي قبر العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي
 من بعده من الاكابر وينوي امثال السنة في كونه عليه الصلاة والسلام
 كان يزور اهل بقيع الغرقد وهذا نص في الزيارة فدل على انها قريبة بنفسها
 مستقيمة مع مول بها في الدين ظاهرة بركاتها عند السلف والخلف (وهذا) الذي
 ذكر انما هو فمين كانت اقامته ~~كثيرة~~ بالمدينة على ساكنها افضل الصلاة
 والسلام فاما الزائر ايا ما ويرجع فالاولى له ان لا يخرج من بين يديه ولا من
 مشاهدته وجواره والمقام عنده عليه الصلاة والسلام فانه عروس المملكة
 وباب قضاء الحوائج دينا ودنيا واخرى فيذهب الى أين وقد فرق علماء نارحة
 الله عليهم بين الافاق والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في
 حق الافاق افضل له والتنفل في حق المقيم افضل وما نحن بسبيله من باب اولي
 فن كان مقيما خرج الى زيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليقتن مشاهدته
 عليه افضل الصلاة والسلام (وقد) قال لي سيدي ابو محمد رحمه الله تعالى لما
 ان دخل مسجد المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ما جاست

في المسجد الا المجلوس في الصلاة او كلاما هذا معناه وما زلت واقفا هناك
حتى رحل الركب ولم اخرج الى بيع ولا غيره ولم ازر غيره صلى الله عليه
وسلم وكان قد خطر لي ان اخرج الى بيع الغرق قد فقت الى اين اذهب هذا
باب الله تعالى المفتوح للساكنين والطلابين والمنكسرين والمضطربين
والفقراء والمساكين وليس ثم من يقصد مثله فن عمل على هذا ظفرو ونجس
بالامول والمطلوب او كما قال (ثم) نرجع الى زيارة قبور عامة المؤمنين
كما تقدم وقد تقدم دليل ذلك فاذا زار فليعتبر في حال من زاره وما صار اليه
في قبره من النجا المسنون وهي الطينة الحارة المنتنة العفنة وماذا سئل عنه
وبما اذا اجاب وما هو حاله هل في جنة او ضدها ويتفرع الى الله تعالى
في الترحم عليه ورفع ما به من الكرب ان كان به ويسأل له جاب الرحمة ورفع
الدرجات ويشتر نفسه انه حصل في عسكرهم اذ كل آت قريب كما قيل من
عاش مات ومن مات فأت وأنه الآن كأنه يسئل ويفكر فيما يجب وهو في
قبره وحيد فريد قد رحل عنه أهله ومعارفه وولده وماله فيكون مشغولا
بهذا الاعتبار (وهذا) هو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام فزوروها فانها
تذكر الموت انتهى فيتعاقب بولاء في الخ لاص من هذه الامور الخطرة
العظيمة ويلجأ اليه ويتوسل ولا يقرأ الزائر عند قبر ايت الساعة قد من شغله
بما ذكر من الاعتبار وقراءة القرآن فيحتاج صاحبها الى التدبر واحضار
الفكرة فيما هو يتلو وفي كرتان في قلب واحد في محل واحد لا يجتمعان
(فان) قال قائل انا اعتبر في وقت واقرا في وقت آخر والقراءة اذا قرئت تنزل
الرحمة اذ ذلك فعل ان يلحق الميت من تلك الرحمة شيء ينفعه (فالجواب) عنه
من وجوه (الاول) ان السنة لم ترد بذلك وكفى بها (الثاني) شغله بما تقدم
من الفكرة والاعتبار في حال الموت وسؤال المالكين وغير ذلك والوقت محل
لهذا فقط ولا يخرج من عبادة الى عبادة اخرى سيما لاجل الغير (الثالث)
انه لو قرأ في بيته واهدى اليه لوصلت وكيفية وصولها انه اذا فرغ من تلاوته
وهب ثوابها له او قال اللهم اجعل ثوابها له فان ذلك دعاء بالثواب لأن يصل
الى أخيه والدعاء يصل بلا خلاف واذا كان كذلك فلا يحتاج ان يقرأ على
القبور (الرابع) انه قد تكون قراءة القرآن على قبره سببا لعذابه

أول زيادة منه لأنه كلما رتب به آية لم يعمل بها فيقال له أما قرأتها أما سمعتها
فكيف خالفتها فيه نذب أو زاد في عذابه لاجل مخالفتها لها كما نقل عن
بعض من اتصف بشئ مما ذكرناه روى في عذاب عظيم فقل له أما تنفك
القرأة التي تقرأ عندك أيلاً ونهلاً وقال أنها سبب لزيادة عذابي وذكر
ما تقدم سواء بسواء (وقد سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول إن القرأة
على القبور بدعة وليست بسنة وإن مذهب مالك السكراهة انتهى فيكون
العالم بين هذه السنة في الزيارة ويوضحها حتى تعرف ويتعاهد بها الناس
ويبين أن حضره ما حدثوه في الزيارة من البدع والمحرمات التي بكل السمع
عنها فـ كيف برؤيتها ومباشرتها فن ذلك ما يفعله بعض النساء في زيارة
القبور في ركوبهن على الدواب في الذهاب والرجوع وفي مس المسكارى لمن
وتحضيته للمرأة في أركانها وانزالها وحين مضيهما يجعل يده على فخذهما
وتجمل يدها على كتفه مع أن يدها ومعهما مكشوفان لاستترائهما سيما
مع ما يضاف إلى ذلك من الخواتم والأساور من الذهب والفضة أو مما مما
مع الخضاب في الغالب وتقدم مع ذلك أفعالها ذلك كله وهذا كله لو فعله من
النساء من لا يعرف لا تخدعهم ومنه من ذلك فكيف يراه الزوج أو ذو
محرم أو العالم أو غيرهم فيسكتون فأن الله وأنا إليه راجعون مع أنها تنسجى
المسكارى وتحدثه كأنه زوجها أو ذو محرم منها بل الحجب أن زوجها وغيره
من ذكر يشاهدون ذلك بالحضرة ويعلمونه بالغيبة وهذا فيه من المحرمات
وجوه كثيرة وكل من يعاينهم من الناس سكوت لا يتكلمون ولا يغفرون
ولا يجردون لذلك غيرة إسلامية في الغالب فإذا كان العالم ينهى عن
ذلك إذا رآه وينبه عليه من محالسه ويراه تنبه الناس لهذه المحرمات وقل
فاعاها فان قدرنا أن أحداً بقى على ذلك فهو يعلم بسبب اشاعة العالم ذلك
كله أنه طامس وكفى بهذه نعمة لأنهم إذا علموا ذلك رجي لهم التوبة (وهذا)
الكلام في ذهابهم وعودهم (وأما) في حال زيارتهم القبور فاشنع
وأعظم لأنها اشتمت على مفاسد عديدة فمنها مشيهم بالليل مع الرجال
في زيارة القبور ومع كثرة المخالوات هناك وكثرة الدور المتيسرة وكشفهن
لوجوههن وغيرها حتى كأنهن مع أزواجهن خاليات في بيتهن وينضم

الى ذلك محادثتهن مع الرجال الا جانب ومنهن وملاهن وكثرة الفصح
مع الغناء في موضع الخشوع والاعتبار والذل فان هذا الموضع اقل منزل
من منازل الاخرة وهو جدير بالحزن والخوف ضحايا معلونه (وقد ورد)
في الحديث شانه عليه السلام قال ان الله يكرمكم ثلاثا العيش في الصلاة
والرفق في الصيام والضحك عند المقابر انتهى فيحق لمن مصيره الى هذا عدم
الله والاعب وخروجهن على هذه الاحوال لو كان بالنهار تخيف عليهن من
المفسدة الكبرى فكيف به ليلا وينضاف الى ذلك ما أحدثوه من الوطاط على
المنابر والكراسي والمحدثين من القصاص بين المقابر في الابل الى المقبرة وغيرها
واجتماع الرجال والنساء جميعا محتاطين وكذلك الفراء الذين يقرءون القرآن
بالترجيع والزيادة والنقصان في كتاب الله عز وجل ورفع الاصوات
الخارجة عن حد السموت والوقار والتمطيط والمد في غير موضعه وتخفيف
المشددوه كسه وترتيبهم في ترتيب هؤلاء النساء والطرائق التي أحدثوها
وغير ذلك مما هو معلوم ومشاهد وذلك كله ممنوع وسواء كان الزوار رجالا أو
نساء فكل ذلك ممنوع لما فيه من المفسدة المذكورة وغيرها (وقد تقدم
صفة زيارة القبور المشروعة أهني للرجال اذا يس للنساء تصيب في زيارة
القبور لما تقدم من قوله صلوات الله عليه وسلامه للنساء حين رآهن في جنازة
اربعة من مازورات غير مأجورات وقوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة
ابنته لو بلغت معهم الكداء يعني القبور وذكروا عيدا شديدا هذا ومن
في حال التشيع للجنائز فبالاكتفاء في زيارة القبور وسلك ذلك زيارتهن
في النهار ممنوعة أيضا بل النهار أشد كشفًا لما يظهرته من الزينة وكشفها
وعدم الحياء في ذلك كله (ثم) انظر رحمنا الله وإياك الى ما قررته النساء في هذه
الزيارة التي ابتدعتها لانفسهن فانهم جعلوا لكل مشهد يوماء ولو في الجمعة
حتى آتين على اكثر ايام الجمعة ليجدن السبيل الى وصولهن الى مقاصدهن
الذميمة في اكثر الايام ففعلوا يوم الاثنين للسيدة الحسين رضى الله عنه ويوم
الثلاثاء والسبت للسيدة زهيدة ويوم الخميس والجمعة لرافقة لزيارة الشافعي
وغيره ولا مواتهن (ثم) انظر رحمك الله تعالى الى هذه المفسدة التي
ترتبت بسبب هذه المفسدة وذلك ان الرجل الدين الغيور منهم على رعيته

لا يمكن زوجه ان تخرج وحدها لما يعلم من الفساد وتأتي عليه الا بالخروج
أو تفارقه الى غير ذلك من التشويشات التي يتوقعها منها من الامتناع وغيره
بسبب منه لها فيخرج معها التلايفارقه فيبشر ما ذكرنا وبعده أو زيادة
عليه أو يسمع ويرى وهي كذلك وقد يكون معها ويقع استمتاع الجانب
بزوجه بالمزاج والبسط والملاعبة معها والاس لها بحضوره وقد يرى هذا
من حسن الخلق والسياسة والستر على نفسه وعلى عرض زوجته وعلى
عرض من ياشركه من زوجته وقد يرى ان ذلك قربة وهو ذا بلا عظيم
وخفف باطن أسأل الله العافية عنه هذا ان احتمل الزوج ما رأى مما وقع فيما
تقدم ذكره من المنهيات العديدة وأن غابته الغيرة وضاق ذرعه على من فعل
شيئاً مما فعل مع زوجته من الفساد فيقع الضرب والخصام وقد يؤول ذلك
الى الوالى والمحاكم والمحيس وغير ذلك هذا ان كان الزوج سالماً من الرئاسة
فان كان ممن يترأس أو هو رئيس ولا يرضى ان يخرج مع زوجته ولا يقدر ان
يتركها وحدها لما يعلم هناك من الفساد فيرسل معها من يكون لها عوناً على ذلك
من صبي أو عبداً ويجوز أن يخرج مع زوجته ولا يقدر ان يتركها وحدها
من صبي أو عبداً ويجوز أن يخرج مع زوجته ولا يقدر ان يتركها وحدها
نحوها وحدها الان أكثر الناس يهاب ان يحجم على المرأة فيبتدئها بكلام
أو مزاح أو غير ذلك هذا ان كانت حرة لم تبتدئ أحد بكلام ولا مزاح فان
وجدوا معها أحداً من ذكر توصلوا بسببه الى ما يختارون منها بسبب توصل
الواسطة وتخصيته وتزيينه للفعل الذميمة وتيسره لذلك كله وقد يكون بعضهم
قد عدم الطرفين أحدهما يستحي ان يخرج مع زوجته والثاني
لا يكون عنده من يرسله معها وعند غيره لا يقدر ان يتركها تخرج وحدها
وتأتي عليه الا بالخروج فيخرج معها أو يمشى معها داعياً وهذا الشدة من الاول
والثاني في الفساد والفتنة بكثرة تتبع فروع ما يترتب عليه من الفساد
أسأل الله تعالى العصمة في المحركات والسكنات (وقد) قال لي بعض المشايخ من
أهل العراق وكان ورد الى مدينة مصر والله ما عندنا أحد ببغداد
يفعل هذا ولا يرضى به ولا يقول به أحد عندنا ونفر النفور الكلى من أقامته
بأقاييم مصر وكان يدعوا لله تعالى ان يرده الى بغداد اذا أنها عنده أقل مفسد
من مصر فاذن كانت بغداد على هذا أقل مفسد من مصر وهي مقام التتار وقد

ورد أنها المدينة الملهونة يصف بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة
من ههنا وأشار إلى المشرق فانا لله وانا إليه راجعون • •

• (فصل — في خروجهم إلى دور البركة) • وينبغي له أن يمنعهم
من الخروج إلى الدور التي على البركة وما كان في معناها إذا احتوت على
جملة من المفسد فتهلكهم إلى ما على الدواب في الذهب والعود على
الصيغة المتقدمة ومنها خروج بعضهم من البيوت التي هناك على شاطئ
البركة في الطريق متبرجات متزينات بمخاطات الرجال وبعضهم يغتسلان
في البركة وبعض الرجال ينظرون في الغالب اليهن وما يفعلن أيضا من
تبرجهن إن كان في تلك البيوت من ينظرون من الطاقات وأبواب الريح
والأسطحة وغير ذلك ويظهرون ما بهن من الزينة وما عليهن من حش
التياب والمخلى وغير ذلك ومما زحمتن للرجال في الغالب على ما تقدم وكذلك
يمنعون من الخروج في أيام الخضير لأن ذلك الموضع محل لفرجة الرجال
وفدحتهم فقل من تراء هناك إلا وهو رافع رأسه إلى الطاقات والغالب عليهن
الزينة والتبرج كما تقدم والغالب على بعض المنفرجين أنهم لا يفتنون
أبصارهم من المحارم ولا يتفكرون في ذلك بل يرتكبون المحرم جهارا فمشون
في زرع الناس قصدا ويخذونها طريا وبها السور وبها عملوا فيها السماع
وانشاد الشعر الرفيق المشغل على التغزلات التي تميل قلوب الرجال فكيف
بالنساء قال عليه السلام رقا بالقرار انتهى يعني النساء وذلك لضعفهن
عن سماع الصوت الحسن فكيف به مع التغزلات وقد قالوا إن الغناء ينبت
النفاق في القلب كما ينبت المساء البقل فترق طباعهن لمسايعهن ويرين من
ذلك ويشاهدنه فيمن إلى به فيدخل الفساد بين المرأة وزوجها وقد يؤول
الامر إلى الفراق والبقاء على دخن ما أسأل الله تعالى السلامة من ذلك كله

• (فصل — في الدور التي على البساتين) • وينبغي له أن يمنعهم من
الدور التي على البساتين إذا كان في ذلك كشفة لمن الملام إلا أن يكون
البستان لا يدخله أحد إلا بأذنه فهو أخف لأنه إذا أذن في الدخول إلى
البستان فحرم زعماء بوقعه بغلق الطاقات والأبواب والأسطحة ويمنعون
من النظر في ذلك الوقت ويباح له أن يخرج أهله إلى البستان بشرطين وهو

الدخن بفتنة
المحدث اه

أن يكون البستان لا يكشف عليه أحد وأن لا يدخله مع أهله غير ذي محرم
 (فصل في ركوب البحر) وينبغي له بل يجب عليه أن يمنعهم
 من الخروج الى موضع يجتمع فيه الى ركوب البحر للفرجة وان كان ذلك
 الموضع مباحا لأن ركوب البحر كشفة لمن وفيه من المفسد ما هو أعظم من
 ركوب الدواب على ما هو شاهد مرئي فلا يحتاج الى تفصيل جزئياته هذا ان
 كان موضع الفرجة لا منكر فيه ولا فتنة يخوف وقوعها أو اذا انضم الى
 ركوب البحر مفسدة فالاولى المنع مثل خروجهم الى القناطر وغيرها واجتماع
 الرجال والنساء وما يجري هناك مما يكمل السمع عنه فكيف برؤية وكذلك
 ما أشبهه من كسر الخايج وما يجتمع فيه من الفوضى وما فيه اليوم من الفتن
 ويؤذي أمره الى اذهاق النفوس في ذلك من الغرق وغيره وقد اعتادوا فيه
 عادة ذميمة وهو أن بعض الحراميش وغيرهم في ذلك اليوم يمدون أيديهم
 أن يلقونه في الطريق فيجردونه يأخذون ماله ويضربونه ويحرقونه
 وأهله موء البتة ولا يحسنكم عليهم في ذلك اليوم حاكم لأنه يبدل فيهم على
 ما يرضون أسأل الله السلامة منه

(فصل في خروجهم الى المحل) وينبغي له أن يمنعهم من الخروج الى شهود
 المحل حين يدور ويمنعهم من الخروج في تلك الايام التي يستعد فيها الدوران
 المحل اذ في ذلك من المفسد وارتكاب المحرمات ومخالفة السنة أشياء عديدة
 منها تزويج الدكاكين في الاسواق وغيرها بالانكشاف من الحرير والحلي وغيرها
 وفي بعض ذلك من الصور المحرمة ما هو معلوم شاهد لا يترفع فيه وتحريمه
 لا يخفاء فيه وذلك كله قبل دورانه الى ان يهتدى ويقع في تلك الايام من
 المفسد استمتاع الرجال بالحرير المحرم عليهم الا ما استثنى في الشرع تحريمه
 أوجه ادويدل على تحريم ذلك اورد من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه
 حيث قال فقلت الى حصير لما قد اسود من طول ما لبس فسمى استعمال الحصير
 لبسا فدل على ان لبس شيء بحسبه فدل ذلك على ان ما يقد لون من
 تزويجهم بمسند الحرير والاشهانات المعلقة وما أشبه ذلك حرام سيما ان كان فيها
 صور محرمة فبما كذا الوعيد ما رواه البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة فان الله

يعذبه حتى يتفخ فيها الروح وليس ينافخ فيها أبدا وما ورد أنه يقال يوم
 القيامة للصوريين في الدنيا سيوا ما خلقتم أه ولا فرق في ذلك أعني في
 تحريق الأثم بين من صنفها أو بين من استحسنها أو بين من جالس اليها وبين من
 رغب بها وأحبها أو بين من رآها ولم ينكر ولمه القدرة على التغيير بحسب
 مراتب التغيير وقد تقدم وهذا ممن لم يستحل ذلك وأما من استحله فالحكم
 فيه ظاهر معلوم وإذا كان ذلك محرما فلا يجوز اقتضاد شيء من ذلك لرجل
 ولا لامرأة ممن أوقد تقدم أن ليس كل شيء يحسبه وإذا كان كذلك فلا يجوز
 لاحد أن يجالس تحت اليد مخففات ولا مساند المحرم وشبهها ولا أن يعيش تحتها
 الاضرورة شرعية ولا أن يستنار بظلالها وكذلك لا يجوز له النظر اليها لأن
 ذلك اعانة على فعلها بل يجب على من قدر على تغييرها بشرطه أن يزيلها
 دون اقتضادها ولا يستمتع بها بوجه من وجوه الاقتضادات أما الرجال
 فتحرى ذلك عليهم بين وأما النساء فلا لهن اقتضاة من استعمال
 ما تقدم ذكره أعني من المساند واليد مخففات المحرم وشبهها وأما أن
 كان ذلك من المكان الرفيع أو القطن وما أشبهه مما فذلك من البدع
 ولا يصل إلى التحريم لأن أصله مباح أعني ليس على الوجه المذكور
 شرعا وليس هدامة وفيه ضرب من اضاعة المال وذلك أن استعمالها
 يلبسها وتدنس بما يلاقيها من بخار ودخان مصباح وغيره مما دون
 ضرورة شرعية ولا حاجة تدعو إلى ذلك والأدلة دالة على منع استعمال
 ما تقدم ذكره على النساء كالرجال إلا بأباح الشرع لمن من لبس المحرم
 والتحل بالذهب والفضة ولهذا أباح العلماء لها اللحف والفراس من المحرم
 إذا أن ذلك ليس لمن ولم يدور إلى غير اللبس فلا يجوز لها اقتضاد الاواني من
 الذهب والفضة كانت لازية أو للاستعمال فذلك كله حرام عليها فان
 فعلت ذلك كانت عاصية ويجب عليها في كل سنة زكاة تلك الاواني من
 الذهب والفضة بشرطها مع وجود الأثم إذا أن التوبة عليها واجبة في كل
 وقت وأوان والتوبة لا تصح منها إلا بعد الاقلاع عن الشيء الذي تابت منه
 ولا يكون ذلك مادامت تلك الآنية على حالها لا بائرا بها من يدها وعن
 ما كره المن يصح تملكها وذلك إذا تمكنت من فعله فإن لم تتمكن من فعله

الاستحسان لانه اذا لم يفعل بخلاف عليه انه اذا خرج استرخى منه ذلك العضو
 فيخرج شيء من الموضع الذي لم يغسله على ظاهر يده فيصلي بالنجاسة الثالثة
 والخمسون يحذر ان يدخل أصبعه في دبره فانه من فعال أضرار الناس وهو
 منهي عنه لانه يفعل بنفسه وذلك حرام الرابعة والخمسون يتفق قد نفسه
 في الاستبراء فيعمل على عادته قرب شخص يحصل له التنظيف عند انقضاء
 البول عنه وآخر لا يحصل له ذلك الا بعد أن يقوم ويقعد وذلك راجع الى
 اختلاف أحوال الناس في أمر جثهم وفي ما كاهم واختلاف الأزمنة عليهم
 فقد يتغير حاله بحسب اختلاف الامور عليه وهو يبعد من نفسه عادة فيعمل
 عليه ما فيخاف عليه أن يصلي بالنجاسة أو يتوسوس في طهارته فيعمل على
 ما ينظر له في كل وقت من حال مزاجه وغذائه وزمانه فليس الشيخ كالشباب
 وليس من اكل البطيخ كمن اكل المجبن وليس المحرك كالمبرد الخامسة والخمسون
 اذا قام للاستبراء فلا يخرج بين الناس وذكره في يده وان كانت تحت ثوبه
 فان ذلك شوه ومثله وثبر ما يفعله بعض الناس وهذا قد نهى عنه وان
 كانت له ضرورة في الاجتماع بالناس اذ ذاك فيجعل على فرجه خرقه يشدها
 عليه ثم يخرج فاذا رجع من ضرورته تنظف اذ ذاك السادسة والخمسون
 يكره له أن يشتغل بغير ما هو فيه من تنفابط أو غيره الا يطأ في خروج
 المحذات والمقصود الاسراع في الخروج من ذلك المحل بذلك وردت السنة
 قال الامام أبو عبد الله القرشي رحمه الله اذا أراد الله بعد تحييره اسرعه
 الطهارة السابعة والخمسون لا يستحجر في حائط مسجد محرمته ولا في حائط
 ملوك غيره لانه تصرف في ملك الغير ولا في حائط وقف لانه تصرف فيه
 وهو في حوز من وقف عليه وذلك لا يجوز وهذا كله حرام باتفاق وكثيرا
 ما يتساهل اليوم في هذه الاشياء سيما في سبل لا وضوء فتجد الحيطان في غاية
 ما يمكن أن تكون من القذر لا يصل استجمارهم فيها وذلك لا يجوز الثامنة
 والخمسون يكره أن يستحجر في حائط ملكه لانه قد ينزل عليه المطر أو
 يصب عليه بالماء ويأتى في هواؤه يرمي عليه فتصيبه النجاسة فيصلي بها
 ووجه آخر وهو أن يكون في الحائط حيوان فيتأذى به وقد رأيت عبانا
 به من الناس استحجر في حائط فانه عقره كانت هناك على رأس ذكره

ان يكون البستان لا يكشف عليه احد وان لا يدخله مع اهله غير ذي محرم
 * (فصل في ركوب البحر) * وينبغي له ان يحجب عليه ان يمنعه من
 من الخروج الى موضع يحتج فيه الى ركوب البحر للفرجة وان كان ذلك
 الموضع مباحا اذ ان ركوب البحر كشفة لمن وفيه من الفاسد ما هو اعظم من
 ركوب الدواب على ما هو شاهد مرئي فلا يحتسب الى تقصير جزئياته هذا ان
 كان موضع الفرجة لا منك فيه ولا فتنة يتخوف وقوعها او اذا انضم الى
 ركوب البحر مفسدة فالاولى المنع مثل خروجهن الى القناطر وغيرها واجتماع
 الرجال والنساء وما يجري هناك مما يكل السمع عنه فكيف برؤيته وكذلك
 ما اشبهه من كسر الخايج وما يجتمع فيه من الغوغاء وما فيه اليوم من الفتن
 ويؤذي امرء الله ازهاق النفوس في ذلك من الغرق وغيره وقد اعتادوا فيه
 عادة ذميمة وهو ان بعض الحر ايدش وغيرهم في ذلك اليوم يمدون ايديهم
 ان يلقونه في الطريق فيجردونه وياخذون ماله ويضربونه ويمساقطونه
 واهدموه اليته ولا يحكمكم عاينهم في ذلك اليوم حاكم لانه سبيل فيهم على
 ما روي عن ابي اسأل الله السلامة منه

* (فصل في خروجهن الى المحل) * وينبغي له ان يمنعهن من الخروج الى شهود
 المحل حين يدور ويمنعهن من الخروج في تلك الايام التي يمتنع فيها الدوران
 المحل اذ في ذلك من الفاسد وارتكاب المحرمات ومخالفة السنة اشياء عديدة
 منها تزويج الدكاكين في الاسواق وغيرها بالقماش من الحرير والحلي وغيرها
 وفي بعض ذلك من الصور المحرمة ما هو معلوم مشاهد لا يترع فيه ويحرمه
 لا خفاء فيه وذلك كله قبل دورانه الى ان يمتنع في تلك الايام من
 الفاسد واستمتاع الرجال بالحرير المحرم عليهم الا ما استثنى في الشرع تحسب
 اوجه ادويد على تحريم ذلك. اورد من حديث انس بن مالك رضي الله عنه
 حيث قال فقلت الى حمير لانا قد اسرد من طول ما ليس فسمي استعمال الحصر
 ليسا فدل على ان ليس ~~بشكل~~ شيء بحسبه فدل ذلك على ان ما يقع لونه من
 تزويجهم بمسند الحرير والاشهانات المعلقة وما أشبه ذلك حرام سيما ان كان فيها
 صور محرمة فبئس كذا الوعيد لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة فان الله

من زوجة أو غيرها صادر ما بذلك الحكم ويعلمه غيره لأن النبي صلى الله عليه وسلم علم أهل بيته وأصحابه ثم علموا الناس وانتشر ذلك عنهم فكان الجميع في صحيفتهم وهم وما في صحيفتهم في صحيفة سيد الأقران والآخرون مساوات الله عليه وسلامه وذلك ما مضى إلى أن يرفع القرآن وقد تقدم أن المرأة إذا كان لها زوج يجب عليها أن تعلمها أن كانت جاهلة بالحكم فإن لم يفعل طالبته بذلك فإن لم يفعل طالبته بالخروج إلى التعليم فإن لم يأذن لها في الخروج خرجت بغير إذنه على ما سبق بيانه (وهذا القسم) أعني طالب النساء حقهن في أمر الدين الذي لم يخلفن إلا لاجل الله عز وجل في كتابه العزيز وما خالفته البحر والأنس إلا ليعبدون قد أهمل اليوم وصاروا تركوا قد تفرقت أرواحهم حتى كأنه لم يعرف أهدم الكلام فيه من الزوج وأزوجة في الغالب لأن مطالبة الزوجة زوجها في غالب الحال في هذا الزمان انغماس في النقطة والكسوة وفيما كان من الأمور الدنيوية وأما ما كان من أمور الدين فلا يهم شأنه غالباً ولا يكثر ثوبه بل لا يخطر ببال كثير من لم يدعوا في الخطاب فظاهر حالهم كحال من اصطلموا على تركه فلم يطلب المرأة حقها في أمر دينها من زوجها ورفعته إلى المحاكم وطالبته بالتعليم لأمر دينها لأن ذلك لها لما بنفسه أو بواسطة أذن له في الخروج إلى ذلك لوجب على الحاكم جبره على ذلك كما يجبره على حقوقها الدنيوية إذا تعلق بحقوق الدين أكد وأولى وانغماس سكت الحاكم مما ذكر لأن الحاكم لا يحكم إلا بعد طالب صاحب الحق حقه وسواء كان الحاكم قاضياً أو محتسباً أو غيرهما ممن يتقدم أمره (فاذا) اجتمعت زوجة العالم بالنسوة لأن تعلمن الأحكام فليحذر أن يسرى إليها ممن اجتمعت بهن من النسوة شيء من العوائد الرديئة إذا كان الغالب من اجتماعهن لا يخلو من ذكر بعض العوائد المتخذة التي نشأت عليها وتمكنت من قلوبهن حتى كأنها من شعائر الدين فليحذر من هذا وما شاكا له لأنه قد يقع ما تقدم ذكره من التعليم للنساء فيؤول الأمر إلى ضرر بلحق أهله بمعرفة العوائد الرديئة أو بعضها ويتضرر هو لذلك فاذا آل الأمر إلى ذلك سقط عنهما الأمر بالتعليم والحالة هذه أعني تعليمها غيرها وأذن زوجها لها ويبقى العالم مأموراً بالتعليم فإن تخوف وقوعه فالتعليم لا يسقط عنهما لأن

المفسدة لم تصفق لئلا يكثر من اجتهاده ودين الله يسر (فن) العوائد التي
 اتخذها بعضهن واستحكم بها في قلوبهن والعمل بها الذكرا للنساء والكلام
 مع من سألنهن من الرجال لأن من يشار أو رأى وسكت كمن فعل ومن
 العوائد الرديئة ما رتبته في بعض أيام السنة وأيام الجمعة في كل يوم فسلوا
 فيه أفعالا مخصوصة لا تكون في غيره ومن خالف ممن ذلك يتطهرن به
 وينسبته إلى الجهول وعدم المعرفة فن ذلك شراؤه من اللين في أول ليلة من
 شهر المحرم وهي أول ليلة من السنة ويرى من أن ذلك تفاؤل بأن تكون
 سنتهم كلها عافية بيضاء وهذا منهم بدعة وباطل أما البدعة فأنها ذهبت ذلك
 عادة وهو مخالف لما مضى عليه السلف وأما الباطل فهو وزعمهم أن ذلك من
 التفاؤل والتفاؤل في الشرع هو الذي لا يقصده إلا انسان حتى يسمعه ابتداء
 وأما من يقصده فليس من التفاؤل في شيء وأشد من ذلك التفاؤل في فتح
 الحقة والنظر في أول سطر يخرج منها أو غيره وذلك باطل وقد نهي عنه
 بيان ذلك أنه قد يخرج له منها آية عذاب أو وعيد فيقع له التشویش من
 ذلك فرفع عنه ذلك حتى لا يقطع عنه مادة التشویش بل يخشى عليه أن يقع
 له ما هو أشد من ذلك ويؤول أمره إلى الخطار العظيم الاتري إلى ما جرى لبعض
 الملوك أنه فتح المصحف ليأخذ منه الفأل فوجد في أول سطر منه واستفتحوا
 وخاب كل جبار عنيد فوجد من ذلك أسرا عظاما حتى خرج بذلك عن حال
 المسلمين وجرت منه أمور لا يمكن ذكرها هنا ثم الحال المسكين (ومن الذي خبرني)
 قال الطرمطوشي رحمه الله تعالى أن أخذ الفأل بالمصحف وشرب الرمل
 حرام وهو من باب الاستقسام بالألزام مع أن الفأل حسن بالسنة وتحريمه
 أن الفأل الحسن هو ما يمرض من غير كسب مثلي قائل يقول يا مفلح ونحوه
 والتفاؤل المكسب حرام كما قاله الطرمطوشي في تعليقه انتهى أسأل الله
 السلامة منه (ومن ذلك) شراؤهم الفقايع في تلك الليلة وذلك اليوم في أول
 السنة فيفتحون فيه في البيت فيصعد ناحية السقف ويرمون أن الرزق
 يفرر لهم في تلك السنة ويوسع عليهم فيها والأصل في ذلك أنه قد ذكر من
 مجاورة القبط والأنس بعوائدهم الرديئة ويفعلون فيه أفعالا من جهة
 اليأس قد يؤول الأمر فيه إلى ازهاق النفوس إلى غير ذلك وهذا جهول

ومخالفة السنة كما تقدم فيما قبله (فصل ل) ومن ذلك ما يفعله
 في يوم السبت وهو أنهن لا يشترين فيه السمك ولا يأكله ولا يدخلنه
 بيوتهن وهذه خصلة من خصال اليهود لأن اليهود لا يصطادون السمك
 في يوم السبت ولا يدخلونه بيوتهم ولا يأكله وقد أباح الله تعالى ذلك
 لهذه الأمة في كل وقت وأوان فمنه هؤلاء من أنفسهم وكثير منهن
 لا يدخلن فيه المحرم ولو كانت المرأة المسلمة قد ارتفع عنها حيضها وترك
 الصلاة في ذلك اليوم وأتت ليلة ولا يشترين فيه الصابون ولا السدر ولا
 الاثنان ولا يغسلن فيه الثياب وهذه كلها من خصال اليهود كما تقدم ثم
 اتفقنا من خصلة اليهود إلى خصلة من خصال النصارى في ~~كونهن~~
 لا يمان في ليلة الاحد ولا في يومه شغلا وأما يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فممن
 انه مباح لمن فيه ما جميع ما يختزنه ويوم الاربعاء لا يشترين فيه اللبن
 ولا يدخلنه بيوتهن ولا يأكله ويوم الخميس للاشغال والحواشي التي لمن
 كما تقدم في يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الجمعة لا يمان فيه شيئا من غزل
 كان ولا محرم ولا تسريحه وغير ذلك وهو ممنهى عنه وكذلك ممنهن خروج
 النار أو شيء من ما هو البيت عشية كل يوم ويمنع في منعه ذلك حتى ان
 من كان ممنهن يتمشى في ضوء السراج ثم جاء احد يسرج منه فلا يتركه
 فان اضطر إلى ذلك أذن له بشرط ان يسرجه ثم يطعمه يفعل ذلك ثلاثا قبل
 أن يذهب به ويوقده في الرابعة وحينئذ يذهب به وقد قال ابن رشد رحمه
 الله تعالى ان النار لا اختلاف في أنه لا يجوز لأحد أن يمنع من الاقتباس
 منها اذا ضرر عليه في ذلك ولا يجوز لأحد أن يمنع أحدا ما ينتفع به اذا كان
 ذلك لا يضر به انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الضرر والضرار
 ومثل ذلك ان اضطر أحد إلى أخذ الخربال جملان فيه هجر أو ملها أو غيرها
 وهذا من باب الطيرة وهو ممنهى عنه (وقد سئل مالك رحمه الله عن الجماعة
 والاطلاء يوم السبت ويوم الاربعاء فقال لا بأس بذلك فقبل له أتفعله
 أنت قال نعم وأكثره وأتعمده وقد احتججت فيه ولا أكره شيئا من جماعة
 ولا اطلاق ولا نكاح ولا سفر ولا شيئا من الايام قال ابن رشد رحمه الله في
 شرح ذلك وكذلك ينبغي لكل مسلم أن يفعل لأن من تطير فقد أتم وقدر وى

ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ولا طيرة والطيرة على من تطير ومعنى قوله
والطيرة على من تطير اي عليه انهم ما تطير به لان ما تطير به يكون على نفسه
لانه قد نفي ذلك في قول الحديث بقوله ولا طيرة اهـ (وهذه) العوائد الوردية
كاهلها وما شا كاهلها الفاسد به الركب ما نسي عنه صهر بن الخطاب رضي الله عنه
من ان اهل الذمة لا يحاورون المسلمين وقد امر ان يكونوا بعزل في موضع
معلوم مخافين عن المسلمين لا يشاركونهم فيه وكذلك هم لا يشاركون
المسلمين في بقية الامور (فانظر) رحمة الله تعالى واياله الى ما قرره -م- ابايس
الامين من هذه العوائد الوردية كيف جرت الى ما هو وارد منها من اوجه
سبعة (منها) في التشبيه باهل الكتاب الوجه ان الملة ما الذكروها اما تقدم
من ذكر يوم السبت ويوم الاحد (والوجه الثالث) تشبيههم ايضا في ترك
الشفل يوم الجمعة لان النبي قد ورد عن ذلك (الوجه الرابع) انه اوقعهم
في مخالفة كتاب الله تعالى لان الله تعالى قد ذم من منع المساعون بقوله تعالى
ويمنعون المساعون قال العلماء رجة الله عليهم هو اعوان البيت (الوجه
الخامس) ما حرهم من الثواب الجزيل والحر الجسيم من غير كبير ثواب
ولامشقة وهو اورد ان القدر اذا اعارها الانسان او الغريال او غيره -ما
كان له اجر ما يفعل بذلك فساطيح فيا كانه تصدق به وان قرئ على ضو
السراج من الكتاب العزيز والمعلوم الشرعية شيء فله من الاجر كالفاعل
لذلك (الوجه السادس) انه اوقعهم في النهي لان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن الطيرة وهم يتطهرون بما تقدم ذكره (الوجه السابع) اوقعهم
فيه من التشبيه بالجاهلية في كونهم يعدون من قبل انفسهم اشياء لم يرد بها
الشرع ولا هي مستحسنة عقلا لان فيها ترك المبادرة للمعروف والنفع
المتعدي فانهم اذا اوقدوا المصباح من عندهم واخذوا الغريال فلو اوفيه
ما تقدم ذكره فابعدوا ما لم ياذن لهم الشرع فيه

(فصل - ل) ومن ذلك ما يفة لونه اذا نزلت الشمس في برج الحمل
فيخرجون في صبيحة يومهم ذلك رجالا ونساء وشبابا محتاطين اقارب واجانب
فيجمعون شيئا من تبيان الارض يسمى بالكر كيش فيقطعون ذلك من
موضع بالذهب والفضة والخواتم النفيسة والاساور وغير ذلك من الحلى

الكر كيش نوع
من البابونج

ويحكمون عند قطعه بكلام الجحى يحتمل ان يكون كقرا قال مالك رحمه
الله وما يدريك ان الله كفر ويحكمون ما يقطعون من تلك الخشيشة في شرائط
مصنوعات برءفرا ان ثم يجدون الخريطة في الصندوق ويرجعون ان ذلك
مادام في ذلك البيت يكون مديالا كثار الرزق عليهم واسد تغذاتهم في تلك
السنة وان الفقريولى عنهم وشاع ذلك بينهم حتى ان بعض الناس من
ينسب الى العلم يذكر ذلك بين يديه فبعضهم يستحسنه وبعضهم يسكت ولا
يقول شيئا (وهذا) فيه من المحذور وجوه (الاول) ان فيه التشبيه باهل
الكتاب لان هذا الفعل واشباهه خرج من جهة القبط (الثاني) ما فيه من
الكشفة وقلة الحياء في اجتماع النساء والرجال والشبان وربما اختلطوا
وتزاحوا على ذلك (الثالث) ما تقدم ذكره من زعمهم ان ذلك سبب لغناهم
(الرابع) انه عرض مائة من الآلة التي يقطع بها الى اضاءة المال وذلك
انه يقطع بمائة من ذلك فقد يسقط من يده ويقع في شق من تلك الشقوق
فيدخل يده لياخذه فقد يكون ذلك سببا لموته او لاقوع في امراض خطيرة
لانه قد يكون في ذلك الشق ثعبان او غيره من الحيوان المؤذى فاما ان يموت
باسهها واما ان يمرض وقد يشرف على الموت بسبب ما ارتكب من ذلك وربما
استعار بعضهم الذهب او غيره ليقطع به تلك الخشيشة فضاع منه او سقط في
تلك الشقوق فيقع في التشویش مع غرم ذلك وقد وقع هذا لكثير منهم
فهذا قد يحل له الفقير بما يسقط منه اوضاع ضد مراده وهكذا هي سنة
الله تعالى ابداء جارية فمن طالب الشئ من غير باب الله الذي شرعه الاولى
سبحانه وتعالى اعباده والله الموفق

(فصل ل) ومن ذلك ما يزعم بعضهم انه اذا دخل الحمام اربعين
اربعة متواليات فانه يفتح عليه بالدنيا وذلك قبيح عظيم ومخالفة ولا شك ان
هذا وما اشبهه من تسويل الاعمين حتى يوقعهم في ارتكاب ما لا ينبغي وذلك
ان دخول الحمام فيه اشياء مستهجنة في الشرع على ما سيأتي بيانه ان شاء الله
تعالى هذا وجه (الوجه الثاني) ان فيه احداثا واحداث ممنوع (الثالث)
ما فيه من مخالفة الشرع لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان ذكر اشراط
الساعة عد فيها طاب الرزق بالمعاصي ولا شك ان دخول الحمام اغير ضرورة

شرعية معصية على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى قال الله في كتابه العزيز
فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له فلا يزال ذلك الايام مثال امره
واجتناب نهيه سبحانه وتعالى وهو لا يريدون حصول ذلك بالمخالفة نقيض
المراد منهم سواء به واه

(فصل — ل) ومن العوائد لردية ما يصح له في المواسم وهم
فيها على ثلاثة مراتب (المرتبة الاولى) المواسم الشرعية وهي ثلاثة (المرتبة
الثانية) المواسم التي ينسبونها الى الشرع وابتدأت من (المرتبة الثالثة)
المواسم التي تشبه واقعها بالنصاري (فاما) المواسم الشرعية وهي ثلاثة
(فأولها) عيد الاضحى الذي هو اعظم مواسم المسلمين ترك بعضهم فيه سنة
الاضحية التي سنّها صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ورغب فيها
بقوله عليه السلام اول ما يبدأ به في يومنا هذا ان نضلي ثم نرجع فتخرجون
فعل ذلك فقد اصاب سببنا ومن ذبح قبل الصلاة فانه هو لحم قدمه لاهله
ليس من النسك في شيء وقوله عليه الصلاة والسلام باعمل آدمي من عمل في
هذا اليوم افضل من اراقة دم او كما قال عليه السلام (وقد) اختلف العلماء
رحمة الله عليهم هل هي فرض ارسنة وفي مذهب مالك رحمه الله تعالى انها
واجبة بمعنى وجوب السنن المؤكدة (ثم) ان بعضهم يتركون الاضحية
ويشتررون اللحم ويطبخون الوان الاطعمة التي تكون الاضحية المشروعة
ببعض ثمن ما انفقوه او مثله اربعة اربعة حتى حرمهم ابا اليسر اللعين هذه البركة
العظمى والخير الشامل بتسويله وتزيينه لهم (ثم) ان من يضحي منهم يذبح
ليلة العيد وذلك لا يخلوا ما ان ينوي بها الاضحية اولافان نواذلا يخلوا
يكون عنهما اولافان كان قد عين الثمن في ذبحها قبل وقتها ويكون حرجة في
حقه ان قدم على ذلك مع العلم وان كان ذلك جهلا لاجري على الخ في
الجاهل هل هو كالمتمدد او كالناسي والمشهد وانه كالمتمدد ويجب عليه بدلهما في
وقتها اذا وجدها وللمسئلة فروع اخر من كورة في كتب الفقهاء وان لم يبينها
ونوى بها الاضحية حين ذبحها لم تجزه ويجب عليه بدلهما في وقتها اذا وجدها
وهذا كله تفريع على ما تقدم من انها واجبة وجوب السنن المؤكدة فان
لم ينو بها الاضحية فقد اساء في فعله بآفة كآبة البدعة والاضحية واجبة عليه

مطلب
الموسم الاول من
المواسم الشرعية

إذا دخل وقتها لأن السنة في حق من هو قادر على الاضحية أن يضحي بها في وقتها ويفطر على زيادة الكبد منها فان لم يجد سبيلا إلى الاضحية في أيام التشريق فقد فاتته خير كثير وهو السد في حرمان نفسه من هذا الثواب الجزيل نسأل الله تعالى العافية بمنه (ثم) ان من يضحي منهم بعضهم بعمل الطعام بليل حتى اذا جاءه من صلاة العيد وجدوا ذلك متيسرا فأكلوهاهم ومن يختارون ثم به ذلك يشغلون بذبح الاضحية وهذه العلة قدم بعضهم الذبح بالليل لاجل عمل الطعام فوقع فيما تقدم ذكره وهذا كله ارتكاب بدعة ومخالفة لهذه السنة الجلية (وقد) قال بعض العلماء رحمة الله عليهم فحين لم يكن له شيء يضحي به انه ان كان له ثوبان أحدهما يكفيه باع الثاني واشترى به الاضحية وكذلك في ثوب الجمعة فانه يبيعه كما تقدم وان لم يكن له فضلة تدان ليحصل هذه القرية العظيمة (وانظر) رحمة الله تعالى وإياك إلى ما يدعى بالبليس اللعين وما أدخل من سم السموم على بعض المسلمين بتسويله لهم ترك هذه السنة العظمى وحرمتهم جزيل ثوابها وأوقع في نفوسهم من العمل القبيحة الشنيعة فزين لكل أهل إقليم ما يقبلونه منه فاذا قالت لبعض من لم يضح من أهل مصر لم لا تضحي فيقول لي معارف كثيرة وخروف واحد لا يعهم فمن بقي منهم يلومني ولا يلزمي أكثر عن خروف واحد واذا قالت للفقيه من أهل المغرب لم تكاف الاضحية وهي لا تجب عليك فيقول قبيح من الجيران والاهل والمعارف أن يقولوا فلان لم يضح فصارت هذه القرية بالنظر إلى فعلها وتركها مشوبة بالنظر إلى الخلق وتحسينهم وتقبيحهم فان الله ونا إليه راجعون (ثم انظر) رحمة الله وإياك إلى هذا الموسم العظيم كيف تركوا بركته وانحازوا عنها عززل (الأتري) ان السنة في هذا اليوم ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من انه لما انصرف من صلاة العيد ذبح اضحيته بيده الكريمة وأمر بزيادة الكبد فصنع له ثم افطر عليه تشبها منه عليه الصلاة والسلام وتفاؤلا بأهل الجنة لانهم أول ما يفطرون فيها على زيادة حصيد الحوت الذي عليه قرار الارضين وان كان هو عليه الصلاة والسلام لا يحتاج إلى التفاؤل بذلك اذ انه عروس أهل الجنة صلى الله عليه وسلم ولا يمكن يشرع لأمته صلى الله عليه وسلم لينبئهم هل هذا

المعنى المجلى الجليل (ثم) ان من يصحى منهم على ما ينبغي بعضهم يبيع جلود
 الاضحية وذلك محرم وقد قال عليه الصلاة والسلام من الله اليهود حرمت
 عليهم الشحوم فعملوهما فباعوهما واكوا اثما سافيرا دخل المسكين في
 هذا الوعيد العظيم نسأل الله تعالى العافية بئنه وكذلك ان دفعه ان يعلم
 او يغاب على غلته انه يبيعه وقريب من هذا المعنى ما فعله بعضهم في تفرقة
 لحم الاضحية اذ انهم يمدون اللحم للجار وغيره ثم ان بعضهم تقشوف نفسه
 للعرض عنه ثم ان الجار وغيره يكافئ على ذلك في الغالب بئله او اقل او اكثر
 والمعنى والاخذ كل واحد منهما ما يتعارف فيما يعطيه صاحبه من العوض
 فيرضى به او يخطئه فقد خرج هذا عن باب المهاداة بقصد من قصد العوض
 عنه والاضحية لا يتعوض عنها بخلاف غيرهما من الهدايا فانه يجوز فيها
 العوض بشرطها وقد تقدم في هدية الجيران الطعام يتعوضون عنه ان ذلك
 لا يجوز فالماض من هذا ان فاعل السنة في هذا كرايل من قابل (واعلم)
 وفقنا الله واياك ان هذا المنع المذكور في اهداء اللحم مبني على ما ذكر من
 المقاصد الذميمة وما شاكاهوا وانما من كان يعطى لله تعالى ويأخذ الله تعالى
 ولا ياتفت الى التعويض ولا ينظر اليه فهذا لا يدخل في النهي المتقدّم
 ذكره بل هو من اعلى المراتب واسناها وكذلك الحال فيما تقدم ذكره في
 الكتاب في هدايا الجيران والاقارب الطعام بعضهم الى بعض (ثم انظر)
 رحمنا الله تعالى واياك الى مكيدة ابليس الملعين كيف يتبع السن واحدة
 واحدة ويأتي ان يقبل منه وسوسته هيج الترك تلك السنة واستعمال غيرها
 بما يظهر لهم انه عبادة وهو في الباطن محرم بين اوبدة بيته يرى ذلك ويعلم
 من له نور (الآثر) ان السنة قد وردت في العيد باسراع الاوبة بهذا الصلاة
 الى الاهل وما ذاك الا لقطع تشوف الاهل لورود صاحب البيت وذكاة
 الاضحية ان كانت واجتماعهم وفرحهم بذلك في ذلك اليوم لقوله عليه
 الصلاة والسلام اغماهي ايام اكل وشرب وبعمال وفي رواية اخرى وذكر
 الله موضع وبعمال اه يعني بذلك ايام التشريق فلما علم ابليس ما لهم فيه
 من النعم الصريح على ما فيه من البركة الشاملة والراحة المجدلة المئاب
 عليهم او علم انهم لا يقبلون منه ما يلقيه لهم من ترك السنة مجردا ومن عادته

بعمال كوصال
 ملاعبة الرجل
 زوجته اه

الذميمة انه لا يأمر بترك سنة حتى يعوض لهم عنها شيئا يخيل اليهم انه قريبة
 من مرض لهم عن سرعة الادوية زيارة القبور قبل أن يرجعوا الى أهليهم يوم
 العيد وذين لهم ذلك وأراههم ان زيارة الاقارب من الموقى في ذلك اليوم
 من باب البر وزيادة الود لهم وانه من قوة التفجع عليهم اذ فقدهم في مثل
 هذا العيد وفي زيارة القبور في غير هذا اليوم من البدع والمحرمات ما تقدم
 ذكره في زيارة القبور فكيف به في هذا اليوم الذي فيه النساء يلبسن
 ويتهلن ابتداءه ويتجهلن فيه بغاية الزينة مع عدم الخروج فكيف
 بهن في الخروج في هذا اليوم فتراهن يوم العيد على القبور مرة كشفات
 قد دخلن جلابيب الحياء عنهن (فبدل) لهم موضع السنة محرم ما ومكررها
 فالكروم في كونه انهم عن سرعة الادوية الى الادل لانها السنة كما تقدم
 والمهرم ما يشاهد الزائرون احوالهم في المقابر على الصفة المذمومة
 المقدمة (ثم انظر) رحمة الله واياك الى هذه المفساد المذكورة كلها
 لم يمتنع الشيطان منهم بما يل زاد على ذلك محرمات شنيعة وهو ما اعتاده بعضهم
 من بنات العيد وفيهن الابدكار والمراهقات وغيرهن اللاتي يخرجن على
 الصفة المملومة المخالفة للشرع الشريف ظاهرات بذلك على رؤوس الاشهاد
 وما يفعله من الغناء والدقوف وغير ذلك في الطرقات والاسواق ودخولهن
 البيوت على بعض العلماء وغيرهم وقد يفتتن بهن كثير من الناس
 ويسلطن العالم وغيره ويعطونهن ولا ينكرون عليهن ذلك فاما الله وانا
 اليه راجعون

(فصل لـ) والسنة في عيد الفطر التوسعة فيه على الادل باى
 شئ كان من الماء كقول اذ لم يرد الشرع فيه بشئ معلوم فمن وسع على أهله فيه
 فقد امتثل السنة ويجوز أن يتخذ فيه طما مائة مائة ولو ما اذهو من المباح لكن
 بشرط عدم التكاف فيه وبشرط أن لا يجعل ذلك سنة يستن بها من خالف
 ذلك فكأنه ارتكب كبيرة واذا وصل الأمر الى هذا الحد ففعل ذلك بدعة
 اذ انه بسبب ذلك ينسب الى السنة اليس منها وكذلك يشترط فيه أن يكون
 على لسان العلم (وقا) ما يفعله اليوم من شراء الخشك كان فذلك لا يجوز
 على مذهب الامام بن مالك والشافعي رحمه الله تعالى ويجوز ذلك في

مطلب
 في الموسم الثاني
 من المواضع الشرعية

الكسك الحشوب والمجوة لان ما في باطنه تتبع اظاهره بخلاف الخشب كان
والسند ودخان ظاهره تتبع اباطنه فعلى مذهب الشافعي رحمه الله لا يجوز
شراؤه الا ان يكسر كل واحدة ويرى جميع ما في باطنها وعلى مذهب مالك
رحمه الله يجوز بيده بغير كسر بشرط ان يكسر واحدة ويصان جميع ما
في باطنها ثم يشتري الباقي على مثل ذلك وفيه من البدع كونهم يتخونه بما
الورد والبدعة الثانية انهم يفعلون ذلك وهم صيام وحال فم الصائم كما قد
علم (وكذلك) فعلهم في فتح الكعك بالشيرج بأفواههم وهم صيام أيضا وحال
فم الصائم كما قد علم فيعرض الصائم نفسه لافطرو ويصير ذلك مستقذرا وكثير
من اليهود يعمدون ويبيعونه للمسلمين ولا يؤمنون من ان يتخونه كما يفعل
المسلمون (وهذا) لا ينبغي لوجه (الاول) ان سؤرا اليهودي والنصراني
مكر وما لم يعلم ان في أفواههم نجاسة في وقت الفعل لذلك او كانت قبله ولم
يطهره بعدها فأصابه بريقه متنجس (الثاني) انه مستقذرا اذا كان من
مسلم فكيف به من أهل الذمة (الثالث) انه مخالف للاقتداء بالسنة
والسلف والخلاف لما فيه من عدم الاحتراز من المستقذرات ولو كان هذا
الما كول على سبيل السلامة مما ذكرنا كان بعيدا من جهة الشرع والطب
أما الشرع فلا شبهة لم يرد فيه شيء معين وأما الطب فان الصوم يخفف الرطوبات
غالبها ويذهبها فاذا خرجوا من الصوم افطروا على الكعك الذي يزيدهم جفا
وامسا كافية ضررا بالبدن بذلك فقد جعلنا جونا الى الادوية والاشربة والامباء
وكافوا في غنى عن ذلك (ثم الجواب) من استعمالهم السمك المشقوق في هذا اليوم
الفاضل الذي يعتق الله عز وجل فيه من الرقاب بقدر ما اعتق في شهر رمضان
كاه فكان ينبغي ان يبادر المرء في هذا اليوم الى كسب الحسنات واقتضاء
ذلك كاه اتقاء المحارم وقد قال عليه الصلاة والسلام ما امرتكم به فافعلوا
منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فلا تقربوا فافعلوا فافعلوا فافعلوا
الشر يف على شيء ممكن وقد نهى الشرع عنه فان الله وانا اليه راجعون
والذي ينبغي ان يعد الانسان في هذا اليوم لافطاره شيئا حلالا من جهة
يرضاها الشرع لعله يلحق بالتوم (ثم انظر) رحمنا الله واياك الى هذه العوائد
الذميمة في كونهم يتبعون الاشياء التي لهم فيها حظ نفس ومساهاة وشهوة

خبيسة فانية يحرصون على ذلك جميعا من رجل وامرأة وولد وعبد قبل
دخول وقته ويستعدون لذلك على زعمهم وما هو الواجب عليهم شرعا والذي
لهم فيه الثواب الجسيم والخير العظيم يتساحكون عنه ويهملون لغيره ولم
يطالب به أحد منهم أحد هذا الغالب منهم (فالواجب عليهم) هو ما شرعه
عليه الصلاة والسلام من وجوب الفطرة في يوم عيد الفطر عن كل نفس صاع
من بروه والذي يتعين اليوم اخراجه على أهل مصر اذ انه قوت جميعهم ففعل
أكثرهم في هذا اليوم مثل ما فعل بعضهم في يوم الاضحية في كونهم يتركونها
لعدم اهتمامهم بها وينفقون اضعاف ثمنها أو مثله فموضوا مكان السنن
المطهرة عوائدهم الرديئة فان الله وانا اليه راجعون (وفي ليالي العيدين من
البدع) سهر بعض الناس فيما أوفى بعضهم بالعبادة بل للشغل بزخارف
الدنيا وما شاكلها واضاعة المال بصقل القماش الذي يفضى الى تقطيعه
وترك احياء اللبائين الشريفتين بعبادة المولى سبحانه وتعالى المندوب
الى احيائهما كما هو معلوم مشهور (وقد تقدم) في عيد الاضحية ما فيه
من بنات العيب وذو زيارة القبور وتأخير الرجوع الى البيوت وتفرقة اللحم
بتلك المقاصد الذميمة فكل ذلك وجوده هنا فتفرقة الكعك ها هنا مقابلة
لتفرقة اللحم في الاضحية (الموسم الثالث) من المواسم الشرعية وهو يوم
عاشوراء فالتوسعة فيه على الأهل والأقارب واليتامى والمساكين وزيادة
النفقة والصدقة مندوب اليها بحيث لا يجهل ذلك لكن بشرط وهو ان تقدم
ذكرة من عدم التكلف ومن انه لا يصير ذلك سنة يستلزم بها الابدن فعلاها
فان وصل الى هذا الحد فيكره ان يفعله سيما اذا كان هذا الفاعل له من أهل
العلم ومن يقتدى به لان تبين السنن واشاعتها وشهرتها افضل من النفقة
وذلك اليوم ولم يكن ان مضى فيه طعام معلوم لا بد من فعله وقد كان بعض
العلماء رحمة الله عليهم يتركون النفقة فيه قصد اليقظة والى ان النفقة فيه
ليست بواجبة وامامنا بقوله اليوم من ان عاشوراء يختص بذبح الدجاج
وغيرها ومن لم يفعل ذلك عندهم فكأنه ما قام بحق ذلك اليوم وكذلك
طبخهم فيه المحبوب وغير ذلك ولم يكن السلف رضوان الله عليهم يعرضون
في هذه المواسم ولا يعرفون تعظيمها الا بكثرة العبادة والصدقة والخير

مطلب
الموسم الثالث من
المواسم الشرعية

واغتنام فضيلاتها لا بالما كقول بل كانوا يبادرون الى زيادة الصدقة وفعل
المعروف والغالب ان الصدقة اليوم عند بعضهم معدومة او قليلة وان كان
بعضهم يتصدق فبالغالب عليهم انها الصدقة الواجبة (ثم) انهم يذهبون
الى ذلك بدعة او محرما وذلك انه يجب على بعضهم الزكاة مثلا في شهر صفر
او ربيع او غيرهما من شهور السنة فيؤخرون اعطائها واجب عليهم الى يوم
عاشوراء وفيه من التغير بمجال الصدقة ما فيه فقد يموت في اثنا السنة
او يفاس فيبقي ذلك في ذمته واقبح ما فيه ان صاحب الشرع صلوات الله
عليه وسلامه شهد فيه بأنه ظالم بقوله عليه الصلاة والسلام مطل الغنى ظلم
(وفيه) بدعة اخرى وهوان الشارع صلوات الله عليه وسلامه حذرا لزيادة
حول كماله وهو اثنا عشر شهرا وفي فعالهم المذكور زيادة على المحول بحسب
ما جاءهم يوم عاشوراء فقد يكون كثيرا وقد يكون قليلا وعند بعض من
ذكره نقص ذلك وهو ان يخرج الزكاة قبل وقتها لاجل يوم عاشوراء فيكون
ذلك قرضاً منه للساكنين ومن ذهب مالك رحمه الله ان ذلك لا يجزئيه كمالوا حرم
بصلاة الفرض قبل وقتها وان قل فانه لا يجزئيه عند الجميع فكذلك فيما نحن
بصدقه وعند الشافعي رحمه الله يجزئ بشرط ان يكون دافع الزكاة
واخذها باقيين على وصفيهما من الحياة والجمدة والفقر حتى يتم حول ذلك
المال المزكى عنه وفي هذا من التغير بمجال الصدقة كالا قول (وما) احد ثوه
فيه من البدع زيارة القبور ونفس زيارة القبور في هذا اليوم المعلوم بدعة
مطلقا للرجال والنساء ثم ينضم الى ما تقدم ذكره من خروج النساء على ما تقدم
وصفه ما احد ثوه من اختصاص النساء بدخولهن المجمع العتيق بمصروهن
على ما يعلم من عاداتهن الخبيثة في الخروج من القحلي والزينة الخبيثة
والتمبرج للرجال وكشف بعض ابدانهم ويقمن فيه من اول النهار الى الزوال
لا يشاركن فيه الرجال ويتبعن فيه بالاصاحف وبالنبر والمجدران وتحت
اللاوح الاضرو من هذا الباب **كان السبب في عبادة الاصنام** اعادنا
الله تعالى من بلائه بمنه

(فصل) ومن البدع التي أحدثتها النساء في استعمال الخنساء
على كل حال فن لم يفعها امنهن فكأنها ما قامت بحق عاشوراء (ومن البدع)

أيضا محرهن فيه الصكتان وتسريحه وغزله وتبديضه في ذلك اليوم بعينه
و يشانه ليخيطن به الكفن ويرفعن أن من كراون كبر الاياتيان من كفنهما
مخيط بذلك الغزل وهذا فيه من الافتراء والتحكم في دين الله ما هو ظاهر بين
لكل من سمعه فكيف بمن رآه (وما) احدثوا فيه من البدع البخور فم
يشتره من في ذلك اليوم ويتخبر به فكأنه ارتكب أمرا عظيما وكونه سنة
عندهم لا بد من فعلها واتخاها له طول السنة يتبركن به ويتخبرن الى أن
يأتي مثله يوم عاشوراء الثاني ويرفعن أنه اذا تخبر به المسجون خرج من سجنه
وأنه يرى من العين والنظرة والمسائب والموعود وهذا أمر خطر لانه مما
يحتاج فيه الى توقف من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فلم
يبق الا أنه أمر باطل فعلمته من تلقاء أنفسهم

(فصل) هـ هذه المواسم الثلاثة هي المواسم الشرعية فانظر رحمنا
الله وإياك كم من بدعة أحدثوا في ذلك فانا لله وانا اليه راجعون (المرتبة
الثانية) المواسم التي نسبوها الى الشرع وليست منه (فمنها) أول ليلة من
شهر رجب فيتكفون فيه النفقات والمحلاوات المحتوية على الصور المحرمة
شرعا وله عليه الصلاة والسلام من صور صورة فان الله يعذبه حتى
ينفخ فيها الروح وليس بنافع فيها أبدا فهذا دليل على تحريم الصور التي لها
روح ودليل على عذاب من صورها فمن اشتراها منهم فهو مدين لهم على
تصويرها ومن أعانهم كان شريكا لهم فيما توعدوا به وكذلك من اشترى
منهم المحلولة التي ليست بصورة لأن فيه اعانة على ارتكابه من بيع الصور
المحرمة ومثل ذلك من وقف ينظر اليها أو تعجبه مع العلم بالتحريم فكذلك
اعانة على فعل ما لا يجوز وكثير من يمر بهم ممن يعلم المسئلة وهو قادر على
التغيير ويسمع كلامه ويرجع اليه فلا يتركه كام على ذلك ولا ينهي عنه بل يقف
بعضهم وينظر الى ذلك كأنه أعجبه ما رأى ومن مر بها من الدول وله
طريق غيرها وهو عالم بالتحريم محتسار في قبول شهادته نظر فعلى هذا
لا ينعقد النكاح بشهادة هؤلاء حتى تقع منهم التوبة بشرطها ومن أخذ
منهم أجرة على الشهادة وهو متلبس بما ذكر قبل توبته أخذ حراما ولا عذر له
في بكاه ولده أو سخط زوجته أو غيرها الا لا عذرا شرعية معروفة ليس

مطلب
المواسم الأول
من المواسم التي
ينسبونها الى
الشرع وليست
منه اهـ

هذا منها (وبالجملة) فالحلاوة التي احتوت على الصور المحرمة شرعا المتقدمة ذكرها لا يجوز بيعها ولا شراؤها لانه ممنوع من فعلها المسافة قدم من الدليل على المنع وما منع فعله لا يجوز بيعه ولا شراؤه فلو كسرها وبيعها مكسورة بجازييةها وشراؤها لكان يكره لاهل الفضل المتقدمين بهم ان يشتروها لانها كانت صفة فعلها المحرم وليكون ذلك بالغ في زجر فاعلموا على الصفة المنهية عنها وهو آثم فيما فعله من التصوير الا ان يتوب التوبة بشروطها كما تقدم فانظر رحمنا الله واياك الى هذه المفسد وكثرتها وتشبهها وهم مع ذلك يزعمون انها من المواسم الشرعية وان ذلك تعظيم لهذا الموسم على زعمهم ثم زادوا فيه من التكاف انهم يحتاجون فيه الى مهادة الاقارب والاصهار سيما ان كانت المساهرة جديدة او لم يدخل بالزوجة بعد فلا بد من خوفة على صينية مع أطباق المحلوات وغيرها كما قد علم من حالهم والغالب من النسوة انهن يكافن أزواجهن بهذه التكاييف التي أحدثوها ورموا بول أمرهم ان قصر في التوسعة الى الفراق او ما يقرب منه من المنع من الاستمتاع وما شاكله وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتي برءاء من التكاف فن تكاف أو كاف يخشى عليه من الدخول في عموم الحديث أسأل الله العافية بمنه والتكاف مذموم في المواسم الشرعية والعبادات العملية الدينية فكيف به في غيره موسم شرعي ولا عرفى بل محدث كما تقدم وما كان الساف رضوان الله عليهم يعمهون هذا الشهر أعني شهر رجب ويحترمون فيه الا بزيادة العبادة فيه والتشهير لا داعية لوقته الشرعية واقامة حرمة لكونه أول الأشهر المحرم وأول شهور البركة وافتتاح تركية الاعمال لا بالاكل والرفص ولا بالمفاخرة بالطعام والهدايا (ومن) البدع التي أحدثوها في هذا الشهر الكريم ان أول ليلة جمعة منه يصلون في تلك الليلة في الجوامع والمساجد صلاة الرغائب ويحتمون في بعض جوامع الامصار ومساجدها ويصلون هذه البدع ويظهرونها في مساجد الجماعات بامام وجماعة كأنها صلاة مشروعة (وانضم) الى هذه البدعة مفسد محرمة وهي اجتماع النساء والرجال في الليل على ما علم من اجتماعهم وانه لا بد ان يكون مع ذلك ما لا ينبغي مع زيادة وقود القناديل وغيرها وفي زيادة وقودها اضاعة المال لاسيما اذا كان الزيت من الوقف فيكون ذلك

جرحه في حق الناظر لاسيما ان كان الواقف لم يذكروه وان ذكره لم يعتبر شرعا
وزيادة الوقت ومع ما فيه من اضاءة المسال ~~ص~~ كما تقدم سبب لاجتماع من
لا خير فيه ومن حضر من ارباب المناصب الدينية عالما بذلك فهو جرحه في
حده الا ان يتوب واما ان حضر لغيره وقادر بشرطه فياخذ (وقد) ذكر
الامام ابوبكر الفهرى المعروف بالطرطوشى رحمه الله تعالى تقبيح اجتماعهم
وفعلهم صلاة الرغائب في جماعة واعظام النكير على فاعل ذلك وقال في كتابه
انها بدعة قريبة العهد حدثت في زمانه وأول ما حدثت في المسجد الاقصى
أحدثها فلان سماه فالتمس به هناك هذا قوله فيها وهي على دون ما يفعلونه
اليوم مما تقدم ذكره (فان) قال قائل قد ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم في الذنب الى هذه الصلاة ذكره ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب
الاحياء له (فالجواب) ان الكلام انما وقع على فعلها في المساجد واظهارها
في الجماعات وما اشتملت عليه مما لا ينبغي كما تقدم واما الرجل يفعلها في خاصة
نفسه فيصليها سرا كسائر النوافل فله ذلك ويكره له ان يتخذها سنة دائمة
لا بد من فعلها الان هذه الاحاديث الواردة في فضائل الاعمال بالسنة
الضعيف قد قال العلماء فيها انه يجوز العمل بها ولو لم يكن الاتفعل على الدوام
فانه اذا عمل بها ولو مرة واحدة في عمره فان يكن الحديث صحيحا فقد دامت
الامر به وان يكن الحديث في سنده مطعون يقدح فيه فلا يضره ما فعل لانه
انما فعل خيرا ولم يجعله شعيرة ظاهرة من شعائر الدين كقيام رمضان وغيره
(هذا الكلام) على صفة الجمع في العمل بالحديث الصحيح والحديث الذي
اشكل علينا صحة (وأما) مذهب مالك رحمه الله تعالى فان صلاة الرغائب
مكرهه فعلها وذلك جار على قاعدة مذهبه لان تكرير قراءة السورة الواحدة
في ركعة واحدة يمتنعها لانه لم يمكن من فعل من مضى والخبر كله في
الاتباع لهم رضي الله عنهم (ومن البدع) التي أحدثوها فيه أعنى في شهر
رجب ليلة السابع والعشرين منه التي هي ليلة المعراج التي شرف الله تعالى
هذه الأمة بها شرع لهم فيها بفضله العظيم واحسانه الجسيم وكانت عند
السلف يعظمونها كراما النبيهم صلى الله عليه وسلم على عاداتهم الكريمة
من زيادة العبادة فيها وإطالة القيام في الصلاة والتضرع والبكاء وغير ذلك

مما قد علم من عوائدهم الجيلة في تعظيم ما عظمه الله تعالى لامثالهم سنة يديم
 صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعرضوا للنفحات الله وهذه الليلة المباركة
 من جملة النفحات وكيف لا وقد جعلت فيها الصلوات الخمس بخصم من إلى
 سبع مائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء وهذا هو الفضل العظيم من غنى كريم
 فكانوا إذا جاءت يقابلونها بما تقدم ذكره شكر الله ما أولاهم على ما منحهم
 وأولاهم نسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ما من به عليهم - مانه ولي ذلك آمين
 (بخام) بعض أهل هذا الزمان فقابلوا هذه الليلة الشريفة بتقيض ما كان
 السلف يقابلونها به (وذلك) أنهم أحدثوا فيها من البدع أشياء (فمنها)
 اتيانهم المسجد الأعظم واجتماعهم فيه (ومنها) زيادة وقود القناديل فيه
 وقد تقدم ما في ذلك من الفساد لما وقع الكلام على أول ليلة جمعة من شهر
 رجب (ومنها) ما يفرشونه من البسط والسجادات وغيرهما (ومنها) أطباق
 الفحاش في الكيزان والباريق وغيرهما كأن بيت الله تعالى بيوتهم
 والجوامع اغما جعل للعبادة لا للفراش والرقاد والاكل والشرب (فان)
 احتج أحد منهم بما ورد في الحديث المسجد بيت كل تقى وبفعل عبد الله بن
 عمر رضي الله عنه في ملازمة المسجد ومببته فيه حتى أنه كان يسعى سحابة
 المسجد (فالجواب) ان التزامهم المسجد رضي الله عنهم ومببتهم فيه معنى بين
 وذلك لان أهل الصفة ليس لهم براح منه لا ليلا ولا نهارا فكيفية التزامهم
 معلومة معروفة بما نقل عنهم اذ انهم كانوا لا يزالون في أحوال سنية اما صلاة
 أو ذكر أو تلاوة أو فذكر كل ذلك في ما بيتههم وبين ربهم وان غلب النوم
 على أحد منهم أعمل الراحة لنفسه بأن يجلس تحت بياقلا لا ثم ينهض لما كان
 يسبيله (الأتري) الى ما حكى عن بعض المتأخرين وهم ليسوا كما هم انه
 جاء اليه زائر يزوره فوجد يصلي فانتظره حتى يفرغ من صلاته فلم يزل
 ذلك حاله الى صلاة الظهر فقال في نفسه اذا فرغ من صلاة الظهر أحدثه
 فلما ان فرغ من صلاة الظهر قام يتنقل فخاف الزائر ان يقطع عليه تنغله فقام
 ينتظر فراغه حتى دخل وقت العصر فقال الزائر اذا فرغ من صلاة العصر
 اكلم فلما فرغ من صلاة العصر أقبل على الذكر والتلاوة فخاف ان يقطع عليه
 ورده فقام ينتظر فراغه حتى دخل وقت المغرب فقال اذا فرغ من صلاة

ما قدمهم متفحصة (الخامس) ان كان له نمل فلا يجعله تحت ابطه او خلف
 ظهره دون شيء يكنه لانه يتحرك بحركته فان كان فيه اذى وقع في المسجد
 ولذلك لا يصلي وهو حامل له الماذكر وقد تقدم في اول الكتاب اين يضع نمل
 حين صلاته ولو تحفظ الناس اليوم كما كان السلف يتحفظون لما احتاجوا الى
 بدعة السجادة والمحصر واما غيرهما من البسط وغيرها فقد تقدم ذكره وما
 ذكر من هذه الشروط في السقاء فليس بخاص بهذه الليلة دون غيرها من
 الايام والليالي بل المنع عام في ذلك كله بحيث فقد شرط من الشروط
 المذكورة وقع المنع والله الموفق للصواب (ومنها) اجتماعهم حلقات كل
 حلقة لها كبير يقتدون به في الذكر والقراءة وليت ذلك لو كان ذكرا او
 قراءة اكلهم يابعون في دين الله تعالى قالذا كرمتم في الغالب لا يقول
 لا اله الا الله بل يقول لا يلاه يلاه فيجعلون عوض المسمرة يا وهى ألف قطع
 جعلوها وصلا واذا قالوا سبحان الله يحططونها ويرجعونها حتى لا تكاد تفهم
 والقارئ يقرأ القرآن فيزيد فيه ما ليس منه وينقص منه ما هو فيه بحسب
 تلك النعمات والترجيحات التي تشبهه الغناء والمذكور التي اصطلمحوا عليها
 على ما قد علم من احوالهم الذميمة (ثم فيها) من الامر العظيم ان القارئ يتدى
 بقراءة القرآن والاخر ينشد الشعر او يريد ان ينشده فيسكتون القارئ
 او يهيمون بذلك او يتركون هذا في شعره وهذا في قراءته لاجل تشوف
 بعضهم لسماع الشعر وتلك النعمات الموضوعة أكثر هذه الاحوال من
 اللعب في الدين ان لو كانت خارج المسجد منعت فكيف بها في المسجد سيما
 في هذه الليلة الشريفة فان الله وانا اليه راجعون (ثم) انهم لم يفتتصروا على ذلك
 بل ضموا اليه اجتماع النساء والرجال في الجوامع الاعظم في تلك الليلة
 الشريفة مختلطين بالليل وخروج النساء من بيوتهن على ما يعلم من الزينة
 والكسوة والتخلي وقد تقدم ذلك (ومنها) ان أكثرهم يعتاجون الى قضاء
 الحاجة فبعضهم يفعل ذلك في مؤخر الجوامع وبعض النساء يستحبين ان
 يخرجن لقضاء حاجتهن فيدور عليهن انسان بوعاء فيبأن فيه ويهطينه على
 ذلك شيئا ويخرجه من المسجد ثم يعود كذلك مرارا والبول في المسجد في وعاء
 حرام مع ما فيه من القبح والشناعة وبعضهم يخرج الى سكك الطرق

فقد سئلون ذلك فيها ثم رآني الناس الى صلاة الصبح فيمضون الى الجامع
فتصيب أقدامهم الضجاسة أو نهالمهم ويدخلون بها في المسجد فيلوثونه
ودخول الضجاسة في المسجد فيها ما فيها من عظيم الاتم وقد ورد في النخامة في
المسجد انها خطيئة هذا وهي ظاهرة باتفاق فكيف بالضجاسة المجمع عليها
(وقد سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله تعالى يحكي انه كان قاعدا يوم مع الشيخ
الجليل أبي محمد الزواوي رحمه الله تعالى وكان من جملة الاولياء والاكارفي
العلم والدين وهو شيخ الشيخين الجليلين أبي عبد الله وأبي علي القرويين
رحمهما الله تعالى وكان شيخهما المذكور في المسجد وكان بالقرب منه شبك
فيه على الطريق فتتخيم الشيخ أبو محمد الزواوي رحمه الله وترك النخامة في فيه
ولم ياقها حتى قام ومشى خطوتين وأخرج فنه من المسجد حينئذ انقاسها
خارج المسجد قال فقلت له لم تفعل ذلك وانت جالس بموضعك لانها لا تقع
الا خارج المسجد فقال لي ان النخامة اذا خرجت لا بد ان يخرج معها شيء من
البصاق ولو مثل رءوس الابرأودونه فيسقط ذلك في المسجد وذلك بصاق
في المسجد وذلك خطيئة ففهمت لأن أسلم من تلك الخطيئة (فانظر) رحمنا
الله تعالى وإياك الى احتراز هذا العالم الجليل فيما فعل فأين الحال من الحال
فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس الامور وانقلاب الحقائق الى ضدها
فهذا الذي ذكر به بعض ما أحدثوه في هذا الشهر الكريم ومن رزقه الله
تعالى نورا وبصيرة رأى ما هو اكثر من ذلك أعنى في الخبر وعنده

• (فصل) • ثم نرجع الى ذكر موسم ليلة النصف من شعبان على زعمهم
وقد تقدم انهم يسمونه موسمًا وليس بموسم لانه قد تقدم ان المواسم الثلاثة
وهي العيدين وعاشوراء ولا شك انها ليلة مباركة عظيمة القدر عند الله
تعالى قال الله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقد اختلف العلماء في رجة
الله عابهم هل هي هذه الليلة أو ليلة القدر على قواين المشهور ومنهما ان ليلة
القدر وبالجمله فهذه الليلة وان لم تكن ليلة القدر فاه افضل عظيم وخير
جسيم وكان الساف رضى الله عنهم يعظمونها ويثيرون لها قبل اتيانها فها
تأتيهم الاوهام متأهبون للقائه والقيام بحرمته تعالى ما قد علم من احترامهم
لشأنه على ما تقدم ذكره هذا هو التعظيم الشرعي لهذه الليلة (ثم) جاء به بعض

مطالب
الموسم الثاني من
المواسم التي
نسبها للشرع
وايست منه

هو لاه فمكس والحوال كما جرى منهم في غيرها فاشتم موضع مبارك أوز من فاضل
 حصن الشرع على اغتنام بركته والتعرض لانتفاعات المولى سبحانه وتعالى فيه
 الا وتجبد الشيطان قد ضرب بخيله ورجله وجميع مكائده لمن يصغي اليه
 أو يسمع منه حتى يحرمهم جزيل ما فيه من الثواب ويفوتهم ما وعدوا فيه من
 الخير العجم أسأل الله تعالى السلامة عنه وكرمه (ثم انه) لم يكف منهم بسبب
 تمرد وشيطة طائفة واغرائه بمآل منهم في كونهم معصوا عنه ونال منهم بأن
 حرمهم ما فيه امن الخير العظيم حتى أبدل لهم موضع العبادة والخير ضد ذلك
 من احداث البدع وشهوات النفوس من المأكولات والمخلوقات المحترمة
 على الصور المحرمة وقد تدم ما في ذلك من الفساد والتوحيد لمن فعل ذلك وما
 يلزمه من التوبة وغيرها في اول ليلة من شهر رجب قال الله تعالى في كتابه
 العزيز حكاية عن الامميين ايليس بقوله لا تمدن لهم صراطك المستقيم ثم
 لا تدينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شعائهم ولا تجدد
 اكثرهم شاكرين والامميين المستقيم هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى
 الله عليه وسلم فتجرب الامميين لا يجد موضع ما فيه امتثال سنة الا ويعمل على
 تبديها بما يناقضها حتى صار ما أبدله سنة لهم (الأتري) الى قوله صلى الله
 عليه وسلم كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة (وهذا
 الحديث) بين واضح وذلك ان سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي ما كان عليه
 من الامر والنهي وكل ما يفعله عليه الصلاة والسلام أو يشي به انما هو عن
 ربه عز وجل فتارة يؤكده ذلك في وجبه وتارة يخفف عن العباد فيكون ذلك
 سنة فاذا سمعت بالسنة فهي عادة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته ثم بهذه
 النسبة أعني في اتخاذ السنة عادة فكل من كانت له عادة او طريقة فتلك
 سنته فاما ان اعتاد الناس عوائد ومضت الاعوام عليها كانت سنتهم فاذا
 جاء الانسان يترك عادتهم قالوا ترك سنة فاذا جاء يفعل سنة أعني سنة النبي
 صلى الله عليه وسلم قالوا فعل بدعة بالنسبة الى انه خالف عادتهم (وهذا)
 كما انما جرى بعد انقطاع الثلاثة قرون (يدل) على ذلك قول النبي صلى الله
 عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد تقدمت
 المحكمة في كونهم خير القرون في اول الكتاب (فعلى) هذا قوله صلى الله

عليه وسلم تحذيفة كيف يك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة انتهى
 (فهذا) اشارة منه صلى الله عليه وسلم ان هو بعد القرون الثلاثة المذكورة
 اذ ان اكثر البدع المستهجنة ما حدثت الا بعدهم وفي كل عام تزيد البدع
 وتنقص السنن (يدل) على ذلك ما قاله مالك رحمه الله قال عبد الله بن مسعود
 رضى الله عنه ليس عام الا والذي قبله خيره منه قال مالك ما اراه منذ زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم فقليل له يا ابا عبد الرحمن ان عامنا هذا اخصب
 وارخص سعرا من العام الماضي فقال قائلهم اكثر فقهها وقراءة واحداث
 عهد ابا النبوقة فقال الذي مضى فقال ابن مسعود رضى الله عنه ذلك الذي
 اردت (ويدل) على ذلك ايضا ما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال بدا
 الاسلام غريبا ووسيعا غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من امي وهما هو ذا
 ظاهرين (الآ ترى) الى ما نقله الامام ابوطالب المكي رحمه الله في كتابه كان
 هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا
 وان كان سألوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها (وكان) الشعبي اذا نظر الى
 ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد
 احب الي مما يدل به فذصار فيه هؤلاء الرائيون فقد بغضوا الى الجالوس
 فيه ولان القعود على مزبلة احب الي من ان اجلس فيه (وقال) مالك بن
 انس رحمه الله ليس من السنة ان تجادل عن السنة ولا كمثل تخبر بها فان
 قبل منك والافاسكت (وقال) ابوطالب المكي فقد صار المعروف منكرا
 والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدعة سنة انتهى (والغريب) هو
 الذي لم يعرفه احد والى هذا المعنى الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لمن
 اوصاه كن في الدنيا كاثك غريب او عابر سبيل ولما قال صلى الله عليه
 وسلم طوبى للغرباء من امي قيسل يا رسول الله ومن الغرباء من اهلك قال
 الذين يصلحون اذا فسد الناس انتهى وفي رواية الترمذي الذين يصلحون
 ما افسد الناس من بعدى من سنني (ولما) ان ذكر عليه الصلاة والسلام
 الفتن قال بعضهم ما تأمرني به يا رسول الله اذا أدركني ذلك الزمان فقال
 عليه الصلاة والسلام كن حاسبا من احلاس بيتك يعني ان يتخذ بيته كانه
 ثوبه الذي يستر به عورته فيلازمه ولا يفارقه اذا عمت الفتن وكثرت

الحسن بالكتاب
 كالسنة

وهذا موجوده شاهد لان مواضع العبادات رجعت للعبادات بل بعض
العبادات قد صارت اليوم وسائل للدخول في الدنيا واكلها وبعضهم
يقولها انار ياء والسمعة في الغالب فاذا كان الامر كذلك فالهرب من مواضع
العبادات المشتملة اليوم على هذه المفاصل العديدة الى قعود الانسان في بيته
اسلم له بل اوجب عليه ان قدر ولهذا قال بعضهم في الآية المتقدم ذكرها
الحمد لله الذي لم يقل من فوقهم لانه اذا بقي للعبد جهة الفوقية التي جرت عادة
الله تعالى ان ياتي بالنصر منها له فلا يباي الى المكاف بتعدد جهات اللعين
ابليس لا يقاء الباب العلوي المفتوح له فحضر الفضل والكرم الا ترى الى
قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده المؤمن ما لم يغربا انتهى
في باب التوبة مفتوح الى ان تطاع الشمس من مغربها فهو ما وقع المؤمن
في شيء مما يقع عليه فيه العتب من جهة الشرع فهو مغتاب بالمبادرة
الى التوبة الشرعية فاذا اوقعها بشروطها المعتبرة شرعا وجد الباب
والحمد لله مفتوحا لا يرد عنه ولا يغلق دونه **بكرم المولى سبحانه وتعالى**
وذلك بحسب حال التائب وقوة صدقه مع ربه عز وجل الا ترى الى قصة
ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى وما جرى له في بدء توبته ونزوله عن فرسه
ودفعه ثيابه للصياد واخذ ثياب الصياد وراسي له فراى انسانا قد وقع
عن قنطرة فقال له قف فوقف في الهواء حتى وصل اليه واخذ بيده والقياه
على القنطرة سالما وما ذاك الا لصدق توبته وحسن نيته مع ربه عز وجل
فكذلك كل من صدق مع الله تعالى في توبته وفي الرجوع اليه وفي
ملازمته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فسنته سبحانه وتعالى في الكل
واحدة اعنى انه سبحانه وتعالى يقبل توبتهم ويقبلهم ويغفر لهم ما مضى
ويعود عليهم بجزيل الثواب عاجلا و آجلا الا ترى الى ما احتوت عليه
قصة يونس عليه السلام لما ان ابتلع الحوت وابتاع الحوت حوت آخر ونزل
به الى قعر البحر وهو ينادى ربه عز وجل بقوله لا اله الا انت سبحانه
اننى كنت من الظالمين فسمعه قارون وهو يخسف به فسأل الملائكة الموكنين
بعذابه ان ينفوا به حتى يسأل صاحب الصوت فلما ان سألوا جابه قال له
قارون ارجع الى ربك فانك اذا رجعت اليه تجده في اول قدم ترجع اليه

فيه فقال له يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فامنعت انت ان ترجع
الى ربك فقال له ان توبتي وكنت الى ابن خالتي موسى فلم يقبلها مني (فهذا)
وجه المناسبة في قبول التائب عند صدقه في رجوعه الى مولاه الكريم والله
الموفق (وقد) تقدم ذكر الحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام وهو
قوله صلى الله عليه وسلم ~~ص~~ كن حاسما من احلاس بيتك (وقد) تقدم
الكلام على بعض معناه (لكن) قد ورد حديث آخر وهو قوله صلى الله عليه
وسلم وسياقي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينة الا من فر من شاهق الى
شاهق كضائر بافراخه او كغمام بالشبهاله او كما قال عليه الصلاة والسلام
ثم قال عليه السلام ما اتقاه في ذلك الزمان ما اتقاه فظاهر الحديثين
التعارض لانه امر هذا بالاقامة في بيته وامر هذا بالفرار والجمع بين الاقامة
والفرار في زمن واحد ظاهره التعارض (وكان) سيدي ابو محمد رحمه الله
تعالى يقول ما معناه ليس بينهما تعارض لان الحديث الوارد في الفرار محمول
على زمان يكون فيه بعض المواضع سالما لا لاقامة فيها واخرى فاسدة فاذا
كان كذلك فيتمتعين على المؤمن ان يفري دينه من المواضع الفاسدة الى
المواضع الصالحة واما ان كان الزمان قد استوى حاله في عموم مخالفة السنن
وارتكاب البدع وغير ذلك فليس له موضع يفري اليه فليكن حاسما من
احلاس بيته (وكان) رحمه الله يقول اذا رايت الفساد قد كثر في موضع وعلا
امره فلا تخرج فرارا منه واعتزل ما قدرت عليه وكن حاسما من احلاس
بيتك (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بوجهين (أحدهما) انك اذا خرجت
من هذا الموضع الذي انت فيه وصرت الى غيره وجدته اكثر فسادا ومناكر
وبدعا من الموضع الذي خرجت عنه فتندم عند ذلك على خروجك منه وتريد
ان ترجع الى موضعك الذي كنت فيه فتهتاج الى الاستشارة والاستشارة
وتبديل الحال بطرق الاسفار ومباشرة ما كنت مستغنيا عنه وملاقة
المخاوف وغير ذلك مما يعثرى المسافر بين فاذا وصلت الى موضعك الذي
كنت فيه وجدته قد تغير حاله الى ما هو اشد فتندم على رجوعك اليه وتري
ان اقامتك في موضعك الذي كنت سافرت اليه اقل فسادا فتقع في ضياع
الاوقات والمشاق وارتكاب الاهوال ورؤية المخالقات ومباشرة ما عابانا

بخلاف ما لو كان مقيما في بيته ولم يسافر ثم بقي حاله كذلك مذبذبا لا يستقر له قرار وكما قال (وفي أمره) عليه الصلاة والسلام بالاقامة في البيوت رفق عظيم ورحمة شاملة لأئمة ببركته صلى الله عليه وسلم اذ رفع عنهم تلك المشقات المتقدمة ذكرها بالجلوس في أوطانهم وقد قال عليه الصلاة والسلام نعم الصوامع بيوت أمي هذا وجه (الوجه الثاني) أن الموضع إذا كثرت فيه الفساد وأهله المقيمون معه على حالهم لم يمسهم شيء من البلاء دل ذلك على قوة حال الولي المقيم بينهم لأنه لولا قوة حاله مع الله تعالى ومكانته عنده وقربه منه ما اندفعت العقوبة عنهم فبتقديسه وهجته العالية وحلوله بينهم - ثم أخبر الولي الكريم العذاب عنهم ليتوب من يتوب ويرجع من يرجع أو يصيب العذاب بعضهم خصوصا ولا يقع عاما (قال) الشيخ الإمام الجليل عبد الرحمن المعروف بالصقلي رحمه الله تعالى أن الله عز وجل لم يخل الأرض من الأولياء اما قائم له بحجة وامام مدفوع به البلاء انتهى فاقائم بالحجة معروف بين الناس والمدفوع به البلاء قد يعرف وقد لا يعرف وقد يعرفه بعض الناس دون آخرين يبين ذلك ويوضحه ما جرى للشيخ الإمام الجليل المعروف بالقرشي رحمه الله تعالى لما رأى في وقته أنه سينزل بأهل مصر بلاء قال أيقع هذا وأنا فيهم قيل له انرج من بينهم - ثم فهم - ذا أمر لا بد من وقوعه فخرج رحمه الله تعالى إلى الشام فأقام به ثم بعد خروجه نزل بهم - ما نزل أسأل الله العافية عنه فهذا دليل واضح على أنهم لا يذهبون عذابا عما وفيهم أحد ممن تقدم ذكره (فعلى) ما تقرره الجمع بين الحديثين لم يبق إلا القرار إلى البيوت لكن بشرط المحافظة على إظهار معالم الشرع والنهوض إليها فيما در إلى الصلوات الخمس في المسجد في جماعة فإن لم يكن في المسجد شيء يتخوف منه أعنى من البدع فليتطأ إليه - ما أفضل له هل المقام في المسجد أو الرجوع إلى بيته بحسب الأعمال التي تنوب في المسجد أو في بيته فأيهما كان أفضل وأكثرتفع ما يادر إلى فعله سيما إذا كان النفع متعددا وإن كان يتخوف من شيء فيه فالرجوع إلى بيته أولى وأفضل واقامته في المسجد على ما ذكر لا يخرج عنه كونه حاسما من أحلاس بيته إذ لو كان في المسجد وحده لم يحصل له المعنى المتصور وزيادة جوار بيت ربه عز وجل والاعتكاف على

ما قدم من النيات في أوائل الكتاب فان كان في المسجد من يرشده
 أو يرشده ومنه فنج على بضع اذان المألوب والمقصود من كونه حاسما من
 احلاس بيته انما هو طالب السلامة من المفسد التي في زمنه فيكون فرارا
 بدينه من بيته الى بيت ربه ومن بيت ربه الى بيته قال الله سبحانه وتعالى
 ففرروا الى الله والفرار الى الله تعالى هو المبادرة الى اتباع امره واجتناب نهيه
 فلا يترك الصلاة في جماعة في المسجد لاجل ما حدث من البدع اذان الصلوات
 في جماعة من معالم الدين ومن أعظم شعائر الاسلام وهي أول ما يثدي به من
 عبادة الابدان وليس من شرط صلاته ان تكون في المسجد الجامع بل حيث
 ما فات البدع من المسجد كانت الصلاة فيه أولى وأفضل من غيره فان لم يجد
 مسجدا سما سماز ~~كرو~~ قول ما يقع ذلك فليتنظر الى أقل المساجد
 بدعا فليصل فيه مع أنه قد تكون بدعة واحدة أشد من بدع جملة
 فليحذر من هذا واشباهه وليصل فيما عداه واذا صلى مع ذلك فليحذر جهده
 و يغير ما استطاع بشرطه وقد تقدم ان التغيير بالقلب أدنى مراتب التغيير
 فان كانت ليلة تزيد في البدع وتكثر فترك الصلاة في جماعة في تلك
 الليلة أولى وأفضل اذان الصلاة في جماعة مندوب اليها ولكن تكثير سواد
 أهل البدع منهي عنه وترك المنهي عنه واجب وفعل الواجب متعين فيترك
 المندوب له وهو الصلاة في جماعة في المسجد في تلك الليلة ولا يخاص عليه
 بسبب ذلك ان يكون مشاركا للعارضين في أماكن البدع في الاثم هذا وجه
 (الوجه الثاني) انه قد يأنس قلبه بتلك البدع فيؤول الى ترك التغيير بالقلب
 وقد تقدم انه أدنى مراتب التغيير لما ورد وليس وراء ذلك مقال حجة من
 خردل من ايمان (الوجه الثالث) وهو أشد من الثاني وهو أنه يخاف عليه
 أن يستحسن شيئا مما يراه أو يسمع به وهذا فيه من القبح ما فيه لانه يستحسن
 ما كرهه الشرع ونهى عنه وهو الاحداث في الدين قال عليه الصلاة
 والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد يعني مردود عليه وقال
 عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل عمل امرئ حتى يتقنه قالوا يا رسول الله
 وما التقانه قال يخافه من الرياء والبدعة وقد ورد ان الله عز وجل يقول
 يوم القيامة ان أحدث في الدين حدنا هب اني أغفر لك ما بيني وبينك فالذي

اضلّتهم من الناس انتهى فاذا وقع استقصان شيء من البدع كأنما كان كان
 داخل في عموم ما تقدم ذكره أسأل الله تعالى السلامة منه وكرمه مع ان هذا
 الذي ذكر قل ان يقع أعني ان تم تلك البدع في تلك الليلة جميع مساجد البلد
 واذا كان ذلك كذلك قال الكمال والمجد لله حاصل له أعني الصلاة في الجماعة في
 المسجد السالم من تلك البدع أو من أكثرها (ولو) امتنع بعض من يقتدى
 بهم من حضرة المساجد التي فيها البدع لافترحت المسادة وزالت البدع
 كلها أو أكثرها أو بعضها لكن جرت عادة بعض أهل الوقت على تعاطي ذلك
 بينهم بل يفعل ذلك بعض أكبرهم اذا ختم بآية القرآن أو صلى التراويح
 وسننهم ما في ذلك مما لا ينبغي في موضعه ان شاء الله تعالى (وقد) وقع بدنه
 فاسمهم أو قد دوا بجماعه الأعظم فرادوا في الوقود الزيادة الكبيرة فجاء
 الشيخ الجليل أبو محمد الفقيه إلى رحمه الله تعالى إلى صلاة المشاء على عاتقه
 فرأى ذلك فوقف ولم يدخل فقبل له لا تدخل فقال والله لا أدخل حتى
 لا يبقى في المسجد الا ثلاثة قتاديل أو خمسة أو كما قال فامتشلوا اذ ذاك قوله
 وحينئذ دخل (فوقع) هذا الخبر العظيم بتغيير شخص واحد من الشيوخ
 فكيف به لو كان زيادة على الواحد فانا لله وانا اليه راجعون على التسامح في
 هذا الباب حتى يرأى إلى اعتياد البدع ويتسبب أكثر العوام إلى الشرع
 بسبب حضور من يقتدى بهم فظنوا أنهم يرون أن ذلك من الشرع
 وهذا أعظم خطرا مما تقدم ذكره لانهم يدخلون اذ ذاك في عموم قوله تعالى
 وهم يحسبون انهم يحسنون حسنا (فان) لم يكن في المسجد السالم من البدع
 من يصلي فيه فتنا كذا الصلاة فيه لانه يحصل له وحده احياء بيت من بيوت
 الله تعالى وهذا فيه من العنجه والسعادة ما فيه (أما ترى) إلى ما ورد من
 قوله عليه الصلاة والسلام في الذي يصلي في البرية وحده انه يصلي عن عييته
 ملك وعن يساره ملك فاذا أذن لها وأقام صلى خلفه من الملائكة كما قال
 الجبال وقد روى أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة في الجماعة تعدل خمسين وعشرين
 صلاة فاذا صلاها في صلاة فأتهم ركوعها أو سجودها بلغت خمسين وقد ورد ان
 المسجد اذا لم يمتلي بالناس كلى بالملائكة كذا الكرام فاذا صلى وحده في المسجد

كانت الملائكة تصلي بصلاته والملائكة لا تحضره وضعها الاويقوى الرجاء
 في قبول ما به عمل فيه وكذلك الولى اذا حضره وضعها ومن هرب من البدعة
 وآوى الى السنة في غالب أمره فيقوى الرجاء في ولايته اذ انه اتصف بصفة
 الاولياء فيما اخذ بسبيله والقبلة بالكرام والاح (ومذهب مالك) رحمه الله
 تعالى ان امام المسجد اذا صلى فيه وحده قام مقام الجماعة فاذا جاءت جماعة
 بعده فلا يجتمعون فيه ويصلون اذا والامام لا يعيد في جماعة (وقد) كان
 سيدى الشيخ ابو محمد رحمه الله ابقى الى المسجد ذات ليلة لصلاة العشاء وكان
 فيها بعض طين وظلام فصلى في المسجد وحده ولم يكن معه ما غيره مما
 فصل له سرور فسأله خادمه ما سبب سروره فقال له ألا ترى ما حصل لنا في
 هذه الليلة من الخير العظيم وما خصصناه من احياء بيت المولى سبحانه
 وتعالى وحدنا ولم يشارك فيه احد من الناس فهذا فرحه رحمه الله تعالى
 ومجده سالم من البدع فكيف بالمأرب من مواضع البدع الى مواضع تحمل
 فيها السلامة والخير والثواب الجزيل وغير ذلك مما تقدم ذكره في احياء بيت
 الله تعالى (وانما) طال الكلام في ذكر ما يعمل في هذه الليلة أعني ليلة
 النصف من شعبان لاجل ما احدث فيها وان كان قد تقدم بعض الكلام
 على ذلك في أول ليلة الجمعة من رجب أعني في صلاة الرغائب وغير ذلك مما
 يفعل فيها لكان هذه الليلة زادت فضيلتها ومقتضى زيادة الفضيلة زيادة
 الشكر الملائق بها من فعل الطاعات وانواعها فبدل بعضهم مكان الشكر
 زيادة البدع فيها عكس مقابلة ذلك بالشكر لزيادة الفضيلة ضد شكر النعم
 سواء بسواء (الأتري) الى ما فعلوه من زيادة الوقود والخارج الخسار حتى
 لا يبقى في الجامع قنديل ولا شئ مما يوقد الا أو قدوه حتى انهم جعلوا الخبال في
 الأعمدة والشرافات وعلة وافيه القناديل وأوقدوها وقد تقدم التعليل
 الذى لاجله كره العلماء رحمه الله تعالى التمسح بالصوف والمنبر والجدران
 الى غير ذلك اذ ان ذلك كان السبب في ابتداء عبادة الاصنام وزيادة الوقود
 فيه تشبه بعبدة النار في الظاهر وان لم يعتقدوا ذلك لان عبدة النار
 يوقدونها حتى اذا كانت في قوتها وشبهتها اجتمعوا اليها بعبادتها (وقد)
 حث الشارع صلوات الله عليه وسلامه على ترك تشبيه المسلمين بفعل أهل

الاديان الباطلة حتى في زعيم المختص بهم (وانضم) الى ذلك اجماع كثير من
النساء والرجال والولدان الصغار الذي يقتضيه اجماع بغضلاتهم غالباً وكثرة
اللفظ واللغة والكثير مما هو أشدوا كثروا عظم من ليلة السابع والعشرين
من رجب وقد تقدم ما في ذلك من المفاسد وفي هذه الليلة أكثر واشنع
وأكبر وذلك بسبب زيادة الوقود فيها (فانظر) رحمتنا الله وإياك الى هذه
البدع كيف يجرب بعضها الى بعض حتى ينتهي ذلك الى المحرمات الاثري ان
الجماع في تلك الليلة يرجع كأنه دار شربة لحي والوالي والمقدمين والاعوان
وفرش البسط وأنصب الكرسي للوالي ليحاسب عليه في مكان معلوم وتوقد
بين يديه المشاعل الكثيرة في صحن الجماع ويقع منها بعض الرماد فيه وربما
وقع الضرب بالعصا والبطح لمن يشتهى في الجماع أو ثأتيه الخصوص من خارج
الجماع وهو فيه هذا كله في ليلة النصف من شعبان وإذا وقعت هذه الاشياء
في الجماع فلا بد من رفع الاصوات من الخصوص والنجادة وغيرهم بل اللفظ
واقع لكثرة الخلق فكيف به اذا انضم الى الشكاوى واحكام الوالي باليتهم
اقتصر واعلى ذلك انهم زادوا عليه انهم يعتقدون انه اقامة حرمة تلك
الليلة وليدت الله عز وجل وانهم اتوه ليعظموه وبعضهم يرى ان ذلك من
القرب وهذا امر أشد ما تقدم اذ انهم لو اعتقدوا ان ذلك أمر مكره لرجى لهم
الاقلاع عنه ولكن زعموا انه قرينة ولا يتوب أحد من القرب وما اعتقدوه
من ذلك بأمال لقوله عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
قال العلماء رجمة الله عليهم ترفع أي تغلق ولا تفتح الا في اوقات الصلوات هذا
وجه الوجه الثاني ان ترفيعها انما يعلم من جهة الشارع صلوات الله عليه
وسلامه لانه المبين عن الله عز وجل أحكام كتابه العزيز وذلك يتأق عن
أصحابه رضي الله عنهم الا تخذين عنه وتعظيمهم لها انما كان بالصلاة فيها
ومذاكرة العلم وما أشبه ذلك وقد قال سفيان بن عيينة لما لك رحمه الله
تعالى ما يجمعهم قرا يجمعنا اذا كنا صالحين وما يخصهم يخصنا وقد تقدم قوله
عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد أي مردود
عليه وقد بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحبة خارج المسجد تسمى البطحاء
وقال من كان يريد أن ينشد شعراً أو ينشد ضالة فلا يخرج الى هذه الرحبة فانما

المساجد المسببت له وقد قال عليه الصلاة والسلام من تشد ضلالة
في المسجد فقلوا لا ردها الله عليك (وقد) ورد من سأل في المسجد فأحرموه
وقال عليه الصلاة والسلام مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات وقال عليه
الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم مجانيبتكم وصبيانكم وصل سيوفكم ورفع
أصواتكم واجعلوا وضوءكم على أبواب مساجدكم اهـ وقد تقدم الكلام على
صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان
تزيد على ذلك كله ما فيهما مما لا ينبغي وقد تقدم ان فعل صلاة الرغائب
في جماعة بدعة ولو صلاها انسان وحده سراجا ذلك ومذهب مالك رحمه الله
تعالى كراهية ذلك لقاعدة مذهبه في كراهيته تكرار السورة في ركعة واحدة
لاتباع الساف في ذلك (يا ليتهم) اقتصر واعلى ما ذكر من هذه المفاصل لكنهم
زادوا على ذلك ما هو أعظم وأشنع وهو خروج المحريم في هذه الليلة الشريفة
وغيرها من الاوقات الفاضلة وهذه الليلة فيها زيادة كثيرة على غيرها أعني
كثرة خروجهم الى القبور ومع بعضهم الدف يضر بن به وبعضهم يغني
بحضرة الرجال ورويتهم لهم متجاهرين بذلك اقله حياتهم وقلة من ينكر
عابهم ويزعم انهم خرجوا للعبادة وهي زيارة قبور الاولياء والعلماء
والصلحاء وكذلك يفعل بعض من قل حياتهم من الشبان والرجال فيجتمعون
على ما لا ينبغي وأكثرتهم محتاطون بعضهم مع بعض نساء وشبان ورجال قد
رفعوا اجاباب الحياء والوقار عنهم على ما قد علم كانهم في بيوتهم مع أزواجهم
اذ لا فرق عندهم في القبور وبين النساء والرجال أعني في كشف الوجوه
والاطراف الى غير ذلك مما هو معلوم من عوائدهم الرديئة في الجلب
في انكشافهم في هذا الموضع الذي هو موضع الاعتبار والتذكار على ما تقدم
فاذا رجعوا الى البلاد يرجعون على ذلك الحال من كشف السترة عنهن فاذا
وصان الى البلاد تنقبن اذ ذاك واستترن ثم صارت هذه العادة بينهن شعيرة
يتدين بها أعني في أن المرأة تستتر في البلاد وفي القبور والطريق اليها مكشوفة
الوجه لاستتر من أحد (فحصل) من ذلك جملة من المفاصل منها اجماعهم
كما سبق (الثاني) انتهاك حرمة هذه الليلة العظيمة وهذا اليوم العظيم وهذا
الشهر الكريم وما أشبه ذلك (الثالث) انهم أعظم والمعصية بفعلا على

القبور لانها موضع الخشية والفرج والاعتبار والمحث على العمل الصالح لهذا
 المصارع العظيم الماهول أمره فردوا ذلك للتقيض وجعلوه في موضع فرح
 ومعاص كحال المستترئين (الرابع) اذية الموقى من المسلمين (الخامس) قلة
 احترامهم لتعظيم جناب العلماء والاولياء والصالحاء لانهم على زعمهم يمشون
 للتبرك بهم ويفعلون عندهم ما تقدم ذكره من افعالهم القبيحة (السادس)
 انهم اتصفوا بسبب ما ذكر بصفة النفاق لان النفاق صفة قصور المعصية
 واظهارها في الصورة انها اذاعة (فباللهيب) كيف يقدر المراه المسلم ان يسمع
 بهذه المناكر ولا يتنقص لها ولا يتشوش منها وقد تقدم ما في الحديث فيمن لم
 يغير بقلبه من قوله عليه الصلاة والسلام وليس وراء ذلك مثقال حبة من
 خردل من ايمان فكيف يترك حرمه او اقاربه او من يلوذ به يخرج على
 ما تقدم من ركوبه الدواب مع الكاري على ما تقدم وصفه وقد تقدم ان
 النساء ليس لهن نصيب في الخروج الى الجنائز ولا القبور وروان المرأة لها
 ثلاث خرجات على ما سبق وعلى ما تقدم من الاحوال الرديئة في القبور حتى
 صار امر بعضهم انه يقوم انسان بشئ يجعله كالقبة على عود حولها فتادبل
 كثيرة فيجتمع له مما تقدم ذكره من النساء والشبان والرجال جماعة كثيرة
 يزورون بالليل ويحرقون بينهم وبينهم من الآفات في الدين والدنيا سائلا
 بحصى كثرة (ثم) ان بعضهم يقومون خشبة عند رأس الميت أو الميعة ويكسونه
 ذلك العمود من الثياب ما يليق به عندهم فان كان الميت من العلماء
 او الصالحين جعلوا يشكون له ما نزل بهم ويطلبون منه ما يؤملون في انفسهم
 وان كان غير ذلك من الاهل والاقارب والعارف فعلوا مثل ذلك وجلسوا
 يتحدثون معه ويذكرون له ما حدث لهم بعده فان كان الميت عروسا أو عروسة
 كسوا كل واحد منهم اما كان يابس في حال فرجه فيكسونه المرأة ثياب
 الحرير ويحلقونها بالذهب ويحلقون بيكون ويتباكون ويتأسفون وهذه
 اشیاء متنافضة كل ذلك مما سؤل لهم الشيطان في نفوسهم وهذا الذي
 يصنعونه من الكسوة على الخشبة فيه تشبه في الظاهر بالنصارى في كسوتهم
 لاصنامهم والصور التي يعظمونها اختلافا من عند انفسهم في مراسمهم وقد
 تقدم ما في التشبه بأهل الأديان الباطلة من الختار وفي ذلك مقتنع (وقد)

كان بعض من لا علم عنده ممن ينسب في الظاهر الى الشيعة والهداية واجتمع
عليه بعض اهل الوقت من ابناء الدنيا او فعل في زاويته في المقابر ما تقدم ذكره
من الوقود بالجماع في هذه الليلة الشريفة حتى صار الناس يخرجون الى ذلك
قصد او يتركون ما عندهم من الوقود في البلد لاشغال ما عندهم من الزادات
على ما في الجماع لتخصيل اغراضهم الخسيسة لانه لا يمكنهم تناول تلك
الاغراض في البلد وسعى هذه الليلة ليلة الحياوان كان هذا الاسم يلقى بها
لكن في العبادة والخير والتضرع الى المولى سبحانه وتعالى وطالب الفوز
بطاعته والخجاة بفضله من مخالفته ومعاصيه لا بما يقوله هو ومن يجتمع عليه
وامثالهم وصار الرجال والنساء يجتمعون عنده وتنادى ذلك واشتهر حتى
صار عادة لهم فبقى الناس يهرعون لذلك رجالا ونساء وشبانا ونصبوا الخيام
خارج الزاوية لكثرة الحاق وزادت مخالفة السنة بذلك وكثرت البدع
ووقع الضرر لمن حضر ذلك الموطن من الاحياء وان فيه من الاموات فحصول
الضرر للاحياء بحضور ذلك واستحسانه وحصول الضرر للاموات بما
يشاهدونه من الاحوال الرديئة اذ انهم في دار الحق ويعظم عليهم ذلك
اكثر من الاحياء ووجه آخر وهو انه ورد النهي عن المجلس على المقابر
وتأوله العلماء على ان النهي عن ذلك محمول على المجلس لقضاء حاجة
الانسان وهم اذا اجتمعوا في تلك المواضع فلا بد لهم من قضاء حاجة الانسان
في فعلون ذلك على المقابر فيقعون في النهي الصريح فلما ان مضى ليله وتولى
ذلك من تولى قام بعض من ينسب اليه ففعلوا ذلك كعادة شيخهم واستأكلوا
بذلك بعض الحطام الذي في ايدي بعض معارفهم من ابناء الدنيا وقد تقدم
ما في الاحداث في الدين من الذم وصار الناس بسبب ذلك في الغالب قاما
بقوتهم الخروج ليلة النصف من شعبان الى شهر وذلك فأن الشفقة والرحمة
للارء على نفسه وعلى المؤمنين بالنصيحة لنفسه ولاخوانه المؤمنين ابن شعار
اهل الاسلام ابن شعار اهل الايمان ابن شعار العلماء ابن شعار الارباب ابن
شعار المتقين ابن شعار الصالحين الذين يزعمون انهم يزورونهم ويتبركون
بهم هيئات ليس الامر كما يزعمون اذان تعظيمهم وحصول بركتهم انما يكون
بالاتباع لهم وافتقار آثارهم لا بالمخالفة واقتراف الذنوب أسأل الله تعالى

السلامة من خسف القلوب وانقلاب المحققين عنه وفضله لا رب سواه
 • (فصل في المولد) ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم ان ذلك من
 اكبر العبادات واظهار الشواثر ما يفهم لونه في شهر ربيع مع الا قول من المولد
 وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة (فن ذلك) استعمالهم المقام ومعههم
 آلات الطرب من الطار المصمر والشبابية وغير ذلك مما جعلوه آلة للجماع
 ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشغلون في أكثر الأزمنة التي
 فضاه الله تعالى وعظمها ببدع ومحرمات ولا شك ان الجماع في غير هذه
 الآلة فيه ما فيه فكيف به اذا انضم الى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضله
 الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الكريم على ربه عز وجل
 (وقد) نقل ابن الصلاح رحمه الله تعالى ان الاجماع منع من ادخال آلات
 الطرب اذا جمعت فهي محرمة ومذهب مالك رحمه الله ان الطار الذي فيه
 اصراصر محرم وكذلك الشبابة ويجوز الغربال لاظهار النكاح فآلة
 الطرب والجماع اى نسبة بينهما وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي من الله
 تعالى علينا فيه بسيد الاولين والاخرين فكان يجب ان يزداد فيه من
 العبادات والتخير شكر المولى سبحانه وتعالى على ما اولانا من هذه النعم
 العظيمة وان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد فيه على غيره من الشهور
 شيئا من العبادات وما ذاك الا لرحمة صلى الله عليه وسلم بأمته ورفقه بهم لانه
 عليه السلام كان يترك العمل خشية ان يفرض على أمته رجة منه بهم كما
 وصفه المولى سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال بالمؤمنين رؤوف رحيم لكن
 أشار عليه الصلاة والسلام الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله عليه الصلاة
 والسلام للسائل الذي سأل عن صوم يوم الاثنين فقال له عليه الصلاة
 والسلام ذلك يوم ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا
 الشهر الذي ولد فيه فينبغي ان نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضل الله
 به الاشهر الفاضلة وهذا من القول عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم
 ولا فخر ولقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه نعت لوائي امة وفضيلة
 الازمنة والامكنة بما خصها الله تعالى به من العبادات التي تفعل فيها
 لما قد علم ان الامكنة والازمنة لا تتشرف لذاتها وانما يحصل لها التشريف

مطلب
 الموسم الثالث
 من المواسم التي
 ينسب بها الى
 الشرع وايست
 منه

بما خصت به من المعاني (فانظر) رحمتنا الله واياك الى ما خص الله تعالى به
 هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين (الأتري) ان صوم هذا اليوم فيه فضل
 عظيم لانه صلى الله عليه وسلم ولد فيه (فعلى) هذا فينبغي اذا دخل هذا
 الشهر الكريم ان يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به وذلك بالاتباع له
 صلى الله عليه وسلم في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخص الاوقات
 الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات (الأتري) الى قول البخاري
 رحمه الله تعالى كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود
 ما يكون في رمضان فتمثلت الاوقات الفاضلة بما مثله عليه الصلاة
 والسلام على قدر استطاعتنا

« (فصل — ل) » فان قال قائل قد التزم عليه الصلاة والسلام ما التزمه
 في الاوقات الفاضلة مما قد علم ولم يلتزم في هذا الشهر مما التزمه في غيره
 (فالجواب) ان المعنى الذي لاجله لم يلتزم عليه الصلاة والسلام شيئا في هذا
 الشهر الشريف انما هو ما قد علم من عادته الكريمة في كونه عليه الصلاة
 والسلام يريد التخفيف من أمته والرحمة بهم سيما فيما كان يخصه عليه الصلاة
 والسلام (الأتري) الى قوله عليه الصلاة والسلام في حق حرم المدينة اللهم
 ان ابراهيم حرم مكة واني احرم المدينة بما حرم به ابراهيم مكة ومثله معه ثم
 انه عليه الصلاة والسلام لم يشرع في قتل صبيده ولا في قطع شجره الجزاء
 تخفيفا على أمته ورحمة لهم فكذلك كان عليه الصلاة والسلام ينظر الى ما هو من
 جهته وان كان فاضلا في نفسه يتركه للتخفيف عنهم فسا أكثر شفقتهم صلى
 الله عليه وسلم بأمرته جزاء الله هنا خير افضل ما جرى نبيا عن أمته هذا وجه
 (الوجه الثاني) ان مذهب مالك رحمه الله في اليمين الغموس انه لا كفارة
 فيه لان الكفارة انما شرعها الشارع عليه الصلاة والسلام في اليمين الذي
 أجاز الخلف بها وأقام يمين الكاذبة فلا تتعاقبها الكفارة لانها
 أعظم من ان تكفر وانما سميت غموسا لانها ماس صاحبها في النار ولم ترد فيها
 كفارة ونحو من متبعون لامرهم (فكذلك) قتل الصيد عند مالك رحمه
 الله تعالى في حرم المدينة اذ انه أعظم من أن يكفر لانه عليه الصلاة والسلام
 منع من الصيد فيه ولم يشرع فيه جزاء على من قتله فبذلك سبيل اليمين

الغموس وأما على القول بأن على قائله الجزاء فلا فرق إذن بين حرم
 مكة في ذلك (وعلى) المشهور من أنه لا جزاء فيه يتحصل منه أن المدينة أفضل
 من مكة وهو ظاهر بين فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف أنما يكون
 بزيادة الأعمال الزاكية فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات فمن عجز
 عن ذلك فأقول أحواله أن يحتجب ما يحرم عليه ويكره له تعظيم هذا الشهر
 الشريف وإن كان ذلك مطلوباً في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً كما
 يتأكد في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم فيترك الحديث في الدين ويحتجب
 مواضع البدع وما لا ينبغي (وقد) ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا
 المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر الشريف تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب
 بالدف والشبابة وغيرهما كما تقدم من كان باكياً فليبك على نفسه وعلى
 الإسلام وغرته وغربة أهله والعاملين بالسنة (وياليتهم) لو عملوا المعاني
 ليس إلا بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولى بقراءة ~~كتاب العزيز~~
 وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالهنوك والطرق المهيبة لطرب النفوس
 فيقرأ عذرا (وهذا) فيه من الفاسد وجوه (منها) ما يفعله القارئ في قراءته
 على تلك الهيئة المذمومة شرطا والترجيح ~~كترجيع الغناء~~ وقد تقدم
 بيان ذلك (الثاني) أن فيه قلة أدب وقلة احترام الكتاب الله عز وجل
 (الثالث) أنهم يتطعون قراءة كتاب الله تعالى ويقبلون على شهوات نفوسهم
 من سماع اللهو وضرب الطارو والشبابة والغناء والتكبير الذي يفعله الغنى
 وغير ذلك (الرابع) أنهم يظهرون غير ما في بواطنهم وذلك بعينه صفة النفاق
 وهو أن يظهروا المراءى من نفسه شيئا وهو يريد غيره اللهم إلا في استثنى شرعا
 وذلك أنهم يبتعدون القراءة وقصد بعضهم وتعاقب خواطرهم بالمعاني
 (الخامس) أن بعضهم يقالي من القراءة لقوة البصيرة على ما هو عليه بعد ما
 وقد تقدم (السادس) أن بعض السامعين إذا طول القارى القراءة
 يتفلقون منه لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه من اللهو
 وهذا غير مقتضى ما وصف الله تعالى به أهل الخشية من أهل الإيمان لأنهم
 يحبون سماع كلام مولاهم لقوله تعالى في مدحهم وإذا سمعوا ما أنزل إلى
 الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا

فاكتبنامع الشاهدين فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر وبعض
 هؤلاء يستعملون الضم من ذلك فاذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بهده
 الى الرقص والفرح والسرور والطرب بما لا ينبغي فان الله وانا اليه راجعون
 على عدم الاستقصاء من عمل الذنوب يعملون اعمال الشيطان ويطلبون الاجر
 من رب العالمين ويرجعون انهم في تعبد وخير وباليات ذلك لو كان يفعلهم سقطة
 الناس وان كان قد همت اليك فوجد بعض من ينسب الى شئ من العلم او
 العمل يفعلهم وكذلك بعض من ينسب الى المشيخة اعنى في تربية المريدين
 وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر (ثم الجذب) كيف خفيت عليهم هذه المكيدة
 الشيطانية والدسيسة من الامم الا ترى ان شارب الخمر اذا شربه اول ما تدب
 فيه الخمرة يحرك رأسه ساعة بعد ساعة فاذا قويت عليه ذهب حياؤه ووقاره
 من حضره وانكشف ما كان يريد ستره عن جلسائه (فانظر) رحمتنا الله واريك
 الى هذا المغنى اذا غنى تجرد من له الهيبة والوقار وحسن الهيئة والسمات
 ويقتدى به اهل الاشارات والعبارات والعلوم والخيرات بسكوت له
 وينصت فاذا دب معه الطرب قلبه لا يحرك رأسه كما يفعل اهل الخمرة سواء
 كما تقدم ثم اذا تمكن الطرب منه ذهب حياؤه ووقاره كما سبق في الخمرة
 سواء بسواء فيقوم ويرقص ويمطوينا دى ويكي ويتباكى ويتخشع ويدخل
 ويخرج ويدسط يديه ويرفع رأسه نحو السماء كأنه جاءه المدد منها ويخرج
 الرغبة أى الزبد من فيه ورجماء مرقى بعض ثيابه وعيث بلحية وهذا منكربين
 لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال ولا شك ان تخزيق الثياب
 من ذلك هذا وجه (الثاني) انه في الظاهر يخرج عن حد العقل اذا أنه صدر
 منه ما يصدر من الهانين في غالب احوالهم (الثالث) انه الحق نفسه بالجهانم
 اذا تكليف انما خطوط به العقل وهو ذا يزعم انه سائب عقله ولو صدق
 في دعواه لبقى على ذلك الحال مدة والكثائر عند سكوت المغنى يسكن اذا ذلك
 ويرجع الى هيئته ويابس ثيابه ويلوم المغنى على سكوته ولومه دليل واضح
 على انه باقى مع حظوظ نفسه سامع لقول المغنى اذ لو كان غائبا عنه وهو عند
 ربه كما يزعم السااحس بالمغنى ولا غيره ان تكلموا أو سكوتوا (باليتمهم)
 لواقتمروا على ما ذكر واكتمهم زادوا على ذلك الداء العضال وهو الكذب

المحض الذي لا يشك فيه عاقل وانهم يخبرون بأشياء يزعمون انهم خوطبوا
 بها في سرهم فان يكن ما قالوه حقا وهواؤهم خوطبوا بما ذكر واغلاشك ان
 الشيطان اتى اليهم ذلك وقد لا يحتاجون الى الشيطان اذ ان نفوسهم اغتلت
 الشيطان عن تكلف امرهم فهي تتخذتهم وتسول لهم فيتخذون في سرهم بما
 يخافونه وسهم ثم يقولون خوطبنا بكذا وكذا ومعاذ الله ان يطاع على سر من
 أسرار من هو مخالف لربه عز وجل واكتابه ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
 (وقد) قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله فيمن ذكر له بالولاية مقصده فراء
 يقضم في المسجد قبل ان يلقاه فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون
 على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون أمينا على أسرار الحق (وقد)
 وعظم موسى عليه السلام يوما من ضربه فقام رجل فصاح ومزق بعض ما عليه
 فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان قل له عزق لي عن قلبي لاني جيبه
 اتري (ثم) انهم لم يقتصر على ما ذكر بل ضم بعضهم الى ذلك الامور الخفية
 وهو ان يكون المعنى شايبا تضيف الضرورة حسن الكسوة والمهيئة أو احدا من
 الجماعة الذين يتصنفون في رقصهم بل يخطبونهم للضرورة فان لم يحضر منهم رعا
 عاده ووجدوا في أنفسهم عليه وضرورة متنة كما تقدم سيما وهم يأتون الى
 ذلك شبه العروس التي تحب لكان العروس أقل فتنة لانها ساكتة حبيبه
 وهؤلاء عليهم العنبر والطيب يتخذون ذلك بين اوثابهم ويتكسرون مع ذلك
 في مشيهم اذ ذاك وكلامهم وروصهم ويتعاضدون فتأخذهم اذ ذاك احوال
 النفوس لرديئة من العشق والاشتياق الى التمتع بما يرونه من الشبان
 ويتمكن منهم الشيطان وتقوى عليهم النفس المتفارة بالسوء وينسدا عليهم
 باب الخير سدا (وقد) قال بعض السلف لأن اوتمن على سبعين عذراء أحب
 الى من أن اوتمن على شاب وقوله هذا ظاهر بين لأن العذراء تمتنع النفوس
 الزكية ابتداء من النظر اليها بخلاف الشاب (كما ورد) ان النظرة الاولى
 سم والشاب لا يتنقب ولا يجتفي بخلاف العذراء والشيطان من دأبه انه اذا
 كانت المعصية كبرى أجلب عليها بخله ورجله ويعمل الخيل الكثيرة
 ووجه آخره وأنه اذا تعاقى خمار الناظر بالعذراء يمكنه الوصول اليها باذن
 الشرع بخلاف الشاب (هذا) في حضور الشاب ليس الا فكيف اذا كان

مغنيا حسن الصوت والصورة وينشد التغزل ويتكسر في ضوته وحركاته
 فيفتن بعض من معه من الرجال وبعض النسوة يعان ذلك على ما قدم علم من
 نفاهم من السطوح والطافات وغير ذلك فيرينه ويسمعه وحن أرق قلوبا
 وأقل عقولا فتقع الفتنة في الفريقين ومن له عقل أولديه بعض علم أوهما
 معا وله غيرة اسلامية كيف يرون عليه أن يصف ما ذكره من أمر الشبان
 لزوجه أو لبعض أهله فان سماع مثل ذلك لمن يهيج قلوبهم لما تقدم من
 رقتهم وقلة عقولهم من الميل الى رؤية ذلك فكيف يتسبب في حضورهم
 حتى يعان ما يفتنهم ويغيرهم عن وده وقد يكون ذلك سببا الى قطع المودة
 والالفة التي كانت بينهما وقد يؤول ذلك في الغالب الى الفراق فيفسد حال
 الزوج وحال الزوجة جزاء وفاقارته كبروا ما نهوا عنه فحوزوا عليه بالنكاح
 العاجل اذ أن الغالب اذا حصل ذلك دخل الاقارب والمجيران والمجنادة
 والقاضي بينهم وتشتت أحوالهم بعد جمعهم وصاروا فرقا بعد أن كانوا
 مجتمعين وأنشد بعضهم

يا عصابة ما ضراقة أجرد * وسعي على افسادها الا هي
 طارومر مارون غمة شادن * أرايت قطعبادة بلام

وقد قال بعضهم للوطية على ثلاث مراتب طائفة تتمتع بالنظر وهو محرم لأن
 النظرة الى الامر ديشهوة حرام اجماعا بل صحح بعض العلماء انه محرم وان كان
 بغير شهوة والطائفة الثانية يمتنعون باللاعبة والمباشطة والمعانقة وغير
 ذلك عدا فعل الفاحشة الكبرى ولا يظن ظان ان ما تقدم ذكره من النظر
 واللاعبة والمباشطة والمعانقة أقل رتبة من فعل الفاحشة بل الدوام عليه
 يلحقه به لانهم قالوا لا صغيرة مع الاصرار واذا دام على الصغائر صارت ككثير
 هذا الكلام فيمن دام على الصغائر صارت بدوامه عليها ككثير والحكم في ذلك
 معلوم عند أهل العلم والمرتبة الثالثة فعل الفاحشة الكبرى (فالحاصل) ان
 هذا السماع اشتمل على مفسد جد له من الله والله والاسمعتاع
 بما لا يحل وقد قال الامام أبو طالب المتكى وجه الله في كتاب القوت له
 ويقال ان العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة أعمال لقتل نفس
 بغير نفس واقتيان الذكرا الذكر وركوب الانثى الانثى (وفي الخبر

لواغتسل الاوطى بالبهار لم يطهره الا التوبة وقد قال بعض صوفية الشام
 نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر اليه فخرى ابن الجلا
 الدمشقي وأخذ يري فاستحييت منه فقامت يا أبا عبد الله سبحانه الله تهجبت
 من هذه الصورة المحسنة وهذه الصلوة المحكمة كيف خلعت للنار فغمز
 يدي وقال لي جددن عقوبتها بعد حين فموقبت بذلك النظر بعد ثلاثين سنة
 وحدثنى بعض الاشياخ عن منصور الفقيه قال رأيت أبا عبد الله السكري في
 النوم فقالت له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه في العرق حتى سقط لحم
 وجهي قلت ولم ذلك قال نظرت الى غلام مقبل لا ومديرا وقد نقل الامام ابو
 بكر الفهرى المشهور بالطرموشى رحمه الله تعالى في كتابه الذى وضعه في
 انكار الغناء والسماع مطلقا مع سلامته مما ذكر وأعظم القول فيه فكيف به
 اذا انضاف اليه ما هو معلوم في هذا الزمان قال الامام السهروردى رحمه الله
 تعالى ما معناه ولا شك انك لو مثلت بين عينيك جلوس هؤلاء المغنين وتزويدتهم
 وهذه الآلات وهبتهما ويا شغل عليه السماع اليوم من الحركات والسكنات
 وغير ذلك لو جدت نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 حضور هذه المجالس ورؤيتها فكيف يفعلها من ينتمى الى طريق الصوفية
 وهم أشد الناس اتباعا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اه لان
 الفقراء الصادقين شعارهم ظاهر بين وهو مشيهم على كتاب الله تعالى وسنة
 رسوله صلى الله عليه وسلم وترك اللعب والمرأه والمجدال والمخالطة والمجوع
 والقبيل والقال هذه طريقة القوم الصادقين ومن تبعهم باحسان الى يوم
 الدين (فانظر) رحمه الله وآياته الى مخالفة السنة ما أشنعها وما أقبحها وكيف
 تجر الى المحرمات (الأتري) انهم اساءوا لقوا السنة المطهرة وفعلوا المولد لم
 يقتصر على فعله بل زادوا عليه ما تقدم ذكره من الاباطيل المتعددة فالسعيد
 السعيد من شديده على امثال الكتاب والسنة والطريق الموصلة الى ذلك
 وهى اتباع السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين لانهم اعلم بالسنة منا
 اذ هم أعرف بالمقال وأفقه بالمحال وكذلك الاقتداء بمن تبعهم باحسان الى
 يوم الدين وليحذر من عوائد أهل الوقت ومن يفعل العوائد الرديئة وهذه
 المقاسد مركبة على فعل المولد اذا عمل بالسماع فان خلا منه وعمل طاعة ما فقط

يوم الاربعاء وفي منهاج الحليمي أن الدعاء مستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر
 لأنه عليه السلام استحباب الدعاء على الأحراب في ذلك اليوم في ذلك الوقت قبل مجيء فيه
 الاستعانة وذكر أنه ما بدى شيء يوم الاربعاء الا وقد تم فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه وكان
 صاحب الهداية يتوقف في ابتداء الامور على الاربعاء ويروي هذا الحديث ويقول هكذا
 كان يفعل أبي ويرويه عن شيخه أحمد بن عبد الرشيد وسئل عليه السلام عن يوم الخميس فقال
 يوم قضاء الحوائج والدخول على السلطان لأن فيه دخل ابراهيم عليه السلام على ملك مصر
 فقتل حاجته وأهدى اليه هاجر وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نوح فيه آدم حواء
 ويوسف رليخا وروى بنت شعيب وسليمان بلقيس ونوح عليه السلام خديجة وعائشة رضي
 الله عنهما وعن ابن مسعود رضي الله عنه من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرجه الله منه داء وأدخل
 فيه الشفاء (ثم استوى على العرش) قال في التبيان ثم في كتاب الله تعالى على خمسة أوجه الوجه
 الأول أتت عاطفة مرتبة وهو قوله ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا والوجه الثاني
 بمعنى قبل وهو قوله ثم استوى على العرش معناه قبل ذلك استوى على العرش لأن قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء يدل على أن وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض ومنه
 ثم ان مرجعهم لالى الخيم معناه قبل ذلك مرجعهم ومثله قول الشاعر
 قل لمن سادتم ساد أبوه • ثم قد ساد قبل ذلك جدته

والوجه الثالث بمعنى الواو وهو قوله ثم كان من الذين آمنوا معناه ومع ذلك كان من
 الذين آمنوا والرابع بمعنى الابتداء وهو قوله ألم نهلك الاقارب ثم تبعهم -م الاخرين معناه
 نحن نتبعهم والوجه الخامس تكون بمعنى التعجيب وهو قوله الحمد لله الذي خلق السموات
 والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم -م بعد لون معناه تعجبوا منهم كيف
 يكفرون بربهم -م انتهى بزيادة • يقول الفقير ثم هنالك تخيم شأن منزلة العرش وتنفض يله على
 السموات والارض لا للتراخي في الوقت كما ذهبوا اليه عند قوله تعالى ثم استوى الى السماء
 في أوائل سورة البقرة فلا حاجة الى التأويل واعلم أن الافلاك تسع طبقات بعضها فوق بعض
 والافلاك المحيط وهو العرش محيط بها كلها وكذلك جسم الانسان خالق من تسعة جواهر بعضها
 فوق بعض ليكون جسم الانسان مشاكلا للافلاك بالكمية والكيفية وهي أي الجواهر
 المخ والعظام والعصب والعروق وفيها دم واللحم والجلد والشعر والظفر وهو أي العرش أول
 الموجودات الجسماني كما أن روح نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أول الموجودات الروحاني وهو
 من ياقوتة جراد وله ألف شرفة وفي كل شرفة ألف عالم مثل ما في الدنيا بأسرها قال ابن الشيخ
 ومعنى الاستواء عليه الاستيلاء عليه بالقهر ونفاذ التصرف فيه وخص العرش بالاختيار عن
 الاستواء عليه كونه أعظم المخلوقات فيضيد أنه استولى على مادونه قال الحاددي ودخلت
 ثم على الاستواء وهي في المعنى داخلته على التدبير كما أنه قال ثم (يدبر الامر) وهو مستوعب
 العرش فان تدبير الامور كلها ينزل من عند العرش ولا ترفع الايدي في دعاء الحوائج
 نحو العرش قال القاضي يدبر الامر أي يتدبرها من الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقته به
 كلمته ويهيئ تصرفه بأسبابها وينزلها منه والتدبير النظار في أدبار الامور وهي مشهودة العاقبة

ونوى به المولد ودعا اليه الاخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفسه
 نية فقط اذ ان ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع
 السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لأنهم أشد
 الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وأسنته صلى الله
 عليه وسلم ولهم قدم السبق في المبادرة الى ذلك ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى
 المولد ونحن لم نسمع تباع فيه عينا ما وسعهم وقد علم ان اتباعهم في المصادر والموارد
 كما قال الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه وقد جاء في
 الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والممنكر معروفا انتهى وقد
 وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد لانهم
 يعتقدون انهم في طاعة ومن لا يعمل عمالهم يرون انه مقصر بخيل فان الله وانا
 اليه راجعون وقال ايضا وقد قال بعض الادباء كلاما منظوما في وصف
 زمانه هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعلهم * والمنكرون لكل أمر منكرو
 وبقيت في خلاف يركى بعضهم * بعضا يدفع معور عن معور
 أبى أن من الرجال بحجة * في صورة الرجل السبع الميصر
 فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر
 فسل الفقيه تكن فقيرا مثله * من يسع في علم باب يظفر
 * (فصل) * ثم انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أشنعها الا ترى انهم
 لما ابتدوا فعل المولد على ما تقدم تشوشت نفوس النساء لفعل ذلك وقد
 تقدم ما في مولد الرجال من البدع والمخالفة لسلف الماضين رضي الله عنهم
 اجمعين (فكيف) اذا فعله النساء لاجرم انهن لما فعلانه ظهرت فيه عورات
 جلية ومقاسد عديدة (فها) ما تقدم في مولد الرجال من انه يكون بعض
 النساء يتنظر الى الرجال فيقع ما يقع من التشويش بين الرجل وأهله بسبب
 ذلك كما تقدم (وفي المولد) الذي يفعله النساء ما هو أعظم وأدهى لان بعض
 الرجال يتطلع عليهم من بعض الطاقات ومن السطوح وربما عرف الرجال
 بسبب ذلك بعض النسوة المحاضرات فيقولون هذه زوجة فلان وهذه
 بنت فلان وربما تعلقت نفوس بعض الرجال ببعض من يرون وكذلك بعض

النسوة وبعثت عاق خاطرهما عن رآته يتقاربا من الرجال والشبان فقد
 يكون ذلك سببا الى وقوع الفتنة **الكبرى** والمفسدة العظمى كما تقدم
 في مولد الرجال بل هو أشد هذا وجه الوجه الثاني انهم اقتدوا بالرجال
 في الذكر جماعة يرفع أصواتهن كما يفعل الرجال وقد تقدم منع ذلك في أول
 الكتاب بأداته سيما وأصوات النساء فيهم من الترخيم والنسب داوة ما هو فتنة
 في الغالب في الواحدة منهن فكيف بالجماعة فتكثر الفتنة في قلوب من
 يسمعون من الرجال أو الشبان وأصواتهن عورة فان كان البيت الذي يعمل
 فيه المولد على الطريق أو على السوق زادت الفتنة وسمت البلوى لكثرة
 من يسمع أو يرى ذلك في الغالب (الثالث) ان تصفيةهن بالا كف فيه
 فتنة وزيادة في اظهار العورات ألا ترى ان بعض العلماء رحمهم الله تعالى قالوا
 في المرأة اذا نابت شيئا في صلاتها واضطرت الى التصفيق انها تصفق ببعض
 أصابعها على مظهرها وما ذاك الا خيفة صوت باطن كفها لان ذلك عورة
 (الرابع) ان بعضهن يرقص وقد تقدم ما في رقص الشبان والرجال من
 العورات والمفاسد وفي رقصهن أكثر وأشنع ولذلك أمرن بالاسترا **كثرا**
 من الرجال وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ولا يضر بن بأرجلهم ليعلم
 ما يخفين من زينتهن (وقد) علم من أحوال النسوة في هذا الوقت ان المرأة
 لا تخرج من بيتها في الغالب حتى تلبس أحسن ثيابها وتطيب وتزين ثم تفرغ
 عليها من الحلى ما تجد السبيل اليه فاذا رقصت وهي على هذه الحالة زادت
 خشيعة الحلى فقد تسمع من بعيد فتزيد الفتنة بحسب ذلك اذا يخلو أمرهن
 في الغالب من أن يكون بعض الرجال يستمعون وبعضهم يتطرون
 فتكثر الفتن وتفسد القلوب وتتشوش فن كان من أهل الدين وطرا عابيه
 سمع شيئا مما ذكر أو رؤيته تشوش من ذلك اذا نه لوسلم باطنه من الفتنة
 المهودة لوقع له التشويش من جهة ما يرى أو يسمع من مخالفة السنة كما
 تقدم في مراتب الانكار فان كان التشويش الواقع في باطنه من جهة
 ما يحده البشر غالبا فقد يؤول ذلك الى انه يتذكر شيئا من ذلك في حال تعبده
 وهو أشد من الأول فيخاف أن يصيب من فتنة العقوبة اما عاجلا واما آجلا
 لاجل فساد حاله مع ربه (وقد) تقدم ان خروج المرأة لا يكون الا ضرورة

شرعية ونزوحها للولد ليس اضرورة شرعية بل للبدع والمناكر والمحرمات
كما تقدم ذكره (ثم انهم) لا يهتمون بالولد الذي احتوى على ما تقدم ذكره من
المفاسد المذكورة الا بحضور من يزعم انها شيعة على عرفهم وقد تكون
وهو الغالب من تدخل نفسها في التفسير كتاب الله عز وجل فتمسروا في
قصص الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وتزيد وتنقص وربما
وقعت في الكفر الصريح وهي لا تشعر بنفسها واوليس ثم من يردّها ويرشدها
(وقد) بلغني انه وقع ذلك منها في بيت شيخ من الشيوخ المعتبرين في الوقت
ولا غير علمي احديا اكرموها واعطاوها (وقد) منع علماء وناجحة الله عليهم
المجلوس الى القصاص من الرجال اعنى الوعاظ الذين يعملون في المساجد
وغيرها (قال) الامام ابو طالب المكي رحمه الله في كتابه كانوا يرون القصاص
بدعة ويقولون لم يقص في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي زمن ابي بكر
ولا في زمن عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر
القصاص (وجاء) ابن عمر رضي الله عنه الى مجاشيه من المسجد فوجد قاصا
يقص فوجه الى صاحب الشرطة ان اخرجهم من المسجد فأنزله فلو كانت
القصاص من مجالس الذكروا القصاص علماء اخرجهم ابن عمر من المسجد
هذامع ورعه وزهده (وروي) ابو الاشهب عن الحسن قال القصاص بدعة
(وروي) عن عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن البصري
رحمه الله تعالى قلت اعود مرضا احب اليك او اجلس الى قاص قال عد
مرضاك قلت اشيع جنازة احب اليك او اجلس الى قاص قال شيع
جنازتك قلت ان استعان بي رجل في حاجته اعيته او اجلس الى قاص قال
اذهب في حاجتك (وقد) روى الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه خرج من المسجد وقال ما اخرجني من المسجد الا القاص ولولا ما خرجت
(وقال) خمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع
ظاهركم (وقال) ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر
فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا (وقد) قسم بعض العلماء المتكلمين
ثلاثة اقسام فوصفهم بما كنهم فقال المتكلمون ثلاثة اصحاب الكرامى
وهم القصاص واصحاب الاساطين وهم المفتون واصحاب الزوايا وهم

أهل المعرفة انتهى (وقد) منع علي بن أبي طالب رضي الله عنه كل من كان يتكلم في جامع البصرة حين مشى عليهم وسمع كلامهم ما خلا الحسن البصري فإنه لما انسمع كلامه وسأله فأجاب به بما ينبغي أبقاء وحده دون غيره فإذا كان مثل الحسن البصري وجلالة قدره لم يتركه حتى امتحنه فكيف الحال في زماننا هذا ومعلوم أن من أقامه على رضي الله عنه في ذلك الزمان أعلم وأفضل وأدين وأورع من كثير من علماء زماننا هذا وصلحائهم إذ أنهم في خير القرون المشهورة بذلك ونحن في هذا الزمان في القرون المشهورة بفساد حال من تقدم ذكره وسيأتي بيان بعض ما لم نذكره وصفة ما يفعله من ذلك في المساجد وغيرها في موضعه إن شاء الله تعالى (وسبب) المنع من ذلك أنهم ينقلون القصة على ما نقل فيها من الأقوال والمحكايات الضعيفة التي لا تصح أن تنسب لمنصب من نسبت إليه وقد قال علماء قنارسة الله عليهم إن من قال عن نبي من الأنبياء في غير القلاوة والمحدث أنه عصي أو خالف فقد كفر به وبالله من ذلك وكثير من الرجال ممن يطالع الكتب ويعرف الصحيح من السقيم قل أن يسلم من هذه المخاصمة فكيف بالمرأة التي هي معوجة أصلاً وفرعاً ثم انهم مع اعوجاجها أقلية المطالعة وإن طالعت فالغالب أنه يستوى عندها الصحيح والسقيم والغالب في القصص والمحكايات الضعف والكذب فتنه له إن كانت ثقة على ما رآته فيقع الخطأ فكيف بها إذا حرفته فزادت أو نقصت فيه فتضل وتضل فيدخلن النسوة في الغالب وهن مؤمنات فيخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين أسأل الله تعالى السلامة منه وقد قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتاب التفسير له حين تكلم على قوله تعالى وطفقا يخصفاً عن عليهما من ورق الجنة الآية في سورة طه قال القاضى أبو بكر بن العربي رضي الله عنه لا يجوز لأحد منّا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه أو قول نبيه فإما أن نبتدئ ذلك من قبل أنفسنا فليس بجائزاً في آياتنا الأدنين إنا المأموران لنا فكيف بإيادنا الأقدم الأعظم إلا كبر النبي المقدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين انتهى ثم العجب العجيب كيف يعملون المولد بالغا في الفرح والسرور كما تقدم لأجل مولده عليه

الصلاة والسلام كما تقدم في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام فيه
انتقل الى كرامة ربه عز وجل وفجعت الامة فيه وأصيب بمصائب عظيم
لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبداً فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن
الكثير وانفراد كل انسان بنفسه لما أصيب به لقوله عليه الصلاة والسلام
ليعزى المسلمون في مصائبهم المصيبة في انتهى فلما ذكر عليه الصلاة
والسلام المصيبة به ذهبت كل المصائب التي تصيب المرء في جميع أحواله
وبقيت لا خطر لها وأقد أحسن حسان حين رثاه عليه الصلاة والسلام بقوله
كنت السواد لنا ظرى * فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فمليك كنت أحاذر

فانظر في هذا الشهر الكريم والمحالة هذه كيف ياعبون فيه ويرقصون ولا
يبكون ولا يحزنون ولو فعلوا ذلك لكان أقرب الى الحال لأجل اقتراف
الذنوب والحزن والبكاء من أجل فقد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
مذهباً للذنوب ومحياً لآثارها مع انهم لو فعلوا ذلك وانتموه لكان أيضاً
بدعة وان كان الحزن عليه صلى الله عليه وسلم واجباً على كل مسلم دائماً لكان
لا يكون على سبيل الاجتماع لذلك والتباكى واظهار الحزن بل ذلك أعنى
الحزن في القلوب فان دمعت العين فيا حبذا والا فلا حرج اذا كان القلب
عامراً بالحزن والتأسف اذ هو المقصود بذلك كله وانما وقع المذكور هذا
الفصل لكونهم فعلوا الطرب الذي للنفوس فيه راحة وهو اللعب والرقص
والدف والشبابة وغير ذلك مما تقدم بخلاف البكاء والحزن اذ أنه ليس
للفس فيه راحة بل الكمد وحبس النفوس عن شهواتها وما لاذها ولو قال
قائل أنا عمل المولد للفرح والسرور ولولادته صلى الله عليه وسلم ثم اعمل يوماً
آخر للأتم والحزن والبكاء عليه (فالجواب) انه قد تقدم ان من عمل طعاماً
بذية المولد ليس الا وجمع له الاخوان فان ذلك بدعة وهذا وهو فعل واحد
ظاهراً بالبر والتقرب ليس الا فكيف بهذا الذي يجمع بدعاً جلة في مرة
واحدة فكيف اذا كرر ذلك مرتين مرة للفرح ومرة للحزن فتزيد البدع
ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع والله أعلم
(فصل ل) * ثم انظر رحمنا الله وإياك الى هذه الفاسد كيف

زادت على ما في مولد الرجال فتعدت فتنة الرجال الى النساء ثم تعدى ذلك الى
انه آل امرهم الى الخروج الى المقابر وهتك الحرم هناك بسبب اجتماع
الرجال والنساء والشبان مختلطين على الواعظ او الواعظة وتنصب لهم المنابر
ويصعدون عليها يخطون ويزيدون وينقصون ويقالون كما قد علم من
افعال الوعاظ وزعماتهم بتلك الطرق المعروفة عندهم والمنوك المذمومة
شرعا التي لا تليق بالؤمنين مقترنة قلوبهم وقلوب من أجمعهم شأنهم ويقالون
مع كل صوت ويرجعون بحسب حال ذلك الصوت مع التكسير والضرب
بأيديهم وأرجلهم على المنبر والكرسي واظهار التحزن والبكاء وهو حال من
البكاء والخشية وقد يكون عنده شيء من ذلك وهو عري عن التوفيق فيه
الا ترى الى ما ورد اذا استكمل نفاق المرأة كانت عيناه بحكم يدهير ساه مامتي
شاء انتهى وهذا شاهد من كثير من الناس فتنبه بعض هؤلاء المكاسين
وغيرهم من الظلمة تذكرهم بشيء من المواعظ او التحذير فيرسلون دموعهم
اذ ذلك ويتخشعون ويتضرعون ثم يبقون على حالهم لا يراجعون ولا يرجعون
فان الله وانما اليه راجعون وفي خروج النساء الى القبور من الكشف عما قد
تقدم وان النساء كنهن في بيوتهن لا يحجب بين فمك ان الرجال في القبور
صاروا نساء فاذا دخلوا البلد رجعوا وارجا لا يستحي منهم فيها

« (فصل — ل) » ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى تكايف هذا العدو
الاعين بل بعضهم لا يفتقر الى وسوسته اذا نهم شياطين الانس وقد فرروا
وأصاوا ان كل زمان قاضل يشغلونه في الغالب بأوتكاب المكروهات
والمحرمات وهو الاكثر لا ترى ان خروج النساء الى القبور رقيب من
المكروهات والمحرمات ما تقدم ذكر بعضه مما يعلم وجوده من غالبها ولا
يفعل ذلك في الغالب الا في الايام والليالي الشريفة كلها الى اجمع سيما
المقمرة منها فان الفتنة فيها اكثر فعاملوها بالنقيض على عاداتهم المذمومة اذ
ان الليالي المقمرة هي ليالي الايام البيض وهي افضل من غيرها اذ لم تكن من
الليالي المعلوم فضاهان ذلك مستثنى فان اجتمع الى الايام البيض ولياليها
شيء مما تقدم ذكره من الاشهر او الايام او الليالي الفاضلة فتزبد الفضائل
الى فضائل اخر فتتأكد المحرمة ويقع تعظيم الثواب والخيرات لمن قام بمحرمة

شي من ذلك كله فلما ان زادت هذه الفضائل قابلتها بضد ما يرام منهن على
عوائدهن الذميمة وان كن لم يقصدن ذلك لكن الواقع في الصورة الظاهرة
بالنقيض سواء بسواء فينتهكن في الغالب في الجمعة في ثلاثة ايام يوم
الخميس في الخروج الى القبور والجمعة في اقامتهن فيها والسبت
في رجوعهن الى بيوتهن على ما قدم علم وكذلك يوم عاشوراء والعيدين ويلة
النصف من شعبان ~~لكن~~ زادت ليلة النصف من شعبان بسبب الوقود
في الزاوية المتقدمة ذكرها وقد تقدم ما في ليلة النصف من شعبان من الفساد
الكثيرة بسبب الوقود فيها وفي القبور اشنع اذ فيه تفاؤل لمن هناك من موقى
المسلمين وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يتبع البيت بنار فكيف
يفعل ذلك على قبره وأعظم فتنة في اجتماع النساء والشبان والرجال
مختلطين واجتماعهم فتنة حيث وجدوا لكن في القبور أشد وأعظم

« (فصل ل) » ثم انه هم ضموا هذه الثلاثة الايام المذكورة يوم
الاثنين لزيارة السيد الحسين وحضور بعضهن سوق القاهرة لما يقصدن
فيه من الاغراض الله اعلم بها وجمعن يوم الاربعاء لزيارة الست نفيسة أو
حضور سوق مراقبة حواشجهن على ما يرضعن ويوم الاحد محضور سوق
ممر ايضا فلم يترك الاقامة في الغالب الا يوما واحدا وهو يوم الثلاثاء ان
سلمن فيه من الزيارة لمن يخترن وقد تقدم ان خروج النساء لا يجوز الا ضرورة
شرعية فإين الضرورة الشرعية ولو حكى هذا عن الرجال لكان فيه شناعة
وقبح فكيف به في النساء فان الله وانا اليه راجعون

« (فصل ل) » ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى مخالفة الشرع
فانه الاثنى الا بالشر والخير كله في الاتباع ألا ترى ان فتاوى العلماء قد
وقعت بهدم بنيان البيوت التي في القبور على ما سبق فلوامتنا أمر الشرع
في ذلك لانه سدت هذه المآل كلها وكفى الناس أمرا فبسبب ما هناك من
البنيان والمساكن وجد من لا خير فيه السبيل الى حصول اغراضه
المخسيسة ومخالفة الشرع نسأل الله العافية عنه ألا ترى الى ما قد قيل من
العصاة أن لا تجذبا ذاهم الانسان بالمعصية وأرادها وعمل عليها ولم يجد من
يفعلها أو وجدته ولكن لا يجد مكانا للاجتماع فيه فهو نوع من العصاة

(فكان) البنيان في القبور فيه مفسد (منها) هناك المحرم بخروجهم الى تلك المواضع فيجدن أين يقمن أغراضهن هذا وجه (الثاني) تيسير الأماكن لاجتماع الأغراض التحسية فتيسير المساكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك (الآثرى) ان بعضهم يبنون البيت مجاوراً للتربة التي تكون له ثم يموت هو وأهله ومعارفه وتنقطع آثارهم وتبقى الديار خالية فيجد من لا خير فيه السبيل الى مراده وقد يمكنه ذلك مع وجود حياة صاحبها بغير ذلك من الوجوه وقد يتقاع بابها فتبقى مأوى للفسقة واللاصوص (الثالث) وهو اكبر واشنع مما تقدم ذكره وذلك ان العلماء رحمة الله عليهم قد اتفقوا على ان الموضع الذي دفن فيه المسلم وقف عليه مادام منه شيء مما موجودا فيه حتى يفتنى فاذا فنى حينئذ يدفن غيره فيه فان بقي شيء مما من عظامه فالحرمة قائمة كجسده ولا يجوز ان يحفر عليه ولا يدفن معه غيره ولا يكشف عنه اتفاقاً الا ان يكون موضع قبره قد غصب الآثرى ان العلماء قد اختلفوا فيمن احدث ميتاً وأهمل عليه بعض التراب ثم تذكر ان ياقوتة وقعت في القبر لها قيمة أو نفقة ~~كثيرة~~ فهل يجوز ان يزال ما أهمل عليه من التراب لاخذ ما وقع لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال أو لا يجوز ذلك لاجل حرمة المسلم فلا يجوز الكشف بعد اهلاكه شيء من التراب عليه قولان للعلماء والحكمة في منع الكشف عنه خشية من أن يكون قد تغير حال الميت عما كان عليه فنعوا ذلك من باب الاسترعاء وقدمت من الله تعالى علينا بذلك في كتابه حيث قال ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً فالستر في الحياة ستر العورات وفي الممات ستر جيف الاجساد وتغير احوالها فكان البنيان في القبور سبباً الى خرق هذا الاجماع وانتهاك حرمة موقفي المسلمين في حفر قبورهم والكشف عنهم بل يأخذون ما وجدوا من الاموات على أي حال ~~كان~~ من قدم أو طراوة في القفا فيرمون ذلك في المزابل أو يدفنونه بعض دفن والغالب ان ذلك لا يفعله الا من له شوكة فيعملون في مواضع القبور البيوت العالية والمراحيض والسرايات وبنية عملون الموقفي وفيهم العلماء والاولياء والاشراف وغير ذلك ويحتمل أن يكون فيهم بعض الصحابة من كان مع عمر بن العاص رضي الله عنهم لانهم ما تواجدوا بمصر فيعملون في

مواضعهم السرايات التي للراحيض فتعم الأذية إن نقل من موقى المسلمين
ومن لم ينقل لفوة سرعان النجاسة المنبثثة اليهم في قبورهم وقد يفعل ذلك
من لا شوكه له ويسكت له العادة الذميمة الجارية فيهم ويسترهم وقد رأيت
ذلك عيانا حفر بعض الناس من لا شوكه له ووضع قبور المسلمين فرأيت
الفعلة وهم ينقلون عظام الموقى من قبورهم فيرمونها في موضع آخر حتى بنى
دارا عظيمة على زعمهم وحماما راصا مطبلا ويثرا وحوضا للسبيل على زعمهم بل
ارتكب بعض من له شوكه أمرا عظيما هو أشد مما ذكر وهو أنهم يجعلون
من يباشرون أموات المسلمين من قبورهم الأسارى من كفار الأفرنج
وغيرهم فيأخذون عظام الموقى في القفف بعد حفرهم عليهم بأذية ونسابة
وحسيفة فيكسرون العظام ويحرقون حرمة أهل الإسلام وقد قال عليه
الصلاة والسلام كسر عظام المسلم ميتا ككسر حي انتهى ثم إذا أخرجوا
العظام في القفف أيرمونها يتضاكنون على ذلك ويستهنئون وقد ينادى
بعض الأسارى على القفة التي معه فيها عظام موقى المسلمين كأنه يبيع
شيئا يقول قفة بربيع قفة بأربع فلوس قفة بفلسين إلى غير ذلك من
استهزائهم وكيف لا وهم أعداء الدين وقد وجدوا السبيل إلى الجهاد على
زعمهم فانتهمروا بذلك وما بات خواما طرهم بما نالوا منه (فانظر) رحمنا الله
واياك إلى هذه المفسدة ما أعظم قبحها وما أشنعها وارتكب خرق الإجماع
فيها كل ذلك سببه تسامح بعض علماء الوقت في النهي عن البنيان في القبور
ووقع ذلك لولاء الأمور بل بعض من ينتسب إلى العلم والفتوى وغير ذلك من
المناصب الدينية والوصول إلى أرباب الأمور وتجدهم فيها مواضع عالية عظيمة
عندهم وتشبهوا في ذلك بمن لا علم عنده بل يقف بعض من ينتسب إلى العلم
والفتوى على تربهم الأوقاف على القراء والفقراء والذاكرين على ما تقدم
ببانه وقد تقدم بعض حالهم فيما يقرعونه من تلك الطرق الرديئة التي
أحدثوها وغير ذلك ويقفون على طلبة العلم والبواب والقيم والمؤذن وعلى
الزيت لو قود المكان (ويمنع) الوقود هناك لوجوه (أحدها) مخالفة السلف
في ذلك (والثاني) ما فيه من التفاؤل لنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن
يتبع الميت بنارفه فيفبه أن يفعل ذلك على قبره (والثالث) إضاعة المال

الحسيفة بجاه
وسين مهم-أتين
كالضغينة وزنا
ومعنى اه

وقد تقدم والعجب العجيب من كونهم يفتنون في محاسن علمهم بأن الميت لا يجوز أن يندش وهو في قبره ولا أن يتسبب في ذلك ثم ان بعضهم يفعل ما تقدم ذكره من المراحض والفساق المملوءة بالماء للاستعمال ثم يقفون على ذلك وقفا فيكون الوقف في الحقيقة على من يقول عليهم وينجبهم فتجد أكثرهم دورهم أحسن ترتيبا لزيادة الاجتماع عنده من القراء والفقراء وقومة المكان ومن كان يأتي اليهم وإلى زيارتهم على ما تقدم ذكره (فاذا) علم ما ذكره وتحقق بمشاهدته عيانا بطل اذ ذلك الوقف لأن الوقف لا يصح إلا أن يكون قربة في نفسه وهذا كما تراهم منافا للقربة قطعاً فأين القربة وفيه ما تقدم ذكره مع أنهم لم يقتصروا على ما ذكر بل يتفخخون في ذلك حتى في صفة الرخام الذي يفرشونه حول القبر وعليه (وأما) بذيان القبر والاعمدة المنقوشة والسقوف المذهبة والتصاوير التي في بعضها وغير ذلك فسيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى (ثم انظر) رحمنا الله وأياك إلى مخالفة الشرع كيف ينعكس مراد من خالفه إلى ضده (الأنرى) أنهم لما وقفوا الاوقاف على من ذكره على ما تقدم بيانه وما قصدوا بالاوقاف الا كثرة الترحم عليهم فلم ان جعلوها على غير وجهها كما تقدم بيانه انعكس عليهم الأمر فكان ذلك سبباً لعدم الترحم عليهم والدعاء لهم من يأتي لزيارة القبور أو يمر بها إذا أنهم محجوبون بتلك القصور والابواب والمحجابين من الطواشية وغيرهم كأنهم في الدنيا على حال رياستهم ومفاخرتهم بذلك على غيرهم من المسلمين فاستصحبوا ذلك حتى في القبور

(فصل) ثم العجب كيف غاب عنهم أصل الشريعة وعمدتها اذ أن الأصل في الشرع الورع وكل أحد فيه على مرتبته والورع بالمرء المسلم عند موته أولى به بل أوجب عليه مما هو في حياته اذ أنه ما بقى له في دار الدنيا إقامة الا أنفاس يسيرة فيحتاج ان يتأهب للقاء المولى سبحانه وتعالى ولا شيء عنده أفضل من الورع للحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام لوقتكم حتى تكونوا كالحنايا وصعتم حتى تكونوا كاللاتار ولم يكن لكم ورع حاجز لم يمنعكم ذلك من الناراه (فنعكس) هؤلاء الامر وجهه والمسال من وجهه ومن غير وجهه وغص به وام واضح قبره وموتى المسلمين وهم را حملون لا قول منزل من منازل

الاخرة وينواوشيدوا الديار وغيرها من مال جمع من الشبهات او من
الحرام او هما معا عكس تحصل المتقين بل المسلمين والغصب من الكاثر فيما
هو للاحياء فكيف بمساها ولوقى خصوصاً غصباً واسعاً فوق الموقى وينوافيها
بتلك الاموال المتقدمة ذكرها (وقد) ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
من غصب شبرا من ارض ما وقع يوم القيامة الى سبع ارضين اهـ (ثم انهم)
لم يكتفوا بذلك حتى وقفوا من تلك الجهات المتقدمة ذكرها او قافا على تلك
المواضع المقصوبة وتسيدوا بذلك حتى وقفوا على انبعاث النجاسات على قبور
انفسهم وقبور غيرهم من المسلمين كما تقدم بيانه (ثم) العجب في حكمهم بصفة
هذا الوقف كيف يمكن والمحالة هذه ولم يذكروا الوقف للوقف مصرفا غير
ما وقفه عليه فلان يرجع ذلك مع الحكم بطلانه وذلك مذكور في كتب
الفقهاء

(فصل ل) فاذا تقرر هذا وعلم فلا ينبغي الدخول في تلك المواضع
للترحم ولا المحذور فنال مجازة هناك ولا غيرهما اذ ان تلك المواضع مقصوبة
لوقى المسلمين كما تقدم لانهم ان فعل ذلك فقد ارتكب ما لا ينبغي ومع ذلك
يخرج به عنه ذلك عن اقل مراتب الانكار وهو الانكار بالقلب لنص
الحديث وليس وراء ذلك مثقال حبة من خردل من ايمان اهـ (فان) قال
قائل الانكار هذه الاحمال له اذان من ينكر عليه قدماء فلا فائدة فيه
(فالجواب) ان في ترك الدخول فيه فائدة كبرى اذان فيه ردعا وزجرا من
يريد ان يتشبه به من الاحياء (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك كيفية
تدبير اللعين ابليس السنن الشريفة لا يجد سنة الا ويهمل على تركها بكيد
وتسويله وتزيينه ثم يسد لها بصددها (الان ترى) ان السنة في النساء في حال
حياتهن الاختفاء والحجاب المنيع ومهما امكن كان اولى واوجب وفي حال
الامات لم تفرق السنة بين قبور الرجال والنساء اعني في كيفية القبور ليس
لأحد مما زى يختص به (وانت) ترى حال بعض النسوة اليوم على النقيض
من ذلك فتراهن في حال الحياة يتبرجن في المواضع التي تقدم ذكرها وغيرها
ثم انهن اذا امتن يجهان على قبورهن اعني من قدر منهن فيجهان في التبرج
الحجاب من الطواشية والبقا بين وغيرهم فلا يدخل احد من لم يرضوه حتى
يؤذن له فعليه الحجاب بعد الموت وهن في قبورهن عكس الحياة فانتهى

الامر الى انه لا يصل اليه شئ من بركة من يزور القبر وراؤيترحم عليها او يمر
 بها كما تقدم في حق من يكر من الرجال وهيئات هيئات ليس الامر كما يزعمون
 لان الملك لا يتقرب اليه الا بالاشئ الذي ليس عنده اعنى انه سبحانه وتعالى
 لا يتصف به ولا يطلق عليه والله عز وجل غنى عن ذلك كله لانه الغنى الكريم
 وانما يتقرب اليه سبحانه وتعالى بالذل والفقر والسكنة والتواضع وهذه
 الاماني وما أشبهها هي التي تنزه المولى سبحانه وتعالى عنها وليس للعبد شرف
 ولا تقرب الا بها فان انحزم شئ منها نقص من حاله مع ربه تعالى بقدر ذلك
 فان الله وانما اليه راجعون على عكس الحال كان الناس يقتدون بالعلماء
 فصار اليوم الامر بالعكس وهو ان من لا علم عنده يرتكب ما لا ينبغي كما تقدم
 ذكره في باقي العالم فيقتدي به في ذلك وقد تقدم هذا في غير ما وضع فمعت
 الفتنة واستحكمت هذه البلية فلا تجد في الغالب من يتكلم في ذلك ولا من
 يعين على زواله او يشير الى ان ذلك مكروه او محرم (فان قيل) ان من ترحم
 على القبر وراشترك الجميع في ترجمه من كان خلف بنيان او غيره (فالجواب) ان
 قصد الزائر والمسار الترحم على من مريهم ومن رآهم من القبور واما من هو
 خلف حجاب ولم يقصده فلا يصل اليه شئ من ترجمه لانزال المدفون بحجاب
 ما بالتربة المشيدة وغيرها اللهم الا ان يعمد بدعائه موقى المسلمين اجمعين من
 غير تعيين لمن فعل هذا الفعل فيدخل فيهم هو وغيره من مات على الاسلام
 (ووجه آخر) وهو ان المؤمن مأمور بتغيير المنكر واقل مراتبه بالقلب واذا
 كان كذلك فالمؤمن العارف بلسان العلم في المسئلة الغالب عليه ان يتوقى
 الدعاء والترحم لمن قبره على ما وصف لان المكاف مأمور بان يذكر عليهم
 بشرطه ما ينوه وشيده وغصبه موقى المسلمين من مواضع دفنهم ومن دعاهم
 او ترحم عليهم فقد ترك الانكار عليهم لانهم او علموا ان المسلمين لا يترحمون عليهم
 اذا اتصفوا بما ذكر لامة تنوعوا من ذلك (ولهذا المعنى) امرنا به بحجران من امرنا
 بحجرانه لعلمهم برجعون (فان) قال قائل هذا في حق الاحياء واما الاموات
 فلا فائدة في حجرانهم بترك الدعاء لهم (فالجواب) ما تقدم من ان المكلف
 العالم بلسان العلم بتعين عليه ان لا يخرج عن اقل مراتب الانكار وهو الانكار
 بالقلب وذلك عام في حق الاحياء والاموات منهم فلا يدع لم (وفي) عدم

الترحم عليهم أيضا فائدة كبرى وهو الردع ان يريد أن يعمل عملهم ويحذو
 حذوهم ولو في بعض الناس والله الموفق (فن) كان يا كفايتك اليوم على
 هذا الحال لعله يحصل له عوضا من ذلك ثواب التأسف والتحصير على ما فاتته
 من الخير والاعانة عليه فاعله يكتب من خيريهم اذان من أحب قوما كما ينبغي
 شرعا الحق بهم ولم تزل الا كابر راحة الله عليهم بوصون عندهم بأن يدفنوا
 على طريق المسلمين لكي يصل اليهم بركة من يمر بهم من المسلمين ممن يترحم
 أو يستغفروا لله الموفق (وقد) خرجنا عما كنا بصدد من فعل المولد بالقبور
 ووقع الكلام على بعض مسائلها (ثم) نرجع الآن الى ما كنا بسبيله من ذكر
 شيء من مسائل المولد (فن) ذلك ان بعضهم يتورع عن فعل المولد بالفساني
 المتقدم ذكرها ويحرض عن ذلك القراء والقراء الذين يذكرون مجتمعين
 برفع الاصوات والمنوك كما علم من عادة القراء في هذا الزمان وكذلك القراء
 وقد تقدم الدليل على منع ذلك في غير المولد فكيف به في المولد وقد تقدم انه
 اذا أطعم الاخوان ليس الابنية المولد ان ذلك بدعة فكيف به هنا فن باب
 اخرى المنع منه وقد يحصل في هذا من المفسد بعض ما تقدم ذكره أو أكثر
 أو مثله (وبعضهم) يتورع عن هذا ويعمل المولد بقراءة البخاري وغيره
 عوضا عن ذلك وهذا وان كانت قراءة الحديث في نفسها من اكبر القرب
 والعبادات وفي البركة العظيمة والخير الكثير لكن اذا فعل ذلك بشرطه
 اللائق به على الوجه الشرعي كما ينبغي لا بنية المولد الا ترى ان الصلاة من
 أعظم القرب الى الله تعالى ومع ذلك فلو فعلها انسان في غير الوقت المشرع
 لها لكان مذموما مخالفا اذا كانت الصلاة به هذه المثابة فبالك بغيرها
 (فصل) ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم ولكن له فضة عند الناس
 متفرقة كان قد أعطاه في بعض الافراح والمواسم ويريد أن يستردها
 ويستعي ان يطالب ابداء فيعمل المولد حتى يكون ذلك سببا لا خدما اجتمع له
 عند الناس (وهذا) فيه وجوه من المفسد (أحدها) وهو أشدها انه يتصف
 بصفة النفاق وهو انه يظهر خلاف ما يبطن اذ ظاهر حاله انه عمل المولد بنية في
 به الدار الآخرة وباطنه انه يجمع به فضة (ومنهم) من يعمل المولد لاجل جمع
 الدراهم وهم على قسمين وكل قسم منهما على قسمين (فالقسم الاول) ان

تكون له دنيا ويتظاهر بأنه من الفقراء المساكين فيعمل المولد لتزيد دنياه بمساعدة الناس له فيزداد هذافسادا على المفاسد المتقدمة ذكرها ووجه آخر من المفاسد وهو أشد من الأول أنه يطالب بذلك ثناء الناس عليه والنفس تحب المحامد كثيرا وهذا فيه ما فيه (القسم الثاني منه) وهو أن يكون له مال إلا أنه من يخاف الناس من أسائه وشره فيعمل المولد حتى يساعد الناس تقيية على أنفسهم وأعراضهم فيزداد من الخطام بسبب ما فيه من الخصال المذمومة شرعا وهذا أمر خطر لأنه زاد على الأول أنه من يخاف من شره فهو معدود بفعله من الظالمات (القسم الثاني) من التقسيم الأول وهو أن يكون ضعيف الحال فيريد أن يتسع حاله فيعمل المولد لأجل ذلك (الثاني منه) أن يكون من الفقراء لكن له لسان يخاف منه ويتقى لأجله فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ما يمن ينشأه ويتقيه حتى أنه لو عذر من حضور المولد الذي يفعله أحد من معارفه لمحل به من الضرر ما يتشوش به وقد يؤول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاية الأمور قاصدا بذلك خط رتبته بالوقية فيه أو نقص ماله إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف وقد قال عليه الصلاة والسلام إن من شر الناس منزلة عند الله تعالى من اتقاء الناس لشره أو كما قال عليه السلام ثم مع ذلك تتشوف نفسه إلى الثناء والمدح كما تقدم فهذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الانس والجن مما يمتدح حصره فالسعيد السعيد من أعطى قيادته للاتباع وترك الأبرار رفقة الله تعالى لذلك بمنه (فصل) • فإن قال قائل ما الحكمة في كونه عليه الصلاة والسلام خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه على الصحيح والمشهور عند أكثر العلماء ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر واختص بقضائل عديدة ولا في الأشهر الحرم التي جعل الله لها الحرم يوم خالق السموات والأرض ولا في ليلة النصف من شعبان ولا في يوم الجمعة ولا في لياتها (فالجواب) من أربعة أوجه (الوجه الأول) ما ورد في الحديث من أن الله تعالى خالق الشجر يوم الاثنين انتهى وفي ذلك تنبيه

عظيم وهو أن خالق الاقوات والارزاق والفواكه والخيرات التي يتغذى بها
بنو آدم ومحيون ويتداون وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم
وتسكن بها خواطرهم عند رؤيتها لا طمئنان نفوسهم بتحصيل ما يبقى
حياتهم على ما جرت به العادة من حكمة المحكم سبحانه وتعالى فوجوده صلى
الله عليه وسلم في هذا الشهر في هذا اليوم قرعة عين بسبب ما وجد من الخير
العظيم والبركة الشاملة لا تفتقر صلوات الله عليه وسلامه (الوجه الثاني)
ان ظهوره عليه الصلاة والسلام في شهر ربيع فيه اشارة ظاهرة ان تفتن
اليها بالنسبة الى اشتقاق لفظة ربيع اذ ان فيه تقاؤلا حسنا بشارته لا تفتنه
عليه الصلاة والسلام والتفاؤل له اصل أشار اليه عليه الصلاة والسلام
(وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله - كل انسان من
اسمه نصيب هذا في الأشخاص وكذلك في غيرها واذا كان كذلك ففصل
الربيع فيه تنشق الارض عما في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالى وارزاقه
التي بها قوام العباد وحياتهم ومعاشهم وصلاح أحوالهم فينتفح الحب
والنوى وأنواع النيات والاقوات المقدرة فيها فينبه بها الناظر عند رؤيتها
وتبشره بالانحاش عما به قدوم ربه ها وفي ذلك اشارة عظيمة الى الاستبشار
بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالى ألا ترى انك اذا دخلت بستانا في مثل هذه
الايام تنظر اليه كأنه يفتح لك وتجد زهره كأن لسان حاله يخبرك بما لك من
الارزاق المدخرة والفواكه وكذلك الارض اذا انبتت نواتجها كأنه يحدثك
بلسان حاله كذلك أيضا (فولده) عليه الصلاة والسلام في شهر ربيع فيه
من الاشارات ما تقدم ذكر بعضه وذلك اشارة ظاهرة من المولى سبحانه
وتعالى الى التنويه بعظيم قدر هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وانه
رحمة للعالمين وبشرى للمؤمنين وحماية لهم من المالك والمخاوف في الدين وحماية
للكافرين بتأخير العذاب عنهم في الدنيا لاجله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم (وكيف) لا يكون ذلك والخير كله في الاتباع
وادرار نعم المولى سبحانه وتعالى انما يكتر عند الامتثال لامره واتباع سنن
انبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ومخالفة العدو واللعين وحنوده (الآثر)
انه عليه الصلاة والسلام - بين خروجه الى هذا الوجود لم يقدر اللعين ابليس

وجنوده على القرار في هذه الارض ولا في الثانية ولا في الثالثة الى ان نزلوا
الى الارض السابعة فخلت الارض منهم ببركة وجوده صلى الله عليه وسلم
فيها (فانظر) رحمتنا الله تعالى وايالك الى خلوا الارض من هذا الامين وجنوده
(وقد ورد) في شهر رمضان انهم يقيدون فائس التقييد من تقيهم بالكلية الى
تخوم الارض السابعة وفي هذا اشارة عظيمة دالة على كرامته عليه الصلاة
والسلام عند ربه والاعتنا به وعن تبعه (فان قيل) ان شهر رمضان تقيد
الشياطين في جميعه (فلا شك) ان تقيهم الى الارض السابعة السفلى في يوم
مولده عليه الصلاة والسلام اعظم من تقييدهم في شهر رمضان كله اذ فيه
ظهور منية الوقت الذي خلعت الارض من العبد وجنوده فيه فاليه فهم من
يفهم والله الموفق فوقعت البركات وادرار الارزاق ومن اعظمها منة الله
على عباده بهدايته عليه الصلاة والسلام لهم الى صراطه المستقيم اسأل الله
تعالى ان يعرفنا ببركته ذلك بمنه ويرزقنا اتباعه دينا ودنيا وآخرة بفضله
لارب سواه آمين (الوجه الثالث) ما في شريعته عليه الصلاة والسلام من
شبه المحال الا ترى ان فصل الربيع اعدل الفصول واحسنها اذ ليس فيه
برد مزعج ولا حر مفاق وايس في ايله ونهاره طول خارق بل كله معتدل
وفصله سالم من العال والامراض والعوارض التي يتوقعها الناس في
ابدانهم في زمان الخريف بل الناس تنتعش فيه قواهم وتصلح امرجتهم
وتتشرح صدورهم لان الابدان يدركها فيه من امداد القوة ما يدرك النبات
حين خروجه اذ منها حياة وافيطيب لياهم للاقيام ونهارهم للصيام لما تقدم من
اعتداله في الطول والقصر والحار والبرد فكان في ذلك شبه المحال بالشرعية
السحرة التي جاءها صلوات الله عليه وسلامه من رفع الاصر والاعلال
التي كانت على من كان قبلنا وقد نطق القرآن بذلك حيث يقول
سبحانه وتعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجذونه ~~مكتوبا~~
عندهم في التوراة والانجيل يا امرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحصل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاعلال التي كانت
عليهم (الوجه الرابع) انه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالى ان عليه الصلاة
والسلام تتشرف به الازمنة والاماكن لا هو يتشرف بها بل يحصل للزمان

والسكان الذي يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى والمزية على
 ما سواه من جأنسه الاما استثنى من ذلك لاجل زيادة الاعمال فيها وغير ذلك
 فلو ولد صلى الله عليه وسلم في الاوقات المتقدمة ذكرها لكان ظاهره يومه انه
 يتشرف بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده صلى الله عليه وسلم في غيرها
 ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالى به وكرامته عليه وقد تقدم ما في قوله عليه
 الصلاة والسلام للسائل الذي سأل عن صوم يوم الاثنين فقال صلى الله
 عليه وسلم ذلك يوم ولدت فيه ولما ان صرح صلى الله عليه وسلم بقوله في يوم
 الاثنين ذلك يوم ولدت فيه علم بذلك ما اختص به يوم الاثنين من الفضائل
 وكذلك الشهر الذي ظهر فيه صلى الله عليه وسلم (فان) كان يوم الجمعة فيه
 ساعة لا يصادفها عيد مسلم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه وقد قال
 الامام ابو بكر الفهرى المشهور بالطرطوشى رحمه الله تعالى معظم العلماء
 والاختيار انها بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وقوى رحمه الله ذلك
 بحديث قال في كتابه رواه مسلم في الصحيح وذكر فيه ان آدم خالق بعد العصر
 من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر الى الليل انتهى
 لان آدم عليه السلام هو ساكن الدار وهو المراد بالخطاب اذان الدار لا تتراد
 لنفسها بل لساكنها قال وقد كانت فاطمة رضى الله عنها اذا صلت العصر
 من يوم الجمعة تسبق قبل القبلة وتقبل على الذكر والدعاء ولا تكلم أحدا
 حتى تغرب الشمس وتقول ان الساعة المذكورة هي في ذلك الوقت وتؤثر
 ذلك عن أبيها صلى الله عليه وسلم فاذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها
 آدم عليه السلام لا يصادفها عيد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه
 (فلا شك) ان من صادف الساعة الذي ظهر فيها عليه الصلاة والسلام الى
 الوجود وهو يسأل الله تعالى شيئا انه قد تنجح سعيه وخطفه بمراده اذ ان المعنى
 الذي فضل الله تعالى به تلك الساعة في يوم الجمعة هو خالق آدم عليه السلام
 فسا بالاك بالساعة التي ولد فيها سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم قال
 عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال عليه الصلاة والسلام
 آدم من دونه تحت لوائى انتهى ووجه آخر ان يوم الجمعة فيه اهبط آدم
 وفيه تقوم الساعة ويوم الاثنين خير كله وأمن كله فله الحمد والمنة (فان)

قال قائل قد خص يوم الجمعة بالصلاة الجمعة والخطبة وغير ذلك مما هو مختص به (فالجواب) ما تقدم من أنه عليه الصلاة والسلام ما يخصه في نفسه الكريمة يخفف فيه الأمر عن أمته فلا يكافهم فيه زيادة عمل لأن المولى سبحانه وتعالى لما أن أخرجهم إلى الوجود في هذا اليوم المعين لم يكاف الأمة فيه زيادة عمل أكراماً لنبهه صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن أمته بسبب عنايته وجوده فيه قال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فهو عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين عمومًا ولا تقيده خصوصًا ومن جملة ذلك عدم التكليف كما تقدم (وقد) نقل الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى في كتاب الدلالات ما هذا الغرض أن الله عز وجل لم يخلق خلقًا أحب إليه من هذه الأمة ولا أكرم عليه من نبيه صلى الله عليه وسلم ثم النبيين بعده ثم الصديقين والأولياء المختارين وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل خلق آدم بألفي عام وجعله في عمود أمام عرشه يسبح الله ويقدس ثم خلق آدم عليه السلام من نور محمد صلى الله عليه وسلم وخلق نور النبيين عليهم السلام من نور آدم عليه السلام اهـ (وقد) أشار الفقيه الخطيب أبو الربيع في كتاب شفاء الصدور له إلى أشياء جليلة عظيمة (فإنها) ما روى أنه لما شاء الحكيم خالق ذاته صلى الله عليه وسلم المباركة المظهرة أمر سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض وأن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل عليه السلام وملائكة الفردوس وملائكة الرقيق الأعلى وقبض قبضة من موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بيضاء منيرة فجمعت بماء التسميم وغمست في مهبين أنهار الجنة حتى صارت كالدرء البيضاء ولها نور وشماع عظيم حتى طافت بها الملائكة حول العرش وحول الكرسي وفي السموات والأرض وفي الجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق محمدًا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام فلما خلق الله آدم في ظهريه السلام وضع في ظهريه قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع آدم في ظهريه نشيدًا كنشيد الطير فقال آدم يا رب ما هذا النشيد قال هذا تسبيح نور محمد عليه السلام خاتم الأنبياء الذي أخرجته من ظهرك فخذ به هدي ومبشقي

النشيد الصوت اهـ

ولا تودعه الا في الارحام الطاهرة فقال آدم يا رب قد اخذته بهمه ذلك
وميتا فكل ولا اودعه الا في المظاهرين من الرجال والمهصنات من النساء فكان
نور محمد صلى الله عليه وسلم يتلأل في ظهر آدم وكانت الملائكة تقف خلفه
صفوفا ينظرون الى نور محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون سبحان الله استصفا انا
لما يرون فلما رأى آدم ذلك قال أي رب ما بال هؤلاء يقفون خلفي صفوفا
فقال الجليل سبحانه وتعالى له يا آدم ينظرون الى نور خاتم الانبياء الذي
أخرجه من ظهرك فقال أي رب أرنيه فأراه الله اياه قائما من به وصلى عليه
مشيرا بأصبعه ومن ذلك الاشارة بالاصبع بلا اله الا الله محمد رسول الله في
الصلاة فقال آدم رب اجعل هذا النور في مقدمي كي تستفياني الملائكة
ولا تستدبرني فجعل ذلك النور في جبهته فكان يرى في غرة آدم دائرة كدائرة
الشمس في دوران فلما كملها أو كالميد في غمامه وكانت الملائكة تقف أمامه
صفوفا ينظرون الى ذلك النور ويقولون سبحان الله ربنا استصفا انا لما يرون ثم
ان آدم عليه السلام قال يا رب اجعل هذا النور في موضع أراه فجعل الله
ذلك النور في سبابة فـ فكان آدم ينظر الى ذلك النور ثم ان آدم قال يا رب هل
بقي من هذا النور شيء في ظهري فقال نعم بقي نورا أصحابه فقال أي رب اجعله
في بقية أصابعي فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في اليمنى ونور عثمان في
المخمس ونور علي في الابهام فكانت تلك الانوار تتلأل في أصابع آدم
مادام في الجنة فلما صار خليفة في الارض انتقلت الانوار من أصابعه الى ظاهره
اه (وفيه) ايضا ان أول ما خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم فاقبل ذلك
النور يتردد ويسجد بين يدي الله عز وجل فقسمة الله تعالى على أربعة
أجزاء فخلق من الجزء الأول العرش ومن الثاني القلم ومن الثالث اللوح ثم
قال لا علم اجروا كتب فقال يا رب ما كتب قال ما أنا خالقـه الى يوم القيامة
فجري القلم على اللوح وكتب حتى أتى على آخر ما أمره الله سبحانه وتعالى به
واقبل الجزء الرابع يتردد بين يدي الله تعالى ويسجد لله عز وجل فقسمة
الله أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العقل ومن الثاني المعرفة وأسكنها في
قلوب العباد ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الابصار والجزء
الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه السلام فاسكن ذلك النور

فيه فنور العرش من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور القلم من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور اللوح من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور النهار من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور العقل من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور المعرفة ونور الشمس ونور القمر ونور الابصار من نور محمد صلى الله عليه وسلم اه (وقد ورد) في هذا المعنى كثير فن اراده فليقف عليه في كتاب الشفاء لابي الربيع (ولا جيل) هذا المعنى قال آدم عليه السلام للذي صلى الله عليه وسلم فيما نقل باليامعناى ويا ابن صوري (وقد روى) الترمذي عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد انتهى فاثبت كان شهر ربه ضامن اختص بآية القدر وعظيم قدرها المشهور المعروف وان فيها يفرق كل امر حكيم على الرابع وان قيامها يبدل عبادة الف شهر ليس فيها ليلة القدر في اشق العبادات وهو الجهاد في سبيل الله تعالى (وعلم) ذلك كله حصل لنا باخباره عليه السلام وفضيلة الاوقات تلقيناها منه وعنه عليه الصلاة والسلام وشهر ربيع ويوم الاثنين وليلته علمنا افضل ذلك كله بظهوره عليه الصلاة والسلام فيها هو صلى الله عليه وسلم قطب دائرة الكون والذي خاق الوجود لاجله والذي فضات الاوقات ببركته والذي خصت أمته بآية القدر من اجله والذي يؤيد ما نحن بسيد له ما ورد من مناخرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعبد الله بن عباس رضى الله عنه حيث يقول له أنت القاتل مكة خير من المدينة فقال له رضى الله عنه هي حرم الله وأمنه وفيها بيته فقال أمير المؤمنين رضى الله عنه لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئا أنت القاتل الى آخره ثلاث مرات ومن المتن في قال محمد بن عيسى ولو أقر له بذلك لضربه يريد لا دبه على تفضيل مكة على المدينة لاعتقاده تفضيل المدينة على مكة أو هو يرى ترك الاحتقاف تفضيل احدهما على الاخرى الا أن الوجه الاول أنهما راسا شهر من أخذ الصحابة في ذلك دون تكبير فهذا امر يحج من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأن المدينة افضل من مكة (ومن) كتاب مسند وطأ مالك بن أنس لابي القاسم عبد الرحمن الغافقي الجوهري باسناده الى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفتحت القرى بالسيف وافتتحت المدينة

الغافقي نسبة
الى غافق حصن
بالاندلس اه

بالقرآن (ومنه) بإسناده إلى عروة بنت عبد الرحمن قالت تكلم مروان يوماً على المبرقة ذكر مكة وأطنت في ذكرها ولم يذكروا المدينة فقام رافع بن خديج فقال مالك يا هذا ذكرت مكة وأطنت في ذكرها ولم تذكر المدينة وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقول والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اه مع انه قد خصص بعض العلماء هجوم هذا الحديث وما أشبهه فقال انها خير من مكة في كثرة الرزق وبركة الثمار وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لا وإثاها وشدةها أحداً الا كنت له شفيهاً أو شهيداً يوم القيامة ومعنى لا وإثاها والجوع والشدة على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ومن حيث المعنى فبعد ان يحمل قوله عليه الصلاة والسلام على كثرة الثمار رآه وهو عليه الصلاة والسلام والمبين عن الله تعالى مراده وما هو الا فضل عنده والاعلى والاخص وكيف يمكن ان يخص هجوم الحديث والمدينة قد أشقت واختصت بالنبى صلى الله عليه وسلم حيا وميتاً على ما تقدم وما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى (وقد نقل الامام رزين رحمه الله تعالى في كتابه الذي جمع فيه الكتب الصحاح وذكر في باب فضل المدينة على ساكنيها فضل الصلاة والسلام ما هذا الغطاء عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً وقبر يحفر بالمدينة فأطاع رجل في القبر فقال بئس مضجع المؤمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت فقال الرجل اني لم أرد هذا اغما أردت القتل في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مثل القتل في سبيل الله ما على الارض بقعة أحب الى ان يكون قبري بها منها ثلاثا انتهى (فانظر) رحمنا الله تعالى وإياك الى ما احتوى عليه هذا الحديث من الفوائد الجملة والاسرار البينة وذلك ان المدينة بحاوله صلى الله عليه وسلم فيها حصلت لها هذه الخاصية العظيمة (الأتري) انه عليه الصلاة والسلام عاب قول القائل بئس مضجع المؤمن بقوله عليه الصلاة والسلام بئس ما قلت ففهمه ان ذلك خير مضجع المؤمن ثم أكد ذلك عليه الصلاة والسلام بحوايه حين قال الرجل اغما أردت القتل في سبيل الله فقال عليه الصلاة والسلام ولا مثل القتل في سبيل الله وقد جاء في القتل في سبيل الله من

الفضائل ما هو معلوم مثل قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية ومن ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام وددت اني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى فأقتل ثم أحيى فأقتل
وفضائله كثيرة متعددة مشهورة ثم انه عليه الصلاة والسلام فضل الدفن
فيها النفس الكريمة ولا غيره على القتل في سبيل الله تعالى على ما فيه من
الفضائل والخصوصية العظمى هذا هو عليه الصلاة والسلام على ما نراها
فكيف بعد أن حل في جوفها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فلا يمكن
أن تحصر فضيلة ذلك ولا يدرك قدرها (ومن الموطأ) ان مولانا عبد الله بن
عمر رضى الله عنه أتته في الفتنة فقالت اني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن
اشد علينا الزمان فقال له يا عبد الله بن عمر اعدى لك كاع فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر على لا رثاها وشدة أحد الا كنت له
شفيعا أو شهيدا يوم القيامة اه قال الباجي قال عيسى بن دينار هو شك من
المحدث ولا رثاها هو الجوع والشدة وتعذر الكسب والشدة يحتمل ان
يريد بها اللانواء ويحتمل ان يريد بها اكل ما يشتد بساكنها وتعظم ضرته
وقوله شفعنا الشفاعة على قسمين عند كثير من أهل السنة وهي شفاعتي
زيادة الدرجات ان تدخل الجنة وشفاعة في الخروج من النار خاصة وقوله
أو شهيدا يحتمل ان يريد به انه شهيد له بالمقام الذي فيه الاجر يقتضي ذلك
ان اشهادته فضلا في الاجر واحباط اللوز وفانه لا شك ان سكناه في المدينة
والبقاء بها يثبت له ويوجد ثابتا في جملة حسناته الا ان شهادته اني صلى الله
عليه وسلم زيادة في الاجر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في قتلي أحدانا
شهيدا على هؤلاء يوم القيامة والله أعلم وهذا الحديث يقتضي ان فضيلة
استيطان المدينة والبقاء بها باقية بعد اني صلى الله عليه وسلم اه (وهذا
المعنى) قريب مما جاء في الصائم من قوله تعالى على اسنان نبيه عليه الصلاة
والسلام كل من كل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزى به (واذا) كان له
سبحانه وتعالى وهو المجازي عليه فلا يدرك قدره ولا تحيط به العقول وفيما نحن
بسبيله شبه من ذلك لان يحملوه عليه الصلاة والسلام في الباردت بركته
مجمع من دفن فيها ومن لم يدفن فبركته للاحياء معلومة وكذلك للاموات

(الأتري) الى قوله عليه الصلاة والسلام من استطاع ان يموت بالمدينة
فمات بها فاني أشفع له ان مات بها فلم يكتب عليه الصلاة والسلام في فضيلتها
بما بينه وصرح به أول الحديث حتى قال ما على الأرض بقعة أحب الي ان
يكون قبري بها منها ثلاثا هو ذلك يقتضي العموم في المدينة كلها ثم انظر رجونا
الله تعالى وياك الى بعض سرته ذكره ذلك ثلاثا اذ أنه عليه الصلاة والسلام
كان من عادة الكرم إذا أراد ان ياتي امراله خماروبال كره ثلاثا فهاذا
دليل واضح على الاعتناء بالمدينة وما قاربها وما خصها الله تعالى به من
الفضائل العجيبة والبركات الشاملة العظيمة اذ أنه عز وجل يقول في كتابه
العزير حاكما عن حاله عليه الصلاة والسلام وما ينطق عن الهوى ان هو الا
روحى نوحى فاية ضله عليه الصلاة والسلام ويعظمه اغناه ومن جهة ربه
سبحانه وتعالى الى فأي باد و أي بقعة تصل الى هذا المقام (ومنها) اذكر صاحب
البيان والتقريب فيه والقاضى في المعرنة وتداخل كلامهما من قوله عليه
الصلاة والسلام على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون
ولا الدجال ولم يأت مثل ذلك في مكة (ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام
والمدينة خير لم لو كانوا يعلمون ولم يذكروا ذلك في مكة (ومنها) قوله عليه
الصلاة والسلام المدينة كالكةيرة تنفي خبثها وينصع طيبها ولم يأت مثل ذلك
في مكة (وأوضحها) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم ان ابراهيم دعاك
لمكة وأنا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ودعاء النبي
صلى الله عليه وسلم أفضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعاء على قدر فضل
الداعي (ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم حبيب الينا المدينة كحبيبنا
مكة أو أشد ومحبة الينا وبارك لنا في مدها وصاعها واتقل حياها فاجعلها
بالمحفة ولا يجوز ان يسأل ربه أن يحبب اليه الا دون على الأعلى (ومنها)
ما استقر عند السلف رضى الله عنهم حتى قال عمر من كمال على من يخاطبه
أنت القائل مكة خير من المدينة ثلاثا وقد تقدم (ومنها) قوله عليه الصلاة
والسلام لا يخرج من المدينة احد رغبة عنها الا أبدلها الله خيرا منه
(ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام أمرت بقريه تأكل القرى يقولون يثرب
وهي المدينة تنفي الياس كما ينفي الكبر خبث الحديد ولا معنى لقوله تأكل

قوله ويصنع بفتح
فكون ففتح أى
مخاص وقوله طيبها
بفتح الطاء وتشديد
الياء المكسورة اهـ

قوله ليارز بسكون
الهمزة وكسر
الراء أى يجتمع اهـ

القرى الاربعان فضاها عليها وزيايتها على غيرها (ومنها) قوله عليه الصلاة
والسلام ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى حجرها وتخصيصه اياها
بذلك لفضله على جميع البقاع التي لا يوجد هذا المعنى فيها ولا نرسول
الله صلى الله عليه وسلم مخلوق منها وهو خير البشر فترتبة أفضل الترتيب
ولا ن فرض الهجرة اليه ايوجب كون المقام بها طاعة وقربة والمقام غيرها
ذنبا ومعصية وذلك دال على فضاها على سائر البقاع انتهى كلامهما (فلما)
ان علم عليه الصلاة والسلام ان احب البقاع الى ربه هذه البقعة احب ان
يدفن فيها اذ انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم له شئ قطا يفضل لنفسه الكريمة
بل بحسب ما فضله ربه عز وجل (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام
جوابا لنسائه حين تكامن معه في تفضيله عائشة رضي الله عنها عليهن رضي
الله عنهن فأجابهن عليه الصلاة والسلام بقوله انه لم يوح الى في فراش
احدا كن الا في فراشها فكان عليه الصلاة والسلام بفضل الاشياء بحسب
ما فضله الله تعالى وهذا التأييد كاف (ومذهب) علماء المدينة رحمهم
الله تعالى انها افضل من مكة وان الصلاة في مسجد صلى الله عليه وسلم
افضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف وانها تفضل غيرها من
المساجد بالالف الا المسجد الاقصى فان الصلاة فيه بمائة صلاة للحديث
الوارد فيه وهو مشهور معروف (وبقول) علماء المدينة قال الامام مالك رحمه
الله تعالى ان المدينة افضل من مكة وان كانت مكة شرفها الله تعالى فاضلة
في نفسها فاذن فضلتها المدينة (وقد جاء) في تفضيل مكة النصوص الكثيرة
وكفى بها من الفضيلة انها طاع شمس النبي عليه الصلاة والسلام وفيها نبي
وأوحى الله تعالى اليه ومنها اسرى به الى قاب قوسين أو أدنى الى غير ذلك مما
اختصت به فخصت لها الفضيلة العظيمة به عليه الصلاة والسلام وبمن
قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (لكن) جرت حكمة الحكيم سبحانه
وتعالى ان جعل تفضيله عليه الصلاة والسلام متبوعا وان الاشياء كلها تتشرف
به ويعلو قدرها وفضلها بسببه كما تقدم فلما أقام النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة وظهر أمرها حتى انتقل منها الى ربه لم يكن قد يتوهم انه تشرف بمكة
فكان انتقاله عليه الصلاة والسلام الى المدينة ليخصه الله تعالى ببلد

وحده وحرم! ومسجد وروضة ووفود تسير اليه عليه الصلاة والسلام وهذا
 جار على قاعدة الفرض الذي لا يتم الاسلام الا به وهو شهادة أن لا اله الا الله
 وأن محمدا رسول الله فلو اقتصرا على الشهادة لله تعالى بالوحدانية
 ولم يقر له عليه الصلاة والسلام بالرسالة لم يصح له اسلام ولا ايمان فلم يصح
 التوحيد الا مع الاقرار له عليه الصلاة والسلام بالرسالة فما جعل الله
 عز وجل من المواضع المنسوبة اليه سبحانه وتعالى وفضاها بذلك جعل
 لنبيه صلى الله عليه وسلم مقابلاته فالفوفود تسير من كل الآفاق الى البيت
 العتيق وكذلك تسير الى زيارته عليه الصلاة والسلام ولما أن جعل سبحانه
 وتعالى البيت العتيق حراما جعل لنبيه صلى الله عليه وسلم حرمات يقابلها ولما أن
 جعل المسجد الحرام له فضيلة في الصلاة فيه جعل مسجد نبيه عليه الصلاة
 والسلام كذلك في تضعيف الاجور ولما أن كان الحجر الاسود يشهد
 للامامة يوم القيامة واذا شهد للامامة دخل الجنة جعل لنبيه صلى الله عليه
 وسلم في مقابلاته روضة من رياض الجنة (قال) القاضي أبو محمد عبد الوهاب
 رحمه الله في كتاب المعونة له وقد علم انه خص ذلك الموضع في الفضل له على
 بقيتها ~~فكان~~ أن يدل على فضاها على سواها اولى انتهى وقد تقدم هل
 هي بنفسها في الجنة أو العمل فيها يوجب روضة من رياض الجنة (فان)
 قال قائل قد خرج البزار من حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة وفي
 مسجدى ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة قال ولا تعلم
 هذا الحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجه من الوجوه
 بهذا اللفظ الا من هذا الوجه بهذا الاسناد واسناده حسن (فالجواب) ان
 ما كان رحمه الله تعالى قاعدة مذهبه انه يأخذ به أهل المدينة وان
 عارضه الحديث الصحيح وقد تقدم قول علماء المدينة في ذلك لأنهم لا يتركون
 العمل بالحديث الا لأمر أو جب ذلك عندهم فكان العمل عندما لا يوجب
 الله أقوى لأنه عنده كالاجماع مع ان الحديث لم يخرج من اشترط الصحة
 واذا كان ذلك كذلك فالرجوع الى العمل أرجح (فان) قال قائل قد شرع الجزاء
 في الصيد في حرم مكة ولم يشرع ذلك في حرم المدينة (فالجواب) أن العلماء

قد اختلفوا في ذلك ((فعلى)) القول الاول بوجوب الجزاء فلا فرق (وعلى)
 القول الثاني بعدم الجزاء (فالجواب) انه عليه الصلاة والسلام اخبرهم بما
 يحصل لهم به من رفع الدرجات ولم يكلفهم عملا لان تكليف العمل قد يقع
 بعضهم او اكثرهم في تركه فيؤول امرهم الى الخسران ثم وذا الله من ذلك
 فرفع عنهم عليه الصلاة والسلام ما يقع من بعضهم من التقصير الا ترى انه
 عليه الصلاة والسلام لم يزل يسأل ربه عز وجل في التخفيف عن أمته حتى ود
 المحسن الى خمس ببركة شفاعته وشفقته ورحمته وسؤاله في الرفق بهم (فان)
 قال قائل قالو فود تسيرا الى مكة لاداء فرض الحج بخلاف زيارته عليه الصلاة
 والسلام (فالجواب) ما تقدم من انه عليه الصلاة والسلام ينظر ابدا ما فيه
 الافضل لأئمة فيرشدهم اليه وما كان فيه تكليف يرفعه عنهم مكتفيا
 بالاشارة اليه فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ما يخص نفسه الكريمة
 يخففه عن أمته نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من بركات هذا النبي الكريم على
 ربه وشعول عنايته انه ولي ذلك والقادر عليه (ومما) يؤيد ما ذكر قوله عز
 وجل في كتابه العزيز ولا آخرة غير لك من الاولى في كل مقام أو مكان أو شيء
 من الاشياء اقيم فيه عليه الصلاة والسلام فهو افضل من الاول وان كان
 الاول في الفضيلة بحيث ينتهي ثم كذلك الى ما لا نهاية له ولا يشك ولا يرتاب
 ان حاله عليه الصلاة والسلام عند انتقاله الى ربه أعلى من مقاماته وأتمها اذ
 هو الختام والختم يكون أعلى مما قبله وأعظم منه (فان) كانت مكة موضع
 شمس مشرقه عليه الصلاة والسلام فالمدينة موضع شمس مغربه عليه الصلاة
 والسلام وفيها حل وأقام ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام الايمان
 بأرزمابين مكة والمدينة يريد والله أعلم ما بين مطالعة عليه الصلاة والسلام
 ومغربه (واذا) كان ذلك كذلك فسا نحن بسبيله مثله اعني بذلك ما ورد في
 فضل شهر رمضان من النصوص الكثيرة وما وقع في شهره ولده عليه
 الصلاة والسلام من ظهورات الآيات والمجربات الظاهرة البينة من انجاد نار
 فارس وانشقاق ايوان كسرى ومنع الشياطين من استراق السمع
 ونزول ابليس وجنوده الى الارض السابعة على ما تقدم ذكره (على) انه
 لو لم يقع شيء مما تقدم لاكتفى في فضيلته بوجوده عليه الصلاة والسلام فيه

ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى اعمرك انهم افي سكرتهم يعمهون ومعنى
 اعمرك تحيائك فاقسم سبحانه وتعالى بحياته صلى الله عليه وسلم ولهذا قال
 الامام احمد بن حنبل رحمه الله لا تنهقد اليمين بمخلوق الا بالنبي صلى الله
 عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل به هذا البلد قال بعض
 المفسرين لا يعني التاكيد وكان سيدي ابو محمد المرجاني رحمه الله تعالى
 يقول انما تكون لالتاكيد اذا قدمت الفائدة التي يحصل عليها الغبطة
 لا والفائدة موجودة وذلك ان قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد معناه اى قدر
 و اى خطر لهذا البلد حتى يقسم به وانت حل به وانما القدر والخطر لك فانت
 الذى يقسم بك اعظم جاهك وحرمتك عندنا (فاتظر) رحمتنا الله وياك الى سر
 هذا المعنى الذى ذكره الشيخ الجليل رحمه الله فى معنى الآية الكريمة اذ ان
 المراد بالبلد فى الآية الكريمة مكة اتفاقا ومكة قد تضافرت النصوص على
 تفضيلها فاذا كانت مكة بهذه المثابة من الفضيلة العظمى ومع ذلك
 لا يقسم بها مع وجوده عليه الصلاة والسلام فيها اذ انه عليه الصلاة والسلام
 كالشمس لا تظهر الا كواكب معها ابل هو الذى كسبت الا كوان من
 بهاء نوره عليه افضل الصلاة والسلام الا ترى الى قول من مدحه ببعض
 صفاته الجميلة حيث يقول

الى العرش والكرسى احمد قد دنا * ونوره همام من نوره يتلأ

واذا كان ذلك كذلك فوضع مقامه عليه الصلاة والسلام دائما لا يوازيه
 غيره وان شهدت له الا دلة بالفضيلة العظمى على ما تقدم (وبهذا) المعنى وما
 شابهه يعلم الفرق بين ما هو فاضل وبين ما هو افضل فانك اذا قلت مثلا
 الشمس اكثر ضوءا من البدر السلام من كل ما يعتريه فهو كلام صحيح اذ ان
 الشمس قد شاركت البدر فى بعض الضياء لكن للشمس زيادة ضياء
 اضعاف ذلك فظهرت فضيلة الشمس على البدر بتلك الزيادة واذا فضلت
 على البدر فعلى غيره من باب اولى والبدر يفضل على مادونه فى الضياء
 والجرم (واذا) كان ذلك كذلك فالمدنية التى هى موضع مقامه عليه الصلاة
 والسلام حيا وميتا التى قد خصت به عليه الصلاة والسلام اكرم من غيرها
 بوجوده عليه الصلاة والسلام فيها (الا ترى) ان مكة مع عظيم قدرها لم يقسم

بها الاجل حلولة اذ ذالك بهما فكيف يمكن أن تفضل موضعا حل فيه واقام به
 حيا وميتا فكيف يفضل غير وكل ما ذكر ظاهر بين في وجود الفضيلة اذ
 لا فرق في الاحترام لرفيع جنس به العزيز عليه الصلاة والسلام بين حياته
 وموته (وقد رأيت) لبعض العلماء انه قال من فضائل النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال ما من نبي دفن الا وقد رفع بعد ثلاث غيري فاني سألت الله
 عز وجل ان اكون فيما بينهم الى يوم القيامة وذلك قوله عز وجل وما كان الله
 ليعذبهم وانت فيهم (ثم انظر) رحمتنا الله تعالى واياك الى قوله عليه الصلاة
 والسلام من مات بأحد الحرمين **ك**كنت له شفيعا يوم القيامة فسوى عليه
 الصلاة والسلام بينهما في الشفاعة لم يهتم لم يقتصر عليه الصلاة والسلام على
 ذلك حتى خصص المدينة بالذ **ك**روحض على محسولة ذلك بالاستطاعة
 فقال عليه الصلاة والسلام من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني
 أشفع ان مات بها والاستطاعة هي بذل الجهد وفي ذلك فزيادة عنايته
 عليه السلام بأفراد المدينة بالذ **ك**ردليل على تميزها الأثرى الى قوله
 عليه الصلاة والسلام حياي خير لكم ومماتي خير لكم فجعل عليه الصلاة
 والسلام حياته ومماته كلاهما سببا في الفضيلة في تدي نفعه وبركته عليه
 الصلاة والسلام لأئمة أهلها وأوسطها وآخرها فنص عليه الصلاة والسلام
 على عموم نفعه في الحالتين معا كيف لا وهو سيد الأولين والآخرين وسيد
 من وطئ الأرض وكان من ربه في القرب والتداني مع التنزيه والتمديد
 كقاب قوسين أو أدنى (ثم) نرجع الى معنى كلام سيدي الشيخ الجليل أبي
 محمد الأرجاني رحمه الله تعالى فقال ثم أقدم سبحانه وتعالى به عليه الصلاة
 والسلام وبأئمة فقال تعالى ووالد وما ولد لان الوالد في حقيقة المعنى هو
 عليه الصلاة والسلام وأئمة أولاده اذ أنه عليه الصلاة والسلام كان سببا
 لأنعام عليهم بالحياة السرمدية والمخلود في جنات النعيم وسلامتهم مما كانوا
 فيه من الخطر العظيم وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال انما أنا لكم
 بمنابة الوالد انتهى وهذا ظاهر قال تعالى النبي أولى بالؤمنين من أنفسهم
 وأزواجه أمهاتهم فخفه عليه الصلاة والسلام أعظم من حقوق الوالد
 قال عليه الصلاة والسلام ابدأ بنفسك ثم بمن تعول فقدم نفسه على غيره والله

هو رجل قد قدمه في كتابه على نفس كل مؤمن ومعنى ذلك اذا تمارض له
حقان حق لنفسه وحق للنبي صلى الله عليه وسلم فأكدهما عليه وأوجب
حق النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجعل حق نفسه تبعاً للحق الأول ثم كذلك في
تتبع المحركات والسكنات واذا تأملت الامر في الشاهد وجدت نفعه عليه
الصلاة والسلام لك أعظم من الآباء والامهات وسائر الخلق أجمعين اذ ان
حقيقة امره عليه الصلاة والسلام انه وجدك غريقاً في بحار الذنوب والخطايا
الموجبة لغضب المولى سبحانه وتعالى فأنقذك وانقذ آباءك وابناءك ومن
مشى على مشيك وغاية أمر أبوك انهم ما أوجدك في المحس فكأناسيها
لاخراجك الى دار التكليف ومحل البلايا والمحن فاول ذنب يوقعه المرء فيها
استحق به النار ويبقى بعد ذلك في المشيئة ان شاء الله عز وجل أنقذ بالعدل
وان شاء عفا بالفضل فيبركته صلى الله عليه وسلم وبركة اتباعه أنقذك الله
الكريم مما قد كان حل بك وتزل بساحتك من الاطاعة لك به فتنبه لعظيم قدره
ورفع مقداره عند ربه وعظيم احسانه وجوده عليك قال الله سبحانه
وتعالى في صفته حريص عليك يا مؤمنين رؤوف رحيم ألا ترى الى قوله عليه
الصلاة والسلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم اه تخيره صلى الله عليه وسلم
في حياته بين جدالاتي ان من رآه أدر كره وهو مؤمن لا يفوقه غيره أبداً
في فضيلة مزية رؤيته عليه الصلاة والسلام ووقوع ذلك النظر الكريم
عليه وغير ذلك وأماموته عليه الصلاة والسلام فلا تن أعمال أمة تعرض
عليه صلى الله عليه وسلم وكذلك على الآباء والامهات والاقارب في كل اثنين
وتخمس فصار آه صلى الله عليه وسلم من الأعمال حسناً سريه ودعاً لصاحبه
وما كان من غير ذلك استغفر لصاحبه وهذا منه صلى الله عليه وسلم زيادة
في التلطف بك والاحسان اليك بخلاف الآباء والامهات فانهم يسرون
أو يحزنون ليس الا لا يقدر على غير ذلك (اللهم) بحرمته عليه الصلاة
والسلام عندك عرفنا قدر هذه النعمة التي مننت علينا بدوامها ولا تعرفها
لنا برؤها عنا اذك ولي ذلك والقادر عليه آمين (ولقد) أحسن الشيخ الامام
ابو يعقوب يوسف بن الشيخ أبي الحسن علي بن الشيخ أبي مروان عبد الملك
البكري عرف بابن السماط وهو وأخوه الشيخ الاجل أبي علي بن السماط شيخ

سيدى أبى محمد المرجاني وغيره ممن كان في وقته من الاكابر رحمهم الله حيث قال

أعلمت انك يا ربيع الاول * تاج على هام الزمان مكال
 مستعذب الامام مرتقب اللقا * كل الفضائل حين تقبل تقبل
 ما عدت الا سكنت عيدا ثالثا * بل أنت أحلى في العيون وأجل
 شرفا بـ ولد مصطفى لما بدا * أنت في الالهة وجهه المتהל
 وحيوت من أصبحت طرف زمانه * طرفا به في برد حسنك ترفل
 وما كنت أنفسها بلطف شمائل * بنسبها نفس العليل تعال
 واذا حدا المحادي بمنزلة الحمى * فالقصد سكان الحمى لا المنزل
 فضل الشهر علا ففاخرها فان * نفرت باطولها فانت الاطول
 واستثن منها ليلة القدر والى * اثناءها نزل الكتاب المنزل
 واصبح لقول الله فيها انها * من الف شهر في الابانة افضل
 واستكمل البشرى فانك لم تنزل * لك في القلوب مكانة لا تجهل
 لم لا وعشرك واثنائك أرى ينسا * قرابه شمس الضحى لا تعدل
 ومن الجهاب ان بدر استوى * لتمام عشرواثنين ويكمل
 ويفوق أعمار السماء لانها * للنقص من بعد الزيادة تنقل
 وكما هذا البدر لا يعزى الى * نقص ولا عن حاله يتحول
 بل نوره يزداد ضعفا كلما * طفق المحاق سنا البدور يبدل
 (فان قال قائل) فهذا الشهر لم نجد فيه زيادة في الاعمال كما نجد في غيره
 من الشهور والى الايام الفاضلة (فالجواب) ان تلك الزمينة حصلت لها
 الفضيلة بزيادة الاعمال الفاضلة فيها وهذا الشهر حصل له التشریف بظهور
 من جاءت الاعمال والخيرات التي حصلت بها الفضيلة لتلك الاوقات على يديه
 وبسببه صلى الله عليه وسلم هذا وجه ظاهر بين لا يرتاب فيه (ووجه ثان)
 وهو انه عليه الصلاة والسلام كما وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز حيث
 يقول في صفته بالمومنين رؤوف رحيم فكان دأبه صلى الله عليه وسلم طاب
 التخفيف عن أمته مهما قدر على ذلك ووجد السبيل اليه فله فلما ان كان
 هذا الشهر اختص بظهوره عليه الصلاة والسلام فيه لم يكف أمته زيادة

هل فيه بل أشار إلى ذلك بالتنبيه عليه (ووجه ثالث) وهو أن أهل الآفاق قد حرم عليهم الصوم في أيام التشريق وما ذلك إلا أن المحاسن ضيف الله تعالى فوقها الضيافة لأهل الأقاليم كلها كرامة لهم فكيف بالزمن الذي ظهر فيه من شرع ذلك على يديه صلوات الله عليه وسلامه (وقد قال) بعض الصحابة رضي الله عنهم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فلو لا أنت ما صنعنا ولا صلينا ولا حججنا بيت ربنا انتهى فكان عدم التكليف لأهل الشاقة غالباً وعدم الزيادة على المعتاد من العبادات لأن أمة صلى الله عليه وسلم في الشهر الذي ولد فيه في ضيافة وجوده صلى الله عليه وسلم (والس) أن كان تحريم الصوم على أهل الآفاق كرامة للعجاج الذين هم أضياف الله تعالى وكان ذلك على يد الخليل وولده الكريم اسمعيل صلوات الله عليهما وسلامه والضيافة ثلاث كما هو معلوم والس أن كان شهر ربيع الأول الذي ظهر فيه عليه الصلاة والسلام للوجود (كانت) الضيافة الشهر كله لكن ترك عليه الصلاة والسلام أمة راحة بهم في عدم التكليف لهم بتحريم الصوم عليهم والفطر لانه راحة للعالمين خصوصاً المؤمنين كما سبق وشأن الرجة التوسعة ألا ترى إلى عدم وجوب جزاء الصيد بالمدينة وقد تقدم فليفهم من يفهم والله الموفق

• (فصل في ذكر بعض مواسم أهل الكتاب) • فهذا بعض الكلام على المواسم التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه وبقى الكلام على المواسم التي اعتادها أكثرهم وهم يعلمون أنها مواسم مختصة بأهل الكتاب فتشبه بعض أهل الوقت بهم فيها أو شاركوهم في تعظيمها ياليت ذلك لو كان في العامة خصوصاً وأكنك ترى بعض من ينتسب إلى العلم يفعل ذلك في بيته ويعينهم عليه ويعجبه منهم ويدخل السرور على من عنده في البيت من كبير وصغير بتوسعة النفقة والكرم على زعمه بل زاد بعضهم أنهم يهادون بعض أهل الكتاب في مواسمهم ويرسلون إليهم ما يحسنه من مواسمهم فيستعينون بذلك على زيادة كفرهم ويرسل بعضهم الخرفان وبعضهم البطيخ الأخضر وبعضهم البطح وغير ذلك مما يكون في وقتهم وقد يجمع ذلك أكثرهم وهذا كله مخالف للشرع الشريف (ومن العتبية) قال أشهب

قيل لما لك أترى بأسا أن يهدي الرجل مجاره النصراني مكافأة له على هدية
 أهداها إليه قال ما ينبغي ذلك قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
 عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة الآية قال ابن رشد رحمه الله
 تعالى قوله مكافأة له على هدية أهداها إليه اذ لا ينبغي له أن يقبل منه هدية
 لأن المقصود من الهدايا التودد لقول النبي صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا
 وتذهب الشهادة فان أخطأ وقبل منه هديته وفاتت عنده فلا حسن ان
 يكافئه عليها حتى لا يكون له عليه فضل في معروف صنعه معه (وسئل)
 مالك رحمه الله عن مؤاكلة النصراني في اناء واحد قال تركه أحب إلى
 ولا يصادق نصرانيا قال ابن رشد رحمه الله الوجه في كراهة مصادقة النصراني
 بين لأن الله عز وجل يقول لا تتخذوا مؤايذين بالله واليوم الآخر يوادون
 من حاد الله ورسوله الآية فواجب على كل مسلم أن يبغض في الله من يكفر
 به ويجعل معه الما غيره و ~~يكذب~~ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤاكلته في
 اناء واحد تقتضي اللفة بينهما والمودة فهي تكملة من هذا الوجه وان علمت
 طهارة يده (ومن) مختصر الواضحة سئل ابن القاسم عن الركوب في السفن
 التي يركب فيها النصارى لأعيادهم فذكر ذلك بخسافة نزول المخط عليهم
~~كفرهم~~ الذي اجمعه ماله (قال) وذكر ابن القاسم للمسلم ان يهدي إلى
 النصراني في عيد مكافأة له ورآه من تعظيم عيده وعوناله على مصلحة كفره
 الا ترى انه لا يحصل للمسلمين ان يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم
 لا محاباة ولا ادا ما ولا ثوابا ولا يعارون دابة ولا يعاونون على شيء من دينهم لان
 ذلك من التعظيم لشركهم وعونهم على كفرهم وينبغي للمسلمين ان ينهوا
 المسلمين عن ذلك وهو قول مالك وغيره لم أعلم أحد اختلف في ذلك انتهى
 (ويمنع) التشبه بهم كما تقدم لما ورد في الحديث من تشبه بقوم فهو منهم
 ومعنى ذلك تنفير المسلمين عن موافقة الكفار في كل ما اختصوا به وقد كان
 عليه الصلاة والسلام يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم حتى قالت
 اليهود ان محمد يريد أن لا يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه (وقد) جمع هؤلاء
 بين التشبه بهم فيما ذكره والاعانة لهم على كفرهم فيزدادون به طغيانا اذا أنهم
 اذاروا المسلمين يوافقونهم أو يساعدونهم وهم معا ~~كان~~ ذلك سببا

اغبطتهم بدينهم ويظنون انهم على حق وكثر هذا بينهم اعني المهادة حتى ان
 بعض اهل الكتاب ليهادون ببعض ما يفعلونه في مواضعهم لبعض من له رياسة
 من المسلمين فيقبلون ذلك منهم ويشكرونهم ويكافئونهم واكثر اهل الكتاب
 يغبطون بدينهم ويسرون عند قبول المسلم ذلك منهم لانهم اهل صور
 وخائف فيظنون ان ارباب الرياسة في الدنيا من المسلمين هم اهل العلم
 والفضل والمشار اليهم في الدين وتعدى هذا السم لعامة المسلمين فسرى فيهم
 فغضبوا ومواضع اهل الكتاب وتكفوا فيها النفقة وقد يكون بعضهم فقيرا
 لا يقدر على النفقة فيكافه اهله واولاده ذلك حتى يتدأبن لفعله واكثرهم
 لا يفعل الا ضحية لجهله وجهل اهله بفضيلاتها او قلة ما بيده فلا يتكاف هو
 ولا هم بكافونه ذلك مع ان العلماء مرجعة الله عليهم قالوا يتدأبن للاضحية حتى
 انه لو كان له ثوبان باع احدهما واخذ به الاضحية ان لم يكن مضطرا اليه كما
 تقدم اما كيد امرها في الشرع (فاول) ما احدثوه في ذلك انهم اتخذوا اطعاما
 يختص بذلك اليوم فتشبهوا بهم في فعل النيروز فن لم يفعلهم منهم كان ذلك
 سببا لوقوع التشو يش بين الرجل واهله فلا بد له في ذلك اليوم من الزلاية
 والمريسة وغيرهما كل على قدر حاله فمنهم من يأتي بالصانع يبديت عنده
 فيقلها اليلا حتى لا تطلع الشمس الا وهي متيسرة فيرسلون منها لمن يختارون
 ويجمعون الاقارب والاصحاب وغير ذلك كانه عيب دينهم ثم يأكلون
 فيه البطيخ الاخضر والخوخ والبلح اذا وجدوه وغير ذلك مما يلزمه النساء
 لا زواجهن حتى صار ذلك كانه فرض عليهن لانهن اكتسبن ذلك من مجاورة
 القبط ومخالطتهم بهم فانسن بعوائدهم الرديئة (ثم انهم) يفعلون في ذلك
 اليوم افعا لا قيحة مستهجنة شرعا وطبعيا (فن ذلك) مضاربهم بالجلود
 وغيرها بعدا كل منهم على قدر حاله فبعض من له رياسة يفعلون ذلك
 كله في بيوتهم او في مساكنهم وبعض من لا يستحي او ليس له رياسة يفعلون
 ذلك في الطرق والازقة والاسواق وعلى شاطئ البحر ويجمعون الناس بما
 يفعلونه من المروءة فيها في ذلك اليوم بل صار ذلك امرا معمولاً به عندهم حتى
 ان الولي في ذلك اليوم لا يحكم لاحد من زهقت نفسه بضربهم في ذلك اليوم
 او سلب ماله كانه ابيع لهم فيه نهب المسلمين واستباحة دماهم اعني من

وجدوه في غريبتهم وهذا اليوم شبيه بما يفعلونه في يوم كسر الخاليج وهذا
 حصصتان من خصال فرعون بقيتا في آله وهم القبط فسرى ذلك منهم الى
 المسلمين ثم جرد ذلك الى امر عظيم وهو ان بعض السفلة اذا كان له عدو يخفي
 له ذلك لا احد اليومين المذكورين فباخذ جلد او غيرها فيجعل فيها حجرا او
 شيئا مما يمكن القتل به فيضرب به عدوه على جهة اللعب فهلك فيذهب
 دمه هدر لا يؤخذ له بشا ولا جيل هذه الخصلة الفرعونية وليت ذلك
 لو كان في عامة الناس بل سرى ذلك الى بعض من ينسب الى العلم فتري
 المدارس في ذلك اليوم لا تؤخذ فيها الدروس البتة ولا يتكلمون في مسألة
 بل تجد بعض المدارس مغلقة فيأجوبون فيها حتى لو جاءهم المدرس او غيره
 وتبوا عليه واساءوا الادب في حقهم وربما اخرجوا الحرم والقوة في الفسقية
 او قاربوا ذلك او صالحوهم على ترك الاخر اقل به بدراهم ياخذونها منه
 تقرب من الغصب الذي يبحثون فيه في بحالهم انه محرم اجماعا فاما كونه
 في ذلك اليوم من تلقاء انفسهم لا اصل له ولا فرع وهذه خصال مستهجنة
 من العوام فكيف يفعلها من ينسب الى العلم او من يزعم عند نفسه
 انه ممن يقتدى به في الدين والعلم ولو ان هذا المشار اليه حصلت له غير
 اهل الدين كما يزعم لغير علمهم ما فعلوه من ذلك وزجرهم عنه اذ هو قادر عليه
 ولو بكامة ما فلو قال امنعوا هذا ان يدخل المدرسة او اخرجوه منها
 او لا يحضر في مجلسي او قال لا تحدهم ما كنت اظن ان فيك قلة هذا الادب
 او انتم لا تتأذبون باداب اهل العلم واهل المروءة من العوام او من له حسب
 ونسب يرجع اليه او مثلكم لا يصلح ان يكون من طلبة العلم اولا كثر الله
 منكم او اذبح بعض اكابرهم بشئ من هذه الالفاظ لا ترجح من دونه عن تلك
 الافعال القبيحة واقبح من هذا انه يرى ان ذلك من حسن الخلق وحسن
 التآفي والتواضع في العشرة وان ذلك من الرياسة ويحصل بذلك التناء عليه
 هيئات هيئات ليست الرياسة بما تسول النفوس وانما هي بالاتباع للشرعية
 المطهرة وادابها الحسنة واخلاقها الجميلة ولو تأمل هذا من وقع فيه لحق له
 المكاء على ما اتى به من قبيح فعله اذ انه خرج بذلك عن اقل مراتب الانكار
 والتغيير وهو التغيير بالقلب وقد تقدم في معنى الحديث ان التغيير باليد

للأمراء ومن شابههم وباللسان للعلماء ومن شابههم وبالقلب للعوام وهذا قد نزل عن رتبته التي هي التغيير باللسان بل ترك رتبة العوام التي هي التغيير بالقلب وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام وليس وراء ذلك مثقال حبة من خردل من إيمان اهـ (فانظر) رحمتنا الله تعالى وإياك إلى بلية هذه العوائد الرديئة وقوة سريان سمها في القلوب كيف أوقعت هذا العالم في هذه الورطة العظيمة فترك التغيير وكان هـ لعل عليه بأدنى إشارة كما تقدم وهذه خصال الذميمة كما ترى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لعاب المؤمن في ثلاث وهذا عرى عنها كلها (ثم) أن من يفعل ذلك من العوام جمعوا فيما يفعلونه من ذلك مفساد جلة مستهجنة ففنا الخراق حرمه المسلمين في ذلك اليوم بإدخال التشويش عليهم ووقوع الضرر بهم ومنعه من قضاء ضروراتهم وحوائجهم سيما إن كان عند أحد منهم مريض يحتاج إلى شيء بلاطفه به أو ميت يحتاج إلى المبادرة إلى تجهيزه أو غريب لا يعرف عاداتهم الذميمة أو ناس لما يفعل في ذلك اليوم فاشعر بنفسه حتى حصل بينهم فإوقعوا به ما تقدم من أفعالهم القبيحة (فانظر) رحمتنا الله وإياك إلى الخصال الفرعونية لا يتبع منها إلا مثل هذه القبائح (ثم) انضم إلى ذلك مفسدتان عظيمتان بإيهام الله تعالى والمسلمون أحداهما شرب الخمر في ذلك اليوم للنصارى لا بد لهم منه وبعضهم يفعله جهارا وتمتد إلى ذلك لبعض عوام المسلمين في ذلك اليوم وبعضهم لا يستحيون في ذلك اليوم ولا يستخفون الثانية أن كثيرا من النساء ياعين في بيوتهن محتاطين نساء ورجالا وشباناً وبناتاً بكارا وبيل بعضهم بعضا فإذا ابتل ثوب أحدهم بقي بدنه متصفا بحكي الناظر أكثره فيقع بسبب ذلك ما لا يحصى ولا يعد من القبائح الرديئة وهذا وما شاكله أعظم فسادا وفتنة مما يفعلونه في المولد مما ذكرناه لانهم في المولد محتاطون لكن بشبابهم مستقرين بخلاف فعلهم في يوم النير وزفانهم فيه منهتكون لانهم نزحوا فيه ثيابهم وخلعوا فيه جلباب الحياء عنهم فتجد بعضهم عريانا عدا المثرر وآخر عليه خاقة أو قميص رفيع للمعتشم أو المحتشم منهم فاذا أتى عليه الماء صار كأنه مريان والغالب من عاداتهم الذميمة أن الجسارة لا تسقي من الجار وأن الشاب إذا تربع بينهن لا يستحيين منه وإن صار رجلا ولا يستحيين

من ابن العم ولا من شابهه من الاقارب وكذلك اصداق الزوج واصدقاء
 الاب والاصهار وغير ذلك مما هو معلوم من عاداتهم الذميمة هذه احوالهم
 في غير هذا اليوم وزادوا في هذا اليوم من رفع برقع الحياء عنهم ما هو شائع
 في ذكره فكيف برؤيته فكيف بفعله وهو ان يساهم كفاية ثم من انهما
 لا تمنع النظر لاصك ثرا لبدن ولا تمنع نهومة البدن ثم ياخذ بعضهم بعضا
 على جهة انه يلعب معه ويهبطه في هذا اليوم فيستمتع بعضهم ببعض
 ويتأذون بذلك كأنهم في ذلك اليوم كلهم نساء لعدم حياء بعضهم من
 بعض ويتصارع بعضهم مع بعض فساقيج هذا واشنع عند من يعتقد
 الاسلام ويدين به كأنما كان فحشا كان يا كفا ليلك على غربة الاسلام وغربة
 اهله ودنورا كثر معاملة الا ترى ان بعض هذه المفاصد عند بعض من ينسب
 الى العلم والدين فلم يبق في الغالب الا كما قال الامام رزين رحمه الله تعالى
 اغماهي اسماء وضعت على غير معانيات فان الله وانا اليه راجعون

• (فصل) • وانظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الفعل القبيح الذي
 يفعلونه في هذا اليوم المذكور من انهم ياخذون اناسا منهم فيخالفون فيه
 السنة اعني في تغيير ظاهر صورته وخالقه فيدخلون بذلك في عموم قوله
 عليه الصلاة والسلام لعن الله المغيرات والمغيرين لمخلق الله او كما قال عليه
 الصلاة والسلام فيغيرون وجهه بجير او دقيق ثم يجعلون له لحية من فروة
 او غيرها ويلبسونه ثوبا احمر او اصفر ليشهروه بذلك وقد ورد في الحديث
 من ابس ثوب شهرة كساء الله يوم القيامة ثوب ذل وصغار ثم اشمله عليه نارا
 ثم يجعلون على راسه طرطورا طويلا ثم يركبونه على حمار دميم في نفسه
 ويجعلون حوله الجريد الاخضر وشعار يخ البطح ويجعلون في يده شيئا يشبه
 الدفتر كأنه يحاسب الناس على ما يريد ان ياخذ منهم من المحبت والحرام
 فيطوفون به في أزقة البلد وشوارعها على الابواب وفي الاسواق على اثتر
 الدكاكين والبيوت فيأخذون منهم ما ياخذون على شبه الظلم والغصب
 والتعسف ربا كأنه ومن امتنع من ذلك آذوه بصب الماء عليه وربما كان
 فيه التراب فيمينونه بالضرب والكلام الفاحش المذموم شرعا وان رضيه
 بعضهم على سبيل البسط والمزاح فهو مذموم شرطا اذ شرط المزاح والبسط

ان يكون حقا ومزاجهم قلماسلم من الكذب وذكرا الفواحش ومن
تخصن من اهل البيوت فاغلق بابيه عليه ليسلم من اذاهم عظامت بابتهم
عليه فربما كسر وابتعض الابواب الضيقة وربما صبوا المياه الكثيرة
في الباب حتى قد يمنع الداخل والخارج وربما اخرجوا صاحب البيت فان
لم يدفع لهم ما يختارونه والاخرقوا حرمة وزادوا في اذيتهم ويحتجون بالنيروز
ويقولون ليس فيه حرج ولا احكام تقع واما المشايقون فاكثروا وشناعة
من ذلك كما هو مشهور ولا حاجة لذلك لشهرته ومعانينته ما فيه من المثالب
والمفاسد وهذا كله فيه من الرذائل والافعال الخبيثة ما لا يليق بذوى
العقول فكيف باهل الشر يمتنع من المسلمين وكل هذا في ذمة العالم اذ لم ينبه
على تلك الاشياء ونبه عنها ويقبحها ويكثر التشنيع على فاعلها ولا يختص
هذا بالعلم وحده بل في ارباب الامور اشد كالمحتسب والمحاكم ومن له امر
نافذ لان من رأى شيئا من ذلك من المسلمين وعجز عن التغيير فالواجب عليه
ان يرفع ذلك لولاة الامور فان غيروا وقاموا بالواجب عليهم اجر وان
تركوا ذلك اثموا وقد برئت ذمة من بالغهم وذمة المسلمين لان تغيير غير المحاكم
اثمهم وبالكلام الحسن والردع الجميل او يوصل ذلك اليهم اعنى ولادة الامور
(فانظر) رحمة الله تعالى واياك الى ما شغل عليه هذا الموسم الذي تشبهوا
فيه باهل الكتاب من القبح المستهجن والرذائل الفظيعة لو لم يكن
في ذلك الامانة قد ذكره من قتل النفوس ونهب الاموال كان فيه ما فيه
فكيف والامر على ما ترى وما بقى اكثر مما وصف فلو كان من معه علم يتكلم
في شئ من ذلك او يحفظ منه لانسدت هذه المآل (وقد) كان سيدى ابو محمد
رحمة الله تعالى اشتهى عليه بعض اولاده شهوة وصك انت تلك الشهوة
عما يفعل في المواسم التي لاهل الكتاب فامتنع من ذلك وكان من عادته رحمه
الله ان لا ياكل الا بشهوتهم امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام
المؤمن ياكل بشهوة عياله وذلك محمول على ما يجوز شرعا اعنى بذلك ان
يختر من عوائد الوقت من الاشياء المأكلة وغيرها مما لا يجوز بيعه شرعا
وذلك مع علمه منهم انهم لا يعرفون موسم اهل الكتاب ولا ما يفعل فيه
فلم يحجبهم في ذلك لما ارادوه فعزموا عليه فلم يفعل وترك اجابتهم رحمه الله

تعالى لا تمرين أحدهما وافقة أهل الكتاب في الصورة الظاهرة والثاني
 رعايا راه أحد فيقتدي به في فعله فحسم الباب بالمنع من ذلك فلو كان من
 ينسب إلى العلم يمشون على هذا الأسلوب لم يقع شيء من كل ما ذكر الانادرا
 اذان العالم هو القدوة والناس كلهم جديدهم وورديتهم راجعون اليه اما
 بالطواعية او بالجبور وفقنا الله تعالى لا تخرج السنة عنه وكرمه لا رب سواه
 (فصل في خميس العدس) وهو المرسوم الثاني من مواسم أهل الكتاب
 التي شاركهم فيها بعض المسلمين (وقد) اتخذت فيه أشياء لا ينبغي (فها)
 خروج النساء في ذلك اليوم اشراء البخور والخواتم وغيرهما فتجدهن
 في ذلك اليوم في الاسواق أكثر من الرجال فمن يمر بالسوق من الرجال
 لا يقدر على المشي فيه الا بمشقة لزجة النساء وقد يراجهن من لا خير فيه وقد
 تقدم في غير ما وضع ما في خروجهن واجتماعهن بالرجال من المفاسد التي
 لا دواء لها في الغالب ولو ان رجلا منع أهله من الخروج في ذلك اليوم لوقع
 التشويش بينهما وقديور الامر الى الفراق وقد قال مالك رحمه الله تعالى
 ينبغي ان يرفع الى السلطان أمر ما أحدثته النساء من جلوسهن عند الصواغين
 حتى يمتنعن من ذلك انتهى وانما تكلم مالك رحمه الله تعالى على الصواغين
 دون غيرهم لان النساء في ذلك الوقت لم يكن يفعلن ذلك الا عند الصواغين
 مع انهن كن في ذلك الزمان على ما ينبغي من الستر الشرعي والدين المتين
 وكذلك الصواغون اذ انهم كانوا في خير القرون المشهود لهم بالخيرية من
 صاحب الشرع الشريف ونحن اليوم في هذا الزمان بضد ذلك لان
 الصواغين وغيرهم من البياعين في كل ما يتعاطونه الغالب ان النساء هن
 اللاتي يباشرن ذلك كله بل تجد المرأة في الغالب تشترى لزوجها ما يحتاج
 اليه من لباسه لنفسه على ما تقدم فيتعين عليه ان يتقدم في هذا الباب
 الأمور حتى يمتنعوا من ذلك والله الموفق (وعما أحدثوه) فيه استعمال
 البخور لمن لا غيرهن من الرجال فيبخرون به ثم يتخطونه سبع مرات ثم
 يفضون عليه أيديهم وأرجلهم ويتفلون عليه ويرغمون ان ذلك يعرف
 عنهم العيب والكليل والوعكة من الجسد ويتكلمون بقرى البخور بكلام
 لا يعرف ولا علمه كفر كما تقدم (ومن ذلك) استعمالهم فيه العدس المصفي

وان كان جائزا فالبدعة تحريرهم له في ذلك اليوم المعين موافقة لاهل الكتاب
 في مواسمهم فن لم يفعل منهم تشوش هو اهل كما تقدم (ومن ذلك) صبغهم
 فيه البيض الوانا لا ولادهم وغيرهم وتعدى ذلك في الكثرة الى ان صار
 المقامرون وغيرهم يلعبون به يجها را ولا احد في العلم ينكر عليهم (ومن ذلك)
 شراؤهم فيه السلاح ويزعمون انها تطرد الشيطان من البيت الذي
 تكون فيه وهي ايات الشيطان لا ينطرد بالابتناع وانما ينطرد
 بالاتباع فكل ما يفعلونه من ذلك وما أشبهه انما هو من البدع المستعجبة
 والعوائد الذميمة وفيه تعظيم مواسم اهل الكتاب وتغييظهم بدينهم الباطل
 لانهم اذ اراوا المسلمين يتشبهون بهم اعنى في تعظيم مواسمهم بقوى ظنهم بأن
 ما هم عليه هو الحق فانظر رحمنا الله واياك الى هذه التلمة ما أشد قبحها وقد
 تقدم قبح ما أحدثوه في النير وزما أغنى عن ذكر مثله هنا اذ المعنى فيها
 واحد وهو تعظيم مواسم اهل الكتاب وارتكاب البدع ومخالفة السنن
 نسأل الله تعالى السلامة بمنه

*(فصل في ذكر اليوم الذي يزعمون انه سبت النور) وهو لعمر الله بضد
 هذه التسمية أليق آيت ذلك أو كان في عوام الناس لكان تجد بعض الخاصة
 من ينسب الى طرف علم أو صلاح أو همام ما يسمونه بهذه التسمية وذلك
 تعظيم منهم له في الظاهر ويشاركونهم في أفعالهم الذميمة المتقدمة ذكرها وفي
 تشبههم بهم في ذلك تعظيم لمواسمهم وتغييظ لهم بدينهم فيظنون انهم على حق
 بسبب تعظيم المسلمين لمواسمهم في الصورة الظاهرة يشاركتهم لهم في أفعالهم
 فيه كما تقدم (وقد تقدم) ما يفعلونه في يوم النير وما فيه من القبائح
 والذائل المتعددة وفي ذلك غنية عن اعادة مثله هنا (لكن) نشير الى بعض
 ما يفعلونه في هذا اليوم الخاص وما يظهرون فيه من العورات المخالفة
 لشرع الشريف (فن ذلك) ما يفعلونه في صحر ذلك اليوم وهو انهم يجتمعون
 في امسه ورق الشجر على أنواعه حتى الريحان وغيره فيبيتونه في اناه فيه
 ماء ويغتسلون به ثم يأخذون ما اجتمع من غسائهم ويطبقونه في طريق المسلمين
 وفي مفرق الطريق ويزعمون ان ذلك يذهب عنهم الامراض والاسقام
 والكسل والعين والسحر وغير ذلك وان من يمر به تصيبه تلك العلل وينتقل

ما كان عليه الى من تخطاه من المارين وكذلك يفعلون في يوم النبر وزو هذا
لو كان صحيحا ~~كان~~ قصدهم لذلك محرما اذ فيه قصد اذية المسلمين
وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال المؤمن يحب لآخيه
المؤمن ما يحب لنفسه ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سافر لآخيه
المؤمن فقرة أو فقه الله فيها وقوله عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس
منا اه فأقول ما يفعلونه في ذلك اليوم قصدهم المحرم المتفق عليه وقد قال
عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار اه وهو لا قد قصدوا الضرر للمسلمين
وغيرهم ممن يمر على ذلك وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالباطلة الاذي
عن الطريق وهو لا يزعمون ان في ذلك اذى ومع ذلك يرمونه في طريق
المسلمين اي صيدهم وقد روى ابوداود في سننه عن جابر بن عبد الله قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هو من عمل الشيطان اه على
انه نقل عن مالك رحمه الله الرخصة في النشرة بورق الاشجار اما ان سئل عن
ذلك فقال لا بأس به فعناه ان يجعل الورق في ماء يغمره فاذا أصبح أخذه
من يحتاج اليه فيسل يده منه ومشاهها على يده هـ ذاهو النشرة المعروفة
عند العلماء واما الغسل به فلا سيما مع ما أضافوا اليه من تلك الافعال
القبیحة المتقدمة ذكرها وهي لا تجوز في الشرع ولا من جهة المروءات (ومن
ذلك) اكتهم في صبيحة ذلك اليوم بالذباب او الكحل الاسودا وغيرهما
وزعمون ان من اكتحل من ذلك ~~يكتسب~~ نوراً زائدا في بصره يرى به
الخشاش في طول سنه ولا يخفى عليه منه شيء وذلك تحكم منهم والشاهد
يكذب ذلك حسا ومعنى (ومن ذلك) ما يفعلونه من شرب الدواء في ذلك اليوم
وزعمون ان شرب الدواء فيه ايس كغيره من الايام وفي ذلك تعظيم له كما
تقدم (ومن ذلك) ان من كان منهم يشتكى بحكة فانه يخرجون في ذلك اليوم
الى ظاهر البلد على شاطئ النبل ويفعلون افعالا قبيحة يستحي من فعلها اهل
الديان الباطلة ويعيبون على فاعها وينسبونها الى عدم الحياء والغيرة
والمروءة وذلك ان النساء يتعربن في ذلك الموضع حتى انهن لا يبقين عليهن
من السترة بالثياب شيئا لامترا ولا سراويل ثم يدهن بالكبريت ويقعدن
في الشمس أكثر يومهن على تلك الحال والناس يمرون عليهن برا وبجرا ولا

النشرة بالضم
كالرقبة وزنا
ومعنى اه

يستحبين وكذلك يفعل بعض الرجال أيضا، كان آخرها إذا كان آخر النهار
دخلوا في البحر واغتسلوا فيه ثم بعد ذلك يلبسون ثيابهم ويستترون كان
كشف العورة والنظر اليها من كل ما مباح في ذلك اليوم ومن يخرج الى
ظاهر البلد في ذلك اليوم دخل الحمام في الغالب فاستل فيه أو اغتسل في
بيته لانهم يرتدون ان الغسل في ذلك اليوم نشرة حيث كان وكل ما تقدم ذكره
من وادعهم المستهجنة ليس فيها اقبح ولا أشنع من هذا الموسم المذكور
كل ما ذكر ليس فيه كشف العورة ولا عدم الحياء من النظر اليها فان كان
قد جرى في يوم النيروز، جرى لكون على عورتهم شيء من السترة بخلاف
كشفهم في هذا اليوم (وقريب) مما يفعله في هذا الموسم ما يفعله في
كل يوم من المناسبات التي يوضع التي يغسلون فيها الثياب فيجتمع فيها نساء
ورجال وأجانب والنساء على ما يعلم من قصر الثياب فكأن المراد هناك مع
زوجها بل هذا أشد مما تقدم ذكره لان هذا يفعل في كل يوم وما تقدم به فعل
مرة في السنة وأما اجتماعهم في الموضع الذي يسعون به بالسومية فلا حاجة الى
ذكرها وتوصل أمرها اذ ان الاقلام تنزه عن كتب ذلك وينزه أهل العلم
عن ذكر ما يفعل فيها بينهم ثم مع ذلك تعددت مواضعها وكثرت وقيل من
تحصل له حجة الاسلام وبغير ما قد بينه الله تعالى به ولو بالسكلام واشاعة
ما فيها من القبح والذات، بل ان يتبعه لذلك بعض من له قدرة من المسلمين
فيغيرون ذلك أو بعضه الا ان كثيرا منهم كما هو السائر كان الجميع شربوا من
منه واحد في كان باكا فليكن على ذهاب أكثر اعلام الاسلام لكثرة
ما يحدث فيه ومن يسكت عما أحدث فانا لله وانا اليه راجعون

اللام في قوله لا
تدينه الخ للتبليغ
اه

(فصل في مولد عيسى عليه الصلاة والسلام) ومن ذلك ما يفعله في موافقة
النصارى في مولد عيسى عليه الصلاة والسلام مع انه أخف مما تقدم ذكره
اكن اتخاذ ذلك عادة بدعة وهو انهم يعمان صليحة ذلك اليوم عسيدة لا بد
من فعلها الكسير منهن ومنهم ان من لم يفعلها أو يا كل منها في ذلك اليوم
يشته عليه البرد في سنته تلك ولا يحصل له فيها دفء ولو كان عليه من الثياب
ما عسى أن يكون ومع كون فعلها بدعة فاشاهد يكذب ما فترينه من قولهم
الباطل والزور فكأنهم يشرعن من تلقاء أنفسهم نعوذ بالله من الضلال

(فصل في موسم الغطاس) ومن ذلك ما يفعله لونه في موسم الغطاس وهو
اليوم الذي تزعم النصارى ان مريم عليها السلام اغتسلت فيه من النفاس
فاتخذ النصارى ذلك - فغسلهم في كونهم يغتسلون في تلك الليلة ككبيريهم
وصغيرهم وذكورهم وانثاهم حتى الرضيع وتشبه بهم بعض المسلمين في
كونهم يتخذون ذلك موسمنا اعني انهم يزيدون فيه النفقة ويدخلون فيه
السروور على اولادهم باشياء يفعله لونها فيه وهذا فيه من التعظيم او اسم اهل
الكتاب ما سبق في غيره فاعني عن ذكر بعض من الغطاس في الوجه - ل من
المسلمين يغطس في تلك الليلة - يسون (ومن اشنع) ما فيه انهم يزفون
فيه بعض عيدان القصب وعلا بالشموع المرقودة والفاكهة وغير ذلك مما
هو معلوم وبعضهم يهدي ذلك للقبالة ويتهادون فيه باطنان القصب وغير
ذلك

(فصل في عيد الزيتونة) ومن ذلك ما يفعله بعض المسلمين في اعياد
القبط الذي يسمونه عيد الزيتونة تخرج النصارى في ذلك اليوم في موضع
يقال له المطرية الى بئر هناك تسمى ببئر الباسم وهي معروفة مشهورة فيجتمع
اليها في ذلك اليوم في الغالب جمع كثير من القبط وغيرهم من بلاد كثيرة
ياتون اليها للغسل من ماؤها ثم ان بعض المسلمين يفعلون ذلك ويهرعون اليه
كما يفعل النصارى ويغتسلون كغسلهم ويكشفون لذلك في الغالب وهذا
فيه ما تقدم ذكره من كشف العورات - ثم مواسم اهل الكتاب كما تقدم
ويزيد هذا انهم يسافرون اليها من المواضع البعيدة نساء ورجالا وشبابا
ويجتمعون هناك وينهتكون فيه كثيره وفي اجتماعهم من الفساد ما تقدم
ذكره اكن في هذا زيادة فساد اخرى وهي نظر الذمية الى جسد المسلمة
وهو حرام وقدمته العلماء رجة الله عليهم هذا وان كان الغسل من ذلك
المسألة باحاطة له اكن في غير وقت اجتماعهم وفي التساوي ما يغني عن
التصريح

(فصل) في بعض عوائد اتخذها بعض النساء المسلمين آل الامر فيها الى
الاختلال ببعض الفرائض فمن ذلك ما يفعله بعض النسوة من افطارهن في
شهر رمضان المعظم قدره لغير عذر شرعي وذلك ان المرأة اذا كانت مبدنة

وتخاف انها ان صامت اختل عليها حال ممها فتفطر لاجل ذلك وكذلك
بعض البنات الا بكار يفطرن أهلهن خيفة على تغيب أجسامهن عن
الحسن واليمن وكذلك من كانت منهن قد عقد عليهن أزواجهن ولم يدخل
بهن بعد فتترك الصوم خيفة على بدنهن أن ينقص وكل هذا محرم اتفاقا بين
الأئمة لا يختلف فيه وعلى من فعل ذلك ثلاثة أشياء القضاء والكفارة
لكل يوم أفطاره والائم والكفارة في ذلك عتق رقبة مؤمنة أو صيام
شهرين متتابعين أو اطعام ستين مسكينا وهذا الفعل القبيح مشهور بينهن
لا يرمون انهن الساخلفن الشرع وارتكبن هذه المحرمات المتفق عليها لم يخاف
الله يدينهم توفيقا في الغالب اذ التوفيق انما يتبع عن الامثال وذلك بعيد منهن
في الغالب فتبدأ ~~كثرا~~ من يشتهكن ويكيدن ويكيدن المحرم وكذلك
أزواجهن ويا كن بالفرض بعد المشاجرة أو الوقوف الى المحكام أوهما معا
وكشف الستر عنهن بدخول الاجانب بينهما من جنس دارو وكيل وأب
وقريب وجار وغير ذلك حتى ان الغالب منهن يقع الطلاق عليها الى منتهاه
ثم يتعاقب خاطر كل واحد منهما بصاحبه ويفعلون ما هو مشهور واليوم بينهم
من الاستحلال المحرم بين التحريم الذي يستحق المرء ان يحكمه فكيف يفعله
المسلمون ثم يردوها الى العصمة على ما يرضون ثم يرجعن به ذلك الى ما اعتدنه
من المضاررة والمضاربة وسوء العشرة وقد قال مالك رحمه الله ان ذلك
لا يحل له الزوجها الاقل وهم آثم ان ماداما على تلك الحال وكذلك من عقد
لمسا على تلك الحال اه كلامه بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى جزاء وفاقا
ولو لم يكن فيه من القبح والردالة الاثنى واحد ان كان ينبغي لكل عاقل ان
يهرب منه اذ ان ذلك عفو به مجحولة لا مؤخرة وهو ان التجربة قد مضت على
ان كل من فعل ذلك ساء عليه الفقر المدقع في الوقت وفي ذلك منع لمن خاف
عقوبة الدنيا وأما خوف الآخرة فذلك للمفكرين وفيه وجه آخر من المفسد
المتفق عليه وانها لا تحل بذلك اجاعا وذلك ان الغالب عند من ان الشخص
الذي يتحلل به رجل معلوم فتجوز المرأة تتحلل به ثم تأتي ابنتها تتحلل به
وكذلك أمها وجدتها وهي لا تحل بذلك اجاعا ولا يحل للمحال وطء ابنة من
تخلت به ولا أمها ولا جدتها ولا خلاف في ذلك فلو كان العالم بتهكم في

المدقع بالضم
كلامك وزنا
ومعنى اه

هذا المعنى وما أشبهه ويشنع على فاعل ذلك ويقبح فعله ويشنع ذكر هذه
الاشياء ويأمر من حضره بإشاعتها الانحسرت هذه المادة وقل فاعلها
*(فصل في صوم أيام الحيض) * ومن ذلك ما اتخذته بعضهن من انهن اذا
حاضت في شهر رمضان تصوم ولا تفطرن ثم لا تقضى تلك الايام التي كانت
فيها حائضا ويعال بعضهن ذلك بأن الصوم يصعب عليهن في حال كون
الناس مفطرين وهذا ايضا من الاختلاف فيه انها آئمة وان قضاء مدة الحيض
عليها واجبة وان التوبة واجبة عليها (ومنهن) من تفطرا اذا جاءها الحيض
ثلاثة ايام وتصوم بعد ذلك مع وجود ما أدى الدم بها ويرى عن ان الدم الذي
لا يصام فيه انما هو والثلاثة الايام الاول وما بعد ذلك فالصيام فيه واجب
ويجزي وهذا ايضا من الاختلاف فيه انه محرم وان القضاء عليها واجب
والتوبة واجبة (ومنهن) من تصوم مدة الحيض وتقضيها بعده وفاعلة ذلك
منهن آئمة في صومها في ايام حيضها مصيبة في القضاء بعده (ومنهن) من
تفطر في ايام الحيض لكنهن يجوعن أنفسهن فيه فتفطر احداهن على التمرة
وتجوها ويرى عن ان لمن في ذلك الثواب وهذا بدعة وهي آئمة في التدين
بذلك وانما حاطها في ايام حيضها في رمضان كالحائض في غيره من الشهور والحب
المحبيب في صوم بعضهن في ايام حيضها محافضة منها على صوم رمضان على
زعمهن ثم ان بعض من يفعل ذلك في الغالب منهن يترك الصلوات الخمس
بغير عذر شرعي الا انهن اتخذن ذلك عادة حتى لو امرت احداهن بالصلاة يعز
عليها ذلك وتقول العجوز رأيتني فكأن الصلاة ليست بواجبة على الشابة
والمرض انما يتوجه على من طعن منهن في السن فانظر رحمنا الله تعالى
واياك أي نسبة بين الاحتياط في الصوم حتى صامت ايام حيضها وبين ترك
الصلوات الخمس التي هي عماد الدين وبها قوامه وقد قال عليه الصلاة
والسلام موضع الصلاة من الدين موضع الرأس من الجسد وقد اختلف
العلماء في تارك الصلاة متعمدا وقد قدم ذلك بما فيه كفاية فأغنى عن اعادته
*(فصل في الوطء في مدة الحيض) * ومنهن من يزعم ان الدم الذي يمنع من رجل
من الوطء منه انما هو والثلاثة الايام الاول وما بعد ذلك فخاثرله ان يطأ فيه
وهذا افتراء وكذب على الشريعة المطهرة (ومنهن) من يزعم ان الصغرة

والكدرة والغبرة يجوز للرجل وطء المرأة في تلك المحال وهذا مخالف
للإجماع أيضا (ومنهن) من يزعم جواز وطء المرأة إذا انقطع عنها الدم
وقبل أن تغتسل وهذا شنيع مخالف للآية الكريمة الدالة على وجوب
الغسل وهي قوله تعالى حتى يطهرن أي ينقطع عنهن الدم فإذا طهرن
أي اغتسلن بالماء فعند ذلك أباح الله عز وجل وطء ما قد غسلت به من
من حيث أمر الله

(فصل في ما يتعاطاه بعض النسوة من أسباب السمن) ومنهن من يفعل
في علامتهن ما يوجب جمع بين خمسة أشياء من الرذائل (أحدها) مخالفة الشرع
الشريف (الثاني) إضاعة المال (الثالث) الصلاة بالعباسة (الرابع) كشف
العورة غير ضرورة شرعية وذلك أن بعضهن اتخذت عادة مذمومة وهي أن
المرأة إذا أتت إلى فراشها بعد أن كانت تعشت وملأت جوفها فأتخذت عند
دخولها الفراش أسباب الخيزفتمته مع جملة حوائج أخرى تتبعها ذلك بالسوء إذ
إنها لا تقدر على أكل الكثير شيعة المتقدم وربما تعيد ذلك بعد جزم من الليل
يمضي عليها وقد وقع النهي عن الزيادة في الأكل على ما يحتاج إليه المرأة
وهي قد زادت في عشاها حتى لم تترك مرضها السلوك المذموم في الغالب ممن يريد
السمن منهن وهذا زيادة على زيادة وذلك مما يحدث الأمراض والأعمال
والإسقام ضد مرادها وقد قيل عن بعض السلف رضي الله عنهم إن ولده أكل
وزاد على أكله المعتاد فمرض لاجل ذلك فغسل بالدم ولوات ما صليت عليه
وما ذاك إلا أنه رأى أنه قد تسبب في قتل نفسه ومن له فضل ودين لا يصلي
على من اتصف بذلك (فهذان) وجهان أعني فيما تقدم ذكره مخالفة
الشرع وإضاعة المال أما مخالفة الشرع فلما خرج أبو داود في سننه عن
عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
القوم قرني الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والله أعلم
أذكركم الثالث أم لا ثم يظهر فيهم قوم يشهدون ولا يستشهدون
وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويظهرون فيهم السمن أم وأما
إضاعة المال فلا يخفى على أحد أن الزيادة على الشبع من باب إضاعة المال
إذا أنه يفعل غير فائدة شرعية وقد أدى الأمر بسبب تعاطي السمن إلى أمر

شايع فطبيع وذلك ان بعضهم يأكلن مرارة الآدمي لأجل ان من استعملها
 منهن ~~يكثر~~ أكلاها وقل أن تشييع فتسمن بسبب ذلك على زعمهن وهذا
 أمر لا يختلف أحد من العلماء في تحريمه أعاذنا الله تعالى من بلائه ومنه
 (الثالث) ان بعضهم يعيان بكثرة السمن والشحم حتى ان يدهسا القصر عن
 الوصول لغسل ما على المحل من النجاسة لأجل ما تسببت فيه من عباله البدن
 ومن في ذلك على قسمين الاول أن تكون فقيرة لا تقدر على شراء من يزيل
 ذلك عنها فتصلي بالنجاسة إذا لم تقدر على زوالها كما تقدم القسم الثاني
 وهو الوجه الرابع أن تقدر على تحصيل من يباشر ذلك منها أو يزيله عنها فتقع
 في كشف العورة الغير ضرورة شرعية وقد لا تكفيها الجارية الواحدة
 فتحتاج الى زيادة فتزيد المحرمات بكثرة من يكشف عورتها الغير ضرورة
 شرعية وهي لوصلت والنجاسة معها السكبان أخف من كشف عورتها لان
 إزالة النجاسة مختلف في بين العلماء وكشف العورة مؤكداً منه ثم انهم
 يرتكبون مع ذلك أمراً قبيحاً محرماً أقبح وأشنع مما تقدم وذلك انهم اعتدوا
 على ما يزعمن ان المرأة لا تنظف من النجاسة حتى تدخل يدها في فرجها
 فتتظف ما تصل اليه بالسبابة مع يدها وذلك محرم اتفاقاً ثم انهم عجزت عن
 ذلك لقصر يدها كما سبق وتولى غيرها من ذلك احتياج أن يدخل يده
 في داخل فرجها ليغسل لها ما هناك من الأذى وهذا قبيح على قبيح وذم الى
 مذمومات وهو من فعل قوم لوط وهو أشد ما اتفقوا النساء بالنساء ولو كانت
 صائمة أفاطرت بذلك في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى سواء كان ذلك من
 فعلها بنفسها أو من فعل غيرها بها (الخامس) وهو أشد مما تقدم ذكره وذلك
 انها تسببت في إسقاط فرض من فروض الصلاة وهو القيام لان بعضهم
 لا يقدر على القيام في الصلاة وكذلك الركوع في الغالب فتصلي جالسة وهي
 التي أدخلت ذلك على نفسها (فانظر) رحمتنا الله تعالى وإياك الى شناعة
 ما أحدثته من هذا الفعل القبيح وقد تقدم من زاد في كلمة مرة واحدة فرض
 من ذلك فقال والد لومات لم أصل عليه هذا حاله ولم يتعمد ذلك ولم يفعله
 المرأة واحدة كما تقدم فكيف الحال فيمن اتخذ ذلك عادة مسخرة حتى
 وصل به السمن الى ما تقدم ذكره سيما وهي اذا وقع لها مرض أو موت فالغالب

انها هي المتسببة في جاب ذلك انفسها بسبب زيادة الاكل الكثير على ما مضى
 به انه ولا فقه قد يبلغها السمن الى ان يصل الشحم الى قلبها فيطغىها فتقوت به
 وقد يصعد الى دماغها فيشوش على الدماغ فيه تذهب عقاها وقد يصعد الى
 عينيها فيمهما فتكون هي المتسببة في ذلك كله وقد وقع ذلك كثيرا وقد
 ورد من قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة (واقبح) من هذا تعاطى ما ذكر
 من بعض الرجال انه وعري من المقاصد جلة اذ ان المرأة تفعل ذلك ليزيد
 حسنها في زعمها او يغتبط الرجل بها بخلاف الرجل فان السمن فيه يقبح
 وتعاطى ذلك بأسبابه من الرجال اقبح واقبح (وقد) خرج مسـ لم رحمه الله في
 صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه
 لياتي الرجل العظيم السمن يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقربوا
 ان شئتم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا اهـ اللهم الا ان يكون السمن فيه خافة
 لم يتسبب فيه فلا حرج اذن لان الله تعالى خلقه على ذلك وليس من صنعه
 في شئ (فانظر) رحمة الله تعالى واباك الى موافقة الشرع ما اكثر بركتها
 الا ترى ان المرأة اذا ترك شيئا من الغذاء الشرعي الذي لا يقوم البدن بدونه
 فانه يتضرر ويضعف لذلك وكذلك لو زاد على الغذاء الشرعي زيادة بينة فان
 القوة تضعف بحسب ما زادوه. فاما ما شهد بحسب ما تحبب القلب واللقاب
 وللدين وللروية وللعقل وللروح وللسر انما يحسن ذلك كله باتباعه عليه
 الصلاة والسلام وموافقة سنته وضد ذلك كله اعنى من الزيادة في الشبع
 والنقص منه او غير ذلك يحدث ضد ما ذكر من المحسن وهو القبح وقد تقدم
 اكثر هذا المعنى فيما مضى (ثم المحجب) منهن في اذنة كابين الزيادة في الاكل
 على ما تقدم السا فقرر عندهن ان ذلك يزيد في الحسن وتغبط الرجال بهن ثم
 يقع ان ما يحدث لمن ضد ذلك وهو كاهن الطفل والطيبين وذلك يحدث عللا
 في البدن منها صفرة الوجه وتفتح الفؤاد الى غير ذلك من العلل التي يطول
 تتبعها وهو ما يذهب لون البدن وعافيته ويضطررها الى اخذ الادوية مع
 انه اختلاف في اكله بين العلماء فمنهم من قال انه محرم وهو المعروف والمشهور
 ومنهم من قال انه مكروه ومنهم من قال انه مباح وعلى القول بالاباحة يحدث
 ما ذكر ومن له عقل لا يتسبب فيما يضر بدنه أو عقله نقل معناه ابن رشد رحمه

الله في كتاب الجسامع من البيان والقصيل أعني في تحايل ذلك وكراهته وتقل
 ابن بشير وغيره الضرير وهو المشهور كما تقدم (ومن ذلك) ما يفعله بعضهم
 من أظفارهم في شهر رمضان جهارا والناس ينظرون اليهم مثل بعض
 التراسين وغيرهم ولا أحديته كراهية في ذلك فيدسألون في عموم قوله تعالى
 كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه والنهي عن هذا أكدر وأوجب من النهي
 عن ترك الصلاة إذا كان الصلاة في الغالب لا يتحقق تركها إلا بأقرار من فاعل
 ذلك بخلاف الإفطار في شهر رمضان فإنه ظاهر جلي بين ليس فيه تأويل
 إذا كان ذلك لا يجوز إلا لأحد أمرين إما مرض أو سفر أو لاء يفطرون وليسوا
 بمرضى ولا مسافرين (ومن ذلك) ما اعتاده بعضهم من أنه إذا كان به ألم
 لا يقدر أن يغتسل معه أو يتوضأ تركوا الصلاة لأجل ذلك كان ذلك رجلا
 أو امرأة ولا قائل به من المسلمين لأن المسامحة إذا كان في عضو أو أكثر وكان
 الواجب الغسل أو الوضوء مع ما عذر عنه بالماء وهذا على مذهب
 مالك رحمه الله تعالى ولا يعرف في مذهب جع بين الماء والتيمم وأما على
 مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيجمع بين غسل ما صح والتيمم على ما عذر
 وإن كان لم يبق الأعضاء واحد أو كان لا يقدر على استعمال الماء البتة فيقيم
 وهم يتركون التيمم حتى كأنه لا يعرف لقله اشاعة ذلك بين الناس وما ذلك
 إلا لأن المعلم في الغالب محبوب عن عامة المسلمين بالقبول والنقابة على
 ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى (ومما) أحدثوه من البدع
 ما يفعله بعضهم من أنهم يتركون تنظيف البيت وكذبه عقيب سفر
 من مسافر من أهله ويتشاءمون بفعل ذلك بعد خروجه ويقولون إن ذلك
 إن فعل لا يرجع المسافر (وكذلك) ما يفعلونه حين خروجهم معه إلى توديعه
 فيؤذنون مرتين أو ثلاثا ويرغمون أن ذلك يرد عليهم وهذا كله مخالف للسنة
 المطهرة ومن العوائد التي أحدثت بعدها (فإن) قال قائل قد توجد هذه
 الأشياء التي يذكرها الناس أنها إن فعلت أو لم تفعل يجرى فيها من الأمور
 ما يكره وقوعه (فالجواب) أن ذلك إنما وقع لأجل شؤم مخالفة السنة
 والتدين بالبدعة فعملوا بالضرر الذي هم يتوقعونه وقد شاء المحكم
 سبحانه وتعالى أن المكرهات لا تندفع إلا بالامتثال فكان وقوع ذلك لهم

بسبب مخالفتهم لما أمروا به جزاء وفاقا (وما أحدثه) بعض النساء ان المرأة
منهن اذا كانت حائضا لا تكال القمح ولا غيره من الطعام ولا تحضر موضعه
لاجل حيضها وهذا من فعل اليهود ومنهن) من يرى ان من شرب الدواء
لا يغسل الا نية التي كان فيها الدواء حتى يخرج منه وهذا كالمخالف
للسنة المأهولة وبدع اخترعنها من قبل أنفسهن نعوذ بالله من الضلال

*(فصل في خروج العالم الى قضاء حاجته في السوق واستنابته غيره في
ذلك) ثم نرجع لذكر ما يحتاج اليه العالم في تصرفه فينبغي له ان يحجب عليه
ان اذا اضطر الى قضاء حاجته في السوق ان يباشر ذلك بنفسه فان فعل ذلك
فقد أتى بالسنة على وجهه او يرى من الكبر في جعل ساعته بيده ان قدور على
ذلك وان عاقبه عن ذلك عائق شرعي فله ان يستناب في ذلك من له العلم
بالاحكام فيما يماطاه من ذلك (وايضا) من هذه العوائد الرديئة التي
يفعلها بعض من ينسب الى العلم وغيرهم فتجد بعضهم يبحث في مسائل
البدوع والاحكام في الرويات وغير ذلك في الدروس ويستدل ويحيز ويجمع
ويكرر فاذا قام من مجلسه ذلك ارسل الى السوق من يتضي له الحاجة صبييا
صغيرا كان او كبيرا او عبدا او جارية او بحورا او غيرهم من لا علم عنده
بالاحكام الشرعية وفي السوق اليوم ما عهد وعلم من جهل أكثر البياعين
بالاحكام الشرعية فيسألهما ولونه في ساعته وقد تقدم بعض ذلك وفي
الاسواق من الاشياء التي لا يجوز شراؤها اجلة (في ذلك) بيع الكشك
والحبيبة لان فيها ما وجوهها من الموانع الشرعية فمن ذلك ان اللحم الذي فيه ما
ان كان لحم البقر اليوم فهو ممكس لانهم لا يقدرون على شرائه الا من المكاس
وذلك لا يجوز لا عانة المكاس بالشراء منه على ما لا يجوز شرعا اذ انه لو امتنع
الناس من الشراء منه ضمن ذلك ولو كان العالم يتحري ذلك لا قد يبه غيره
وفسد على المكاس مراده (هذا) ان كان شراؤه في غير النيروز (واما) في
النيروز فية كما المنع اشراء لحم البقر مطلقا لزيادة تعظيم شعيرة من شعائر
الكفار على زعمهم وقد تقدم بعض ذلك في فسادهم في النيروز والله تعالى
اعلم هذا وجه (الوجه الثاني) ما يدخل على البائع والمشتري من الجهالة
والغشابة وذلك ان المشتري يريد ان يأخذ اللحم والدهن أكثر من القمح

والبائع يريد أن يعطى القمح أكثر من اللحم والدهن (الوجه الثالث) أنه قد دخل على وزن معلوم واتجه إلى ذلك حاصله لأنه لا يدري كم وزن اللحم والدهن ولا كم وزن القمح لا يمكن إعطاء أحدهما أكثر من الآخر بخلاف المريسة فإن ذلك لا يمكن فيه إلا أن اللحم والقمح صار معا كالأشياء الواحدة لا يمكن أن يعطى أحدهما أكثر من الآخر ولا أقل وذلك جائز وإن كانها تمنع من جهة اللحم لأنه ممكن كما تقدم فإن سلم اللحم من المكس فهي جائزة إلا أن يكون ذلك في يوم النسيء وفيمنع لأنه مختص بالنصارى فيحذر العالم من التشبه بهم إذا نه قدوة لغيره من سائر المسلمين وإنما ذكر العالم دون غيره وإن كان هذا لا يختص به وحده لأنه قدوة لغيره كما تقدم (وقد صار هذا الأمر اليوم بين الناس كأنه مشروع فتراهم يوم النسيء يوزن الصغير والكبير منهم بالزبدية في يده لشراء المريسة ومن فاتته في ذلك اليوم فكأنه فاتته خير عظيم وقد تقدم في ذلك ما فيه الكفاية فأعني عن عادته (فإن) قال قائل أنا اشتري الكشكك والمخبية على الوصف المتقدم فإذا حصل في الوعاء وعايذته أخذته منه جزافا لأنه قد تعين (فالجواب) أن من شرط الجزاف أن يكون مجهول الوزن والكيل عند البائع والمشتري وما إن دخله الوزن قبل شرائه منه جزافا انتفت البجها للعلماء ما بجملة وزنا وبقيت البجها للمغاربة في كل جزء من أجزاء فيمنع شراؤه والحالة هذه فلم يقدروا أن يشتروه منه جزافا ابتداء فيمنع لأن البائع عالم بذلك في الغالب وإن لم يزنه لأن المغرقة التي بيده يعلم بها مقدار وزنا فعلى هذا لا يجوز شراؤه جزافا ابتداء اللهم إلا أن يعرف له بغيرها ما لم يعلم قدره والله أوفق (ومن ذلك) بيع لحم السميط نيسا ومطبوخا والشواء وما شابه ذلك قال الله عز وجل في كتابه العزيز قل لا أجد فيما وحي إلى محرما على طاعم بطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا قالت عائشة رضي الله عنها لولا أن الله تعالى قال أو دما مسفوحا لقتل جميع الناس ما في العروق من الدم ولقد كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الصفرة لعلوها من الدم اهـ تعني بتلك الصفرة فضلة ما في العروق من الدم وهو غير الدم المسفوح وهم اليوم يذبحون فيخرج الدم المسفوح فتخطب الذبيحة

فيه ويمتلي رأسها وبعض جلدها فاذا اجتمعت لهم ذبايح جملة ألقوا ذلك في دست واحد فيه ماء يغلي فيجعل الدم المسفوح فيه فيصير الماء كله كأنه دم عبيط وهم يفعلون ذلك لكي ينتفح لهم الصوف وهو لا يزول إلا بعد أن تمتلي الأعضاء الباطنة من ذلك الماء فتسري النجاسة إلى باطن الذبيحة مع أن حلقها مفتوح ودبرها فتدخل النجاسة من أحدهما وتخرج من الآخر فاذا أخذوا الصوف وعلقوا الذبيحة في موضع وقد تمكنت النجاسة المتفق عليهم منها ظاهرا وباطنا فيطهرونها إلى زعمهم بالماء البارد فتجس النجاسة بالماء البارد فتجسد في باطن الذبيحة والمسام فيبقى متنجسا في الشاهد الضروري الذي لا يحصى عنه ثم يخرجون ذلك إلى سوق المسلمين فيبيعهونه فيه بناء منهم على أنه قد ظهر من تلك النجاسات ولو كان الماء الذي يغسلونه به ماء قراحا لكان فيه شبه ما في التطهير فكيف والماء الذي يغسلونه به في الغالب تراء متغيرا مما في أيديهم من الدماء وغيرها (والشواهد) مثله في ذلك لأنه سمعوا فكيف يجوز لأحد أن يشتري ذلك أو يبيعه فإنا لله وأنا إليه راجعون على أنه لو فعل ذلك عوام الناس لكان مذموما ولو كان قد عمت البلوى حتى أن بعض من ينسب إلى العلم والتخير يجلس في بيته ويرسل من يشتري له ذلك مع علمه به هذا الأمر القبيح بل يباشر بعضهم شراء ذلك بنفسه ولو وقع الكلام في ذلك مع من له أمر لكان يغيره بأي سر شيء إذ أنهم ليس عليهم كلفة في أن يغسلوا المنخر وغيره مما أصابه من الدم المسفوح أو غيره من النجاسات ثم بعد ذلك يدلونه في الدست وهذا ليس فيه كبير مشقة مع أنه لو كانت المشقة موجودة لوجب فعلا لكي يسلم من الوقوع في المحرم فكيف ولا مشقة ولا ضرورة تدعو إلى التساهل في ارتكاب ما يمتنع على المكاف تركه إلا أنها عادة اتخذت ووقع التساهل فيها العفلة بعض من غفل من أهل العلم وعدم السؤال لهم في هذه النازلة وما أشبهها مع أنه قد ذهب بعض العلماء إلى أنه يطهر بالغسل وهذا بعيد لقوله هو وغيره من أن البيض الكثير إذا صاق ووجدت فيه بيضة فيها فرخ فإن البيض كله يتنجس ولا يؤكل إذا أنه لا يمكن تطهيره مع أن قشرة البيض ليس لها مسام حتى يدخل من ذلك الماء فيها شيء ويخرج خابا لك باللحم الذي باشر الدم العبيط وقد تقدم في صفة غسلهم له

انهم يغفلون بالماء المتغير وفيه مفسدة اخرى وهي مما تنعم في الغالب
 وذلك ان الموضع الذي يذبجون فيه مستدير فالقليل منهم الذي يكون ذبحه
 الى القبلة ومن تعمد الذبح الى غيرها فقد ترك سنة مؤكدة يكره **أكل**
 المذبوح بسبب تركه او سبب وجوده هذه المفسدات كلها تركها السؤال
 من العامة وترك تفقد العلماء بالنبية على هذه المفسدات عند مد امرها
 فاستحكمت المفسدات ومضت عليها العوائد الرديئة فيطعمون الناس
 الطعام المتنجس وأجازوا بيعه بينهم بسبب ما تقدم من العوائد الرديئة
 والسكوت عن علم ذلك ولا عذرا لاحد منهم في ذلك أما العامة فبالسؤال كما
 تقدم وأما العلماء فبالكلام على ما تقدم وليس في هذا كبير أمر ويتعين
 ذلك خصوصا على أرباب الامور وعلى من له شوكة يبيده أو يأسانه بحسب
 استطاعته (ثم انهم) يزيدون على ما تقدم ذكره انهم يبخنون التراب الذي
 يدون به التنوير الذي فيه الذبايح بالماء الذي صار كأنه دم عبيط فيتنجس
 التراب به ان كان طاهرا وان كان نجسا فيضيفون نجاسة الى مثله افاذا
 أحس بحرارة النار عرق وقطر منه على الشواء وغيره ما ينجسه ظاهر ان
 لو كان طاهرا فكيف وباطنه متنجس كما تقدم بيانه وكذلك يقطر في نفسه هو
 والشواء على المجذابة التي تحته فتتنجس بذلك فيصير الجميع متنجسا وهذا
 مشاهد محسوس مرئي ثم بعد ذلك يخرجونه الى سوق المسلمين يبيعهونه
 والحالة هذه (وكذلك) تعدت هذه النجاسة الى أمر آخر وهو أن كثيرا من
 الناس يذبجون الدجاج وغيره ويأتون به الى المسحط فيدلونها في الماء الذي
 تقدم ذكره فيتنجس كل ذلك (وهذا) مع ما فيه من المفسدات انضم اليه محرم
 آخر اتفاقا وهو اضاغة المال لان ما تنجس من ذلك كله لا يجوز أكله ولا بيعه
 وكذلك كل ما عمل به تلك الدجاجة المسحطة على تلك الحال وغيرها من
 المسحط من ألوان الطعام في البيوت أو عند الشرائح أو عند الأطباء خبيث
 فيصير ذلك كله متنجسا لا يجوز أكله ولا بيعه ولا شراؤه ويجب غسل
 الأوعية التي جعل فيها نية كان أو مطبوخا ويغسل ما أصاب ذلك من بدن
 أو نوب أو مكان أو وعاء أو غير ذلك وقد كان بعض العلماء يقول النجاسة
 مثل السم يعني في سرعة سرعانها وانت ترى ذلك فيما نحن بسبيله ومن وقع

له شيء من ذلك فلا يجوز له أن يستنج شيئاً منه إلا بعد تطهيره واللحم والاطعمة
لا يمكن تطهيرها فلا يجوز أكلها ولا بيعها (فان) قال قائل ان اللحم بعد
خروج الروح منه لا يقبل شيئاً عمل فيه ولا تسرى النجاسة الى باطنه (الجوابه)
ان ما ذكره برده الشاهد لا نك اذا علمت اللحم في ماء ليس فيه شيء من ملح
أو غيره بقي على حاله فان كان في المساء ملح أو زعفران أو فلفل أو غير ذلك تجوز
طعمه في اللحم ويكون ذلك في قاب القطعة من اللحم (فان قيل) ان طعم ذلك
لا يوجد الا بعد النضج (فالجواب) ان دخول هذه الاشياء في اللحم لم يكن مرة
واحدة وانما يقبله شيئاً فشيئاً وهو اذا ألقى في الماء المذكور وهو يغلي فقد
سرى الى باطنه شيء من النجاسة في القلة والكثرة سواء فهو ذليل واضح
شاهد حرقى على انه يقبل ما ألقى فيه اللهم الا أن يكون اللحم قد وقعت
النجاسة فيه بعد نضجه وطبخه فيكفي فيه التطهير بالماء لان النجاسة لم تدخل
في المسام على قول بعضهم قياساً على ما قاله سحنون في زيتون ملح ثم وقعت
فيه نجاسة فان كان قد نضج في الملح فيطهر بالغسل وان كان لم ينضج بعد فهو
متنجس لا يطهر بالغسل ولا يؤكل لانه يقبل ما وقع فيه قبل نضجه وكذلك
هو في اللحم سواء ولا عذر ان يدعى الاضطرار الى استعمال السميط والشواء
لوصف طبيب اريض أو غيره اذ ان لحم المساكين وجوده للاصحاء نياً ومشواً يا
لائهم بمحلوته سائخاً لا سميط اللهم الا أن يصيبه شيء من السميط ان جعل
مع في التنوير أو سقط عليه شيء من التراب أو الطين المتنجس الذي يستدبه
التنوير كما تقدم مع ان لحم الاذن الصغير السائخ موجود أيضاً وأما لحم
السميط الطاهر وجوده للرضى وان احتاجه من الاصحاء فن أراد ذلك وجده
عذر أهل الكتاب من اليهود فانهم يعاملون الشواء مسالمين كل ما ذكر مما
يستري المسلمين في سمط ذلك فكان المسلمون بتطهير ذلك أجدر وأولى
فما أفجع هذا وأشنع ان يمتازوا اليهود بتطهير ذلك عن المسلمين والله الموفق
للرشاد بمنه (فاذا) تقرر ذلك وعلم فلا يقتصر به على ما ذكر بل هو يمتد
الى كل من تناول ذلك فانه يجب عليه غسل ما تناوله به مثل الجزار يكون
عذره سائخ أو سميط فانه اذا لمس السميط بيده أو سكت منه نجس ما أصابه منه
وكذلك يتنجس الموضع الذي يكون فيه واللحم الذي يتناوله أو سكته

التي يقطع بها من السميط وبعض من مختز من اكل لحم السميط وقد يقع في هذا وهو لا يشعر ثم تعدى ذلك الى تجديس الوعاء الذي يحمل فيه الى البيوت وغيرها وكذلك يتجسس ما يطبخ فيها أو يؤكل فيها فظهر ما قاله بعضهم من ان النجاسة كالدم لسرعة سرابها (وأما الرأس) فهي جائزة اذا سلمت من كل ما ذكر في السميط وقد جمعت المفسر الذي في السميط وزادت عليه المكس الذي اختصت به دون السميط اذ أنه لا يقدرا حد على شرائها من غير المكس والا كارع كذلك تجديسها ومكسها كما تقدم (وأما النفاق ٣) فلا يجوز بيعها ولا شرائها ولا بيعها ولا شرائها بما في باطنها هذا على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى الا أن يشق كل واحدة ويرى داخلها كاهها وعلى مذهب مالك رحمه الله تعالى يجوز اذا رأى واحدة منها واطلع على ما في باطنها واخذ الباقي على ذلك الوصف كما تقدم في بيع الخشكان هذا الوصل من المكس وهي الآن ممكسة فلا يجوز بيعها ولا شرائها كما تقدم في غيرها وهذا ان كان بيعها بعد توضيحها أو أمان كان بيعها نيشة ويزن للمشتري ثم يأخذها بعد ذلك منه ويقايها له فذلك لا يجوز (وكذلك) ما يفعله لونه في السمك لان المشتري يشتريه منه وزنا معلوما وان كان مقابلا بعض قلى فان ذلك لا يخرج عن كونه نيشة لانه لا يؤكل كذلك (ففيما وجوه) من الموانع الشرعية لانه اذا قلاه له بعد وزنه كما تقدم لا يعرف كم وزنه بعد القلى فهو مجهول هذا وجه (الوجه الثاني) أنه قد اشترى منه الدهن الذي قلاه له به وهو مجهول (الثالث) ما اوقد به تحته كذلك مجهول (الرابع) اجرة قليه له مجهولة (الخامس) انه مجهول في الاصل لانهم ان علموا عليه الدقيق كثير الم يعلم كم وزن الدقيق ولا كم وزن السمك الذي يؤخذ فعلى هذا لا يجوز شرائه ولو قلاه له قبل الوزن اذ ان الجهة الموجودة فيه قبل القلى وبعد هذه خمسة وجوه من الموانع فكيف يرتكب ذلك (والتوصل) الى أكله على الوجه الجائز شرعا سهل يسير بأن ينضح البائع بالقلى وهو على ملكه ثم يبيعه للمشتري وزنا أو جذا فاشترط أن يكون الدقيق الذي عليه يسيرا محتاجا اليه (وأما الكبود) فان سلمت من المكس لمكان جائزة وهي الآن ممكسة فيمنع شرائها وكذلك يمنع كل ما هو عكس ويستغنى بغيره عنه مثل النشا

انفاق وشهيرة عند اهل العرب بالكر كثر ولدوا واشد بهضم
لا آكل الكرز هري ولو تهفه كفي بروض الجنان
لانه يشبه فيها بوى اصابع الصلوب بعد الثمان

والسهم المقشور ولحم الجمل ولحم النعام وأما اللسان البادى والقذور
 البلدية والكيزان البيض أيضا إلى غير ذلك مما قد علم فكما تقدم من أن
 الشراء منهم أمانة لهم على المحرم الذي ارتكبوه وفيه وجه آخر وهو أن من
 اشترى منهم فقد اتصف بترك التغيير بالقباب وقد تقدم أن ذلك أضعف
 الإيمان وقد سمعت سيدي أبي محمد رحمه الله تعالى ينقل عن العلماء أن صورة
 المكس أن يحتكر شخص واحد أو أكثر منه ساعة أو ساعة لا يبيعها أحد
 غيره أو غيرهم أو من يختاره أو يختارونه وإن كثروا بشرط أن لا يأخذوا
 الساعة إلا من جهة فهو ذاهب والذي لا يجوز الشراء منه والظلم هو الذي
 تقرر في بعض الأشياء أن من اشترى شيئا أو باع فعليه كذا وكذا فهو ذاهب
 لا يمنع من شرائه ولا يبيعه إذا ليس فيه أمانة اهـ وفقنا الله تعالى لما يرضيه
 بمنه لا رب سواه (وأما المنفوش) فبيعه جائز إذا اشترى الفطير على حدة
 بمن مملوم واللاطوخ مثله وأما أن اشترى على غير هذا الوجه فيمنع لما يدخله
 من الجهالة لأن غرض المشتري والبايع مختلفان في ذلك فالشترى يريد أن
 يأخذ من اللاطوخ أكثر من فطير المنفوش والبايع يريد أن يعطي من فطير
 المنفوش أكثر من اللاطوخ وهذا من باب بيع المغاربة مع ما فيه من الجهالة
 بالوزن لأنه لا يعرف كم وزن الفطير ولا كم وزن اللاطوخ والبياعات تنقسم
 على ثلاثة أقسام مكيل وموزون وخراف وهذا غير مكيل وقد اشترى على
 الوزن وأخذ منه ولا ولو أخذ خرافا من غيره وزن بعد تعيين ذلك له مانع ذلك
 أيضا لأن البائع يعرف مقدار ما يأخذ من اللاطوخ غالباً وإن لم يزنه كما
 تقدم في بيع الهبة والله الموفق (وأما بيع الفقاع) فهو جائز أيضاً وذلك
 إذا صب ما في الكوز في وعاء وعطينه المشتري وعلم قدره وصفته (وأما) على
 ما يبيعونه اليوم فهو غير جائز لوجوه (الاول) أن كوز الفقاع من الاواني
 التي نهى عن الاتيان فيها مثل الدباء والمزق والختم والنقير بسرعة التخمير
 الذي يسرى اليها بسبب سد مساماتها وكوز الفقاع كذلك وقد بيت منها
 شيء عند البائع فبيعه للناس بعد ذلك ولا يتفقده وقد يسرع اليه التخمير
 فيشترىها المشتري وقد صارت خرا هذا وجه (الوجه الثاني) انه مجهول
 وذلك انه يسد قم الكوز بعود أو غيره ثم يضعه على فيه وقد يكون فيه
 لم يسد كله فينزل ما في الكوز أو بعضه فان أخذ المشتري لا يعلم مقدار

ما فيه فيطأه ملائكة قد يكون بعضه وذلك مجهول (الوجه الثالث) انه لا يجوز بيعه على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى الا بعد الايجاب والقبول لانه اوجب ذلك في المحقرات وهذا منها فلا يصح بيعه الا بعد ان يقول البائع بعثك والمشتري قد اشترى او ما يقوم مقام ذلك مما تعلق به وذلك موقوف بينهما واما على مذهب مالك رحمه الله فيجوز على مقتضى قوله في بيع المعاطاة اذا فرغ ما في الكوز وعابه كما تقدم (الوجه الرابع) ان الشرب من موضع سؤر الكفار مكره والفقاع يشربه النصراني وغيره من يكون فيه متنجسا فينجسه وقد لا يغسله بعد ذلك الغسل الشرعي قبل مائه نائبا ثم يأتي المسلم فيضع فاه موضع فاه النصراني وغيره عن لا يتحرز من النجاسة وليس هذا الوجه خاصا بالفقاع وحده بل هو عام في كل ما يشبهه مثل السقاء وغيره لان المهود من بعضهم انهم يبقون من لا يتحفظ من النجاسات ومن تعافه النفوس مثل الصبي الصغير والابرص والمجنون واليهودي والنصراني ثم يأتي غيرهم من المسلمين الاصحاء فيضع فاه موضع فاه من تقدم ذكره وهذا فيه من القبح ما فيه ثم مع هذا قد عرى عن اقسام البياعات الثلاث المتقدمة ذكرها الا ترى انه ليس بمكمل ولا موزون ولا جزاف اذ ان الجزاف من شرطه ان يكون مرتبا محزوا ومحيطا بالبائع والمشتري بقدره وصفته وهذا غائب لا يعرف قدره ولا صفته ولا يأخذه خبره هذه وجوه عديدة تمنع صحة بيعه ولا عذر ان يقول انه من المحقرات فيجوز بيعه كذلك لان المحقرات وغيرها في شرط صحة البيع وفساده سواء الا بما عتفر في ذلك من شرط الايجاب والقبول عند بعضهم فيها والتحذر المحذور من الميل الى فتوى مفت يطرأ عليه ما يطرأ على البشر فيانس بالعوائد المتخذة فيخرج بسببها عن قواعد مذهبه بسبب استمرار تلك العوائد والله الموفق (ومن ذلك) شراء الخبز وغيره وقد تقدم رحمه الله تعالى واياك ان البياعات تنقسم على ثلاثة اقسام فاشراء الخبز يشترط فيه ان يكون وزنا او جزافا وكلاهما جائز وانت ترى بعضهم يخرج ذلك عنهم بسبب انه يزن الخبز فيجده يشح عن الوزن فيخرج منه من كفة الميزان ويعطيه للمشتري ويدفع له عوضا ناقصا من وزنه كسرة جزافا فقد خرج بسبب ذلك عن الوزن لانه

لا يعلم قدر وزن الاول الذي دفعه اليه ناقصا ولا قدر الكسرة التي دفعها اليه جزافا قد دخل على وزن معلوم واخذ مجهولا وذلك لا يحل فلو زاد الكسرة او الخبز في كفة الميزان ولم يبرح حتى حقق كمال الوزن لمكان جائزا وان ربح لان الزائد ذهبية مجهولة وهي جائزة في مذهب مالك رحمه الله تعالى وكذلك لو وفي له الوزن ودفع له الكسرة جزافا لم يجز وليس ما ذكر في وزن الخبز وما يفعل فيه مما يصير به مجهولا خاصا به بل ذلك عام في اكثر البياعات كالسمن والزيت واللحم وغير ذلك مما يفعل فيه ما يفعل في الخبز من المحذور فاحذر من هذا واشباهه فانه قد يكتب الانسان الثمن من حله ويا كله حراما بتصرفه والله الموفق (ومن ذلك) الشراء من النصراني وغيره من لا يتحفظ من النجاسة (وينبغي له) أن يتحفظ من شراء المائعات وما أشبهها من هذا حاله لان النصراني يتدينون بان النجاسة اغاها في دم الحيض وحده وكل ما عداه طاهر على زعمهم فتجد أحدهم يقول في دكانه ويتناول المسامع وغيره بيده ولا يطهرها وكذلك الجبن المقلو وغيره مما يكثرون مباشرة له حتى قد يصل ذلك الى تعيين النجاسة يقينا فالشراء منهم على هذا مكر وه فان فعل ذلك فلا ياكله حتى يغسله ان كان مما يمكن غسله هذا وجه (الوجه الثاني) ان شراءه من أهل الذمة مكر وه لو كان طاهرا بلا شك لان في الشراء منهم منفعة لهم والمسلمون أحق بالمنفعة منهم لان المسلم مأمور بإعانة أخيه المسلم مهما أمكنه (ومن) مختصر الواضحة ان مالك كاذكر أن عمر بن الخطاب كتب الى أهل البلدان يتهاهم عن أن يكون اليهود والنصارى في أسواقهم صيارفة وجزارين أو في شئ من أعمال المسلمين وأمر أن يخرجوا من أسواق المسلمين (قال مالك) رحمه الله وأرى للولادة أن يفعلوا في ذلك فعل عمر (قال) ولا بأس أن ينصب اليهود والنصارى لأنفسهم ولا أهل دينهم مجزرة على حدا وينهون أن يبيعوا من المسلمين وينهون المسلمون أن يشتروا منهم ومن فعل ذلك فهو رجل سوء لا يفسخ شراؤه وقد ظلم نفسه الا ان يكون الذي اشتراه من اليهودي مثل الطريقة وشبهها مما لا ياكلونه فيفسخ على كل حال اه والطريقة هي ما يوجد من الرثة ملصوقة بالشحم (وقد) اختلف في تذكيبتهم لهذه وكل ذي ظفر والشحوم التي حرمت عليهم (فحكي) اللحم

في ذلك أقوالا قول بالجواز وقول بالمنع وقول بالكراهة وقول بالفرق بين
ما حرمه الله تعالى عليهم وبين ما حرموه على أنفسهم واختلاف في هذا القول
على أقوال ثلاثة فقليل يؤكل ما حرمه الله عليهم وما حرموه على أنفسهم وقيل
لا يؤكلان وقيل يؤكل ما حرموه على أنفسهم ولا يؤكل ما حرمه الله تعالى عليهم
انتهى (فإذا) ترك أهل الذمة واشتري من المسلمين فينبغي له أن يتحرز من
الشراء ممن لا يتحفظ منهم من النجاسة لأن كثير منهم يشترون المخرق عن
يجمعها من الطرق والسكيمان وغيرها من المواضع المستندرة بالنجاسة
وغيرها سواء كانت من أثر الخيض أو من أثر من يعاف أثره من أهل البلاد
فيستعدون بها أيديهم وغيرها من الأوعية وذلك حرام لما فيه من أذى المسلمين
(وإذا) اشترى من المسلمين فينبغي له أن يختار منهم من يظهر عليه سيما الصلاح
فإن يحجز عن معرفة ذلك فيختار من يصلي منهم فإن يحجز عن معرفة ذلك فيختار
من هو أنظف وبها لأن النظافة والوضوء غالب لا تكون إلا من الوضوء
بختلاف غير الوضوء فالغالب فيه عدم ذلك والله الموفق (ومن ذلك) الشراء
من أصحاب الطبلات والدكاك المستديمة في طريق المسلمين ومن يصدق في
طريقهم يبيع ويشترى لأن ذلك غصب الطريق المسلمين وليس لأحد في
طريق المسلمين إلا أن يمر في حاجته أو يقف قدر ضرورته ولا يجعله كأنه
دكان يبيع فيه ويشترى لأن في ذلك تضيق على المسلمين في طرقاتهم ولو كانت
متسعة فذلك لا يجوز لاسيما والطرق في هذا الوقت قد ضاقت عن الطريق
التي شرعت للناس وذلك على ما قاله العلماء أن يمر جملان معاجلان يتنافى
الطريقين لا يمر أحدهما الآخر فانظر رحمنا الله تعالى وإياك إلى حد
الطريقين الم شروع وإلى ما عليه الطريق اليوم فكيف يجوز والحالة هذه
شيء مما تقدم ذكره لاسيما إذا انضاف إلى ذلك أن يكون يوم الجمعة أو في وقت
منصرف الناس إلى الخمس صلوات أو إلى تفقد أحوالهم في البيع والشراء
(وأشد) من هذا كله ما يفعله بعضهم من الجلوس بالطبلات على أبواب
الجوامع فيضيقون على الناس طريقهم إلى بيوتهم فهم غاصبون لذلك
في وقت الحاجة إليه وكل من اشترى منهم فقد اعانهم على ما فعلوه من
الغصب فهو شريك معهم في الاتم سيما إن كان فيها الشيء الذي يسهونه

بالجملة فانه يضاف الى هذه المفاسد مفسدة كبريتها تقدمتها في
السقام والفقاع وهي ان تلك الملعقة التي يغطها للناس لا يرد عنها احد ممن
كان كالا يخدم والابرص والصبي الصغير والنصراني واليهودي وينبغي له
ان لا يشتري اللفت والالوية لانهم يعملون فيهما النشادر حتى يخضر ابذلك
وهو نجس على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى فان كان عند البائع غيرهما
من المائعات فكل ما يباشره منها تنجس كما تقدم في السميط سواء بسواء سيما
ان كان البائع نصرانيا فبب باب اخرى اذ انه لا يتحرز من بول نفسه في طعامه
فضلا عما يعمل للمسلمين وينبغي ان لا يشتري ممن يجلس في المقاعد التي في
طريق المسلمين اذ ان ذلك غصب لما كما تقدم وقد شاهدنا الامر واستقر الحال
عليه حتى قد رجع بعضهم بذكرى تلك المقاعد التي تلي بيته او ملكه او ما هو
حاكم عليه وبعضهم يأخذ ابرة ذلك حتى كانه مشروع بينهم فلا ينكر بعضهم
على بعض وذلك حرام متفق عليه وان رضيا بما بذلك فالشرع ياتي ذلك كله
ما تقدم بيانه وايس ذلك مخصوصا بالمقاعد ليس الا بل كل من غصب
شيئا من الارض فلا ينبغي معاماته الا من ضرورة داعية الى ذلك ولم يوجد
منه بد كهذه الدكاكين التي يعملون بها مساطب يقطعونها من طريق
المسلمين خارجة عن حوائثهم قد ضاق الطريق بها من الجانبين وسبب هذا
كله عدم النظر الى ما كلفه المرء من مراعاة الشرع وغفلة من غفل من بعض
العلماء وترك السؤال من العامة كما تقدم بيانه غير مرة الا ترى ان المعنى
الذي لاجله منع الشراء من المكاس موجود في الشراء ممن اتصف بشيء مما
ذكر اذ انه لو تحامى المسلمون الشراء منه لاجل ما اتصف به من غصب طريق
المسلمين لنزع عن ذلك واذا كان ذلك كذلك فالشراء منهم اعانة لهم على
ما يفعلوه وذلك لا ينبغي لان المشتري يصير شريكا لهم في انهم غصبهم لطريق
المسلمين (الا ترى) الى مائقة الامام ابو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه
من الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى انه كان عند شيخ من الصالحين يحضر
بجلمه وكان الامام يعظمه تحيره وبركته ثم بلغه ان الشيخ ليس بدار بيته
بالطمين من خارج فتركه الامام وكان من عادته انه اذا جاء اليه اجلسه الى
جانبه ورحب به فلما ان بلغه عنه ذلك تركه ولم يقبل عليه واعرض عنه

فبقي كذلك أياما فسال الشيخ اصحاب الامام عن سبب اعراضه عنه فأخبروه
 انه بلغه انك ليست جدار بيتك بالطين من خارج فجاء الشيخ الى الامام
 فسأله عن موجب هجرانه له فأخبره الامام بذلك فقال له الشيخ لي ضرورة
 في تلييس التجدار وليس فيه كبير أمر في حق السارين فقال له الامام ذلك
 غصب في طريقةهم فقال له الشيخ هو نزيير فقال له الامام اليسير والكثير
 سواء في حق المسلمين فقال له كيف افعل فقال له الامام أحد أمرين إما أن
 تزيل التلييس وإما أن تنقص التجدار وتدخله في ملكك قدر التلييس
 فتبنيه على ذلك ثم تليسه بعد ذلك فلم يكلمه الامام حتى اعتزل ما أمر به أو كما
 قال (وقد) حكى عن بعض الاكابر من المتأخرين أنه مر هو واصحابه بصواب
 فمعه قدسنبيل فجعل بعض اصحابه يده على السنبيل ثم نزعها في الوقت فرآه
 الشيخ فأمره ان يسأل عن صاحب القمح ويستقل منه ذلك فقال له
 الفقير يا سيدي اليس السنبيل قد وقف كما هو وما ضره ما فعلت به فقال له
 الشيخ أرايت لو مر به الف رجل أو أكثر ففعلوا ما فعلت أكان يرقد قال نعم
 فقال له لك في ذلك حصة من الظلم فلم يكلمه ولم يصعبه حتى استقل منه
 (فانظر) رحمة الله تعالى وإياك الى بركة تفقد العلماء للحوادث التي تحدث
 في زمانهم كيف يتألقونها بهذا التلقى الحسن الجليل فلو بقي العلماء على طرف
 من ذلك لكانت هذه المواد تخسب أو يقل فاعلموا ان السكوت من
 العلماء وعدم السؤال من العامة لهم أوجب ذلك وصار متزايدا وفقنا الله
 لرضائه (قال) الشيخ الامام أبو الحسن اللخمي رحمه الله تعالى في تبصرته وأما
 ما يكون بين الديار من الرحاب والشوارع فيأخذ كل واحد منهم منها الى
 دأره فان كان ذلك مما يضر بالسارين وباهل المواضع منع وان فعل هدم عليه
 واختلف اذا كان لا يضر فروى عن مالك الجواز والكراهة واحتج من قال
 يهدم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع من طريق المسلمين
 وأفتيتهم قيد شبر من الارض طأوقه يوم القيامة من سبع أرضين وان عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه مر بكبر حذاء بالسوق فأمر بهدمه وقال تضيقون
 على الناس واحتج من اجاز ذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تشاحوا في الطريق فسمعة اذرع
 أخرجه البخاري اه (فهذا الكلام) على بعض ما في الاسواق من المفاسد

وفي التلويح ما يغني عن التصريح (فاذا) كان ذلك كذلك فيتعين على العالم ان
يتصرف بنفسه في قضاء ما آربه ان قدر عيافة من المفاسد ان قد دخل عليه
ولو جوء آخر نذكر بعضها وان كانت بينة جليلة لغير العالم فكيف للعالم (فنها)
اذا خرج من بيتهم لشيء ما ذكر فينبوي بذلك اتباع السنة في الخروج الى
السوق واتباع السنة في قضاء حاجته به. ده لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يباشر ذلك بنفسه الكريمة (ثم) يضيف الى ذلك نية التواضع مع اخوانه
المسلمين ونية الاقتداء بهم وارشادهم وتعلمهم وتهديتهم ودفع المضار عنهم
وسلامتهم من دخول الربا عليهم اذ ان ذلك دخل على أكثرهم في جلب باعائهم
(الأتري) ان السلف نجح المنفعة غير جائز وانت ترى كثرة ذلك بينهم فقد
أحدهم يعامل الآخر فيشتري منه السلع التي في دكانه ثم ان أعوزه شيء لم يكن
عنده استقرض منه ثمن ذلك وذلك سلف جرم منفعته لان الغالب انه لو لم يعامله
ما اقترضه حتى انه لو اراد ان يشتري من غيره السلامة التي هي عنده لتشوش
من ذلك وقد لا يقترضه ثمن ذلك الا بكرة فقد تبين انه سلف جرم منفعته
(وكذلك) ما يدخل عليهم من المفساد مثل عدم الايجاب والقبول على
مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك على مذهب مالك رحمه الله من
دخول البيع والصرف عليهم والسلف والصرف وغيرهما وهذه المعاني
وغيرها كثيرة بينهم فاذا كان العالم يباشرهم في ذلك انحسرت مادة المفساد
وقل وقوعها ببركة العلم الذي يدور بينهم (وينوي) مع ذلك ترك التكبر وترك
التعبر وترك الفخر والخيلاء اذ ان من دخل الاسواق وحمل ساعته بيده فقد
برئ من ذلك كله (وقد ورد) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل الى السوق
في خلافته فلم يرفقه في الغالب الا النبط فاغتم لذلك فلما ان اجتمع الناس به
اخبرهم بذلك وعذلهم في تركهم السوق فقالوا ان الله عز وجل قد أغنانا عن
الاسواق بما فتح به علينا فقال رضي الله عنه والله اني فعلتم ليحاجن
رجالكم الى رجالهم ونساءكم الى نسائهم (وقد) كان بعض السلف رحمه الله
اذا رأى النبط يقرءون العلم يبكي اذ ذاك وما ذاك الا ان العلم اذا وقع لغير اهله
يدخله من المفساد ما انت تراه والله يرشدنا لما فيه السداد بمنه (وينوي) مع
ذلك اتباع السنة من ارشاد الضال وتشهيت العاطس والسلام على اخوانه

من المسلمين ورد السلام عليهم - ثم ذكر الله تعالى في السوق ان شاء سر او ان
 شاء جهر افا السرفيه فائدة كبرى وهي ذكر الله تعالى في موضع الغفلة والجهر
 فيه ذلك وزيادة تنبيه الناس على ذكر ربهم وحمد الجهر ان يسمع نفسه ومن
 يابه وفوق ذلك فلا ولا يرفع صوته بحيث انه يعقر حلقه كما يفعل بعض
 الناس ويضيفون اليه التكمين والترجيع وذلك من محذورات الامور
 ولم يكن من فعل الساف رضوان الله عليهم وحمد السر تحريك اللسان عما
 يريد وهو ان يتشهد فيقول لا اله الا الله وحمد لا شريك له له الملك وله الحمد
 يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير واليه المصير وهو على كل شيء قدير ثم
 صلى على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة التامة ثم يقول اللهم اني اسألك من
 خير هذا السوق واعوذ بك من الكفر والغشوق بذلك ورد الحديث في غنم
 بركة الامثال والله الموفق واذا رأى شيئاً يعترف به (وقد) كان عبد الله بن
 عمر رضى الله عنه يخرج الى السوق وليس له حاجة الا ان يذكر الله تعالى
 فيه ويسلم على اخوانه من المسلمين وكذلك سالم بن عبد الله وغيرهما
 (والخروج) الى السوق من شعار الصالحين والاولياء والعلماء المتقدمين رحمة
 الله عليهم اجمعين (قال) مالك رحمه الله تعالى كان ذلك من شأن الناس
 يخرجون الى السوق ويقعدون فيه اه وما سعى السوق سوقاً الا لنفاق
 الساع فيه في الغالب واكبر سلع المؤمن التي يطالب ربحها تعلمه وتعلمه
 وارشاده لنفسه واخبره وذلك في الغالب موجود في الاسواق لكثرة وجود
 اخوانه فيها وفيهم العالم بما يحاوله والجاهل بذلك (الان ترى) ان اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في الاسواق يتجرون وفي حوائطهم
 يعملون وعلى هذا استقر علم الامة وسافها (فان) قال قائل كيف يمكن
 تعاليم العلم في الاسواق وذلك امتحان بحق العلم ونقص محرمات العالم واستهانة
 بقدرهم واهل الاسواق مع ذلك لا يسألون في الغالب وبذل العلم انما يجب
 اذا سئل عنه لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (فالجواب)
 ان يقال ان العالم يتعين عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخفاء
 في ان ترك السؤال وترك التعاليم من المنكر البين فيتعين على العالم ان ينهي
 عن ذلك وان ينصح اخوانه المسلمين مع التلطف لهم وامثال امر الله تعالى

تفاق بوزن رواج
 وممناء اه

فيهم ومن جملة ذلك تعاليم جاهلهم والتعليم في الاسواق أكثر بيانا من غيرها
لوجود العلم والعمل مع الان العلم الذي يتعلمه البائع انما هو في الغالب في السلع
التي في دكانه والغالب انه لا ينسأه (فان) اخبر محتج بحديث الاعرابي الذي
قال عليه الصلاة والسلام فيه ارجع قصص فانك لم تصل وكرر ذلك ثلاثا حتى
قال له الاعرابي والذي بعثك بالحق ما احسن غيره فعلمني فعلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا امر يحج في ان العالم لا يجب عليه ان يعلم حتى يسأل
(فالجواب) ان الحديث دليل لما قدمناه من وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد انكر عليه اولاً به ارجع
فصل فانك لم تصل لان صلاته تلك لا تجوز فغير صلى الله عليه وسلم ذلك عليه
وهذا الذي ذكره سواء في انه يجب على العالم ان يغير على الناس ما هم فيه
من مخالفة السنة فاذا غير عليهم ذلك سألوه فاجابهم وانما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك مع الاعرابي ثلاثا لوجهين أحدهما ان يسأل كما
تقدم والثاني ان يثبت له العلم لانه اذا وقع التنبيه مرارا قبل الالتقاء ثبت
العلم بعده كما قال صلى الله عليه وسلم اعاذين جبل يامعاذ ثم سكت ثم قال له
يامعاذ ثم سكت ثم قال له في الثالثة يامعاذين جبل فالتقى اليه صلى الله
عليه وسلم لم بعد ذلك الحديث الى آخره وحكمة تنبيهه صلى الله عليه وسلم
في الحديثين ثلاثا اعني حديث الاعرابي وحديث معاذ المتقدم ذكرهما
لانه عليه الصلاة والسلام كان اذا وقع له امر له قدر وبال كرره ثلاثا ولما
كان حديث معاذ في الاعتقاد وحديث الاعرابي في الصلاة ومحمل الصلاة
من الدين محل الراس من الجسد كرره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وكذلك
كرره ما ناسبهما وما لم يتأكد امره يكتفي فيه من التنبيه مرة واحدة لمن عقل
ومن لم يعقل يزيده في التنبيه حتى يعقل ولم يزل على هذا شان العلماء
والصلحاء اذان المؤمن يجب لانيه المؤمن ما يجب لنفسه والمؤمن مرآة
المؤمن (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام ما أكد هذا الامر وبينه
واثبته بقوله عليه الصلاة والسلام ترى المؤمنين في تراجمهم وتوادهم كأجساد
اذا اشتكى بعضهم تداعى له ساثر أجسادهم بالسرور والمحبة وعلى هذا استقرت
الامة الى هلم جرا (الأتري) الى ماجرى للامام العارطوشي رحمه الله تعالى

قوله شاغرة اى
خالية اه

وكان من المتأخرين لما ان ورد الديار المصرية ليحج فلما ان حج ورجع وجد
الديار المصرية شاغرة من العلم ولا يشكك احد في مسألة جوارا ولا يقدر ان
يمسك في يده كتابا لغلبة الامر من السلطنة على ترك ذلك لبدعة كانت فيهم
تدينوا بها فلما ان رأى الامام الطرطوشي رحمه الله هذا الحال ودع رفيقه
من الاسكندرية وارسل السلام الى ولده بالغرب وقال هذه بلاد لا يحل لي
ان اخرج منها ما غاب فيها من الجهل فجعل رحمه الله يقيم على دكان بيع
فيه علم ما يحتاج اليه في عقيدته وفرائض وضوئه وسننه وقضائيه وكذلك
تيممه وغسله وصلاته ثم ينتظر لما عنده من السلع فيعلم ما فيها من الاحكام
التي تلزمه وكيفية تعاطيه بيعها وشراؤها وكيفية دخول الربا عليه والسلامة
منه ان كان مما فيه الربا فاذا فرغ منه يقول له علم جارك ثم ينتقل الى دكان
آخر حتى قام العلم على مناره وزال الجهل في حكاية يطول ذكرها وهذا هو
المقصود منها فكان السبب لانتشار العلم وظهوره في الاسواق الا ترى انه
لو قعد في بيته حتى يطلب منه التعاليم لم ينتفع به احد ممن في الاسواق ولا غيرها
وانما حصل ذلك الخبير العظيم ببركة التواضع وامتنان السنة وسلكه
طريق السلف في دخول الاسواق ومراجعة العوام في ما يحاولونه مما لا ينبغي
(فعلى) هذا ينبغي للعالم اوتبعين عليه انه اذا رأى الناس قد اعرضوا عن
العلم عرض نفسه عليهم لتعليمهم وارشادهم وان كانوا معرضين لان العلماء
ورثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين كان الناس معرضين كان يعرض نفسه المكرمة على قبائل العرب
ليتهموه وينصروه اذ ان الغنيمة عندهم ارشاد شاردهن باب ربه او ضال
لا يعرف الطريق فيردونهم الى باب مولاهم فيوقفونهم على بساط كرامته
ياتبع امره واجتناب نهيه (وقد) كان سيدى حسن الزيدى رحمه الله
يقول انى لا اريد احدا من الصالحين ولا من العلماء يأتيني اذ لا حاجة لهم بي
ولا حاجة لي بهم وانما اريد من هو شاردهن باب ربه فارده اليه او كلاما
هذا معناه ولا شك في ان من قعد في السوق ولم يأت العلماء والصالحين ولم يكن
منهم ورصى لنفسه بذلك الحال انه شاردهن باب ربه فيمتعين على العالم سياسة
من هذا حاله حتى يوقفه باب ربه كما تقدم (فانظر) رحنا الله تعالى واباك

الى نية العلماء اذا صلحت كيف يبذلون أنفسهم في الاسواق والمجالس فيها
مع الباعة ومن هو متصف بالبعد والجهل فيردونهم بالعلم الى اسنى الاحوال
وارفعها لاجرم انه لما كان العلماء على هذا الاسلوب المبارك انتفعوا ونفعوا
وعمت بركتهم لاهل الاسواق وغيرهم بخلاف ما يعهد من احوالنا اليوم مع
انه والمجد لله لم يعد ذلك البتة اذ ان علماء المغرب اكثرهم على ما وصفنا لم يغير
عليهم بعد الزمان ولا انحطاطة غير الجحش من الاعاجم وغيرهم فانتفعوا
بانفسهم وانتفع الناس بهم وعمت بركتهم على الناس كافة ولو كانهم
وامرائهم وصلواتهم وعلمائهم وعلمائهم (وقد) نص عليه الصلاة والسلام
على ذلك بقوله لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من
خالفهم حتى ياتي امر الله وفي رواية تعيين جهتهم بقوله عليه الصلاة والسلام
طائفة بالمغرب وفي رواية مسلم لا يزال اهل المغرب فالحمد لله الذي بقي الخير
متصلا وبسبب وجودهم وتصرفهم بالسنة المطهرة على ما تقدم ذكره
ارتدع كثير من اهل البدع وقل ظهورها واهلها ونزلت البركات وجاءت
الخيرات وبقي الناس في خفارتهم محولين في ارغد عيش عكس ما هو عليه
الحال اليوم في الغالب في الوقت فتجد بعض المنتسبين الى العلم يتشبه بالملوك
في البوابين والحجاب ومن يشي بين يديه من الطرادين حتى قل من يصل اليه
من المضطرين والمحتاجين الى مسئلة واحدة من العلم فيتحيلون في الوصول
اليه بوسائط كما يفعل الملوك وهذا الحال لا يليق باهل العلم بل هو من فعل
الجبابة المتكبرين والغالب من بعض العوام اليوم الشرود عن العلم
والنفور عن اهل الخير لغاية الجهل وقلة المحرم لغير سبب فكيف بهم اذا
وجدوا السبب ويعسر عليهم امر السؤل الابشقة فيقع الفرار والشرود
اكثر فـ كان مائة عام او نه جميعه مما لا يجوز فعله في معاملاتهم في ذمة من
اتصف بما تقدم ذكره مما منعهم به عن تعلم العلم (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله
من بقية فعل العالم في السوق وادبه فاذا مشى في السوق فيضع بصره حيث
يريد أن يضع قدمه ويتحفظ على نفسه من رفع بصره لئلا يقع على ما لا يحل
رؤيته (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ان الانسان اذا رفع
بصره في الاسواق او في الطريق التي بالديار المصرية ما رفعه الا ويطار الى

حريم المسلمين وان لم ينوه اذان من عادة بعض نسايتهم الجلوس في الطاقات
وابواب الريج وذلك على الاسواق والطرق في الغالب (وقد) كان الساف
رحمهم الله تعالى يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام (وقد)
دخل بعض الناس ومعه ولده على بعض الساف فقال الصبي لصاحب المنزل
يا سيدي انا تخاف ان تقع في هذا البيت وهو على السقوط فقال له من اين
علمت ذلك فقال له خشية مكسورة في سقفه فقال له الشيخ ما اكثر فضولك
اليوم اربعون سنة في هذا البيت ما رأيت سقفه وانت من حينك رأيت
او كما قال وقد مكث بعضهم اربعين سنة ما ينظر الى السماء فعلى منوالهم
فانصح ان كنت لهم محبا ان المحب ان يحب مطيع (وينوي) مع ذلك ان
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر سيما ان كان مما قد عمت به البلوى فيتأكد
الكلام على ذلك والتنبيه عليه لئلا يكونه صار عندهم من باب القرب مثل
قراءة القرآن في الاسواق ومواضع اللغو ومواضع الخجاسات فينبه العالم
على هذا وما شاكله اذ الكلام قد يكون فرض عين عليه في الغالب والله
تعالى اعلم ويصلح ذات البين ويميط الاذى عن طريق المسلمين كل ذلك مع
الرفق بهم والتجاوز عن مساويهم وتوقير كبيرهم ومن كان من اهل العلم
والصلاح منهم وزيارة اخوانه المؤمنين وتفقد احوالهم بالسؤال وغيره في
امر دينهم ودنياهم والدين اهم (وينوي) مع ذلك عبادة الارضى على وجهها
ان وجد لذلك سبيلا وقد يجد بعضهم في سوقه فتحصل له النية والعمل
(وينوي) مع ذلك ان يصلى على جنازة ان وجدها على السنة ولاجل هذه
الطهارة يستحب للعالم والمريد ان يكونا على وضوء في كل الحالات لان المؤمن
بصلاحه فاذا وجد شيئا لا يمكن عمله الا بطهارة وجد السبيل الى ذلك فلا
يفوته شيء من القربات غالبا (وينبغي) له ان لا يفارق عدة تكون معه اذ
انه قد يجد في السوق او في الطريق شاة او غيرها تريد ان تموت ولم يكن
مع صاحبها ما يذبحها به فيجبرها عليه بسبب العدة التي خرج بها وقد يجد
دابة قد انخنقت بحبل فيقطعها بجماعه من تلك الالة فان وجد شيئا من هذا
حصل له اجر النية والعمل وان لم يجد حصل له اجر النية (وكذلك) ينبغي له
ان يخرج بنية السؤال عن احوال اخوانه المسلمين وعن جيوشهم وما يجري

لهم فيسر تخيران سمعه عنهم ويحزن لضده فيكون له مثل أجرهم وكذلك
يسأل عن غاب من اخوانه المسلمين فيسر ويحزن كما تقدم فيكون شريفا
لا واقع له ذلك في الاجر والثواب من غير تعب ولا عمل فيه مشقة على ما تقدم
(وينبغي) له اذا خرج من بيته الى السوق او غيره ان يسلم على اهله اذا خرج
وايس السلام الاول اولى من الآخر (وقد ورد) ان من سلم على قوم فكافوا
مستغنين في خير كان شريفا كالمسلم فيه وان خاضوا في غيره لم يكن عليه شيء من
ذلك (ثم) يقدم رجلا له اليمنى في خروجه ويؤخر اليسرى ثم يستعيد فيقول
اللهم اني اعوذ بك ان أضل أو أضل أو ازل أو ازل أو اظلم أو اظلم أو اجهل
أو يجهل علي (ثم) يقرأ آية الكرسي حين خروجه فان كان للسوق طريقان
فليختار أقربهما يمنى فيه لان الخطأ الزائدة لا ضرورة تدعو اليها وكونه في بيته
أو في المسجد لالقاء العلم أو غيره من القربات أفضل من تلك الخطأ الزائدة ومع
ذلك يريح بدنه من زيادة التعب (وكذلك) ينبغي له ان يتحفظ من المشي
في بنايات الطريق لان غيره يقتدي به وقد يكون ذلك سببا لهلاك بعضهم
فيما يبل يمشي في الطريق المجادة فان فيها السلامة وان بعدت (وينبغي) له اذا
خرج لافضاء حاجة ان يترصد قليلا في البيت حتى يفكر أهله في كل
ما يحتاجون اليه لكي يكون مشيه الى السوق مرة واحدة لا يحتاج أهله
الى حوائج اخر فيحتاج ان يتذكر الى السوق مرارا فيكون ذلك ضياعا لعالم
وغيره من القربات التي هي اولى من حضور الاسواق فان كانت الطريق
الى السوق بعيدة يصعب عليه المشي لبعدها أو كان ضعيفا يشق عليه المشي
وان قرب فله ان يركب ولا يخرج به ذلك عن التواضع (فاذا) ركب فينبغي
له ان يمثل السنة في الذكر الوارد في الحديث وهو ما رواه أبو داود في سننه
عن علي بن ربيعة قال شهدت عابا اتى له بدابة ايركها فلما وضع رجله في
الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي
سخرنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا المنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات
ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقالت له يا امير المؤمنين من اى شيء ضحكك
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقالت يا رسول

٣ أول الحديث
كما في الجامع
الصغير بسم الله
توكل على الله
لا حول ولا قوة
الا بالله اللهم الخ
وتسأله كما فيه
أوابني أدبني
على اه

الله من أى شئ ضحكك فقال ان ربك ليحب من عبده اذا قال رب اغفر لي
ذنوبي يعلم انه لا يغفر الذنوب غيره اه (ويعتبر) عند ركوبه عليها اذان
الدابة لا تحمل نفسها فكيف تحمل غيرها ان الله يحسك السموات والارض
ان تزولا فالارض حكمة بقدره الله سبحانه وتعالى فهي عاجزة عن امساك
نفسها فكيف تحسك غيرها فيستصحب هذا النظر في كل احواله فيشهد
بذلك رؤية اعمال الله تعالى دون واسطة فيقوى بذلك ايمانه ويقينه
ويرجع له الايمان حالا بعد ان كان مقالا (لكن) بشرط ان يمشى بالدابة على
رفق ولا يزعجها القوله عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق في شئ الا زانه
ولان ذلك ابلغ في افعال العلم لان الناس يتوصلون بذلك الى سؤاله
وجوابه مع تعليمه وارشاده والجملة من الشيطان (ثم) يفعل ذلك في رجوعه
فان كانت الدابة لا تكارى فيشترط ان لا يمكن المكارى من هذا الضرب
العتيف الذى اعتادوه في هذا الزمان بل على ما تقدم وصفه (وينبغي) له ان
ينوى اذا رأى قرطاسا في سكة الطريق رفعه وأزاله عن موضع المهنة الى
موضع طاهر يصونه فيه ولا يقبله ولا يضعه على رأسه اذان فعل ذلك بدعة
كما تقدم وسواء كان مكتوبا أو غير مكتوب فان كان مكتوبا فقد لا يخلصه
ان يكون فيه اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الانبياء عليهم الصلاة
والسلام أو اسم من أسماء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وفي ذلك من
الثواب ما فيه وقد تقدم وان لم يكن فيه شئ مكتوب فيكون أخذه لذلك
توقيرا وتعظيما لنعم الله تعالى اذان الورقة لا بد فيها من النشا وان قل
(وتلك) ينوى اذا وجد خبزا أو غيره مما له حرمة مما يؤكل فانه يزيله عن
موضع المهنة الى موضع طاهر يصونه فيه ولا يضعه على رأسه ولا يقبله تحريزا
من البدعة أيضا كما تقدم (وقد) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله
تعالى اذا جاء القمع لم يترك أحدا من الفقهاء في الزاوية في ذلك اليوم يعمل
عمله الا حتى يلقطوا ما وقع من الحب على الباب أو على الطريق فاذا فعلوا
ذلك حينئذ يرجعون الى ما كانوا يعملون وهذا الباب محرب كل من عظم
نعمه الله تعالى لطف الله تعالى به وأحس كرمه وان وقعت الشدة بالناس
جعل الله ان هذه صفته فرجا ومخرجا فعلى منوالهم فانمى ان كنت ذا حرم

(وينبغي) له أنه إذا قدر أن يحمل الحوائج كلها بنفسه أو على دابته فهو به
أولى لا تباع السنة والاقتداء به في ذلك وإن كان راضيا بها لأنه من باب
التواضع والامتثال وترك البدعة (وينبغي) له أن كانت له حاجة واحد
يمشي معه إلى السوق أن يردفه خلفه ليكمل امتثال السنة لأن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يردف خلفه في بعض الأحيان وفيه فائدة أخرى وهي
التواضع فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض أهل الوقت ممن يتحاشى ذلك وهو
خلاف السنة فإن احتاج إلى من يحمل له شيئا من الحوائج فيستأجر على ذلك
ولا يعطى لغيره أن يحمل بالأجرة اللهم إلا أن يخاف أحد على ذلك فيتمتع
عليه إبراهيم عليه السلام لكن بشرط أن يعلم أن لا يخاف بعد (وينبغي) أن لا يستعين
بأحد ممن يقرأ عليه خوفا أن يتجمل أجر ذلك في الدنيا (وكان) الساف
رضوان الله عليهم يتحرون في هذا الباب كثيرا (وقد) رأيت الشيخ الجليل
أبا إسحق إبراهيم التميمي رحمه الله تعالى من أهل تلمسان وكان فاضلا في
العلم والدين وذلك أنه خرج يوما مع بعض أصحابه إلى خارج البلد فعطشوا
واشتد عطشهم ولم يكن هناك ماء فراءوا عمارة فجاؤا إليها يطلبون الماء فإذا
برجل من أهل تلك القرية كان قد قرأ على الشيخ أبي إسحق فذهب فأتى
بإبن فيه سكر فاعطاه للشيخ ليشرب فأبى عليه فقال له ولم وهو من وجه حل
فقال له لأنك قرأت علي ولا يمكنني أني آخذ منك شيئا التلا تجعل ثواب ذلك
في الدنيا فرغبه في ذلك فلم يفعل (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى
لا يستعصى حاجة من قرأ عليه في الغالب وذلك خيفة مما تقدم ذكره (وقد)
كان رحمه الله تعالى خرج إلى السوق لتضاه بعض حوائجه في وقت فأخذ جلة
حوائجه فأشغل يديه مما فنزل البياع من الدكان وسأله أن يحمل له بعض
الحوائج فأبى عليه فلم يزل به حتى أعطاه شيئا حمله له ثم قص عليه البياع رؤيا
رآها فسكت رحمه الله تعالى ولم يقل شيئا فقال له الرجل يا سيدي أما تعبرها
لي فقال له لا يمكنني ذلك وأنت تحمل لي شيئا فيكون ذلك أجرة على العلم
فرغبه فأبى عليه إلا أن يعطيه حاجته بحماها بنفسه فن رغبة الرجل في
تعبيير تلك الرؤيا أعطاه حوائجه فحماها بنفسه ثم بعد ذلك عبر له رؤياه

وهضى لسبيله (فانظر) رحمتنا الله تعالى واياك الى تحرفهم على أعمالهم
واخذ اصهم فيها فإن الحال من الحال فيكون العالم متيقظا لهذه الاشياء
وليس هذا خاصا بمن قرأ عليه ليس الا بل هو عام في كل من حصل له منه
ارشاد ما أو تعلم ما فيتحفظ من هذا جهده ودين الله يسر (فان) كان العالم له
عذر في التخلف عن قضاء حاجته بيده اما الضعف من كبر أو غيره أو شغل مع
طالبة العلم أو من يسأل عن أمر دينه الضروري الى غير ذلك من الالهذار
الشرعية فالنبي اذ ذاك له افضل بحسب ما يراه في وقته اذان القاء العلم
لا هله لا يفوقه غيره وقد تقدم ان أهل العلم هم الذين يطالبونه للعمل به لا غيره
ومع هذا التواتر به الاشغال فلا ينبغي له ان يخلى نفسه من احياء هذه السنة
اعنى الخروج الى السوق ولومرة في وقت ما فان لم يجد سبيلا ~~كثيرة~~
الاشتغال عليه فليخرج الى ذلك وهم يشتغلون عليه وليس هذا من باب
المذموم الذي تقدم ذكره في وطء الا عقاب لان هؤلاء ما خرجوا معه
الا ضرورة تعليمهم وخرج هؤلاء ارسنة ولا يعكر على هذا ما تقدم ذكره من
النهي عن قراءة القرآن في الاسواق اذ ان ذلك كلام الله تعالى وهذا كلام
البشر نعم ينبغي له ان لا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه
اذ انه ليس بكلام الله تعالى افضل من كلامه صلى الله عليه وسلم في تعيين
احترامه وتعظيمه وكذلك لا يقرأ في الاسواق وما ذكر من المشي معه لهذه
الضرورة اغماها وما لم يخف على نفسه من فتنة وطء عقبه فان وقع له خوف ما
من هذه السببة فترك هذه السنة اولى به أو يخرج لفعلاها واحده وان كان
له عذر في التخلف عن قضاء حاجته بيده فيستتيب من يقضى له ذلك لكن
بشرط ان يعلم ما يحتاج اليه في محاولة ما خرج اليه بسبب ما تقدم ذكره من
البياعات الفاسدة في الاسواق وما لا يجوز بيعه وما يكره الى غير ذلك مما تقدم
ذكر بعضه (بجملة) ما تحصل في خروجه الى السوق من النيات والآداب
ينوب عن خمسة من خصلته وهي على سبيل التنبيه لمساعدتها فليتنبه من
يتنبه من يوفق لذلك والله يوفق الجميع بمنه وان كان قد تقدم أكثرها
في الخروج الى المسجد فالمحصل ان ما خرج به من النيات الى المسجد
يخرج به الى السوق وما يختص بالمسجد وحده فهو معلوم مذكور قبل هذا

في موضعه ومن دقق النظر وجد أكثر من ذلك ان شاء الله تعالى بحسب ما يكون عنده من النور والحضور

(فصل في رجوع العالم من السوق الى بيته وكيفيته نيته في ذلك) فاذا رجع الى بيته فينوي في رجوعه كل ما تقدم ذكره في خروجه من بيته الى السوق ومنه تعليم جاهلهم والتعلم من عالمهم وينوي في رجوعه الى بيته نية الخلوة عن الناس فيكون مأجورا في خطاه الى الخلوة واداء وصل الى بيته فلا يتله من الاستئذان على أهله بنية امتثال السنة في ذلك ثم يسلم عليهم ويقدم رجلاه اليمنى حين دخوله ويؤخر اليسرى وكذلك يفعل عند خروجه ولا تقع التفرقة في التقديم والتأخير الا بين المسجد وبيت الخلاه وما أشبهه من حمام أو غيره من مواضع الفضلات ويسمى الله تعالى حين دخوله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويمتثل السنة في الدعاء الوارد حين الدخول الى البيت وهو ان يقول اللهم اني أسالك خيرا موجبا وخيرا مخرجا بسم الله وبحجنا وبسم الله نخرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يتووذو يقرأ قل هو الله أحد الى آخرها وينوي حين دخوله الى بيته نية الخلوة عن الناس كما تقدم لكن ينوي بذلك ليسلم الناس من شره وشراساته ونظره وسمعه وبطشه وسميه وحسده وبغيه وما أشبه ذلك من الخصال الرديئة اذ ان كل من قرب من باب ربه تعالى كان أسوأ ظنا بنفسه كما قد حكى عن بعضهم لما انزل في خلوته عن الناس وانفرد بنفسه انه قال وجدت اساني كلباء عورا قل ان يسلم منه من خالطه فحبت نفسي ليسلم الناس من شره وآفته وفي هذه النيات من الخيرات أشياء متعددة منها انها تحتوي على عدم الدعوى وعلى عدم التكبر والتعبر والتخيل وغير ذلك من الخصال الرديئة فبنفس هذه النية تندفع كلها وفي الخلوة من الخيرات أشياء متعددة تحصل له دون كافة يتكافها وسياتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر حال المرء يد والله ينفع بالجميع عنه وليحذر ان ينوي بالخلوة سلامة من الناس فان ذلك داء عضال والعطب فيه موجود اذ ان فيه تحسين الظن بنفسه واساءة الظن بغيره من اخوانه المسلمين وقد تقدم ذكر هذا حين رجوع العالم من المسجد الى بيته فأغنى عن اطادته وانما ذكر بعض ذلك هنا زيادة تنبيه والله تعالى الموفق

فان احتاج أهله الى حاجة أخرى أو نسي شيئاً مما خرج اليه فلا يعود الى السوق ويترك ذلك وان كان ضرورياً لله ثم الا ان يكون يخاف فوات أمر مثل مرض يحتاج الى فساد أو غيره من غداً أو دواء أو ما أشبه ذلك لا يلا يقضى عليه الزمان في الأسواق كما سبق لان الأهل اذا علموا انه مما أعوزهم شيئاً يقضى لهم تكثر حوائجهم ويضيع عليه وقته فاذا علموا من عادته انه لا يخرج المرأة واحدة جمعوا له الحوائج كلها في خروجه فيحفظ عليه وقته واذا قعد في بيته مع أهله وبنيه فأجر الخلوة حاصل له فان عمل شيئاً من القرب بحضورهم أو مع علمهم فذلك لا يخرجهم عن عمل السر وله تضعيف الثواب فيه اذان العلماء قد قالوا ثلاثة من أعمال البر لا تخرج عن عمل السر وان عملت في الجهر وهي سجود التلاوة اذا امر التلوي بسجدة وهو يقرأ في سره فيسجد لها بحضور غيره واذا كان صائماً فدعى الى طعام فقال اني صائم واذا كان مع أهله يعمل سجداً لا وهم معه فان ذلك كله لا يخرجهم عن عمل السر ولا عن الخلوة اما سجود التلاوة فلا تهم ما وراء امر بسجدة يسجد لها فاذا كان معه غيره فلا يتركها لاجل الغير اذ ان ترك العمل لاجل الناس رياء والرياء ممنوع فله واما الصوم فيحتاج الى ذكره اذا خاف التشويش على من دعاه حتى يرفع عن أخيه المسلم ما يتوقع من تشويش خاطره واما العمل بحضور أهله فلو كلف أن لا يعمل العمل الا بغيبته عنهم امكن في ذلك خروج ومشقة وفتح باب ترك العمل (المكن) اذا اراد جمع خاطره وقد ران يكون بمنزل عن الأهل فهو وادلى به وهذا يشترط في حق الضعيف الذي يخل بحاله الاجتماع وله ذالمعنى قال مالك رحمه الله تعالى في التنفل في البيت انه أفضل من التنفل في المسجد يعني لفضيلة عمل السر فان كان في البيت اولاد أو من يفرق خاطره في عبادته ففي المسجد أفضل اه واما أهل التمكن فلا يحتاجون الى ذلك وقد كان بعض السلف رضى الله عنهم اذا كان في بيته في غير وقت الصلاة وقرأ أهله واحترموه كثيراً فاذا دخل في الصلاة كثر لغطهم ويتكلمون بما يحتاجون فسهل بعضهم عن ذلك فقالوا اذا كان في الصلاة لا يسمع ما يقول فن هذا حاله كيف تنصرف همته لرؤية الاولاد ومما زجتهم او غيرهم (وقد) سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله تعالى يقول ان

هذه الحالة تكون في وقت دون وقت ففي بعض الاوقات تكون في البيت
الحركة الكثيرة والبكاء الكثير من الاولاد وغير ذلك مما يشوش الخاطر فلا
أسمعه ولا أعرف به وكل ذلك راجع الى حاله وبعض الاوقات أشعر به وما
ذلك الا بحسب المحضور والتفرقة وكذلك كان يقول في تلاوته لكتاب الله
تعالى في بعض الايام أصلي الصبح ثم استفتح سورة البقرة فإيجي به بعد طلوع
الشمس بقليل الا وأنا قد نحتت وبعض الايام لا أقدر على ذلك بحسب
المحضور فان كنت حاضرا كان ذلك وبحسب التفرقة يكون البطء في الختم
فقد تبين ان القوى والضعيف لا يستويان (فعلى) هذا فالحلوة عن الاهل
مشترطة في حق الضعيف وفي وقت التفرقة ومع ذلك فلا بد ان يعطيهم
ظهم منه في وقت ما ويؤاكل أهله وبنيه وجواريه وعبيده من حصة
واحدة ولربما كان هذا أفضل من كثير من خلواته لان في ذلك وجوها
من الخير منها امثال السنة والتواضع وادخال السرور عليهم وقد قال
بعض اهل التحقيق من رأى انه خير من الكلب فالكلب خير منه وقوله
هذا بين واضح ألا ترى ان الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار وغيره من
المكافين محتمل لدخولها الا من استثنى فالكلاب والحالة هذه أفضل
منه وفي الكل مع من تقدم ترك دعوة النفس وترك رياستها والتعظيم
والفخر واتصافها بالخوف والوجل ورؤية الفضل لغيرها مما هو بين واضح
فيه قوي الرجاء ان اتصف بذلك أنه من الناجين نسأل الله تعالى ان ينجيها من
جميع المآلات بفضلها أجمعين وما تقدم ذكره من الخلوة مع وجود الاهل فهو
على جادة مذهب العلماء راحة الله عليهم ومذهب بعض اهل التحقيق ان
عمل السر هو الذي لا يعرف به المالك كان عليهم السلام على ما سيأتي ان شاء
الله تعالى (وقد) تقدم بعض آداب العالم في اخذ الدرس في المسجد (وبقي)
الكلام على اخذ الدرس في بيته أو في المدرسة فان كان في بيته ضرورة ما
أعني لا يمكنه الخروج لاجل اخذ الدرس في البيت أولى بل أوجب لان
تركة فيه ضرر في الغالب عليه وعلى اخوانه المسلمين (فاذا) فعل ذلك فالادب
كما تقدم في المسجد كن يختص البيت ببعض الآداب وان كانت مطلوبة في
المسجد كن في البيت تتأكدا (فإنها) كثرة تواضعه للداخين عليه أعني

مطلب
أخذ الدرس في
البيت والمدرسة

في تلقيهم ببشاشة الوجه وحسن التلقى اذان البيت محل انقباضهم بخلاف
المسجد لانهم وغيرهم فيه سواء فان لم يبسط لهم الاثس والاصكان سببا
لانقباضهم او عدم مجيئهم او يقل فهم بعضهم لبعض ما يلقيه اليهم (ومنها)
ان ياذن للطلبة وغيرهم ممن يحتاج الى الاستفتاء او التعليم او ليسمع الا
تري الى قول مالك رحمه الله تعالى للخليفة ادركت العلماء وهم يقولون ان
هذا العلم اذا منع عن العامة لم تنتفع به الخاصة اه ويحتمل عدم الانتفاع به
من ثلاثة اوجه احدها انهم لا يوفقون للعمل به والثاني ان ثواب العلم يكثر
بانتشاره فكما انتشر زاد الثواب لمعلمه وحصل لمن عمل به واذا وقع
الاختصاص به امتنع انتشاره واذا امتنع انتشاره ذهب بعض ثوابه
والثالث ان يحرم الخاصة فهم تلك المسائل ومعاينها لان في اختصاصهم
بذلك نوع تكبر وتجبر ويخل بما امرهم الله تعالى ان ينفقوه من العلم الذي
من به عليهم فخرموا الفهم فيه قال الله تعالى سا صرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق الآية ومعلوم بالضرورة ان بعض المتكبرين
يحفظون القرآن والعلم والكنهم منه وافائدتهم وهي الفهم فيه والعمل به وذلك
هو المطلوب فبقى العوام احسن حالا منهم في ذلك والله تعالى المستعان (ومن
آدابه) ان يكون الاذن مشهورا معلوما لان عدم اشتهاره سبب لقله انتشار
العلم او يكون فيه بعض كتم له (ومن آدابه) ان يكون موضع اخذ الدرس
في البيت بحيث لا يسمع فيه لاهل البيت حس ولا كلام خفية مما يترقب على
ذلك من المفسد التي لا يشعربها (ومن آدابه) ان يكون الوقت معلوما لانه
ان لم يكن معلوما وقع الضرر به وبين ياتي اليه اذان وقت الاذن بقي غير
مضبوط لهم (ومنها) انه اذا سمع الاذان وهو في جماعة في اثناء الدرس قطع
وقام هو ومن معه لابتاهب والاصلاة في المسجد في جماعة اذان ذلك من اكبر
اظهار شعائر الاسلام فاذا خرج هو ومن معه الى المسجد ظهرت بذلك الشعائر
واقتردى به الناس في ذلك وحصل لهم بركة امثال السنة لما في الخروج الى
المسجد من البركات والخبرات والثواب المرتب على ذلك كما تقدم الا ترى
الى وصف الواصف لبعض حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سمع
الاذان خرج فيحصل للعالم بركة الامثال والاقتداء بالنبي صلى الله عليه

وسلم في المبادرة الى الخيرات وان كانت صلاة العالم في البيت في جماعة مع طابته أو غيرهم يحوزون بها فضيلة الاجتماع لكن يذهب عنه وعنهم اذا صلوا في البيت الفضائل والاجور المذكورة في المشي الى المسجد ويكون ما وقع منه ومنهم من الافعال المكروهة كراهة شديدة اذ ان الناس يقتدون به وبهم في ذلك وقد يؤول الامر الى تعطيل المساجد وبعضها من الجماعات اذ الغالب على الناس انهم لا يعمدون من يصلي معهم في البيوت فيجدون السبب لاقدوة بالعالم في ترك هذه الشعيرة اللهم الا ان تكون له ضرورة لا يقدرون على الخروج الى المسجد لاجلها فأرباب الضرورات لهم احكام تخصهم لكن ينبغي له ان يذكر ان حضره أنه مضرور وترك ذلك وليس عليه ان يبين الوجه الذي لاجله ترك وقد قال مالك رحمه الله تعالى ما كل الاعتذار تبدي (وقد كان) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحافظون على آداب الشريعة كما يحافظون على الواجبات منها الا ترى ان أحدهم كان لا يقدرون ان يأتوا الى المسجد لشدة مرضه ثم يخرج اليه يتهادى بين اثنين لاجل شهود الصلاة في جماعة ليشهد دعوة المسلمين واعتناء بركتهم والصلاة معهم وخلافهم اذ الغالب ان فيهم من هو مغفور له ومن صلى خلف مغفور له غفر له (ولاجل) هذا المعنى كان بعض السلف ياتي الى المسجد في اول الوقت رغبة منه في فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ الصف الاول انتقل منه الى الصف الذي يليه وهكذا الى أن يصلي في آخر الناس ف قيل له في ذلك فقال أما سبق في اول الوقت فلا حوز فضيلة الصف الاول مع اول الوقت وأما انتقال الى ما سواه فاعل ان أصلي خلف مغفور له فيغفر لي سيما ان كان المغفور له اماما فبمع على مع (فالمحافضة) على الصلوات في المساجد في جماعة من أعظم شعائر الدين ومهماته (وقد كان) عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما اذا فاتته تكبيرة الاحرام مع الامام اعتق رقبة (فاذا) كان ذلك كذلك وكان للعالم عذر في التخلف في البيت عن المسجد فلا اذن ان معه في البيت من الطلبة وغيرهم في الخروج الى المسجد لاجل اظهار شعيرة الجماعة ولا يحسبهم لاجل الصلاة معهم ويصلي هو مع من حضره من أهل البيت ان أمكن فاذا قضوا صلاتهم في المسجد رجعوا اليه

ان كان بقي لهم شيء من وظيفة ثم ان شاؤوا وان لم يجد من يصلي معه
في البيت صلى فذا فهو افضل له وأبرك لأجل امتثال السنة في اذنه لهم
في الخروج الى المسجد لافطار السنة والشعيرة كما سبق (وقد ورد) ان من
أشراط الساعة كثرة المساجد وقلة المصلين فيها (قال) الامام ابو طالب
المكي رحمه الله تعالى في كتابه وقد كانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة
الواحدة (روى) ان أنس بن مالك لما دخل البصرة جعل كلما خطا خطوتين
راى مسجدا فقال ما هذه البدعة كلما كثرت المساجد قل المصلون أشهد
أقد كانت القبيلة بأسرها ليس فيها الا مسجد واحد وكان أهل القبيلة
يتناولون المسجد الواحد في الحى من الاحياء (واختلفوا) اذا اتفق
مسجدان في محلة في أيهما يصلى (فهم) من قال في أقدمهما واليه ذهب
أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قال وكانوا يجاوزون
المسجد المحدث الى المسجد العتيق اقتصى (فاذا كان) العالم يتحفظ من هذا
انسلت هذه الثمة فلم يوجد تعطيل بركة الاتباع وفقنا الله تعالى لذلك
عنه (وايحذر) أن يميل أو يغتر ببعض عوائد بعض أهل الوقت بالديار
المصرية وما أشبهها وذلك انك تجد بعض من ينسب الى العلم والفتوى
يسمع الاذان وهو في بيته فلا يزعزعه ذلك ولا يتحرك للخروج الى المسجد
ولو كان على طهارة وينتظر حتى ياتيه أحد من الطائفة او غيرهم فيصلى معه
الفرض ويرى أن ذلك من حسن السياسة بأن يحصل لهم فضيلة الجماعة
دون خروج وحركة الى المسجد ودون مخالطة العوام فان لم ياتيه أحد في
الوقت ونحشى خروجه صلى مع أهله ان كان له أهل والاصلى فذا وقد يكون
المسجد على بابيه او بجواره ولم يصل فيه أحد وقد يصلى فيه من لا يؤبه له من
لا يعرف العلم ولو كان المسجد بعيدا لمكان العالم أولى من يهرع اليه حين
قرع سمعه النداء لانه اعلم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان أكثركم
اجرا بعدكم دارام علمه بما في الجماعة واطهارا لثماثر من الثواب
والبركات والكنوز في الغالب لا يبادر اليها الا من يعرفها وقد ورد
في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجلا ام قوما رهم له
كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الفلاح

قوله يؤبه بوزن
ينظر ومعناه اه

فلم يجب انتهى (ثم) مع هذه المعرفة والعلم تجدد الجسام مع الاعظم في غالب
الآوقات اذا صلى الامام يستتره عوام الناس ممن لا يعرف العلم وقد يطرا
عليه سم وفلا يجب من يسبح له ولا من يستخلفه ان يجرى عليه امر محمود
للخروج من الصلاة فيكون سبباً لافساد صلاة المأمومين ثم انك اذا نظرت
الى الصف الاول لا تجد فيه في الغالب من يقتدى به عكس ما كان عليه
السلف والخلف رضى الله عنهم اجمعين وقد قال عليه الصلاة والسلام لياني
منكم اولوا الاحلام والنهي انتهى والسنة الماضية انهم كانوا يصلون
في الصف الاول الا مثل فالامثل منهم ثم الثاني ثم الثالث على هذا المنهج
الى آخرهم لان الا مثل فالامثل منهم كانوا اسرع سبباً لتلك الموضع في
المسجد من غيرهم ممن تاخر عن مواضعهم وهذه سنة قد امتدت وتركت
في الغالب في هذا الزمان لكن والمحمد لله قد بقي منها بقية خير قائمة بهذه
الشعيرة في بلاد المغرب فانك تجد بها المساجد مصانة مرفعة معظمة لا ترفع
فيها الاصوات ولا تدخل الا للصلاة ولجمال العلم وما قدمناه من الترتيب
في الصف الاول وغيره فهم ماشون على ذلك الاسلوب او قريب منه ولم
عادة حسنة قدمضى ذكرها وهي ان الذين يعمررون الصفوف الامثل
فالامثل لكن الذين يستترون الامام هم اكثر امتيازاً من غيرهم في الفضل
والدين وهم معلومون قل ان يغيب احد منهم فان غاب لضرورة قدموا
موضعه من هو مثله او يقاربه فيصل الى الامام وهو مطمئن القلب بما يطرا
عليه في صلاته اذا منهم في الفضل والعلم بحيث لا يغفلون عن حركاته واحواله
وهذا عكس ما الحال عليه اليوم حتى انه لو حضر احد من يقتدى به اليوم في
المسجد لرأيت به بعيداً من الامام وقد لا يصل الى الصف الاول ثم مع ذلك
تقدمه السجادة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فاغنى عن اعادته (فهذا)
بعض الآداب التي تختص بالعلم اذا اخذ الدرس في بيته (وأما) اذا كان
ياخذ في المدرسة فاآدابه على ما تقدم ذكره في المسجد لكن المسجد له آداب
تخصه قد تقدم ذكرها والمدرسة لها آداب تخصها سند ذكرها قريباً ان شاء
الله تعالى اكن اخذ الدرس في المسجد افضل لاجل كثرة الانتفاع بالعلم لمن
قصده ومن لم يقصد به بخلاف المدرسة فانه لا يأتى اليها غالباً الا من قصد

العلم أو الاستغناء فأنعمه في المدرسة أقل رتبة في الانتشار منه في المسجد كما
تقدم وأخذ في المدرسة أكثر انتشاراً منه في البيت وغالب أنه لا يقصد
أخذ الدرس في المدرسة إلا لأجل العلوم فإذا كان ذلك كذلك فينبغي له
إذا أخذ الدرس في المدرسة أن يأخذ بتلك النيات التي وصفت في المسجد
وتلك الآداب بل ينبغي له أن يزيد في اخلاص نيته ويدفع الشوائب عن
نفسه ثم لا يتهاق خاطره بالعلوم أو يلهو باليه بطلبه بل يكون ذلك على
سبيل الامتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم (قال) الله تعالى
في كتاب العزيز وإذا أخذنا من الدنيا شيئاً فذوقوا العذاب لتبينتكم للناس ولا
تستكفون (وروى) البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا غفواني ولو آية (وروى) الترمذي عن
عبد الله بن مسعود ودرجى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع
ثم (فإذا) جاءه المعلوم دون سؤال ولا استشارة فغس فلا بأس بأخذه إذا
كانت الحاجة داعية إليه هذا على حاجة أهل العلم بشرط أن يكون
المعلم قد تم من علمه وعلامة صدقه فيما وصف من تعاليمه تعالى أنه إذا
قطع عنه المعلوم لا يتركه لتعليم ولا ما يستعان عليه من الاجتهاد ولا يتمرم
ولا يشجر بل يستكون في وقت قطع المعلوم أكثر طمأنينة وأشد حرصاً عليه
لأنه قد تمحضر لله تعالى وقد يكون المعلوم قد قطع عنه استتاراً من الله تعالى
لكي يبرى صدقه في علمه وحلمه فان رزقه من موهبه له مطافاً لا ينحصر ذلك في
جهة دون أخرى (قال) عليه السلام تكفل الله برزق طالع العلم
انتهى ومعناه أن الله تعالى يبرئ له من غير تعب ولا مشقة وإن كان الله
تعالى قد تكفل برزق الخلق أي من أي كان حكمه تخصيص طالع العلم
بالذكر أن ذلك يتم عليه بالاتباع والامتناع كما سبق في جعل تصديقه من
التمسك والمشقة في الدرس والمطالعة والتفهم للمسائل والفتاها وذلك من الله
تعالى على سبيل اللطف به والاحسان إليه وهذا من كرامات العلماء أي فهم
المسائل وحسن الفتاها والمعرفة ببياسة الناس في تعاليمها كما أن كرامات
الاولياء في الأشياء أخرى يطول تعدادها مثل المشي على الماء والسيران في الهواء

وينبغي له أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد أن يرجي أن يهين
على اطلاق المعلوم أو التحدث فيه أو انشاء معلوم عوضه (وقد) حدثني من
أثق به أنه رأى بعض العلماء المتأخرين وكان يدرس في مدرسة فانقطع
المعلوم عنه وعن طلبته أو نقص منه فقالوا للمدرس أملك أن تمضي إلى فلان
وكان من أبناء الدنيا التجمع به عسى أن يأمر باطلاق ذلك المعلوم فقال نعم
مرار إلى أن عزم وأعليه فقال والله أني لأستحي من ربي عز وجل أن تكذب
هذه الشبهة فندره فقالوا وكيف ذلك فقال اني أصبح كل يوم أقول اللهم
لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت فاقول هذا واقف بين يدي مخلوق
أسأله ذلك والله لا فعلته فلم يمش إليه (وينبغي له) أن لا يذكر قطع المعلوم
بين الناس ولا يشهره اذ ان ذلك من الضجيرة وقلة الثقة بما في يد الله تعالى
والتعرض إلى اطلاع بعض الناس على شيء من ضروراته والعالم أدنى من
يثق بربه في المنع والعطاء بل المنع من الله تعالى في كثير من المواضع هو عطاء
لان اختيار الله تعالى لعبده أحسن وأولى من اختيار العبد لنفسه اذ أنه
سبحانه وتعالى هو العالم بمصالح عباده (وينبغي له) أن يكون في المدرسة على
ما وصف في المسجد من التواضع والقرب من حضره من الطلبة وغيرهم
ولا يمنع أحدا من عامة الناس لان العلم اذا منع عن العامة لم تنتفع به الخاصة
كما تقدم واغلاق باب المدرسة فيه الاختصاص من العامة ومنهم من
الاستماع للعلم والتبرك به وبأهله وكذلك البواب لان ذلك حجاب عن العلم
أيضا واختصاص به كما تقدم بل يفتح الباب ولا يمنع أحدا من عاقل الله تعالى
الدخول كما هو في المسجد سواء بسواء (فان) قال قائل انما جعل البواب لاجل
ان كثيرا من العوام اذا دخلوا المدرسة نشوش الموضع وكشفوا عوراتهم
عند الفسقية وقد يسرق بعضهم بعض أقدام الفقهاء وقد يكثرون لغطهم
(فالجواب) ان البواب الذي يقعد على الباب أو غيره يكون واقفا عند
أخذهم الدرس فلا يترك أحدا ممن يتهم بشيء من هذا أن يقرب من ناحية
أقدامهم وان رأى أحدا يريد أن يكشف عورته نهاء وجزره ومنعه من ذلك
(وينبغي له) أيضا ان لا يتخذ تقييما بين يديه قائما كان أو جالسا ولا يفعل شيئا
ما هو معلوم اليوم من العوائد التي ليست ان مضى لان علماء السلف رضوان

الله عليهم لم يكن فرق بينهم وبين سائر المسلمين في مجالسهم وفي مجالس علمهم
في غالب احوالهم وما يفعلون في هذا الزمان من اتخاذ الحاجب والقباب
والنقيب اغماضه احد ثلاثة اشخاص امامة كبر في نفسه متجبر وان كان
ظاهره الاتسام بالعلم وهو منسوب اليه فهو مدود في التكبرين واما رجل
جاهل يريد العلم في الارض بجهله لانه لو علم حال علماء الساف في تواضعهم
لتشبه بهم ان سلم بما ذكر من التكبر والتجبر والتمثال وهو اشد من
الوجهين المذكورين واعظم ثبوتنا في الصدور وهي العوائد المستمرة حتى انه
قد يدرك بعض العلماء الوهم في تلك العوائد المستمرة فقد يجعلها من قبيل
المنذوب ان سلم من القول بوجوبها مستندا في ذلك الى ما انست به نفسه من
تلك العوائد كونه نشأ فوجد هامع ولا بها والعلماء برهانه من ذلك كله وفي
فعل من يسكت الطالبة اخذ لاهل لانه قد يكون بعض الطلبة لم تظهر له
المسئلة ويريد ان يبحث فيها حتى يتبين له او عنده سؤال واريد ان يلقيه
حتى يزيل ما عنده فيسكت اذ ذاك فيمنعه من المقصود وكذلك المدرس
ينبغي له ان لا يسكت احدا الا اذا خرج عن المقصود او كان سؤاله وبحثه مما
لا ينبغي فيسكته العالم برفق ويرشده الى ما هو اولى في حقه من السكوت او
الكلام فكيف يقوم على الطالبة شخص سيما اذا كان من العوام النافرين
من العلم فيؤذيهم ببذاءة لسانه وزجر بعنف فيكون ذلك سببا الى نفور
العامه أكثر سيما ومن شأنهم النفور في الغالب من العلم لانه حاكم عليهم
والنفوس في الغالب تنفر من المحكم عاينها فاذا راي العوام ذلك الفعل
الذموم يفعل مع الطالبة امسكت السؤال عما يضطرون اليه في امر دينهم
فيكون ذلك كتمال العلم واختصاصه كما سبق وشأن العالم سعة الصدر وهو
اوسع من ان يضيق من سؤال العامة وجفاء بعضهم عليه اذ انه محل الكمال
والفضائل وقد علم ما في سعة الخلق من الثناء في الكتاب والسنة ومناقب
العلماء ما لا يأخذه حصر اما الكتاب فقوله تعالى فيها رجة من الله انتم لهم
ولو كنتم فظا غليظ القاب لا تفضوا من حولك الآية وقوله تعالى انبييه
م الله عليه وسلم وانك لعلى خاق عظيم فتخصيصه سبحانه وتعالى الخاق
بالذكر فيه تخصيص عظيم وارشاد بليغ على تحصيل ذلك والاتصاف به في كل

الاحوال المدونة شرعا (فان) قال العالم مثله لا يقدر ان يسكتهم
فأدت الضرورة الى من يسكتهم عنه وهذا ليس من باب التكبر والتعجب
(فالجواب) ان هذا امر قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم وفعل السلف والخلف
الى علم جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم فقد حجج الله عليه وسلم بحجة
الوداع ومعه خلق كثير وروايتك على ناقته وهذا يسأل الله وهذا يحذره وهذا
يناديه الى غير ذلك وليس ثم حاجب ولا حذر ادولايك اليك وكان مع ذلك
يقول اللهم اجعله حججنا وبرائا لاريا فيه ولا سمعة وانما قال عليه الصلاة
والسلام ذلك لتشريع لامة فانه صاحب العصمة الكبرى والمنزلة المنيفة
المطهر عند ربه عز وجل وقد كان عليه الصلاة والسلام يقعد للناس عموما
ويحكم بما أنعم الله تعالى عليه به من التبليغ وتعليم الاحكام ثم مع ذلك
قال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم
والله يعطي اه فاعلم صلى الله عليه وسلم العطية والهبة لله تعالى وحده
وكلامه حكاية عما اتم اختلاف وانما العطاء والمنع (واذا) كان ذلك كذلك
فليس للعالم ان يخص قوما دون آخرين بالقضاء الاحكام عليهم اذ ان المسلمين
قد تساوا في الاحكام وبقيت المواهب من الله تعالى يخص بها من يشاء
من عباده والغالب انه اذا وقعت مخالفة السنة في امره لا ينجح ومن
مخالفة السنة ان يحتمل قوما من المسلمين للتعليم دون غيرهم واما فعل اصحابه
بعد مرضي الله عنهم اجمعين فكثير في هذا الباب بحيث لا يأخذ به حصر
(وينبغي له) انه اذا اجلس ان ينوي يجلسه اظهرا حرككم الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فادانوى ذلك طاعت عليه وعليهم بركة تلك السنة
السنية فيوفق ويستدوي يمان ويحمل ويذهب عنه ما يتوقعه غيره او يصيبه
من المال والسائمة والضيحير والكبر والفخر والخيلاء ويحق لهم كاحتمال الوالد
لولده بل هم اعظم عنده منزلة من اولاده لان جلوسه معهم انما هو والله تعالى
مجرد اعن حفظ النفس وشفقة على اولاده له فيها حظ البشرية في الغالب
فكان احتماله لهم اكثر من اولاده واذا كان الامر كذلك فالبركة خاصة
واما ان كان ما تقدم ذكره من البواب والنقيب فلا فرق اذن بين باب
المدرسة وابواب الامراء لانه لا يتوصل الى ابوابهم في الغالب الا بالخاص

والنقيب فقد استويا في هذا المعنى فلو قدرنا ان احدا من عامة المسلمين
 جاء بفتوى الى باب المدرسة يجدا الحاجب والبواب وغيرهما بمنه بل
 يمنع بعضهم عند رؤيته البغال والعلمان الذين على باب المدرسة ولا يقبل
 ان يصل الى باب بل ينصرف ويترك ما جاء بسببه (ولا) يظن ظان ان الركوب
 على الدواب مكرره بل يكون في بعض الاحوال واجبا او مستحبا او جائزا فن
 بعد داره وهو صحيح البدن فركوبه من السهم الجائر ومن كان ضعيفا
 لا يقدر على المشي وكان اخذ الدرس يتعين عليه او كان يقدر على المشي
 ويزيد مرضه به زيادة تضره شرعا فيكون ذلك في حقه واجبا واما من كان
 صحيح البدن قريب الدار فلا يخلف العلماء ان المشي في حق هذا افضل اذ
 انه يمشي الى اصل العبادات فان كان المستفتي قويا في دينه وجاهل الى بيت
 المدرسة وجد الحاجب أغلق عند بعضهم واذا وصل الى الباب وجد من يمنع
 وصول خبره الى العالم حتى انه قد يبذل بعضهم شيئا من الدنيا حتى يوصل
 الفتوى اليه من غير ان يراه او يكلمه فهذه مافيه من فعل المتكبرين
 والمتعبرين فلو كان العالم اذا سمع الاذان خرج الى المسجد ~~كان~~ الناس
 يتوصلون الى قضاء غرضهم مما يضطرون اليه في دينهم ولو قدرنا ان احدا
 منهم خرج الى المسجد فيخرج في الغالب على صفة قد يتعذر على بعض العوام
 الوصول اليه الا بواسطة وقد يخرج بعضهم الى المسجد بغير نقيب ولا غيره
 وهما نادر والنادر لا حكم له عند الفقهاء وتفصيل هذا يطول وبالحجالة ففهما
 اشير اليه غنية عن الباقى (ويأتى) للعالم اذا جاءته الفتوى ان يسأل من
 وقعت له حتى يسمع ذلك من لفظه ان كان حاضرا او يسهل حضوره ويتثبت
 في فهم الاقفاط التي يسمعونها منه لان الورقة قد يكتب فيها غير ذلك فيفتى على
 وهم او غلط وفي ذلك من الخطر مافيه وان كان جوابه صوابا على ما رآه
 مكتوبا فان تعذر حضوره وقعت له النازلة شأن العالم ان يتثبت جهده
 وان يأمر من اتى بالفتوى انه يعاود صاحب الواقعة ان تيسر ذلك عليه كما
 تقدم والمقصود والمطلوب ان لا يفتى الا بعد التحرز السكلى والتعظيم العظيم
 حتى يتبين له وجه الصواب في ذلك وينشرح صدره ثم بعد ان شرح صدره
 لذلك والوقوف على حقيقة امر الفتوى لا يعجل بالكتابة عليها بل يؤخر ذلك

الى وقت الدرس فيعرض المسئلة على من حضره من الفقهاء ويرى رايه
ورايهم ثم يمد ذلك بنظر فان وافق ما عنده ما قالوه فيها او نعمت وان
خالفه بحث معهم في ذلك وأبدي لهم ما يريد أن يفتي به في المسئلة فاذا فرغ
من البحث في ذلك كتب عليهم انما يتحقق أنه الصواب عنده ولا يحذرون البجالة
في ذلك لانه انما يتكلم ويفتي بما يتحقق أو غالب على ظنه ان ذلك حكم الله تعالى
في هذه المسئلة فان الغلط في ذلك قل ان يستدرك (وقد) كان سيدي الشيخ
ابو الجليل ابو الحسن المروفي بالزيات رحمه الله تعالى جاءته امرأة فاستفتته
فأجابها ثم مضت لسبيلها فها هو الاقليل واذا بالشيخ رحمه الله تعالى قد
تغير وجهه وأخذتوبه فجعله في فقه وخرج بجري حافيا الى أن يحرق المرأة
فأخذ الفتوى منها ثم رجع فسأله اصحابه من موجب ذلك فقال ذكرت
أخي وهمت في جوابها فأسرعت لئلا تفوتني فقالوا له لو أمرتنا لفلان ذلك فقال
ما هي في ذمة أحد منكم فلو فعلت ذلك كان أحدكم يقوم على هيئته وحتى
يلبس نعليه وحتى يمضي المشي المعتادا واكثر منه قليلا فقد فوت المرأة ولا
تعلم جهتها والذي تتعاق المسئلة بذمته هو الذي يعلم ما جرى عليه فيبادر
الى خلاص نفسه (وقد كان) رحمه الله تعالى اذا جاءته الفتوى يقول ان اتى
بها ما يمكنني ان اكتب عليها الان الخط قد مراد فيه وينقص فيقع مخالفات
المسئلة عليه فلا يفتي حتى يحضر صاحب النازلة فاذا حضر سأل عما وقع له
فيخبره به فيقول له اذا كان من الغد يحضر الجواب ان شاء الله تعالى فاذا
جاء من الغد يسأله الجواب يقول له الشيخ اعد على المسئلة فاذا اعادها عليه
فان كانت موافقة لما قاله بالامس بحث فيها مع من حضر ثم افتاء او كتب له
عليها وان خالف ما قاله بالامس قال له الشيخ ايمسا هو الحق الذي بالامس
او الذي باليوم فبردها ولا يفتي له فيها بشئ ويقول له لا اعلم الحق في ذلك
حتى أفتي عليه هكذا هو حال العلماء في التفرغ على ذمهم اللهم الا ان تكون
المسئلة مشهورة معروفة لا تحتاج الى بحث ولا تطويل نظر فلا بأس بالجواب
عليها في الوقت والله تعالى الموفق للسداد عنه فلو مشى العالم على هذا
المنهاج القويم لحصل له فائدتان عظيمتان احدهما براءة ذمته والثانية
انتفاع من حضره وتعليمهم في اقل زمان لان انداد الدرس سهل يسير في

الغالب اذ النباه من الطلبة قد اطاعوا عليه غالباً وهم قد عرفوا ما اخذوه
ومرادهم ومشكلاته والجواب عنها وحالها والفتاوى ليست كذلك
لانها تنزل تنزل على غير تعبية ولا اهمة وفيها تظاهر نباهة طابته وتحصل
لهم بها الفائدة الحجة والتثبت في المسائل التي تقع لهم منها (ومن) ابن يونس
قال من من عيسى سمعت ما لكايهوا لا يؤخذ العلم من اربعة ويؤخذ من
سواهم لا يؤخذ من مبتدع يدعو الى بدعته ولا سفيه معان بسفهه ولا من
يكذب في حديث الناس وان كان يصدق في حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا من لا يعرف هذا الشأن (وقال) مالك ليس يسلم رجل
يحدث بكل ما سمعه ولا يكون اماماً ابداً ثم قرأ ولا تأسوا بالحق بالباطل اه
وايحذر ان يتردد لاسد او يسبح في طلب التدريس في اى موضع كان من
مدرسة او غيرها لانه انما يجلس لله تعالى فيعلم ويتعلم ويفيد ويستفيد لكي
يظهر ما اوجبه الله تعالى او حره او كرهه على نفسه وعلى غيره فما كان
اصله لهذه المعاني وما جازيها فينبغي بل يجب ان لا يخطأ ذلك بشئ من اقدار
الدنيا والعالم اولى من يبادر الى معالي الامور واكها اذ انه قدوة للاقتدين
وهدى للاقتدين فاذا رآه احد من الناس يتسبب فيما ذكر كان ذلك سبباً
للاقتداء به في طلب حطام الدنيا والغالب ان النفوس تأس باقل من هذا
وان كان ذمه موجوداً في الكتب واحوال السلف رضى الله عنهم اكن
شان الناس اليوم في الغالب الاقتداء بمن في وقتهم ولا يتعرضون للظرف في
حال من سبق ذكره اشارة للتوصل الى اغراضهم (فاذا) كان ذلك كذلك
فالعالم اولى من يتحفظ على نفسه صيانة للعلم واقامة لحرمة بل اذا عرض عليه
شئ مما ذكر فلا يترهب ولا يستخز الله تعالى ويستشير ولا يجهل فان العجالة من
الشراة والشراة مذمومة لقوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال
سلوة خضرة فمن اخذه به خذارة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس
لم يبارك له فيه كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى اه
واذا فعل ما ذكر وكان اخذه لذلك به خذارة نفس يبارك له فيه وان كان
ذلك باشراف منه لم يبارك له فيه والبركة هي المقصود والمأمول لان البركة
اذا وقعت في القابل اغنت عن الكثير واعانت على طاعة المولى سبحانه

وتعالى (ووجه آخر) وهو مذكور في الحديث وهو أنه إذا سأله كانت يده
سفلى وليس هذا منصب العلماء لأن يد العلماء ينبغي أن تكون هي العليا
ولا عذر له في الطلب لما ذكره لاجل العائلة والملازم لأنه إذا ترك ذلك تقيته
على هذا المنصب الشريف لم يضيع الله الكرم قصده وأتاه به أوفى عليه
من غيره بما هو أحسن من ذلك وسد ثمة وأعانته على ما شاء كيف شاء
أليس رزقه يخصص في جهة معينة وعادة الله تعالى أبدام سعة على أنه
سبحانه وتعالى يرزق من هذا حاله من غير باب يقصده أو يؤمله بل الأمر على
عكس ذلك وهو أن من لله تعالى بداعية فانه يقطع به حتم في جهة يؤملها
أو يقصدها لأن مراد الله تعالى منهم انقطاعهم إليه وتوكلهم في كل أمرهم
عليه ولا ينتظرون إلى لاسباب بل إلى مسبب الاسباب ومديرها والقادر
عليها وكيف لا يكون العالم كذلك وهو المرشد الخالق والموضح الطريق
المستقيم لله لا لوك إليه سبحانه وتعالى ومن ترك جهة لله تعالى وقاصدا إلى
أخرى فيبدل عنها ما هو أفضل منها قال عليه السلام من ترك شيئا
لله سؤسه الله خيرا منه من حيث لا يحتسب اهـ (فالحاصل) من هذا أن
العالم ينبغي له أن يكون توكله على الله تعالى في أي وضع كان من بيت أو
مسجد أو مدرسة فيكون ذلك كله سواء في حق لا فرق بين ذلك كله وإذا
كان ذلك كذلك فيجب ما تقدم ذكره من أنه إذا قطع عنه المعلوم لا يتكلم ولا
يتكلم ويبقى على ما كان عليه من الجد والاجتهاد بل يزيد في الاجتهاد لأنه
يخص الله تعالى كما تقدم قبل

(فصل) وينبغي له بل يتعين عليه أكثر مما ذكرنا أن لا يتردد لاحد من
ينسب إلى أنه من أبناء الدنيا وإن كان ظاهرا غير ذلك لأن العالم ينبغي أن
يكون الناس على ما لا يحسن الحال أن يكون هو على أحوالهم ولا حجة
له في كونه يخاف من عدو أو حاسد وما شبههما من ينشئ أنه يشوق عليه
أو يرعوا أحد منهم في دفع شيء مما يشاء أو يرجو أن يكون ذلك سببا لقضاء
حوائج المسلمين من جلب منفعة لهم أو دفع ضرر عنهم وهذا ليس فيه عذر
بفعله الأول فلا بد من تقدم أنه إذا أشرف بذلك بأشرف نفس لم يبارك له
فيه وإن كان خائفا مما ذكره ذلك أعظم من أشرف النفس وقد يسلط عليه

من يتردد إليه في معلومه عقوبة له مججلة وأما الثاني فهو يرتكب أمرا
محذورا محققا لاجل محذور. فظنون توقعه في المستقبل قد يكون وقد
لا يكون وهو مطلوب في الوقت بعدم ارتكابه ذلك الفعل المذموم شرعا بل
الإحالة على قضاء حوائجه وحوائج المسلمين أغصاه والانتطاع عن أبواب من
تقدم ذكرهم والتعويل على الله تعالى والرجوع إليه إذا نه سبحانه وتعالى
هو القاضي للحوائج والدافع للخسوف والمختار لمولود الخلق والاقبال بها
على من شاء كيف يشاء قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بخطاب السيد الخلق
أجمعين لو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم
فذكر سبحانه وتعالى هذا في معرض الامتنان على نبيه صلى الله عليه وسلم
والعالم إذا كان متبعه عليه أفضل الصلاة والسلام سيما في التعويل
على ربه سبحانه وتعالى والسكون إليه دون غفلته لوقاته فانه سبحانه وتعالى
يعاملهم بهذه المعاملة اللطيفة التي عامل بها نبيه صلى الله عليه وسلم لم أبركة
الاتباع له عليه الصلاة والسلام ويسلم بذلك من التردد إلى أبواب من لا ينبغي
كالذي يفعله بعض الناس وهو ستم قاتل لأنه لا خفاء في أحوالهم باليتهم
لواقعة مروا على ما ذكر لا غير بل يضمنون إلى ذلك ما هو أشد واشنع وهو أنهم
يقولون إن ترددهم إلى أبوابهم من باب التواضع أو من باب إرشادهم إلى الخير
إلى غير ذلك مما يخطر لهم وهو كثير قد عمت به البلوى وإذا اعتدوا ذلك
فقد قل الرجا من توبتهم ورجوعهم إذا نه لآية توب أحدهم من الخير وقد
نقل بعض علماء ثائرة الله عليهم أن العدل إذا تردد لأسباب القاضي فإن ذلك
يجوز في حقه وتردبه شهادته فإذا كان هذا في التردد إلى باب القاضي
وهو عالم من علماء المسلمين سالم مجاهد مما يجري في مجالس من تقدم ذكرهم
فكيف التردد غير القاضي فن باب أولى وأوجب المنع من ذلك

• (فصل) • وليحذر أن يترك الدرس أو يمرض تضرر له من جنازة أو
غيرها إن كان يأخذ على الدرس معلوما فإن الدرس إذا كان واجب عليه
وحضور الجنازة مندوب إليه وفيل الواجب يتعين فإن الذمة مضمونة به
ولا شيء آكد ولا أوجب من تخليص الذمة إذ تخليصها هو المقصود ثم بعد
ذلك يتنظر في الواجبات والمندوبات فلو حضر الجنازة وأبطل الدرس لاجلها

تعيين عليه ان يستقام من المعلوم ، فيخص ذلك بل لو كان الدرس ليس له معلوم
 لتعين على العالم المجلوس اليه اذ انه يخصص لله تعالى والجماع مسألة واحدة
 من العالم افضل من سبعين حجة مبرورة كما قال بعض العلماء ، ان هذا من
 فضل الجنائزة (وقد مات) اعدا ولا داحسن او المحسنين فخرج بجنائزته اهل
 المدينة على ما كننا افضل الصلاة والسلام وبقى سعيد بن المسيب فقيل له
 ألا تخرج الى جنازة هذا الرجل الصالح ابن الرجل الصالح ابن بنت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاوباً بالمعنى على ذلك صلاة ركعتين عندى افضل
 من حضور جنازة هذا الرجل الصالح ابن الرجل الصالح ابن بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا افضل رجه الله تعالى صلاة ركعتين نافلة
 على حضورها فابالك يا كثر من ذلك فابالك يا امة مسائل العلم لانه خير
 متدس في زمانه هذا (وكذلك) لا يترك الدرس لاجل مريض يعود او ما
 اشبهه من التعزية والتهنئة المشروعة لان هذا كله مندوب والقاء العلم
 متعين ان كان ياخذ عليه معلوماً وقد يتعين عليه وان لم يكن له معلوم بل لو
 جرى عنهما معاً كان افضل من غيره من المندوبات (فاذا) تقرر ذلك وعلم
 من انه يترك ما نذب اليه لاجله فابالك ببطالة الدرس لاجل بدعة نعوذ بالله
 من ذلك (وقد) كثر مثل ذلك في هذا الزمان حتى صار كانه شعيرة من شعائر
 الدين عند بعضهم فيبطلون الدرس لاجل الصبغة لاجل الميت او الثالث له
 او تمام الشهر او السنة او الفرح كالعقيقة وغيرها كالسلام على الغائب
 والتهنئة بولاية الى غير ذلك فما كان من ذلك مندوباً فينبغي له ان يفعله في
 غير وقت الدرس اذا سلم من الموانع الشرعية وما كان منها من المذكور هاتين
 او البدع فيتعين عليه تركه مع افهامه تقبيحه والتشجيع على فاعله والتحذير
 منه بما يمكنه (واذا كان) العالم ماشياً على هذا المنهاج انسدت به هذه الثمة
 التي وقعت في هذا الزمان فتجد بعضهم يبطلون الدروس ابدعة الصبغة او
 الثالث او التهنئة بولاية خلة او السلام على غائب قدم الى غير ذلك مما تقدم
 ذكره فيتركون الواجب ويصير ما ياخذونه من المعلوم فيه من الشبهة
 ما فيه ويضرون الى بدعة ياليتهم لو فعلوها وهم مترفون بان ما فعلوا مكره
 او حرام لكان بعضهم يرى ان ذلك واجب او مندوب اليه بحسب ما يخطر له

من التأويلات التي تأبها قواعد الشريعة مثاله ان يترك الدرس ويروح
الى تهنئة من يغضب منه ان يأخذ المنصب من يده أو يرجو المنصب آخر الى
غير ذلك من مقاصدهم

(فصل) وينبغي له أن ينظر أولا في المدرسة اذا عرضت عليه هل هي من
وجه حل أم لا فان كانت من وجه حل فلا بأس اذن وان كانت من غيره
فلا يصلح له الاقدام عليها وان كانت من شبهة فالعالماء نزهون عن
الشبهات بل يتأكد الأمر في حقهم وقد يصير ترك الشبهات في حقهم واجبا
لانهم القدوة والناس لهم تبع فاذا اتهموا بالشبهات اقتدى بهم الناس
في تناولها ومن حارم حول المحي يوشك ان يقع فيه (وكذلك) ينبغي له او
يتعين عليه ان ينظر في المعلوم الذي قرر له بهذا الاعتبار وهذا كله ما لم
يتعين الغضب وأمام التعيين فلا يعمل (وقد كثرت) وقوع مثل هذا الأمر
الغفيع في هذا الزمان ففقد بعض الناس يغضب الموضع وكذلك الآلات
مثل الأعمدة والرخام والشبابيك وقد يأخذون به من ذلك من بعض المساجد
وبعض البيوت وبعض الحمامات على يقين ثم بعد ذلك يغضبون الناس من
الصناعات وغيرهم في بنائهم بذلك ثم مع هذا الأمر الجلي قلما يوضع الاساس
الا وقد وقعت الخيانة في طلب تلبية تلك الأماكن ولا يصل الى تلبية الأمن
له الشوك كما اقرب ذلك كيف يقع السعي في موضع وقع بناؤه على ما تقدم
ذكره (الأتري) انه لو نادى مناد فيقول كل من كان له في الموضع الفلاني
شيء فليأت لقسم ناس يدعون ما لم فيه من الحقوقي الشرعية ويشدون ذلك
فيصير تصرف هذا العالم في ملك الناس بغير اذنهم وهذا أمر فيجب لو فعله
بعض العوام فكيف يقدم عليه من ينسب الى العلم (فان) قال قائل كثير
من المدارس بنيت على هذا الأسلوب (فالجواب) ان ما تعين فيه شيء مما ذكر
كان الاقدام عليه حراما بخلاف ما لم يتعين (الأتري) انه لو نادى مناد على
مدرسة قديمة فيقول كل من غصب له فيها شيء فليأت يأخذ ما غصب منه
لم يأت أحد لا نقرض صاحبها وانقرض ورثته أو الجهل بهم في الغالب
(واذا) كان ذلك كذلك فقد صار ذلك محمولا لا تعرف جهاته ولا أربابه
فيرجع اذ ذاك الى بيت مال المسلمين واذا رجع اليه فهو مرصود فيه اصالحهم

ومن أحدها إقامة وظيفة العالم والاعانة عليه وتحصيله فقد افترقا (فلا)
 حجة ان احتج بهذا على جواز التصرف في الحرام البين ولا عذر له في القول
 بان ذلك قد صار في الذمة لا أحد وجهين (أحدهما) ان ما كان من ذلك
 معينا فهو مستحق لصاحبه والغاصب له مأمور في كل زمن فرد برده مستحقه
 (والوجه الثاني) ان ذمة هذا الغاصب مستغرقة لكثرة غصبه وكثرة
 الحقوق المرتبة فيها فصار ما في يده من الاموال وان كثرت مستحقة لا رباها
 وتبقى الفضلات ~~الكثيرة~~ كثيرة عليه على ان ما في يده في الغالب من غير وجه
 فتحصل من هذا انه لا يجوز الاقدام على تلك المواضع كما تقدم (ولا عذر) ان
 يقول ان الضرورات ألجأت الى اخذ هذه الجهات والمواضع لكثرة العائلة
 والملازم (والجواب) عن هذا ما اخذ مما نطق به القرآن العزيز وصرح به
 قال تعالى في محكم التنزيل واقدار سائرنا من قبلك وجعلناهم أزواجا
 وذرية ذكر سبحانه وتعالى ذلك في معرض اقامة الحجة على من عدا الرسل
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانهم حجج الله تعالى على خلقه ومع كثرة
 عائلاتهم لم يمنعه ذلك من صفة الاقامة بأعباء النبوة والرسالة فكل وفي ذلك
 على مقتضى ما أريد منه وقد كان عيشهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
 على ما قد علم واشتهر من شطاف العيش وخشن الملبس وقلة التجارة تكثر
 لهم وترفيه المنازل السنية (وقد كان) السلف رضوان الله عليهم يحبون الفقر
 ويعملون عليه ويهربون من الدنيا وأسبابها (لاجرم) اننا لما اخذنا في
 الضد من أحوالهم جاء الخوف من الفقر والاعتلال بالعائلة فلا حجة ان احتج
 بالضرورات لما تقدم من الجواب بذكر أحوال الرسل صلوات الله وسلامه
 عليهم أجمعين وأحوال السلف رضوان الله عليهم أجمعين (وقد كان) سيدي
 أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ما لي على من أتى في هذا الزمان الا من
 الضرورات المعتادات غير المشريات فكان رحمه الله يقول هذه الضرورات
 تقطع من اصاها ولا حاجة تدعو اليها مثال ذلك ان يقول الفقير لا بد من
 فوقانية على صفة ولا بد من عمامة على صفة ولا بد من كتب ولا بد من دابة فاذا
 حامت الدابة لا بد لها من غلام وكافة في الغالب ولا بد لبعضهم من بغلة وبعضهم
 يتخذ لغلالة بغلة أيضا وقد يحتاج الغلام الى زوجة فلا يزال هكذا في

ضرورات حتى يرجع في الدنيا امتنع الحال وهو عند نفسه انه مضر ورحتي
لقد بلغني عن بعض من في الوقت من ارباب الدنيا المتسعة عليه انه يقول
استحق اخذ الزكاة نظرا منه الى ما قدمناه واشباهه من المسكن على صفة
والزوجة والملبس والمطعم والاراني والجواري والخدم والغلمان فتاتي
الدنيا بهذا فيراها لارا حدمهم وهو موم يحده يشكروا من كثرة الضرورات
التي يدعيها فكان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول هذه الضرورات تقطع
من اصلها فلا ضرورة الشرعية والضرورات الشرعية لا يحتاج فيها في
الغالب الى كلفة (فالخاص) من هذان الضرورات التي لهم انما حدثت
من مخالفة الشرع والعالم اولى من يتبع الشرع ويبحث عليه فانه القدوة
وعلى احواله وافعاله واقواله يدور امر الناس في اقدارهم به في ذلك في
غالب احوالهم

• (فصل) • وينبغي له أن يكون آكدا لأمور وأهمها عند القناعة لان بها
يستعين على ما اخذ بصدده فاذا عرض عليه منصب من حل وكان له غنية
عنه فلا حاجة تدعو الى اخذته وتركه افضل له عند الله تعالى من اخذته
والصدق بما يحصل منه من الرفق لان ترك طاب الدنيا اعظم عند الله تعالى
من اخذها او الصدق بها (ومن) كتاب القوت كان الحسن رحمه الله تعالى
يقول لا شيء افضل من رفض الدنيا (وقال) الفضل بن ثورقات للحسن
يا ابا سعيد رجلان طلب احدهما الدنيا بحلالها فاصابها فوصل بها رحمه
وقدم فيها نفسه ورجل رفض الدنيا قال احبهما الى الذي رفض الدنيا
قال فاعدت عليه القول بذلك فقال سبحان الله ما اعتدل الرجلان احبهما
الى الذي جانب الدنيا انتهى (ومما) يوضح ذلك ويبينه ما أخرجه مالك في
موطائه عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يقول الا ادلكم على خير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان
تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكركم الله
تعالى اهوالا الى من يبادر الى اعلى الامور واسنهاها ولا ان العلم من افضل
الاعمال واجلها فلا ينبغي له ان ياخذ عليه عوضا اللهم الا ان ياخذ بالنية
المتقدم ذكرها فنعلم وقد تقدم ما جرى الشيخ الجليل ابي اسحق التميمي

في شربة ابن فن باب أولى ما هنا بل لو عرض عليه المنصب وليس له شيء
 لكان ينبغي له أن يتنزه عنه ويترصده إقامة محرمة العلم والكي يتصف
 بصفات أهله اللهم إلا أن تكون له ضرورة شرعية على ما تقدم في أخذ من
 ذلك بقدر الضرورة دون زيادة ويقتصر عليها وإذا كان ذلك كذلك
 انسدت به هذه الثمة التي وقعت في هذا الزمان فتجد بعضهم في المدرسة
 ثلثة درهم مثلا وفي الأخرى دون ذلك أو أكثر فتجد بعض المدرسين له
 دنيا كثيرة وهو يدعي الضرورات لما تقدم من نظره إلى الضرورات
 المعتادات (وينبغي له أيضا بل يتعين عليه أن ينظر في العلم الذي يأخذ عليه
 المعلوم أن كان قد تمين عليه أم لا فإن كان قد تمين عليه فلا يجوز له أن يأخذ
 على تعليمه عوضا وإن لم يتعين عليه فيجوز له أخذه مع أن الترتك أولى وأرفع
 وإذا أخذه فاغيا يأخذه على نية الإطاعة على ما هو يصدده من العلم والتعليم
 لا على العوض والإجارة وإذا كان ذلك كذلك فيكون تعليمه لله تعالى
 وأخذه الرزق لله لا غير ذلك والله الموفق

(فصل في مواضع الجلوس في الدروس وغيرها من مواضع الاجتماع)
 وقد تقدم أحسن الله تعالى إلى واليك القول في القيام للاداء في أوائل
 الكتاب وتفصيله وما يجوز فيه وما يمنع منه وبقي الكلام على مواضع
 الجلوس وتبيين ما أحسنوا فيه من العوائد (فينبغي) للعالم أن يحذر من هذه
 البدع المستهجنة التي أحدثت إذا لم تكن أن مضى والخير كله في الاتباع
 لهم وقد تقدم غير مرة أن العلماء أولى بالتواضع من غيرهم وإن كان كل الناس
 مطالبين بذلك وطالب موضع معلوم للجلوس انما هو من باب الكبر والتخيل
 والازدراء عن دونه غالباً وذلك بعيد عن اتصف بالعلم سيما من هو جالس
 لاقائه أو لسماعه والعلم يطلب به بترك ما يتعاطاه من طالب المخطوطة الخسيسة
 والاماني الفاسدة وقد تقدم في باب القيام أن سمع العالم انما هي بوجود
 الفضل والدين والورع والتعشف والتواضع والتنازل لعماد الله تعالى
 لا بضده وطالب موضع معلوم من باب التعظيم لا خفائه والعلماء برءاء من
 ذلك (الأتري) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أن أتى بشارب فشرب منه
 وكان عن يساره أبو بكر وعمر تجاهه وأعرابي عن يمينه فلما فرغ قال عمر

رضى الله عنه هذا أبو بكر فأعطى الأعرابي فضله وقال الأفيمنوا قال
 أنس فيه سنة ثلاث مرات أخرجه البخاري رحمه الله تعالى وبالضرورة
 أن جهة المؤمنين أفضل وقد كان الأعرابي في جهتها والصدديق رضى الله
 عنه على اليسار فلم يضرب أبوبكر ذلك ولم يخرج من فضيلة التي أولاه الله تعالى
 أياها إذ أن الفضيلة إنما هي بين العبد وربّه لا فيما بينه وبين الخلق فإن ظهرت
 الفضيلة للناس وأمر وابتغى صا حيا فلا يكن ذلك على ما وردت به السنة
 الا ترى أن الأعرابي لما ان اسما تاذنه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقدم
 أبوبكر فقال الأعرابي لا أؤثر بنصيبى منك أحدا فأقره النبي صلى الله عليه
 وسلم على ذلك (وكذلك) نقل عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لما
 أن أقرع النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج الى الجهاد بين رجل وولده
 (٣) فخرجت القرعة للولد فقال له أبوه آثرنى بها يا بنى فقال له ابنه الجنة
 هذه يا أبى لا يؤثر بها أحدا (فانظر) رحمه الله تعالى وأياك كيف
 فعل هذا الصحابي هذا الفعل مع أبيه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فأقره
 عليه الصلاة والسلام على ذلك ومعلوم أن بر الوالد من مقتضى طاعة
 في الشرع لكن على ما أحكمته السنة لا على ما يخطر بالبال من سفساف في أنفسنا
 (الا ترى) الى ما جرى لك رحمه الله تعالى في قصته مع الخليفة لما أراد
 الخليفة أن يقرأ عليه كتاب الموطأ وجلس الخليفة الى جانب الامام اناك وامر
 وزيره جعفر ان يقرأ فقال له مالك رحمه الله تعالى يا امير المؤمنين ان هذا
 العلم لم يؤخذ الا بالتواضع وقد قال العلماء رحمه الله عليهم وان تتواضعوا
 ان تتعلمون منه فقام الخليفة وجلس بين يديه هذا وهو خائف ذلك الزمان
 مع أنه في الفضيلة كان بحيث يعلم موضعه منها ولا جعل ما عنده من فضيلة
 العلم انقاد الى الادب والتواضع ولم يزد ذلك الارفة وهيبة بل ارتفع قدره
 بذلك وبقي يثنى عليه بذلك في مجالس العلماء وغيرهم (ومن) كتاب القوت اذا
 جمع العالم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق
 واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على العالم العقل والادب وحسن الفهم
 اه (فن) اراد ان رفعة فليضع الله تعالى فان العزة لا تتبع الا بقدر النزول
 (الا ترى) ان المساء نزل الى اصل الشجرة معه الى ادناها فكان سائلا

(٣) هما سيدنا
 خديجة وابنه سعد
 وكان ذلك يوم
 بدر اه

سأله ما صدقك هذا - فني في رأس الشجرة وأنت قد نزلت تحت أصلها
فكان لسان حاله يقول من تواضع لله رفعه الله (واذا) كان ذلك كذلك فمن
سبق إلى موضع فهو أحق به من غيره وكونه يقيم أحداً من موضعه فهو من
باب البدعة وارتكاب النهي والتكبر والتجبر وقد نهى عليه الصلاة
والسلام عن أن يقيم الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفهموا
وتوسعوا انتهى وهذا الحديث في الصحيح وهو نص في عين المسئلة فعمل هذا
فيما بلغ بالإنسان المجلس جالس فهي السنة وغير ذلك من البدعة وارتكاب
النهي كما تقدم فالفضيلة عند السلف رضى الله عنهم إنما هي بالاتصاف بما
تقدم ذكره وليست بالمواضع ولا بالمخاع ولا بوجود المناصب ولكن كما تقدم
عنهم باتباع السنة في التواضع وغيره من الأخلاق الحميدة فلم يجلس من له
فضيلة عند الأقدام إصاًر موضعه صدره وعكسه عكسه فليحذر من هذا
التنافس المذموم شرعاً فإنه سم قاتل لفاعله وإن يقتدى به وهو نوع قبيح كما
تقدم أول الكتاب في القيام واللباس بل هذا أشد قبحاً لأنه مصادم للنهي
(فإن) قال قائل أغايفعل ذلك من باب الترفيع مع العلم والتوقيره (فالجواب)
ما تقدم من السنة في ذلك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وغيرهم من
السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين ولا يتبع غيرهم ولا يرجع إلا إليهم
لأن في ذلك حفظاً للنفوس ومخافة السنة قال الله تعالى في محكم التنزيل
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فلا شيء أعلى ولا أرفع من اتباعه
عليه الصلاة والسلام واتباع أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين (فإن) قال
قائل إن هذا الزمان لا يشبه ذلك الزمان لتعظيم الصدر الأول وبعضهم بعضاً
ولا جل علمهم العزيز وديانتهم (فالجواب) إن الكتاب العزيز والسنة الشريفة
ورداً جميعاً لأهل كل زمان ولم يخص النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قرن نادون
قرن ولا قوماً دون آخرين بل أتى بذلك محمداً قال الله عز وجل في محكم
التنزيل وأوحى إلى هذا القرآن لا تذركم به ومن باغ وقال عليه الصلاة
والسلام ألا فليبلغ الشاهد الغائب فاعمل بعض من يبلغه إن يكون أوعى له
من بعض من سمعه أي أعمل به فالمنزلة التي يراعى حجة في الشرع إنما
هي بالعلم والاتصاف بالعمل به كما تقدم وتقدم بعضهم ببعض في هذا الزمان

في الغالب انفسهم ولتعظيم الدنيا في قلوبهم فمن كانت له خلة او هيئة قدموه
في المجالس ومن كان رث الحال انروه عكس حال السالف كما هو شاهد من
عوائد أكثرهم فلا حاجة تدعو الى ذكر تفاصيل احوالهم ومقاصدهم
في ذلك والغالب من بعضهم انهم لا يراعون الانصاف في ذلك ان لو كان جائزا
في الشرع (فالمحصل) من هذا ان ذلك مجرد حفظ مذهبهم شرعا كما تقدم فلا
ينبغي للعالم ان يسكت عن ذلك بل يوضح الامر وينكره ويرفعه له ويقبح له
فعله ويثبت القول في ذلك حسب استطاعته (اللهم) الا ان يكون ذلك
الشخص من محتاج الناس اليه لا فتوى وهو مقصود في ذلك المكان في امور
الدين وكان له مكان يعرف به فهذا ليس من ذلك الباب للضرورة الداعية
الى ذلك كما تقدم بخلاف غيره اذ لا ضرورة تدعو اليه والضرور رات لها
احكام تخصها والله الموفق

تم بحمد الله الجزء الاول من تجزئة ثلاثة اجزاء
ويليه الجزء الثاني اوله فصل في ذكر
آداب المتعلم وصلى الله على سيدنا
محمد النبي الامي وعلى
آله وصحبه
وسلم

• (فہرست الجزء الاول من كتاب المرحل لابن الحاج) •

فصل في التحريض على الافعال كلها ان تكون بنية طاهرة	٥
فصل في كيفية محاولة الاعمال كلها ان ترجع الى الوجوب والندب	١٦
فصل في الاستبراء وكيفية النية فيه	٢١
فصل في الوضوء وكيفية النية فيه	٢٨
فصل في الركوع بعد الوضوء وكيفية النية فيه	٣١
فصل في الخروج الى المسجد وكيفية النية في ذلك	٣٢
فصل في العالم وكيفية نيته وهديه رآديه	٤٢
فصل وينبغي له ان يحترق في حق غيره من بحالسه الخ	٥٠
فصل اذا شرع في اخذ المدرس	٥٥
فصل فيما ينبغي له اذا اوردت عليه المسائل الخ	٩٧
فصل في هذا الباب مع زيادة	٩٨
فصل في اخلاص نيته اذا قعد في محاسن العلم	١٠١
فصل في الدعوات المحدثه	١٠١
فصل في اللباس	١٠٨
فصل في القيام	١٣١
فصل وينبغي له ان لا يجالس على حائل مرتفع دون من معه	١٦٣
فصل في التحفظ عن المراءوح	١٦٤
فصل في التحرز عن ابعاد الطلبة عن العالم في المدرس	١٦٥
فصل وينبغي له ان لا يكون في محاسنه مكان مميز لا حاد الناس	١٦٥
فصل وينبغي له ان لا ينزعج على من اذاه الخ	١٦٥
فصل يحذر من ان يتكئ على اليد اليسرى الخ	١٦٧
فصل ويجب عليه ان لا يسمع من ينم عنده الخ	١٦٧
فصل ويجب ان يتحرز على نفسه وعلى من حضره من الغيبة	١٦٧
فصل في الانكار على المنكرات وشروطه	١٦٩
فصل في التحرز من المزاح المخارج عن حد الوقار وفيه رجوع الى	١٧١

خروج العالم الى المسجد الخ	
فصل في تفتظه من مشي الناس معه ومن خلفه	١٧٢
فصل في فعله في رجوعه كما في خروجه	١٧٣
فصل في ابتداء دخوله بيته	١٧٣
فصل في ركوعه في بيته قبل ان يجلس	١٧٤
فصل وينبغي له ان يتفقد اهل بيته بمائل العلم الخ	١٧٤
فصل في آداب الاكل	١٧٩
فصل منه وفيه شروط الضيف والمضيف وغير ذلك	١٨٠
فصل في عيادة المريض	١٩٧
رجوع الى بقية تصرفه في بيته	١٩٨
فصل في لبس النساء	٢٠٠
فصل في نهي عن العمام التي كاسفة البخت	٢٠١
فصل في منعهن من توسيع الاكمام الخ	٢٠٢
فصل في تعليمهن السنة في الخروج عند الاضطراب	٢٠٣
فصل في خروجهن الى شراء حوائجهن وما يترتب على ذلك	٢٠٤
فصل في السكنى على البهر	٢٠٤
فصل في زيارة القبور وفيه جملة من حكم البناء فيها	٢٠٨
صفة السلام على الاموات	٢١١
فصل في زيارة سيد الاقارب والاخرين صلى الله عليه وسلم	٢١٥
رجوع الى زيارة عموم المؤمنين	٢٢١
فصل في خروجهن الى دور البركة	٢٢٥
فصل في منعهن من الدور التي على البساتين	٢٢٥
فصل في ركوبهن البهر	٢٢٦
فصل في خروجهن الى الحجل	٢٢٦
فصل في اجتماع النساء بعضهم مع بعض	٢٢٩
في بعض عوائد اخذتها	٢٣١

صفحة	
٢٣٢	فصل فيما يفعله من يوم السبت
٢٣٣	فصل فيما يفعله من اذا نزلت الشمس في برج الحمل
٢٣٤	فصل في زعمهم ان من دخل الحمام اربعين اربعماء يفتح عليه بالدينار
٢٣٥	فصل في المواسم وهي على ثلاث مراتب الاولى المواسم الشرعية
	الموسم الاول عيد الاضحي
٢٣٨	فصل في الموسم الثاني من المواسم الشرعية وهو عيد الفطر
٢٤٠	الموسم الثالث من المواسم الشرعية وهو عاشوراء
٢٤١	فصل في استعمال النساء الحناء والبخور يوم عاشوراء
٢٤٢	فصل في المرتبة الثانية وهي المواسم التي ينسبونها الى الشرع
	وايت في الموسم الاول اول ليلة من رجب وليلة السبع
	والعشرين منه
٢٤٨	فصل في الموسم الثاني منها وهي ليلة النصف من شعبان
٢٦١	فصل في الموسم الثالث وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٢	فصل منه وفيه مباحث مع التنبيه على متصوفة هذا الزمان
٢٦٨	فصل منه وفيه زيادة تصفيق النساء ورقصهن والكلام على
	القصاص في المسجد الخ
٢٧٢	فصل منه بزيادة على ما تقدم من خروج النساء الى القبور
٢٧٣	فصل منه في شغاهن اللباي الى البيض وغيرها بعوائدهن المتنوعة
٢٧٤	فصل منه في شغاهن الايام بالزيارات
٢٧٤	فصل منه في الامر بهدم البنيان التي في القبور زيادة على ما تقدم
٢٧٧	فصل منه وفيه الكلام على الورع الذي هو اصل الشريعة
٢٧٨	فصل منه وفيه حكم عدم حضور الجنائز المترتب على ما قبله وفي آخره
	رجوع الى المولد الشريف
٢٨٠	فصل فيمن يعمل المولد يجمع الفضة التي له عند الناس الخ
٢٨١	فصل في حكمه ك ون المولد الشريف في شهر ربيع الاول
	واختصاص يوم الاثنين وفيه مباحث رائدة والكلام على خاق

النور المجدى وفضل المدينة على مكة المحم	
فصل في مواسم أهل الكتاب وهي المرتبة الثالثة أواخر النور	٣٩٨
فصل منه بزيادة على ما تقدم	٣٩٣
فصل في نخيس العدى	٣٠٥
فصل في اليوم الذى يسعونه سبت النور	٣٠٦
فصل في مولد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام	٣٠٨
فصل في عيد الزيتونة	٣٠٩
فصل في بعض عوائد أخذها بعض النساء وهى سال خلال ببعض	٣٠٩
الفرائض	
فصل في صومهن أيام الحيض	٣١٦
فصل فيما يتعاطاه النساء من أسباب السمن وغيره من البدع	٣١٥
فصل في خروج العالم الى قضا حاجته في السوق المحم وفيه التنبيه	٣١٦
على أشياء لا يجوز بيعها ولا شراؤها وفي جلوس الباعة في طريق	
المسلمين وعلى أبواب المساجد وفي آخره أول صفحة ٣٢٨ تنبيه العالم	
على أشياء تلزمه وفيه إبحاث رائقة وفي آخره في ٣٣٢ رجوع الى	
تصرف العالم في السوق بزيادة على الأشياء التى تقدمت له أول الكتاب	
فصل في رجوع العالم من السوق الى بيته وكيفية نيته في ذلك وفيه	٣٣٨
الكلام على آداب الدرس فى البيت والمدرسة والكلام على أخذ	
المعلوم وغير ذلك من الفوائد	
فصل فى السعى لأخذ المعلوم وما يترتب عليه	٣٥٢
فصل ولا يجب نذر أن يترك الدرس له وأرض تعرض له من جنساة المحم	٣٥٣
فصل وينبغى له أن ينظر أولا فى المدرسة اذا عرضت عليه المحم	٣٥٥
فصل وينبغى له أن يكون آ كذا الامور وأهمها عند القناعة المحم	٣٥٧
فصل فى موضح الجلوس فى الدروس وغيرها من مواضع الاجتماع	٣٥٨
(تمت الفهرست)	